

إسعاد الرفيق

وبغية الصديق

شرح علامة زمانه ومفتى أوانه
الشيخ محمد بن سالم بن سعيد بابصيل الشافعي

حلّ به
متن سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق
تأليف

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بن
محمد بن هاشم باعلوي
غفر الله لهما وللمسلمين آمين



الجزء الأول

الحرمين

للطباعة والنشر والتوزيع
سنقافورة - جدة

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
أُوْبِيْهِمْ اللَّهُ



{2/1} الفتح السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
الحمد لله الواحد الأحد البديع الجواد الحي القيوم الذي ليس لعجائبه نفاد الصمد المنعم علينا بنعم لا حصر لها
ولا عداد أحمده حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وأسأله التوفيق لما أكرمه به أوليائه وعبيده مما حازوا به

قصب السبق ونالوا به فى ميدان التفاخر تأييده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر الرحيم الغافر القهار الذى قهر عباده بأمره فى السابق والآخر الأبدى العلام الذى لا يخفى عليه ما خفى وما هو ظاهر شهادة أنظم بها فى سلك عقد من كان لمحبة أوليائه من الصادقين لا سيما لأهل بيت نبينا ﷺ المطهرين لأنتعش بذلك إلى أدراج سلم المحبين لهم والمطمئنين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث بتعظيم الشعائر والأمر بتكريم أهل بيته وأصحابه وتابعتهم والعشائر إذ هم نجوم سماء ديننا وشموس الظواهر صلى الله وسلم عليه وعليهم أولى المناقب والمآثر صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل ماض وغابر إلى يوم ترفع فيه ألوية المداوم عليهما والمناقب ويخفض فيه صولة كل عدو وحاسد مناصر

-(أما بعد)- فإن الله ﷻ يسر بفضلته ورحمته من يشيد أركان هذا الدين من أمته ومن يرد من يتمنى الإلحاد فيه بأمنيته وأيده بآيات بينات بواهر وحكم ناطقات وحجج سوافر وقاطعات من البراهين بواتر من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء كما ورد ذلك فى سنة سيد الأصفياء فهم الخلفاء فى الأرض والأولياء فى السماء وقد ورد عن سيد الأئمة أنهم مأمورون بتقرير الأحكام وتحرير عقائد الإيمان والإسلام وحفظ أذهان العوام عن شبه الأعداء والأوهام فقاموا بذلك بالفعل والحال والقال فى جميع الأزمان والأعوام ولا زالوا كذلك إلى أن صاروا يقتنصونهم برسائل (3/1) وقصائد يجعلون فيها ما يجب على الإنسان لا سيما ساداتنا آل أبى علوى أولى التحقيق والإتقان فصادوهم بجراحة اللطف والإحسان وأيقظوهم من رقدتهم ففاضوا بالثواب والغفران وحصلوا بذلك الأنس لكل من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان فلا برحوا كذلك قائمين لنصرة هذا الشأن وسائرين عليه لينالوا منازل الصدق ومواطن الاطمئنان

ومن أحسن ما صنف وأجمع ما ألف المتن الحاوى لعيون فنون الأحكام الشرعية والأساليب والحكم الأدبية المأمور بالإصغاء إليها بالمسامع وبالحث لسماعها إلى المساجد والجوامع المطوى على فصل الخطاب القاطع والقول الجامع الذى أذعن لبلاغته وترتيبه كل ذى تحرير وتقرير لما وجد فيه مع صغر حجمه ما لا يوجد فى أكبر منه بكثير وعكف وحث على قراءته وتدريسه وشرحه سماسة أهل العلم من كل تحرير وكيف لا والذى أنشاه خاتمة المحققين ونبراس أهل دهره السابقين واللاحقين من عقدت عليه فى عصره ألوية المجددين قطب الزمان وغوث المكان صاحب الكرامات والشان ذو الذهن الذى كالزناد قادح والفكر الذى لخزائن العلوم فاتح الذى خاض بحر جميع العلوم بالنظر الناصح صاحب العزم الباهر والنور السافر والسر القاهر سيدى وسندى الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى قدس الله أرواحهم ونفعنا بهم فى الدارين وحققنا بمحبتهم لدخل فى حزيهم آمين المسمى بسلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق وفيه يقول بعض الأصدقاء والإخوان أصلح الله لى وله الحال والشان

ي-ا-م-ن-ي-روم-المع-الى	ويرتجى ني-ل-أقس-ام
الهاشم-يات	السع-ادات
ل-يرتقى ذروة المجد-الذى	وع-ز إدراكها السامى
شرف-ت	المقام-ات
انه-ض إلى سلم التوف-يق	واعرج على شمشخ الفخر
مجت-هدا	الرفي-عات
واعمل-ل بما فيه بسم الله	ع-لى إل 'ه-ال-برايا
معتم-دا	والسم-وات
(4/1)- فإنه المطلب الأقصى الذى	في-ه المهم-ات فاظ-فر
جمعت	بالمهم-ات

وإنه الشرف العالى الذى	أركانه ثم شي-دت
عظم-ت	بافت-وح-ات يسعى
وإن-ه العمدة الك-برى لذى	ليحظى بأنواع الكرام-ات
أدب	مطوي مع-ناه افراد
وإنه الك-نز والدرّ المص-ون	اليتيم-ات
وفى	ب-ه الأواخ-ر تحقي-قا
وكيف لا وهو تأليف الذى	ياثب-ات
افتخرت	من الرزايا وذخ-رى فى
غوئى وح-رزى وحصنى وهو	الملم-ات
معتمضى	وحج-ة الله فى الغ-ر
غوئ الوج-وه وغيث الج-ود	الق-ويم-ات
ذروته	ج-نابه خ-ير أقس-ام
ابن الن-بى ال-زكى	التحي-ات

الهـاشـمـى عـلى	نـجـلـ الإـمـامـ حـسـيـنـ ذى
أعنى به الشهم عبد الله	العزيمات
سيـدنا	أسـلـافـهـ وزكـتـ فى كل
ابن الهمـامـ المـفـدى طامـر	أوقـات
كـرمـت	طابـوا وطاب بهـم دهرى
ابـن الأئـمـة والأشـراف من	وساعاتى
مـضر	أعـلامـه واضـحـات بل
فالهـج به إن فىـه الحـق قد	فـريـدات
نـشـرت	زفـت إلـيـك فـما أحـلى
تـلـق الأمـانى فى برد	البشـارات
التـهـانى قد	عن وجـهـه الحـجب وضاح
وتبصر الجـوهر المكنون قد	الثنيات
جـليت	مـسـلمـين ويـعـفو عـن
والله ينعم بالتوفىـق لى	إســآتى
ولـكل الـ	بـمـنـه إنه معـطى
ويسـتر العـيب منى ثـم	الـجـزىلات
يرحمـنى	يرجى غـدا عند ربى
بحرمـة المصطفى المختار	للشـفـاعات
أكرم من	يـحـب والال والأصـحاب
صـلى وسـلم مـولانا علـيه	سـاداتى
كمـا	

هذا وقد كنت قرأته بالمسجد الحرام بأمر نجم السادة الكرام مفتى الأنام المتحلى بكل وصف على جلى سىدى وشيخى الحبيب محمد بن حسين الحبشى أطال الله بقاءه ثم إنه فى سنة ثمان وسبعين أمرنى بشرحه من إشارته فضلا عن أمره فتوح وطاعته من عالم الغيب منوح وطيب منطقته أذكى من المسك إذ يقوِّخ من يستحي من رؤيته الجاهل والعريف السيد الشريف والجهبذ المنيف ذو النور الباهر المطهر الباطن والظاهر سىدى الحبيب طاهر بن أحمد بن طاهر حفظه الله ونفعنا به فى الدارين آمين فحصل لى تردّد فى ذلك لعلمى أنى لست من أهل هاتيك المسالك ثم أعاد على الأمر ثانيا فأجبتة بنعم لا متوانيا لكونى قد استبشرت قبل ذلك بإهداء بعض الأحباب إلى شيئا من كساء المؤلف فانشرح صدرى لذلك والله أعلم بما هنالك فخضت بحار هذا الشأن مع علمى وأيم الله أنى لست ممن طاف حول ذاك البنيان ولكن أرجو من الكريم المنان الإعانة والتوفيق لأقوم طريق ببركة مؤلفه وسلفه نفعنا الله بهم آمين

وليعلم أو لا أنه ليس لى فيه إلا الجمع من كتب الأئمة الإعلاك وأن عمدتى فى النقل بشرى الكريم شرح مسائل التعليم للشيخ سعيد باعشن وشرح العلامة السحيمى على شرح جوهرة التوحيد لابن مصنفها والشفاء للقاضى عياض وشرحه للشهاب الخفاجى والتحفة والفتح والزواجر والأعلام وكف الرعاء للعلامة الشيخ أحمد بن حجر وكتب الحبيب عبد الله بن علوى الحداد وكتب حجة الإسلام الغزالى وشرحا الخطبة الطاهرية والرسالة الجامعة لخاتمة المحققين (5/1) عبد الله بن أحمد باسودان وربما عزوت وربما تركت ثم ما رأيته أيها الناظر فيه على خلاف الصواب فاعلم أنه من فهمى الفاتر وعقلى القاصر وأرجو ممن اطلع عليه من أهل الباطن أو الظاهر أن يكون لما رآه فيه من الركاقة غافر وأن يستر هفوتى ويقبل عثرتى ويتجاوز عن سيئتى وأن ينبه على ما وقع فيه من فساد أو زلة بعد التأمل فيه مبادرة بلا مهلة فإنه قل مصنف بلا هفوة أو مؤلف بلا عثرة أسأله أن يجعله مقبولا عنده وعند أوليائه أولى التحقيق والتدقيق وأن يخلصه من شوب الرياء بحرمة صاحب الحوض المورد واللواء المعقود والوسيلة والمقام المحمود إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وهذا أوان الشروع فى المقصود قال المؤلف ﷺ تعالى ونفعنا به آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم) - ابتدأ بالبسملة اقتداء بالكتب السماوية وعملا بما ورد فى حديث خير البرية عليه من الله أفضل الصلاة والتحية والكلام عليها مما شاع وذاع وشنفت به الأسماع ولكن لا ينبغى أن يترك الكلام عليها رأسا وقد قال العلماء ينبغى لكل شارع فى فن أن يتكلم عليها بشيء مما يناسب ذلك الفن لتعود بركتها عليه ومما يناسب ما نحن فيه أن يقال البسملة مطلوبة لكل أمر ذى بال أى حال يهتم به شرعا بأن لا يكون محرما ولا مكروها لذاته ولا من سفاسف الأمور وليس ذكرنا محضا كلا إله إلا الله ولا جعل الشارع له مبدءا غير البسملة كالصلاة فتجب فى فاتحة الصلاة لكونها آية منها وتحرم على المحرم لذاته كالزنا وقيل تكره أما لعارض كوضوء بماء مغصوب فتسن وتكره على مكروه لذاته كالنظر لفرج الزوجة بلا حاجة أما لعارض كاكل بصل فتسن ولا تطلب على المحقرات ككنس وأما طلبها عند دخول الخلاء فالتحفظ وليس هو من المحقرات ولا تعتريها الإباحة وقيل تباح فى المباحات ثم هى فاتحة كل كتاب وكونها من خصوصياتنا إنما هو بحسب

اللفظ العربي وعلى هذا الترتيب بدليل إنه من سليمان الآية وما ورد أنه لما أوحى لآدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم قال يا جبريل ما هذا الاسم الذي افتتح الله به الوحي قال يا آدم هذا هو الاسم الذي قامت به السموات والأرض وأجرى به الماء وأرسى به الجبال وثبت به الأرض وفوي به أفئدة المخلوقين قال العارفون ولفظ الجلالة هو الاسم الجامع ألا ترى أن المريض إذا قال يا الله كان مراده يا شافي والتائب إذا قاله كان مراده يا تواب وهكذا قال ابن عطاء الله الباء بره مع الأرواح بإلهام النبوة والرسالة والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القدرة والأنس والميم محبته لهم وقيل الباء بقاؤه والسين سناؤه والميم ملكه قيل وجميع أسماء الله إذا أسقطت منها حرفا ذهبت دلالاته على الله كالعليم والقادر والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى إلا اسمه الله فإنك إذا أسقطت الألف بقى لله أو اللام بقى له أو اللام الثانية بقى هو وهو النهاية فى الإشارة وللحلاج

أحرف أربع بها هـ مام	وتلاشت بهـ ا هم ومى
قلـ بى	وفكـ رى
ألـ ف ألـ ف الخـ لائـ ق	عـ فـ لام عـ لى السـ لامة
بالصـ نـ	تجـ رى
ثـ م لام زيـ أداة فى	ثـ م هـ ا بهـ ا أهىـ م
المجـ الى	أتـ درى

وإنما بدئت بالباء مع أن الألف أور حرف من اسمه الشريف لأنها أول ما نطق به بنو آدم (6/1) يوم ألت بربكم حيث قالوا بلى وللتنبية بما فيها من الكسر بناء وعملا على أنه لا يقدم إلا المنكسر المتواضع أو لما فيها من معنى الإلصاق المشعر بالاتصال المقصود من قول المحدثين إن معانى الكتب جمعت فى القرآن ومعانيه فى الفاتحة ومعانيها فى البسملة ومعانيها فى بائها ومعناها الإشارى وهو بى كان ما كان وبى يكون ما يكون فى نقطتها قال شيخنا فى حواشى الزيد أى أول نقطة تنزل من القلم يستمد منها الخط لا التى تحتها كما توهم ومعناها الإشارى أنه تعالى نقطة الوجود المستمد مه كل موجود بمعنى أنه خالق كل شىء ومفتقر إليه كل شىء وطول رأسها تفخيما وتعظيما لها لا ابتداء كتاب الله بها ولذا قال فى الشفاء إن رسول الله ﷺ دعا بكتابت فقال يا كاتب ألق الدواة وحرف القلم وقدم الباء وحرف السين وافتح الميم وبين الجلالة وجود الرحمن الرحيم فإن رجلا من بنى إسرائيل كتبها وحسنها فغفر الله له بذلك ذنوبه وفى بعض شروح مختصر البخارى حكى أن شيطاننا سمينا لقي آخر هزىلا فقال ما الذى صبرك كذا قال إنى عند رجل إذا دخل بسمل وإذا أكل بسمل فأهزل بذلك فقال ولكنى عند رجل لا يعرف ذلك فأشاركه فى مأكله وملبسه ومنكحه فأركب فى عنقه مثل الدابة وحكى أن جارية أبى مسلم الخولانى كانت تسقيه السم ولا يؤثر فيه فسأته فقال ما حملك على ذلك قالت لكونك كبيرا فأعتقها ثم قال لها إنى أقول عند الأكل والشرب بسم الله إلخ فلا تضرنى شىء وحكى أن لقمان رأى رقعة فيها البسملة فأكلمها بالحكمة وكذا بشر الحافى رأى رقعة فأخذها ومعه ثلاثة دراهم فأخذ بها طيبا وطيبها به فنودى فى سره كما طيبت اسمنا كذلك نطيب اسمك وورد عنه ﷺ لا يرد دعاء أوله بسم الله إلخ قال الإمام الشعرانى فى البواقيت إن سيدنا خالد بن الوليد حاصر كفارا فى حصن لهم فقالوا أتزعم أن دين الإسلام حق فأرنا آية لنسلم فقال أحملوا إلى السم القاتل فأتوه به فأخذه فقال بسم الله إلخ فشربه ولم يضره فقالوا إنه الدين الحق وأسلموا وعن بعض العلماء من رفع قرطاسا فيه اسم الله إجلالا له كتب عند الله من الصديقين وعن بعض العارفين من استيقظ من نومه فقال بسم الله إلخ رزقه الله رضوانه الأكبر وورد من قرأها عند النوم إحدى وعشرين مرة أمن ليلته من الشيطان والسرقة وميته السوء وغير ذلك من البلايا وعن بعض الأكابر من قرأها اثنى عشر ألف مرة صلى عقب كل ألف ركعتين ثم يصلى على النبى ﷺ ويسأل الله حاجته فضيت له كائنة ما كانت وعن بعضهم من كتبها ستمائة وخمسة وعشرين مرة وحملها كساه الله هبة عظيمة ولا يقدر أن يناله أحد بسوء ياذن الله وقد جرب ذلك وقال الإمام اليافعى نقلا عن بعض العارفين من كانت له حاجة مهمة فليكتب فى رقعة بسم الله إلخ من عبده الذليل إلى ربه الجليل رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ثم يرمى بالرقعة فى ماء جار ويقول إلهى بمحمد وآله الطيبين اقض حاجتى ويذكرها فإنها تقضى ياذن الله وذكر سيدى ابن عراق فى كتابه الصراط المستقيم فى خواص بسم الله الرحمن الرحيم أن من كتبها فى رقعة أول يوم من المحرم مائة وثلاث عشرة مرة وحملت لم ينل حاملها وأهل بيته مدة عمره مكروه ومن كتب الرحمن الرحيم خمسين مرة وحملها ودخل على سلطان جائر أو حاكم ظالم أمن من شره ذكره الشنوانى على ابن أبى حمزة ونقل الشيخ العلامة محمد طاهر سنبل فى شرح منظومة النسفية عن سيدى (7/1) العارف ابن عطاء الله أنه قال فى كتابه المصباح الداعى إلى الفلاح يروى أن الله أوحى لنبى من الأنبياء من أتانى وفى صحيفته أربعة آلاف مرة بسم الله الرحمن الرحيم ركزت لواءه إلى قائمة من فوائم العرش وشفعته فى اثنى عشر ألف عتيق قد استوجبوا النار ولو لا أنى قضيت على كل نفس بالموت ما قبضت روحه ولا يمنعه أن يدخل الجنة إلا أن ينزل به الموت

(فائدة) لفظ الجلالة أربعة أحرف وحاصلها ثلاثة فالألف إشارة إلى قيام الحق بذاته وانفراده عن مصنوعاته لأنه لا تعلق له بغيره واللام إلى أنه مالك جميع المخلوقات والهاء إلى أنه الهادى لمن فى السماء والأرض الله

نور السموات الآية قال سيدي عبد القادر الجيلاني الله هو الاسم الأعظم وإنما يستجاب لك إذا قلت يا الله وليس في قلبك غيره ولهذا الاسم الشريف خواص وعجائب منها أن من داوم عليه في خلوة مجردا بأن يقول الله حتى يغلب عليه منه حال شاهد عجائب الملكوت ويقول ياذن الله للشئ كن فيكون وذكر بعضهم أن من كتبه في إناء بحسب ما يسع الإناء ورش به وجه المصروع أحرق شيطانه ومن ذكره سبعين ألف مرة في موضع خال عن الأصوات لا يسأل الله شيئا إلا أعطيه ومن واطب عليه كان مجاب الدعوة ومن دعا به على ظالم أخذ لوقته ومن قال كل يوم بعد صلاة الصبح هو الله سبعا وسبعين مرة رأى بركتها في دينه ودنياه وشاهد في نفسه أشياء عجيبة

ومن خواص الرحمن أن من أكثر من ذكره نظر الله إليه بعين الرحمة ومن واطب على ذكره كان ملطوفا في جميع أحواله وروى عن الخضر ؑ أن من قال بعد عصر الجمعة مستقبلا يا الله يا رحمن إلى ان تغيب الشمس وسأل الله شيئا من أمور الدنيا أو الدين أعطاه إياه

ومن خواص الرحيم أن من كتبه في ورقة إحدى وعشرين مرة وعلقها على صاحب صداع برئ ياذن الله ومن كتبه في كف مصروع وذكره في أذنه سبع مرات أفاق من ساعته ياذن الله

ومن خواص البسمة كلها أن من تلاها عدد حروفها سبعمائة وستا وثمانين سبعة أيام على أي شئ كان من جلب نفع أو دفع ضر أو بضاعة خاف كسادها حصل له مطلوبه وإذا تليت هذه العدد على قدح ماء وسقيته البليد زالت بلائته وحفظ كل شئ سمعه ياذن الله أو في أذن مصروع إحدى وأربعين مرة أفاق من ساعته وإذا قرئت اثني عشر ألف مرة فكت رقبة قارئها من النار واستجيبت دعوته كما ذكر عن الشاذلي ؑ والحاصل أن أسرارها عجائبها ولطائفها لا تدخل تحت حصر كيف وقد قال الإمام علي بن أبي طالب ؑ وكرم وجهه لو شئت لوقرت لكم ثمانين بعيرا من معنى بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد) أي الثناء بالجميل مستحق (لله) (وإنما لم يأت بالعاطف لما بين الجملتين من كمال الاتصال أو إشارة إلى استقلال كل بإفادة الابتداء إذ هو حقيقي وإضافي ولم يقتصر على الأولى مع أن فيها ثناء لأن المبسم لا يقال له حامد عرفا (رب) بشد الباء وقد تخفف وقد تبدل باؤه الأخيرة تحتية كراهة ثقل التضعيف قالوا لا وربيك أي لا أفعله وربك وله معان منظومة في قوله

قري-ب محي-ط م-ال-ك	✕	م-رب-كث-ير الخير والم-ولي
م-دب-ر		للن-عم
وخ-الق-نا المعب-ود ج-ابر	✕	ومصلحنا والصاحب الثابت
كس-رنا		القدم
وج-امع-نا والس-يد أحف-ظ	✕	مع-ان أت-ت للرب ف-ادع
فه-ذه		لمن نظم

(8/1) والمراد به هنا المالك والصحيح أنه إذا أفرد اختص بالله تعالى عرف أو نكر كما قاله البيضاوي وخالف القرطبي في المنكر فقال يطلق على غيره وأما المجموع كأرباب متفرقون والمضاف كرب الدار فيطلق على غيره اتفاقا (العالمين) قيل اسم جمع لعالم لا جمع له لأن العالم اسم لكل ما سوى الله والعالمين خاص بالعقلاء أو عام لهم ولغيرهم كما رجه شيخ الإسلام وابن حجر و م ر فيكون أخص أو مساويا وشأن الجمع كونه أعم من مفردة وقيل جمع له ووجه بأنه كما يطلق على ما سوى الله يطلق على صنف بخصوصه فيقال عالم الإنسان وعالم الملك مصلا فيكون أخص من العالمين فصح فيه معنى الجمعية بهذا الاعتبار وليعلم أن أفضل صيغ الحمد الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيدة لما في بعض الأخبار أن آدم على نبينا وعليه السلام لما هبط إلى الأرض سأل الله أن يعلمه كلمة يجمع له فيها المحامد فأوحى الله إليه أن قل ثلاث مرات عند كل صباح مساء الحمد لله إلخ قال السيد الشبلي في شرح مختصر الإيضاح قال أصحابنا ولو حلف ليغنين على الله أفضل الثناء لم يبر إلا بهذه الصيغة وقال ابن حجر ولو قيل يبر بيا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لكان أقرب بل ينبغي أن يتعين لكونه أبلغ وصح به الخبر وينقسم الحمد إلى واجب كالحمد في فاتحة الصلاة وخطة الجمعة ومندوب كما في خطبة النكاح وبعد الأكل والشرب وفي ابتداء الكتب المصنفة ودروس المدرسين وقراءة الطالبين بين يدي المعلمين ومكروه كما في الأماكن المستقرة كمجزرة ومزيلة وحرام كعند الفرح بوقوع المعصية

واختلف هل هو أفضل أو لا إله إلا الله فقل هو لأن فيه توحيدا وحمدا وفيها توحيد فقط والحديث من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وقيل هي لأنها تنفي الكفر وعنهما يسئل الخلق ولحديث مفتاح الجنة لا إله إلا الله وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وأفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وهذا يدل بمنطوقه على أن كلا منهما أفضل نوعه وبمفهومه على أن لا إله إلا الله أفضل من الحمد لله لأن الدعاء من جملة الذكر وأما الحديث الأول فأجيب عنه بأن العشرين وإن كانت أقل عددا أعظم كيفاً من الثلاثين

{لطيفة}- قال بعض العارفين الحمد لله ثمانية أحرف كأبواب الجنة فمن قالها عن صفاء قلب استحق أن يدخل من أيها شاء فيخير بينها إكراما ولا يختار إلا ما سبق في علمه تعالى أنه يدخل منه هذا والكلام على الحمدلة كثير شهير وفي هذا القدر كفاية والله الموفق {-وأشهد}- أي أعترف بلساني وأذعن بقلبي ب- {-أن لا إله}- أي لا معبود بحق موجود {-إلا الله}- مرفوع على البدلية من الضمير المستتر في خبر لا المقدر وهو موجود العائد على اسمها وأتى بالشهادة عملا بحديث كل خطيئة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء حسنه الترمذي والشهادة لغة التحقيق بالبصر أو البصيرة كالمشاهدة وتطلق على الحضور نحو ما شهدنا مهلك أهله واصطلاحا قول صدر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة {-وحده}- بالنصب {-لا شريك له}- في محل نصب حالان من لفظ الجلالة بتأويل وحده بمنفردا والثاني تأكيد إن {9/1} عمم في كليهما أو تأسيس إن خصص وحده بالذات ولا شريك له بالأفعال والصفات وفي لا إله إلا الله من الأسرار والعجائب ما لا يحصى ومنها أنها اثنا عشر حرفا منها أربعة حرم وهي لفظ الجلالة واحد فرد وهو الألف وثلاثة سرد وهي اللامان والهاء كشهور السنة فتكفر عن قائلها مخلصا ذنوب السنة وهي مع محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فتكفر ذنوب أربع وعشرين ساعة وهي ذنوب اليوم والليلة كما روى عن بعض السلف {-وأشهد أن سيدنا}- أي أشرفنا معشر آدميين فهو سيد غيرهم بالأولى ويحتمل أن الضمير عائد للخلق وإنما قدمه على محمد مع أنه صفته إشارة لاستقلاله بنفسه حتى صار كالعلم لعبوت سيادته بالإجماع وهو لغة من فاق غيره كرما وحلما كما قال ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وفيه مع قوله عبده جناس الطباق وهو الجمع بين متضادين وأصله سيود اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ولم تقدم الواو مع أن قاعدة اجتماعهما تصدق به لما قاله ابن هشام من أن فعيل لا نظير له ووجد فيعل كصيرف وإن كان مفتوح العين {-محمدا}- بالنصب بدل أو عطف بيان من سيدنا جاء به للمدح كما يجاء بالنعته وتقديم سيدنا أبلغ للدلالة على علميته في السيادة {-عبده}- بالرفع خبر أن {-ورسوله}- عطف عليه ويصح نصبهما نعتين لمحمدا وعليه فالخبر محذوف وجمع بينهما ليدفع الإفراط والتفريط للذين وقعا في شأن عيسى ؑ وقدم العبد عملا بحديث ولكن قولوا عبد الله ورسوله ولأنه أشرف أوصافه ؑ وأحبها إلى الله ولذا دعى به في أشرف المواطن كالإسراء وإنزال الكتاب والدعوة إليه تعالى قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده الحمد لله الذي أنزل على عبده وأنه لما قام عبد الله يدعوه إلى غير ذلك وعبوديته ؑ أشرف من نبوته ورسالته لأن هذا الوصف يشير إلى غاية كمال الله تعالى تعاليه واحتياج غيره إليه في سائر أحواله ووجه الإشارة أنه دال على غاية الذل والخضوع بالنسبة لجنان الله تعالى لا غير وأن السيادة إنما هي في الحقيقة له تعالى لا غير فالمناسب أن تكون العبودية لمن هو دونه ومما يناسب هنا قوله

وممـا زادنى شـرفا	✕	وئدت بأخـصى أطـا
وتبـها		الثريـا
دخـولى تحت قـولك يا	✕	وأن صـيرت أحمـد لى
عبـادى		نبـيا

وللعبد معان منها عبد الإيجاد وليس إلا لله ومنه إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ويطلق على الإنسان الذى يباع وعلى المتعبد وعلى من ذل وخضع لشيء فيقال عبده كعبد الدنيا للمنهمك فى تحصيلها ومنه قوله

تبـا لعبـد مـال عـن	✕	بالمـال حـتى صـار عبـد
أسـياده		الدرهـم

وهو مأخوذ من حديث تعس عبد الدرهم والدينار والعبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ إذ هى غاية التذلل ظاهرا والرسول بمعنى المرسل وهو فى الأصل مصدر بمعنى الرسالة قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهت	✕	بقـول ولا أرسـلـتـهم
عندهم		برسـول

أى برسالة ولذا أخبر به عن موسى وهرون فى قوله تعالى إنا رسول بك لكونه بمعنى المرسل {-صلى الله عليه وسلم}- أى أكرمه غاية الإكرام وأتى بالجملة الفعلية لأن الأولى فى صيغ الصلاة أن يؤتى {10/1} بالفعل إذ هو أبلغ من الاسم لدلالته على تجدد الحدوث وبالماضى لكونه أبلغ من المضارع لإفادته الحصول وتحققه كقوله تعالى أى أمر الله أى قامت القيامة بمعنى تحقق قيامها وليس المقصود من صلاتنا عليه الشفاعة لأننا لا نصلح للشفاعة لمثله بل التقرب إلى الله بامتنال قوله تعالى صلوا عليه وسلموا الآية وإظهار تعظيمه ؑ وشكر هدايته لنا من الضلالة لأننا لا نقدر على مكافأته إلا بها وقد قال ؑ من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له والصحيح أنه ؑ ينتفع بالصلاة عليه لكن لا ينبغي لنا التصريح بذلك إلا فى مقام التعليم كما أشار لذلك بعضهم بقوله

وصـحـحـوا بـأنـه	✕	بـذى الصـلاة شـأنه
ينتـفع		مرتفع
لكنـه لا ينبـغى	✕	لنا بـذا القـول وذا

فلا ينبغي للمصلي أن يلاحظ ذلك كيف وهو ۞ الواسطة العظمى في إيصال الخير إلينا ولو كان لنا محل كل منبت شعرة لسان يصلى عليه آناء الليل وأطراف النهار لما قمنا بعشر معشار شكره ۞ والأحاديث في فضل الصلاة كثيرة وخصائصها غير محصورة فمن ذلك نزول الرحمات وتكفير السيئات وقضاء الحاجات وكشف الكرب العضلات ولا شيء أنفع منها لتنوير القلوب وحصول رضا علام الغيوب واختصت من بين الأذكار بأنها تذهب حرارة الطباع بخلاف غيرها فإنه يغيرها ولا تجب الصلاة عليه ۞ إلا في تشهد الصلاة الأخير وخطبة الجمعة وتسبب في الأول وخارج الصلاة وعند غيرنا لا تجب في الصلاة وتفرض خارجها في العمر مرة وتستحب عند ذكره وقيل تجب لأحاديث كثيرة كرمم أنف من ذكرت عنده فلم يصل على ومن ذكرت عنده فأخطأ الصلاة على ۞ خطأ طريق الجنة والبخيل من ذكرت عنده فلم يصل على وجاءني جبريل ۞ فقال إنه من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله وأسحقه قلت آمين وغير ذلك من الأحاديث الصريحة في أن تركها عند سماع ذكره ۞ كبيرة لما فيه من الوعيد الشديد قال في الزواجر لكن إنما يتأتى على القول الذي قال به جمع من الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة من وجوبها كلما ذكره أما على ما عليه الأكثر من عدم الوجوب فهو مشكل مع هذه الأحاديث الصحيحة اللهم إلا أن يحمل الوعيد فيها على من تركها على وجه يشعر بعدم تعظيمه ۞ كأن تركها لاشتغاله بلعب أو لهو محرم فهذه الهيئة الاجتماعية لا يبعد أن يقال إنها كبيرة لما فيها من القبح والاستهتار فتأمله فإنه مهم ولم أر من نبه على شيء منه والسلام إما بمعنى التحية والمراد منها الإنعام فيرجع لمعنى الصلاة أو المراد تحية الله له في الملأ الأعلى وإسماع سلامه عليه بكلامه القديم أو المراد به السلامة من النقائص وجمع المصنف ۞ بينهما للخروج من كراهة الأفراد لفظاً أو خطأ وشروط الكراهة عند القائل بها ثلاثة أن يكون الأفراد منا فلا يكره في ثناء الله وملائكته وأنبيائه لآية إن الله وملائكته يصلون على النبي ولم يقل ويسلمون وأن يكون في غير ما ورد فيه الأفراد كحديث من قال يوم الجمعة ثمانين مرة اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي غفر له ذنوب ثمانين سنة ولا يصح التمثيل بصلاة التشهد لأن السلام تقدم في السلام عليك أيها النبي وأن يكون لغير داخل الحجرة أما هو فيقول السلام عليك يا رسول الله ۞ صلى الله وسلم ۞ (على آله) أعاد (11/1) على لعطفه على الضمير المجرور ويصح كونه عطفاً على مجموع الجار والمجرور كما أشرت إليه ولطلب الصلاة عليهم بالنص ولذا لم يعدها مع الصحب لأنها عليهم بالقياس على الآل وللدلالة على الشيعة والآل اسمع جمع لا واحد له من لفظه والمراد به في هذا المقام أقاربه ۞ المؤمنون من بنى هاشم والمطلب ابني عبد مناف وقيل أنقياء أمته وقيل جميع أمة الإجابة ليشمل كل مؤمن ولو عاصياً ومحل الخلاف عند عدم القرينة وإلا فسر بما يناسبها فنحو اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً يفسر أقاربه ۞ ونحو وعلى آله الذين ملأت قلوبهم بأنوارك وكشفت لهم حجب أسرارك بالأنقياء أقاربه أو لا ونحو وعلى آله سكان جنتك بجميع أمة الإجابة ۞ صلى الله وسلم على ۞ (صحابه) ۞ جمع صاحب كركب وراكب عند الأخفش والتحقيق ما عليه سيبويه من أنه اسم جمع له لأن فعلاً ليس من أبنية الجموع بل من المصادر فالقياس كونه مفرداً وجمعه على صاحب كضخم وضخام وقياس جمع صاحب بضم فتشديد كعادل عدل مأخوذ من الصحة وهي العشرة قلت أو كثرت لكنها في العرف خاصة بالكثرة أو الملازمة ولذا قالوا لو حلف أن لا يصحب زيداً فلاقاه لم يحنث والمراد بالصاحب هنا الصحابي وهو من اجتمع به ۞ مؤمناً به بعد البعثة ببذنه في محل التعارف ولو لحظة وكان غير مميز ومات على الإيمان ولو لم يرو عنه شيئاً ۞ صلى الله وسلم على ۞ (التابعين) ۞ جمع تابع وهو كل من اجتمع بأحد من الصحابة مؤمناً ولو يسيراً أو بدون رواية على الأصح عند المحدثين كما ذكره العلامة الصبان والمراد هنا التابع له ۞ وللصحابة ۞ ولو في مجرد الإيمان إلى يوم القيامة فيدخل فيهم العصاة لأنهم أحوج إلى الدعاء من غيرهم وفي كلامه وفي كلامه الصلاة والسلام على غير الأنبياء والملائكة وهي مطلوبة تبعاً كما هنا أما استقلالاً فقيل بالمنع وقيل خلاف الأولى والتحقيق أنها مكروهة تنزيهاً لأنها من شعار أهل البدع كالرافضة فلا يقال أبو بكر أو علي ۞ أو ۞ وإن صح المعنى كما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً واستثنى من غير الأنبياء لقمان ومريم ففي الأذكار أنه لا يكره في حقهما ذلك لما في القرآن مما يرفعهما عن حال من يقال فيه ۞ ومحل الكراهة من غير الأنبياء والملائكة أما هم فيحسن منهم ذلك على غيرهم ولو استقلالاً كما ورد أنه ۞ صلى على آل أبي أوفى ومحل كراهة السلام إذا لم يكن خطاباً أو جواباً كابتدائه وردّه أو منزلاً منزله كما في المراسلات فالمكروه مثل فلان ۞ أو ۞ (أما بعد) ۞ هذا اللفظ هو الذي كان يقوله ۞ في خطبته وكتبه كما روى عن نحو أربعين صحابياً فأتى به المصنف اقتداء به ۞ وبعض المؤلفين يرى الاقتداء بلفظ بعد فقط فيعدل إلى الواو اختصاراً وهي تكون ظرف زمان كثيراً كجاء زيد بعد عمرو ومكان قليلاً كدار زيد بعد دار عمرو وتصلح هنا لهما وأصل معناها التعليق والشرط لكن قل أن يقصد هذا منها ولا يقصد منها إلا الانتقال من غرض لآخر

واختلف في أول من نطق بها فقيل داود وهي فصل الخطاب أو سليمان أو أيوب أو يعقوب لما جاءه ملك الموت ليقيضه قال أما بعد فإنا آل بيت موكل بنا البلاء أو كعب بن لؤي أو يعرب بن قحطان أو قس بن ساعدة الأيادي حكيم العرب أو سحبان بن وائل في زمن معاوية وحمل على أنه من تكلم بها في الشعر وقد نظم ذلك

{12/1} فيمن بأما بعد
أولا نطق
يعقوب أي-وب وق-س
يع-رب
خل-ف ف-داود سل-يمان
انطل-ق
سح-بان كع-ب ذو ابت-داء
أق-رب

قال فإن ثبت أن يعقوب أول من قالها وقلنا إن قحطان من ذرية إسماعيل فهو الأول مطلقا إن قلنا إنه قبل إبراهيم وإنه ابن هود فيعرف هو الأول والأولية في الباقي نسبية والأصل مهما يكن من شيء بعد البسملة وما بعدها {فهذا} أي الحاضر في الذهن فالإشارة إلى الألفاظ المرتبة المجتمعة المستحضرة ذهنا قدمت الخطبة أو أخرت إذ لا حضور لتلك الألفاظ ولا لمعانيتها خارجا على وجه الترتيب والتعقيب وإن وجدت فيه لكن لا على ذلك الوجه بل متعاقبة تنقضي بمجرد النطق بها {جزء لطيف} أي صغير جرما وإن كان من جهة المعنى كبيرا كما يعرفه من اطلع عليه وأمعن النظر فيه ويحتمل أن معنى لطيف رقيق لا يحجب ما وراءه من المحسوسات فيكون مدحا له وقوله {يسره} أي سهله {الله سبحانه و} {تعالى} جملة دعائية أي اللهم يسره معترضة بين الموصوف ووصفه بالجملة بعد وصفه بالمفرد وهي قوله {فيما} أي في دال متعلق ما {يجب تعلمه} على كل جاهل به {و} {فيما يجب على كل من علمه} {تعليمه} لغيره من أهل ورفيق وجار وغيرهم ذكر وغيره ومتعلق ما ذكر هو الأحكام بمعنى النسب فشبه الدال والمدلول بالظرف والمظروف بجامع شدة التمكن في كل تشبيهها مضمرا في النفس وأثبت في تخيلا {و} {كما يجب تعلم ذلك وتعليمه يجب} {العمل به} أي بما فيه أو بما في مثله إذ هو الركن الأعظم فليس المقصود العلم أو التعليم فقط {للخاص} أي عليه والمراد به المنقطع لطلب العلم المتجرد له فإنه لا يستغنى عنه أو عن مثله ولعله لا يجد أحسن منه بل ولا مثله في فنه {و} {على} {العام} أي الذي يريد تعلم ما يجب عليه من أركان الإسلام كصلاة وزكاة وحج وصفات المولى وما يكفر من قول أو فعل أو نية وما يحرم وغير ذلك مما ستراه إن شاء الله تعالى فلا بد لكم مسلم ومسلمة من معرفة ما فيه من الأحكام ليكون على بصيرة في دينه إذ يجب على كل مكلف معرفة ما يحتاجه من أمور الدين وما حدث له من أحكام ليست فيه سأل عنها العلماء وإلا ركب متن عمياء وخيط خيط عشواء كما قال ابن رسلان

وكل من يغ-ير ع-لم
يعم-ل
أعم-اله م-ردودة لا
تق-بل

ثم لما ذكر أن هذا الكتاب موضوع فيما يجب يبين معنى الواجب فقال {والواجب} أي شرعا هو {ما وعد الله} {على لسان نبيه} {فاعله بالثواب} أي بأن يجزى من فعله المثوبة في الآخرة ولما تناول قوله ما وعد إلخ المندوب أخرجه بقوله {وتوعد} الله {تاركة بالعقاب} في الآخرة وإن كان قد يعفو عنه ويرادف الواجب الفرض والركن في غير الحج أما فيه فالواجب ما يجبر بدم وهما ما لا يصح الحج بدونه وظاهر أن الواجب الذي لا يتوقف على نية كنفقة الزوجة والقريب والرقيق ورد المغصوب والعارية والوديعة يعتبر في الإثابة عليها قصد فاعلها التقرب بها أما الواجب عقلا فهو ما لا يصح في العقل عدمه كوجود الباري {والواجب على الكفاية هو ما طلب من جمع فإذا قام به واحد منهم سقط الحرج عن الباقيين وإلا أثموا كلهم كرد السلام من جمع بدءوا به بشروطه وسيأتى أن الحرام ما توعد الله فاعله بالعقاب والمكروه ما طلب تركه طلبا غير جازم وليس في فعله عقاب نعم إن {13/1} تركه ممثلا للشرع أثيب والمباح ما أذن في فعله وتركه على السواء وفي ذلك بسط ليس هذا محله ثم أنه ينبغي أن يعلم أنه يطلب من كل بادئ في فن أربعة أمور على سبيل الوجوب الصناعات البسملة والحمدلة والتشهد والصلاة والسلام على النبي {وآله وصحبه وثلاثة على سبيل الندب الصناعات أيضا تسمية نفسه وكتابه والائتيان ببراعة الاستهلال ولم يفته {ونفعنا به} إلا تسمية نفسه ولعله لنكتة وهي طلب الخمول والله أعلم فلذا قال عطا على مقدر {وسميته} أي وضعته وسميته أي الجزء اللطيف المؤلف المفهوم من السياق فالمسمى إنما هي الألفاظ المؤلفة لكن باعتبار دلالتها على المعاني كما هو التحقيق من احتمالات سبعة للجرجاني في مسمى الكتب والتراجم وحاصلها أنه الألفاظ التي النقوش أو المعاني أو اثنان منها أو الثلاثة والمختار الأول {سلم التوفيق} مفعول ثان لسمى لأنه يجوز تعديده للثاني بنفسه وبالباء كسميت ابنى بمحمد والسلم حقيقة فيما يتوصل به إلى أعلى محسوس بحاسة البصر وإلا كما هنا فمجاز بالاستعارة المصروفة بقطع النظر عن العلمية وإلا فهو حقيقة لوضعه على هذا الكتاب بطريق النقل لا لأنه صار حقيقة عرفية فهو من الإعلاء المنقولة وهي حقائق على أنه حينئذ جزء علم إذ العلم مجموع قوله سلم التوفيق أي الموصل {إلى محبة الله على التحقيق} والتوفيق في الشرع خلق قدرة الطاعة في العبد وفي اللغة التأليف بين شيئين فأكثر هذا عند الأشعرى والأول ما قاله إمام الحرمين وهو خلق الطاعة لأنه مأخوذ من الوفاق فكأنه قيل هو خلق ما يكون به العبد لما طلبه الشرع موافقا والموافقة لا تكون إلا بنفس الطاعة لا بالقدرة عليها ولأن خلق القدرة على الطاعة موجود في الكافر مع أنه غير موفق وإن أجيب عنه بأن القدرة هي العرض المقارن للطاعة وهو غير موجود في الكافر وليس المراد بها سلامة الأسباب كما فهم المعترض ولعزته لم يذكر في القرآن إلا مرة واحدة بلفظه ومعناه في قوله تعالى وما توفيقى إلا بالله وأما

فى غيرہ فالمراد منه الألفة كما فى قوله تعالى إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا وضده الخذلان وهو لغة عدم النصرة والإعانة وشرعا خلق قدرة المعصية والمتعلم الموفق من حاز أربعاً شدة العناية أى قوة الاعتناء وذكاء القريحة ومعلما ذا نصيحة واستواء الطبيعة أى خلوها عن الشواغل وسلامة الآلات ومن جملتها سلامة التخيل عن أن يرسم فيه خلاف الملقى إليه قيل إذا جمع العالم ثلاثاً تمت النعمة على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة على المعلم العقل الأدب وحسن الفهم ومحبة الله تحصل بامتثال الأمر واجتناب النهى واتباع الرسول ﷺ قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال فى روح البيان المحبة ميل النفس إلى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقى ليس إلا لله وأن ما يراه كمالاته من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله ولى الله وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزماً لاتباع الرسول ﷺ فى طاعته والحرص على مطاوعته والتحقيق التثبيت والتوثيق من حق الأمر ثبت والمراد أنه موصل إلى محبته ﷺ على الوجه الحق البين وقد يطلق على إثبات الشئ بدليل (تنبيه) الحق أن أسماء الكتب والتراجم والعلوم من قبيل علم الشخص والله أعلم ثم ابتهل (14/1) فى تحقيق ما أمله من مولاه فقال (أسأل الله) وحده لا غيره (الكريم) بفتح الكاف على الأفصح ويصح كسرهما أى الجواد الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل أو الصفوح مأخوذ من الكرم وهو إعطاء ما ينبغى لا لغرض وعة وهو معنى قولهم على وجه ينبغى (أن يجعل) تأليف (ذلك) الجزء موهبة (منه و) خالصاً (له) من نحو رياء وسمعة (و) محبة (فيه) تعالى وفى رسوله ﷺ لا يتجاوز ذلك (و) موصلاً من تمسك به وعمل بما فيه (إليه) ﷺ (و) أن يجعله (موجباً) يعنى محصلاً بطريق الفضل لأنه تعالى لا يجب عليه شئ سواء كان ثواباً أو عقاباً كما هو مذهب أهل السنة (للقرب و) المنزلة (للفى) بمعنى القربى كما فى القاموس فهو من عطف الرديف (لديه) أى عنده فى نعيم جناته عندية مكانة لا مكان وبعد أن دعا لكتابه بذلك دعا للواقف عليه فقال (و) أسأل الله ﷺ (أن يوفق) كل (من وقف عليه) أى ذلك التأليف بمطالعة أو كتابة أو نحو ذلك أولاً (بالعمل) أى للعمل (بمقتضاه) أى بمقتضى ما فيه من فعل الواجب واجتناب المنهى عنه (ثم) بتجصيل (الترقى) أى الارتفاع من درجة لدرجة (بالتوحد) أى فى درجات التوحد إلى مولاه عز وعلا (بالنوافل) أى بفعلها من صلاة وصدقة وصيام ونسك وغيرها (ليحوز) أى يحوى (حبه) ﷺ (وولاه) فيكون حبيباً له وولياً إن طلب أعطاه وزاده مما أحبه له فيتولى أمره بحسن تدبيره فى جميع أحواله قال تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى جمعوا بين عمل القلب والجوارح سيجعل لهم الرحمن وداً أى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسباب من قرابة وصداقة سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح وفيه إشارة إلى أن يذر الإيمان إذا وقع فى أرض القلب وتربى بماء الأعمال الصالحة ينمو ويتربى إلى أن يثمر محبة الله ورسله وملائكته والمؤمنين كما فى روح البيان وورد فى الحديث من أذى لى ولها فقد أذنته أى أعلمته بالحرب وما تقرب إلى عبد بشئ أحب مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته وإن استعاضنى أعذته والمعنى كنت أسرع لقضاء حاجته من سمعه فى الاستماع وبصره فى النظر ويده فى وجود البقاء فتمحى أوصافك وتطوى بظهور أوصاف المولى فيك وسمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول إن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذواتهم بذاته وحملهم من أسرارهم ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحر الذات وتيار الصفات فالفنائت ثلاثة فناء الفعل بالفعل والوصف بالوصف والذات بالذات وفى الأمير على عبد السلام عن الشعرانى فى أول المبحث السادس معنى كنت سمعه إلخ إن ذلك الكون الشهودى مرتب على ذلك الشرط وهو حصول المحبة فمن حيث الترتيب الشهودى جاء الحدوث المشار إليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرر الوجودى قاله الأستاذ سيدى على وفا ﷺ وقال الشيخ محى الدين إن المراد بكنت سمعه وبصره إلخ انكشاف الأمر لمن تقرب إليه تعالى بالنوافل لا أنه لم يكن الحق سمعه قبل التقريب ثم كان الآن تعالى الله عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذا من غرر المسائل (15/1) الإلهية وفى روح البيان فى آخر سورة الكهف أن من ادعى محبة الله وولاه لا يتخذ من دونه ولها إذ لا تجتمع ولاية الحق وولاية الخلق وقد قال بعض المحققين أبت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه وحب الله تعالى قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وعلامته الجريان على موجب الأمر والنهى كما قال بعضهم نزه مولاك وعظمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك اهـ وقال فى سورة البقرة دعوى المحبة والخلوص بدون المواطاة من فعل الملاحدة والزنادقة والمحب لا يفعل إلا ما يحب محبوبه قال الشاعر

هذا لعمري فى الفعـال

بديـع

إن المحـب لمن يحـب

مطـيع

تعصى الإله وأنـت تظـهر

حبـه

لو كان حبـك صـادقا

لأطعتـه



وفى آخر سورة مريم اعلم أن المحبة الموافقة ثم الميل ثم الود ثم الهوى ثم الوله فالموافقة للطبع والميل للنفس والود للقلب والمحبة للفؤاد وهو باطن القلب والهوى غلبة المحبة والوله زيادة الهوى يقال نور المحبة ثم نار العشق ثم حرارة الشهوة ثم البخار اللطيف ثم النفس الرقيق ثم الهوى الرقيق {فائدة}- قال الأمير فى حاشيته على عبد السلام لما ورد حبيب الله وخليه وجب قبوله وتأويله بأن المعنى يفعل معه ما يفعله المحب من الإحسان وليس المعنى أن كلا يعاون صاحبه ولا يجوز أن يقال صديق الله لعدم وروده مع إيهامه المحال أى المعاونة وقد حكى شارح الدلائل خلافا فى إضافة العشق له تعالى قياسا على المحبة ولأصح المنع لعدم الإذن مع إشعاره بالتعشق والتمازج وعلى الجواز ما فى بض نسخ الدلائل فاجعلنى من المحبين المحبوبين المقربين العاشقين لك يا الله قال الشارح الفاسى والأصح حذفها

{فصل}- فيما يجب على المكلف وهو لغة الحاجر بين الشيتين واصطلاحا اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على فروع ومسائل غالبا والفرع ما ينبى على غيره وعكسه الأصل والمسائل جمع مسئلة وهى لغة مطلق السؤال واصطلاحا مطلوب خبرى يبرهن عليه العلم {يجب على كافة}- أى جميع {المكلفين}- غير المسلمين {الدخول فى دين الإسلام}- الإضافة للبيان أى دين هو الإسلام والدين لغة العادة والشأن ويطلق على الإذلال والاستعباد يقال دانه أى أذله واستعبده وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وعلى المجازاة ومنه كما تدين تدان ومنه الديان من أسمائه تعالى أننا لمدينون أى لمجزيون ومحاسبون وعلى الطاعة يقال دان له إذا أطاعه ومنه الدين الشرعى كما فى الصحاح وخصص بالأحكام التى شرعها الله تعالى وبينها لعباده لأنهم أطاعوا وامتثلوا لها وهذا هو المراد من قولهم الدين وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات لينالوا سعادة الدارين والإسلام هو الخضوع والانقياد لألوهيته تعالى أى الإقرار الظاهرى وعدم العناد وإن لم يعمل على التحقيق ولا يتحقق إلا بقبول الأمر والنهى وقيل هو الإيمان ويدل له أفمن شرح الله صدره للإسلام أى التصديق بما جاء من عنده تعالى والإقرار به أى بمعنى حديث النفس وإنعائها التابع للمعرفة لا مجرد نسبة الصدق ومعرفته كما هو معناه المنطقى إذ هذا موجود فى الكفار يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وهما على الأول وإن اختلفا مفهوما فمصدقهما واحد فلا يصح شرعا أن يحكم بإيمان أحد دون إسلامه وعكسه وأما من صدق بقلبه واخترمته المنية قبل النطق فمسلم مؤمن عند الله وكافر فى الظاهر كما أن {16/1} المنافق قبل علم حاله على عكس ذلك فتحقق التلازم بينهما ولا يرد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا لأن المراد فيه بالإسلام الإسلام لغة لا شرعا {تنبيهان: الأول}- قال العلامة الصبان الكلام فى الإيمان الكامل بمصاحبة الأعمال والإسلام الكامل بمصاحبة التصديق أما إسلامهما فلا تلازم بينهما حتى يتحدا ماصدقا بل ينفردان ماصدقا كما فى المصدق بقلبه الغير العامل بجوارحه وعكسه

{الثانى}- قال النووى فى التهذيب يذكر فى كتب الفقه كافة بالإضافة وآل والمراد بها الجميع وهو غلط عند النحاة فإنهم لا يجيزون استعمالها إلا حالا فيقال مذهب العلماء كافة بمعنى جميعا كما قال الفراء وفى القاموس ولا تدخلها آل ووهم الجوهري ولا تضاف {و}- أما المسلمون فيجب عليهم {الثبوت}- والرسوخ {فيه}- أى فى دين الإسلام {على الدوام}- فى جميع الأوقات والأعوام {و}- ذلك بأن يحصل من كل فرد منهم {التزام ما لزم}- أى وجب {عليه من الأحكام}- الظاهرة والباطنة من أقوال ونيات وأفعال إذا علمت ذلك {فمما يجب}- على كل مكلف {علمه واعتقاده مطلقا}- إذ لا يعذر فيه أحد ذكرنا كان أو غيره حرا أو غيره مسلما أو كافرا {و}- لكن لا يجب {النطق به فى الحال}- إلا {إن كان}- المأمور بذلك {كافرا}- فيجب عليه النطق به حالا ليدخل فى دين الإسلام {وإلا}- يكن كافرا {فد}- لا يجب عليه النطق به {فى}- غير تشهد {الصلاة}- الأخير {الشهادتان}- مبتداء خبره مما يجب وذلك لأن جميع الطاعات العلمية والعملية مندرجة فيهما ولا يصح من أحد الإيمان إلا بهما ولذا كانتا مفتاح الجنة ولا يرجح فى الميزان شىء بهما وأفضل ما قاله النبيون عليهم الصلاة والسلام {وهما أشهد}- أى اعتقد وأذعن {أن}- بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أى أنه أى الحال والشأن وجملة {لا إله إلا الله}- بالرفع بدل من ضمير خبر لا المحذوف أو بالنصب على الاستثناء {وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ}- أى مرسل منه تعالى إلى كل إنسى وجنى إجماعا معلوما من الدين بالضرورة وملك كما اعتمده ابن حجر وجمع محققون كالسيوطى فى الخصائص بل وأفرده بتأليف سماه تزيين الإرائك فى إرسال النبى إلى الملائك قالوا والحق تكليف الملائكة بالطاعة العملية دون نحو الإيمان فإنه ضرورى فيهم فالتكليف به تحصيل حاصل وألف بعضهم رسالة فى إرساله وبعثته إليهم وإلى الحور العين والولدان قال ولعل من جملة فوائد الإسراء ودخول الجنة تبليغ من فى السموات من الملائكة ومن فى الجنان من الحور والولدان ومن فى البرزخ من الأنبياء رسالته ليؤمنوا فى زمنه مشافهة بعد أن كانوا مؤمنين به قبل وجوده بل أخذ الإمام التقي السبكي من حديث وأرسلت إلى الخلق كافة أنه مرسل إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة والإمام البارزى أنه مرسل إلى الجمادات بأن ركب لها عقول فأمنت به ☞

واختلف فى النطق بهما بالنسبة للمتمكن القادر فعند الأشاعرة والماتريدية وغيرهم أنه شرط لإجراء الأحكام الدنيوية عليه كالصلاة خلفه وعليه ودفنه فى مقابرنا والتوارث والمناكحة فمن صدق بقلبه ولا يقر بلسانه اتفاقا لغير عذر وإباء فمؤمن عند الله غير مؤمن فى أحكام الدنيا ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه فبالعكس

حتى نطلع عليه بظهور علامة كسجود لصنم فنحكم بكفره أما الممتنع فكافر في الدارين وأما الأعمال الصالحة فشرط لكمال الإيمان لا لصحته (17/1) فتاركها من غير استحلال وعناد وشك في مشروعيتها مؤمن مفوت على نفسه الكمال والأتى بها ممتثلاً محصل لأكمل الخصال وقيل شطر من مسمى الإيمان وكلامه ۞ يصح تخريبه على كليهما وإنما اشترطوا ذلك لصحة الإيمان لأنه أمر باطنى لا اطلاع لنا عليه فلا بد من شيء يدل عليه وهل الشرط النطق بما يدل على الإيمان أو لا بد من خصوص لفظهما قولان اختار الأول ابن حجر وهو مذهب أبى حنيفة وقول عند مالك والثانى الرملى وهو القول الآخر عند مالك والحاصل أن شروط الإسلام البلوغ والعقل والنطق بخصوص لفظهما أو بما يدل عليهما على ما مرّ ومعرفة معناهما والموالاتة بينهما والإذعان والقبول بحيث لا يظهر عليه ما يدل على فقد الانقياد والاختيار والإقرار بما جحد من نحو فرض وعدم التعليق والإتيان بالواو وقيل لا يشترط هذا وقد نظمها بعضهم بقوله

شروط الإسـلام بـلا	عقـل بـلـوغ عـدم
اشتـبـاه	الإكـراه
والنـطق بالشـهـادتين	وهكـذا الترتـيب فاعـلم
والـولا	واعـمـلا
وأثـبتـنـمـا كان بالجـحـد	وأذـعنـنـمـا ونجـزنـكـف
اتصـف	الكـف

(و) إذا عرفت أنه لا بد من معرفة (معنى) الشهادتين فمعنى الإولى وهى (أشهد أن لا إله إلا الله) يحصل بـ (أن تعلم) يا من يتأتى منك العلم علم يقين لا ظنّ معه ولا تردد ولذا قال (وتعتقد) بقلبك (وتؤمن) أى تصدق فقلوه (وتصدق) عطف تفسير له والمراد به التصديق التابع للمعرفة ولا مجرد نسبة الصدق كما مرّ (أن) بفتح الهمزة واسمها ضمير الشأن وجملة (لا معبود) يعبد (بحق) مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرا إليه كل ما عداه موجود ثابت (فى الوجود إلا الله) ۞ خبرها إذ لو وجد غيره لفسدت السموات والأرض أى لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل بالمشاهدة فبطل ما أدنى إليه وهو تعدد الإله وثبت نقيضه وهو أن الإله الموجود هو الله (الواحد الأحد) الذى لا ثانى له فى ذاته فلا تعدد فيها فانتفى الكم المتصل فى الذات بمعنى أنها ليست جسما إذ كل جسم وإن اتصل ظاهرا متعدد حقيقة لتركبه من أجزاء متعددة والمنفصل بمعنى أنه ليس فى الخارج ما يشبهها ولا فى صفاته فانتفى الكم المتصل فيها بمعنى أنه لا تعدد فيها من جنس واحد فليس له إلا قدرة واحدة وعلم واحد وهكذا والمنفصل بمعنى أنه ليس لغيره صفة تشبه شئنا من صفاته كقدرة يوجد بها وعلم ينكشف به كل معلوم بلا سبق خفاء ولا فى أفعاله إذ ليس فى الكون فعل لغيره فهو الخالق فى النار الإحراق وفى الماء الرى وفى السراج الضوء وفى السكين القطع بشرط عدم المانع وليس ذلك ذلك مؤثرا بطبعه أى حقيقة كما تقول الفلاسفة قبحهم الله ولا بقدرة خلقها الله فيه كما تقول المعتزلة وقد غفل عنه كثير من العوام وقد سئل سيد الطائفة الصوفية الجنيد ۞ عن التوحيد فقال أن ترى جميع حركات العباد وسكناتهم فعل الله فإذا عرفت ذلك فقد وجدته ولبعضهم

هو الله لا تسـأل سـواه	هو الواحد القهـار للضـد
فإنـه	يقهـر

ولآخر

فى ا عـجـبـا كى ف يعصـى	هـ ام كى ف يجحـده
الإلـ	الجاحـد
وفى كل شـىء لـه	تـدل عـلى أنـه
أىـة	واحـد
ولله فى كل	وسكينة فى الـورى
تـحـريكـة	شاهـد

(18/1) قال بعض العارفين سلطان الأسماء فى الباطن الواحد كما أن سلطانها فى الظاهر الرحمن لأنه اقتضى ظهور الرحمة بإيجاد الموجودات لإظهار آثار الأسماء والصفات والواحد اقتضى وحدانية الأشياء فى الباطن فتلاشت عندها حقيقة الكثرة وشاهده لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حيث قدم الوحدانية على الظاهرية وحظ العبد منه أن يغوص فى لجة التوحيد حتى لا يرى من الأزل إلى الأبد إلا الواحد الأحد وأفعالنا الاختيارية لنا منها الكسب فالثواب أو العقاب من حيث إن لنا فيها اختيارا وهى فى الحقيقة مخلوقة له ۞ ورحم الله القائل

شهـودك الفـعل من	فى كل شـىء وحـدة
الفـعـال	الأفعـال

(تنبيه) الأحد والواحد كالرحمن والرحيم فالأولان مختصان به تعالى والآخران غير مختصين به تعالى وعلم من هذين الاسمين ثبوت الوحدانية له تعالى وهى إحدى الصفات الواجبة له تعالى والثانية القدم ومعناها عدم سبق عدم ولحوقه الوجود فيجب على كل مكلف أن يعتقد أنه تعالى هو (الأول) بلا ابتداء لوجوده

{القديم}- بلا انتهاء لآخريته والقدم يستلزم البقاء ولا عكس إذ من وجب قدمه استحالة عدمه ولا يكون القديم إلا موجودا بخلاف الأزلي فإنه الذي لا أول له وجوديا كالمولى وصفاته الثبوتية أو عدميا كعدم الخلائق في الأزل والثالثة الحياة وهى صفة قديمة تصح لمن قامت به الإدراك من علم وسمع وبصر وغيرها فهو {الحى}- الذى لا يموت لأن الميت لا تكون له صفة كمال أبدا وهى شرط فى جميع الصفات فلا يتعقل اتصافه بنحو القدرة إلا بعد تعقلها وصفاته تعالى بالنظر لقيامها بذاته ليس فيها سابق ولا لاحق بل الكل أزلى قديم والترتيب إنما هو فى التعقل والرابعة القيام بالنقص بمعنى أنه غنى عن المحل أى أن ذاته ليست صفة تحتاج لمحل تقوم به والمخصص بكسر الصاد بمعنى أنه ليس حادثا فيحتاج لمحدث يحدثه بل ذاته قديمة وذلك يستلزم أنه الغنى {القيوم}- أى القائم بذاته المستغنى عن غيره أو المقوم لغيره بقدرته وإرادته فهو المتصرف فى العالم دنيا وأخرى فهو فيعمل من أمثلة المبالغة قلبت واوه ياء وأدغمت فى الياء وأحسن الأقوال فى معناه وأجمعها أنه الدائم القائم بتدبير خلقه ويقال فيه قيام وقيم وبهما قرئ شاذا فى شرح الأربعين ومن عرف أنه متصف بذلك انقطع قلبه عن الخلق قال أبو يزيد البسطامى حسبك من التوكل أن لا ترى لنفسك ناصرا غيره أو لعملك شاهدا غيره والخامسة البقاء وهى على أنها من صفات المعانى دوام الوجود أما على الراجح من أنها من صفات السلوب فعدم انتهاء الوجود فثبت أنه تعالى {الباقي}- ومعناه {الدائم}- الذى لا يقبل الفناء وقيل الذى لا ابتداء لوجوده ولا نهاية لجوده وقيل الذى يكون فى أبده على ما كان عليه فى أزله وقيل الذى لا آخر لوجوده وذلك لأنه لو جاز أن يلحقه العدم لكان حادثا فيفتقر لمحدث ويلزم الدور أو التسلسل والكل باطل كيف وهو {الخالق}- لكل موجود مأخوذ من الخلق وأصله التقدير المستقيم فتبارك الله أحسن الخالقين ويستعمل بمعنى الإبداع وهو إيجاد الشيء لا على مثال سبق ومنه خلق السموات الأرض وبمعنى التكوين ومنه خلق الإنسان وإذا ثبت أنه الخالق لجميع الخلق فهو {الرازق}- لهم إذ من خلقهم خلق أرزاقهم وأصلها إليهم ويسر لهم أسباب التمتع بها وقيل معناه من يرزقهم القناعة ويصرف دواعيهم عن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة والرزق فى الظاهر الأقوات للأبدان وفى الباطن {19/1} المعارف والمكاشفات للقلوب والأسرار والغنى أشرف لأن فيه حياة الأبد ومن أعظم الرزق التوفيق للطاعة ومن أسبابه كثرة الصلاة لآية وأمر أهلك بالصلاة وكثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ وعن على كرم الله وجهه أمر الرزق بطلبك وأمرت بطلب الجنة وأنت عكست ثم الرزق بمعنى المرزوق كل ما يتفجع به الحى فى التغذى ولو محرما كأخذه بغصب ونحوه والإثم من حيث الاكتساب كما مر ويدل لعمومه قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ولو خص بالحلال أو المملوك للزم أن المتغذى دائما بالحرام غير مرزوق وأن الدواب غير مرزوقة لعدم ملكها ويرده قوله تعالى وما من دابة الآية لأنه تعالى لا يترك ما أخبر أنه عليه فالقول بأنه ما ملك فى غاية السقوط ولا يرد على الأول قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم وقوله تعالى ومما رزقناكم ينفقون لأن قرينة الأمر فى الأول والمدح فى الثانى خصته بالحلال فلا يقال إنه تعالى يأمر بالإنفاق من الحرام أو يمدح عليه والسادسة العلم وهو صفة قديمة تتعلق بالواجب والجائز والمستحيل على وجه الإحاطة لما هو به من غير سبق خفاء بمعنى أنه يعلم كل شيء من الأزل ولم يكن جاهلا به ثم علمه فهو {العالم}- بجميع المخلوقات خفيها وجليها قبل وجودها بأنها لم توجد فى الخارج وحاله بأنها موجودة فيه وبعد عدمها بأنها كانت موجودة ثم عدت بعلم قديم لا يتعدد بتعدد المعلومات ولا يتجدد بتجديدها وما يتراءى من التغييرات إنما هو أطوار فى المعلوم لا العلم وأطبق أهل الإسلام على أنه تعالى يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء والسابعة القدرة وهى صفة قديمة يتحصل بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة والعلم أى تصلح للتأثير فيه على وفقهما فتعلقهما صلوحى والثامنة الإرادة وهى صفة قديمة بها يتحصل تخصيص كل ممكن فعلا أو تركا ببعض ما يجوز عليه من المنظوم فى قوله

وجـودنا والعـدم	الممكنـات
الصـفات	المتقـابـلات
لذا المقـادير روى	أزمنـة أمكنـة جهـات
الثقـات	

على وفق العلم فزيد مثلا قبل وجوده جائز أن يوجد فى مكان ومان كذا طويلا أبيض وأن لا يوجد كذلك فتخصسه بذلك أو بضده فثبت أنه {القدير}- على كل شيء قال تعالى وهو على كل شيء قدير أى قادر فهو بمعنى فاعل و {الفعال لما يريد}- قال تعالى فعال لما يريد وهو بمعنى فاعل إذ هو صيغة مبالغة ومعناها البيانى وهو إعطاء الشيء فوق ما يستحقه مستحيل عليه تعالى لأنه المستحق لكل كمال نعم معناها النحوى وهو الدلالة على الكثرة يصح إطلاقه عليه تعالى فلا يقع فى الكون شيء إلا وهو بقدرته على وفق ما سبق به العلم والإرادة فحينئذ {ما شاء}- هـ {الله}- من عدم أو وجود أو طاعة أو معصية أو غيره {كان}- أى حصل {وما لم يشأ}- هـ كذلك {لم يكن}- أى لم يحصل فلا تمتد بعوضه جناحها فى محل إلا وقد سبق به العلم وخصص بالإرادة {ولا حول}- لنا نتحول به عن المعصية موجود {ولا قوة}- لنا نتقوى بها على الطاعات موجودة {إلا}- وهما {بالله}- أى بإعانتة سبحانه {العالى}- الأعلى أى البالغ فى العلو إذ لا رتبة إلا وهى منحة عن رتبته أو الذى علا عن أن تدرك الخلق ذاته أو تتصور صفاته بالكنه والحقيقة فهو المرتفع

-(العظيم)- في ذاته على كل ما سواه فليس (20/1)- لعظمته بداية ولا لكنه جلالته نهاية وليست بتعظيم الأغيار جلّ قدره عن الحدّ والمقادير وأظهر معاني العظمة والقوة والقدرة وفيه إشارة لمجموع صفاته النفسية والمعنوية والقدسية وحظ العبد منه قوله ﷻ من تعلم وعلم فذلك يدعى في ملكوت السماء عظيما وأن يستحق نفسه ويذلها بالإقبال والانقياد لأوامره تعالى واجتنار نواهي

-(تنبيه)- ينبغي الإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله قال ﷻ لأبي هريرة ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله أسلم عبدي واستسلم فوض أمر الكائنات إليه تعالى وانقاد بنفسه له مخلصا فإن لا حول يدل على نفى التدبير للكائنات وإثباته له تعالى وقال ﷻ لقيس بن سعيد ألا أدلك على باب الجنة وفي رواية على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أي لأنها لما تضمنت براءة النفس من حولها وفوتها إلى حوله تعالى وقوته كانت موصلة إلى الجنة فهذه ثمان صفات من جملة ما يجب معرفته تفصيلا وسيأتي الباقي ويجب على المكلف أن يعتقد بالإجمال أنه تعالى (موصوف بكل كمال)- وأنه (منزه عن كل نقص)- ودخل فيه ضد الصفات المتقدمة فيستحيل في حقه الاتصاف بالتعدد أو الحدوث أو الموت أو الاحتياج لمحل أو مخصص أو الفناء أو الجهل أو العجز أو الكراهة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وأنه (ليس كمثله شيء)- في ذاته وصفاته وأفعاله والكاف في كمثل زائدة أو أصلية والمعنى ليس مثل مثله شيء ويلزمه نفى المثل لأن القضية السالبة لا تقتضى وجود الموضوع وهو المسلوب كزيد يس بعالم فيصدق بوجود زيد مع سلب العلم عنه وبعدمه بالكلية والموضوع هنا المثل والمحمول مثل المثل والتقدير مثله لا شيء مثله فنقي المثل عن مماثله تعالى لا يستلزم أن له مثلا حتى يكون المحال بل يستلزم فرضه وإن كان محالا ففهم من نفى المثل عن مثله نفيه عنه تعالى على طريقة العرب من أنهم إذا قصدوا سلب أوصاف الذم لا يسندونها إليه تأدبا إذ لو أسندوها إليه لأوهم أنه كان متصفا بها كقولهم مذك لا يخل والله أعلم والتاسعة والعاشر السمع والبصر وهما صفتان قديمتان ينكشف بهما كل موجود قديما كذاته أو حادثا كغيره (و)- لا يختص سمعه بأصوات ولا بصره بألوان أو ذوات لأن ذلك من وصف الحوادث بل (هو السميع)- لدعاء عباده وتضرعهم إليه من غير أن يشغله نداء عن نداء وتمنعه إجابة عن إجابة بلا صماخ وأذان و (البصير)- لما تحت الثرى بلا حدقة وأجفان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة ولو اختصا بذلك لاحتاجا لمخصص يخصصهما بذلك وهو محال كما مر وحظ العبد من هذين الاسمين أن يتحقق أنه تعالى مطلع عليه وناظر ومراقب لجميع حاله وفعله وقاله ومن عرف أنه البصير زين باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة قيل إذا عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه أي وهو غير ممكن (فائدة)- قال بعض العارفين من أراد إخفاء نفسه عن أعين الناس فليقرأ عند مروره عليهم لا تدركه الأبصار إلى الخبير تسع مرات فلا يرونها (و)- الحادية عشر المخالفة للحوادث من كل وجه ومعناها سلب الجرمية والعرضية لوازمهما من نحو زمان ومكان ومقدار واجتماع وافتراق عنه تعالى إذ (هو القديم وما سواه)- من إنس وجن وملك وشجر (21/1)- وحجر وغيرها (حادث)- فلو شابه شيئا منها ولو من وجه لكان حادثا إذ يجب لكل من المتماثلين ما يجب لمماثله والحدوث عليه محال لثبوت قدمه فالمماثلة عليه محال وهي ضد المخالفة (و)- إذا ثبت أنه القديم وما سواه حادث ثبت أنه (هو الخالق)- أي الموجد له إذ كل حادث لا بد له من محدث (و)- أن العالم وهو (ما سواه)- (مخلوق)- له خلقه من العدم إلى الوجود لا لاحتياجه قال ابن رسلان

أحـدثه لا لاحتـيـاجه ﷻ ولـو أراد تركـه لما
الإلـه ﷻ ابتـداه

أي لأنه المختار والكل بمشيئته وإرادته فهو المنفرد بالخلق والإيجاد من غير إجبار ولا إكراه ولا علة ولا طبع قال تعال وربك يخلق ما يشاء ويختار من خير أو شر خلافا للمعتزلة في قولهم لا يرد الشر حكى أن الأستاذ أبا إسحق الاسفرايني دخل على القاضي عبد الجبار المعتزلي في مجلس فقال القاضي سبحان الله من تنزه عن الفحشاء معرضا لمذهب أهل السنة فقال الأستاذ أيعصى ربنا قهرا فقال القاضي رأييت إن معنى الهذى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء فقال الأستاذ إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فله أن يفعل في ملكه ما يشاء فتحير المعتزلي ولم يجد جوابا ولقد أحسن من قال في الزجر

تأمـل في ريـاض الأرض ﷻ إلى أثـار ما فعـل
وانـظر ﷻ المـليـك
أصـوله من الجـبن ﷻ على أغصـانه ذهـب
زاهـرات ﷻ سـبيـك
على قصـب الزبرجـد ﷻ بـأن الله ليـس لـه
شاهـدات ﷻ شـريـك

ومما ينسب لسيدى محى الدين تضمين كلمة لبيد المشهورة ﷻ

تأمـل سـطـور الكائـنات ﷻ مـن المـلـا الأعـلى إلـى إلـى
فإنـها ﷻ رسـائل

وقد حـط فيـها لو تأملت ألا كل شيء مـا خـلا الله
سـطرها باطل

(و)- الثانية عشر الكلام وفي مبحثه حارت الأفهام وزلت الأقدام وفاز أهل السنة بطريق الحق ودار السلام فقالوا (كلامه)- وصـف (قديم)- قائـم بذاته (كسائر)- أي باقى (صفاته)- تعالى من قدرة وإرادة وغيرهما ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل تقدما ولا تأخيرا ولا طروا ولا عدما دال على معلوماته من واجب وجائز ومستحيل فهو أمر به وناه وواعد ومتوعد وأما المقروء بأستتنا والمحفوظ فى صدورنا والمكتوب فى صحفنا فيقال له كلام الله لغة وشرعا وأما عقلا فإنما يسمى به بحسب الدلالة على معنى كلامه القديم والحاصل أنه يجب علينا أن نعتقد أن له تعالى صفة تسمى الكلام لا يعلمها إلا هو وأنه أسمعته موسى بكشف الحجاب عنه فسمعه حقيقة لا مجازا قال تعالى وكلم الله موسى تكليما فأكده بالمصدر ولا بدع فى ذلك لأنه كما لا تتعذر رؤيته مع أنه ليس بجسم ولا عرض لا يتعذر سماع كلامه الذى ليس بحرف ولا صوت وإنما كان بهذه الصفة (لأنه سبحانه)- أى تنزه تنزيها (مباين)- أى مغاير (مباين)- أى مغاير (لسائر)- أى جميع (المخلوقات)- لأنها حادثـة وهو قديم والقديم لا يشبه الحادث ولا من وجه كما مر وإلا لكان مثله وهو محال فهو مغاير لها (فى الذات)- فليست ذاته كذوات الخلق إذ لا يحل فى شيء ولا يحل فيه شيء ولا يختص بمحل ولا زمن بخلافها (و)- فى (الأفعال)- فليس فعله كفعل الخلق لما مر (22/1)- (و)- فى (الصفات)- فليست صفاته كصفاتهم كما مر أيضا

(فائدة)- قال بعض الأئمة القرآن يحتوى على سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم وذلك لأن عدد كلمة تسع عشرة ألف كلمة وثلاثمائة ولكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع بضم فتشديد ففتح من اطلع على كذا أشرف عليه فإذا ضربت ما ذكر فى هذه الأربعة حصل ذلك وقد ورد فى الحديث لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع وأن لبطنه بطننا إلى سبعة أبطن وفى رواية إلى سبعين بطننا فإذا اعتبر ذلك كانت علومه تسعمائة وثمانية آلاف وأربعمائة ألف ألف والمراد بالظهر ما ظهر من المعنى لعلماء الظاهر وبالْبطن ما تضمنه من الأسرار التى فهمها أرباب الحقائق مع إبقائها على ظاهرها

(تنبيه)- هذه صفات أربع واجبة له تعالى ويستحيل ضدها وهو الصمم والعمى والمماثلة للحوادث والبكم تضم لما مر الواجبة للواجب والمستحيل للمستحيلة وبقي الوجود وهى صفة نفسية وضدها العدم وقد فهمت من قول المصنف لا معبود لحق فى الوجود إلى آخره فتكون الجملة ستة وعشرين ثلاثة عشر واجبة وثلاثة عشر مستحيلة

والحاصل أن الصفات من حيث هى ثلاثة أقسام واحدة نفسية وهى الوجود وخمسة سلبية وهى القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية لأنها تنفى كل ما لا يليق به تعالى وسبعة تسمى صفات المعانى والذات وهى الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ويلزم منها وجوب اتصافه بسبع أخرى تسمى المعنوية وهى كونه حيا قادرا عالما مريدا سميعا بصيرا متكلماً أى منسوبة لصفات المعانى لأنه لا يصح اتصافه بالكون عالما مثلاً إلا إذا قام به العلم وهكذا وتسمى أيضاً أحوالا معنوية واستحالة أضدادها عليه وهى كونه ميتا عاجزا جاهلا مكرها أصم أعمى أبكم فحصل أربعة عشر تضم للستة والعشرين يحصل أربعون عشرون واجبة وعشرون مستحيلة

وأما الجائز عليه تعالى فواحد وهو فعل كل ممكن وتركه فلا يجب عليه فعل ولا ترك كم ثواب أو عقاب فله أن يعذب الطائع وينعم العاصى ولا قبـح فيه لو فعل ذلك وإن كان لا يفعلـه فضلـا منه وليس كل ما جاز وقع بل بعضه يقع لا محالة للوعد الصادق كتنعيم الطائع وتعذيب الكافر لكن لا لوجوبه عليه كما يقوله أهل الضلال والظلم (سبحانه)- أى تنزه تنزيها (وتعالى)- عطف على سبحانه لما فيه من معنى تنزه (عما)- متعلق بتعالى (يقول)- هـ الكافرون و (الظالمون)- من وجوب شيء عليه (علو ٢)- يعنى تعاليا فهو مؤكد لتعالى فى موضع تعاليا كأنبتكم من الأرض نباتا أى إنباتا (كبيراً)- فلا شيء أكبر منه وبعضه لا يقع البتة كالنبوة بعد نبينا ﷺ وتنعيم الكافر لكن لا لاستحالاته عقلا بل شرعا لإخباره تعالى بعدم وقوع ذلك والحاصل أن الجائز عقلا وهو ما جـوّز العقل وجوده وعدمه بلا نظر للشرع لا يمتنع وجود شيء منه ولا عدمه ثم إن أخبر الشرع بوقوع شيء منه وجب وقوعه شرعا لا عقلا وإن أخبر بعدم شيء منه امتنع وقوعه شرعا لا عقلا فوجوب وقوعه أو امتناعه لا لذاته فجميع هذه لصفات مندرجة تحت أشهد أن لا إله إلا الله وهى الشهادة الأولى (و)- أما (معنى)- الثانية وهى (أشهد أن محمدا رسول الله)- ﷺ فهى (أن تعلم)- علم يقين (وتعتقد وتصدق وتؤمن)- (23/1)- بمعنى ما قبله كما مر (أن سيدنا)- أى أشرفنا ويطلق على الحليم الذى لا يستغزه الغضب وعلى الملك والكريم ومن كثر سواده وهو الذى يفوق قومه ولا شك أن الجميع مجتمع فيه ﷺ (ونبينا)- أى مخبرنا عن الله إذ النبى لغة المخبر إذا كان من النبأ وهو الخبر واصطلاحاً إنسان حر ذكر من بنى آدم أوحى إليه بشرع أمر بتبليغه أو لا فإن أمر فرسول أيضا فكل رسول نبى ولا عكس ونبوته ﷺ أفضل من رسالته إذ النبوة متعلقة بالحق والرسالة بالخلق كما قاله ابن عبد السلام ورده فى التحفة بأن فى الرسالة التعليق (محمد بن عبد الله)- بنصب محمد وابن وحذف تنوينه وألف ابن وهو بدل من نبينا وابن عطف بيان له وخبر أن سيأتى ولم يختلف فى تسمية أبيه بعبد لله قال العراقى قال ابن الأثير وكنيته أبو قثم بضم أوله فمثلة وهو من أسمائه ﷺ من

القثم وهو الإعطاء أو الجمع للخبر وقيل أبو محمد أو أحمد فعلى المشهور من أنه توفي والمصطفى حمل يكون تفاؤلا أو يالهام ولقبه الذبيح لأن عبد المطلب لما أراد حفر بئر زمزم منعه قريش وأذوه ولم يكن له إذ ذاك ولد إلا الحرث فنذر لئن جاءه عشرة بنين ليذبحن أحدهم قربانا عند الكعبة وحفرها هو والحرث وكانت له عزا وفخرا ثم لما كمل بنوه عشرة أقرع بينهم فخرجت على عبد الله فأراد أن يذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا له لئن فعلت ذلك فلا يزال كل يأتي بابنه ويذبحه فتكون سنة ثم فداه بمائة من الإبل ولذا قال ﷺ أنا ابن الذبيحين أي عبد الله وإسماعيل فإنه الذبيح على الأصح وقيل إسحق وهو ضعيف وكان عبد الله من أحشم الناس وأجملهم افتتنت به نساء زمانه ودعته امرأة إلى نفسها فأنشأ يقول

أم-الح-رام فالمم-ات	⊠	والج-ل لا ح-ل
دون-ه	⊠	فأستب-ينه
يحمى الك-ريم عرض-ه	⊠	فكي-ف بالأم-ر ال-ذي
ودين-ه		تبغ-ينه

{ابن عبد المطلب}- واسمه شيبة الحمد سمي به قيل لأنه ولد في رأسه شيبة أو لغير ذلك وأضيف للحمد رجاء أن يكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فقد كان مفزعا للنوائب وسيد قريش مالا وفعالا واشتهر بعبد المطلب لأن أباه قال لأخيه المطلب أحد أجداد إمامنا الشافعي عند الوفاة أدرك عبدك بيثرب أو لأن المطلب لما جاء به مكة مردفا خلفه بهيئة رثة فسئل عنه فقال عبدى حياء ثم أحسن حاله وأظهر أنه ابن أخيه وكان مجاب الدعوة محرم الخمر على نفسه وأول متحنت بحراء ويرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال حتى قيل له الفياض ومطعم طير السماء عاش مائة وأربعين سنة {ابن هاشم}- واسمه عمرو من العمر الذي هو مدة الحياة أو غيره واشتهر بهاشم لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم وقومه في المجاعة قال فيه القائل

عمرو الع-لا هش-م الثريد	⊠	ورج-ال مك-ة م-نتون
لقوم-ه		عج-اف

وكان أفخر قومه وأعلاهم ولا ترفع مائدته في السراء والضراء ونور النبي ﷺ في وجهه لا يراه أحد إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا سجد له وعرض العرب عليه بناتهم حتى أن هرقل بعث إليه أن له بنتا لم تلد النساء أجمل منها فاقدم إلى لأزوجكها لما بلغنى من كرمك وهو أول من مات من بنى عبد مناف وسنه خمس أو ست وعشرون سنة {ابن عبد مناف}- بفتح الميم من الإنافة أى الارتفاع أو الشرف وهو لقبه لقب به لمشايعته لعبد مناف بن كنانة واسمه المغيرة بضم فكسر منقول من اسم فاعل أغار تفاؤلا بكبره وإغارته على العدو وساد قريشا في حياة أبيه وأطاعته {24/1} ويسمى القمر لجماله وكان فيه نوره ﷺ وفي يده لواء نزار وقوس إسماعيل ووجد الزبير نقشا في حجر أنا المغيرة بن قصي أمر بتقوى الله وصلة الرحم وعناه القائل

كان-ت ق-ريش بيض-ة	⊠	فالم-ح خالص-ه لعب-د
فتفلق-ت		من-اف

والمح بالحاء المهملة صفار البيض كما في العلقمي على الجامع الصغير وينبغي أن يتمم نسبه ﷺ تبركا به فعبد مناف ابن قصي بضم ففتح فتشديد مصغر فصى بفتح فكسر من قصي إذا بعد سمي به لبعده عن عشيرته حيث احتملته أمه فاطمة في قصة طويلة واسمه مجمع منقول من اسم فاعل جمع المشد لانه كان يجمع قومه يوم الجمعة فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم ببعثته ﷺ وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة وكان جميلا جلدا عالما في قومه ابن كلاب بكسر ففتح منقول من مصدر كالب بمعنى ضايق أو من جمع كلب لأنهم يريدون الكثرة حتى كأنهم لم يجحدوا أسماء إلا من أسماء السباع وسئل أعرابي لم تسمون أبناءكم بأشر الأسماء ككلب وحرب وعبيدكم بأحبها كسعد ومرزوق فقال نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا واسمه حكيم ولقب بكلاب لحبه الاصطياد ابن مرة بضم فتشديد منقول من وصف الحنظل وقيل غير ذلك وله من الولد كلاب ويقظة وبه يكنى وتيم ومن نسله الصديق وطلحة ﷺ ابن كعب بفتح فسكون منقول من كعب القدم أو القناة لارتفاعه وشرفه إذ كانوا يخضعون له وهو أول من جمع الناس للوعظ والتذكير بمبعثه ﷺ وأنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به وينشد فيه أبياتا منها قوله

يا لي-تنى شاهد فح-واء	⊠	إذا قري-ش تب-غى الح-ق
دعوت-ه		خ-ذلانا

مات قبل بعثته ﷺ بخمسائة سنة ابن لؤى بضم ففتح وتسهل الهمز واوا مصغر لأى كعصى وهو الثور وكعب وهو البطء أو مصغر لواء الجيش وكنيته أو كعب وله سبعة أبناء ابن غالب منقول من اسم فاعل الغلب بفتحيتين أو فتح فسكون أو الغلبة ولد يتيما ابن فهر بكسر فسكون منقول من اسم الحجر الطويل الأملس أو الصغير الذى يملأ الكف واسمه قريش منقول من مصغر قرش البحر دابة عظيمة فيه أو من تقرش الجلد اجتمع وقيل غير ذلك وإليه تنسب قريش وما فوقه من الآباء كنانى كما قاله أكثر العلماء وقيل أصل قريش النضر وعليه الشافعي عزاه العراقى للأكثرين وصححه النووى والعلائى وجمع بينهما بأن فهر إجماع قريش وأبوه مالك لم يعقب غيره فقريش تنتهى لمالك ولم يعقب النضر غير مالك. ابن مالك منقول من اسم فاعل

ملك لملكه العرب وكنيته أبو الحرث ابن النضر بفتح فسكون منقول من اسم الذهب الأحمر لنضارة وجهه وجماله واسمه قيس وله من الذكور الصلت ومالك ويخلد ولم يعقب إلا من مالك ابن كنانة منقول من اسم الجعبة نفاؤلا بستره قومه فكان كذلك عظيم لقدر علما وفضلا ابن خزيمة منقول من خزيمة بفتحيتين وهو المرة من الخزم وهو شدة الشيء وإصلاحه لاجتماع نور آبائه مع نوره في ملة إبراهيم ابن مدركة منقول من اسم فاعل أدرك لإدراكه كل عز وفخر كان في آبائه مع كون نوره ظاهرا فيه واسمه عمرو أو عامر ابن إلياس منقول من مصدر يئس لأن أباه كبر ولم يولد له ثم ولد له بعد أن يئس من الولد وكنيته أبو عمرو وهمزته قطع مكسورة عند ابن الأنباري مفتوحة عند ابن ثابت وأصله (25/1) ضد الرجاء وفي المنتقى إنه كان يسمع من ظهره دوى تلييته بالحج ولم تزل العرب تعظمه لجماله البارع ابن مضر غير مصروف للعدل والعلمية سمي به لمضره القلوب بحسنه وجماله فلم يره أحد إلا أحبه ومن كلامه من يزرع شرا يحصد ندامة وخيرا لخير عاجله فاحملوا أنفسكم على مكروها واصرفوها عن أهوائها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق وهو أول من سن الحداء بضم أوله ممدودا الغناء للإبل وكان من أحسن الناس صوتا وذلك أن سقط هو أو مولى له عن بعير وهو شاب فصاح فاجتمعت إليه الإبل من المرعى فوضع الحداء وزاد الناس فيه ابن نزار بكسر فزاي من النزر وهو القلة قيل لأنه لما ولد ونظر أبوه لنوره بين عينيه فرح فرحا شديدا وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود أو لأنه كان فريد عصره وانبسطت له اليد عند الملوك وكنيته أبو إياد وقيل أبو ربيعة ابن معد بفتحيتين فتشديد سمي به لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ولم يحارب أحدا إلا غلبه وكنيته أبو قضاة أو أبو نزار ابن عدنان من العدن أي الإقامة سمي به لأن أعين الجن والإنس كانت إليه وأرادوا قتله قالوا لن تركناه ليخرج من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه وهو أول من وضع علامات الحرم ومن كسا الكعبة هذا ما أجمع عليه العلماء في نسبه والإجماع حجة كما قاله ابن دحية ورحم الله من قال

ونسبه عـزها شـمـمـن	✕	ومحتـدها المـرضى أكرم
أصولها	✕	محتـد
سمت رتبة علياء أعظم	✕	ولـمـتـسـمـإلا بالنـبى
بقدرهـا		محمـد

هذا ونسبه من جهة أمه محمد بن أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب إلى آخره فيجتمع مع نسبه من أبيه في كلاب (فائدة) الحق الذي حققه العلماء كالنضر الرازي والحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي وغيرهم أن آباه ما كان فيهم كافر تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاته ومثله سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما أزر فلم يكن أبا إبراهيم بل عمه ياجماع أهل الكتابين والتاريخين كما قاله الشهاب ابن حجر والعرب تسمى العم أبا وقد بسط الكلام على ذلك أهل السير ولخصه شيخنا في سيره قال فيها وما قيل إن أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه الجاهلية من أنه إذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها غلط فاحش كما قاله أبو عثمان الجاحظ قال والحق أنها ماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها برة بنت مرة بن أد بن طابخة فولدت له النضر فالغلط جاء من اتفاق الاسمين وتقارب النسبين وهذا ما عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه نكاح مقت وقد قال ما زلت أخرج من نكاح كنعان الإسلام ومن قال غير ذلك فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا قال الدميري وبهذا أرجو للجاحظ الفوز في منقلبه وأن يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه قال الحافظ الشامي وهو من النقائش التي يرحل إليها وهو الذي ينتلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره وقوله (القرشي) بالنصب صفة لمحمدا (صلى الله عليه وسلم) نسبة لقريش كما مر وقوله (عبد الله ورسوله) بالرفع خبر أن (إلى جميع الخلق) متعلق برسوله (26/1) أي مرسل إلى كل إنسى وجنى وملك على ما مر فيجب على المكلف أن يعتقد أنه رسول الله واسمه محمد واسم أبيه عبد الله وأنه من قريش وأمه أمية ولونه أبيض وأنه (ولد بمكة) زادها الله شرفا واختلف في عام ولادته والمشهور أنه عام الفيل وفي شهرها والمشهور أنه ربيع الأول وفي يومها والجمهور على أنه يوم الاثنين لكن اختلف في أنه لليلتين خلتا من ربيع الأول أو لثمان قال القسطلاني وهو اختيار أكثر أهل الحديث أو لعشر أو لاثني عشرة قال بعضهم وعليه أهل مكة في زيارتهم موضع مولده الآن أي الزيارة الكبرى وإلا فهم يزورونه يوم ثمان أيضا وهذا هو المشهور وقال به ابن إسحق وغيره قيل والحكمة في كون ولادته في غير الأشهر الحرم تشرف الزمن به لا عكسه وكونها في ربيع الأول لشبه شرعه بالربيع الذي هو أعدل الفصول ولعظيم قدره وأنه رحمة للعالمين

(فائدة) قال شيخنا في سيره القيام عند ذكر وضعه مستحسن لما فيه من تعظيمه وقد فعله من العلماء من يقتدى به قال الحلبي فقد حكى أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشدا قوله

قليل لمدح المصطفى الخط
على ورق من خط أحسن من
بالذهب

وان تنهض الأشراف عند
سماعه

قياما صفوفا أو جثيا
على الركب



فقام عند ذلك السبكي وجميع من عنده فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الإمام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدع في زمننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقة والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن فيه مع الإحسان للفقراء إشعار بمحبته ﷺ وتعظيمه وشكر الله على ما منّ له علينا قال السخاوي وحدث عمل المولد بعد القرون الثلاثة ثم لا زال المسلمون يفعلونه وقال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشيء عاجلة وأول من أحدثه من الملوك المظفر قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي من حضر سباط المظفر في بعض المواليده أنه عدّ فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبديّة وثلاثين ألف صحن حلواء وكان يحضره أعيان العلماء والصوفية ويصرف عليه ثلاثمائة ألف دينار واستنبت الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في الصحيحين أنه ﷺ قدم المدينة فوجد اليهودي يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى فيه موسى فقال نحن أولى به منكم والله أعلم (و) أنه ﷺ (بعث) أي بعثه الله تعالى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان أو لسبع أو أربع وعشرين منه أو لعمان من ربيع الأول بعد أن كمل سنه أربعين سنة قيل وأربعين يوما أو عشرة أيام أو شهرين أو غير ذلك (بها) أي بمكة فبدئ أولا بالرؤيا الصادقة تمرينا لئلا يفجأه الملك جبريل فلا تطيقه قوته ثم حبب الله إليه الخلاء فكان يتعبد بحراء إلى أن أتاه فيه صريح الحق فجاءه جبريل وقال اقرأ إلى آخر القصة المشهورة فأرسله الله تعالى للعالمين بشيرا ونذيرا وصدقه من كتبت له السعادة الأبدية وكذبه من كتبت له الشقاوة الأخروية (و) أنه ﷺ (هاجر) أي سافر (إلى المدينة) المنورة بعد أن أمر أصحابه بالهجرة إليها بسبب (27/1) الأذى والشكوى لما عرض نفسه عليهم أنه رسول الله فخرجوا أفواجا وفرقا وفرادى وأقام هو ينتظر الإذن وكان الصديق كثيرا ما يستأذنه في الهجرة فيقول له ﷺ لا تعجل فلعل الله أن يجعل لك صاحبا فأنى أرجو أن يؤذن لي فقال الصديق فهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى قال نعم فحبس أبو بكر نفسه عليه ﷺ ليصحبه وعلف راحتيه كانتا معه ورق السمر أربع أشهر قال ابن إسحق فلما رأى المشركون هجرة أصحابه وعرفوا أنه له جماعة اجتمعوا ومعهم إبليس في صورة شيخ نجدى واقفا عند الباب فقالوا ممن الشيخ فقال من نجد يسمع ما تقولون وعسى أنه لا يعدمكم رأيا ونصحا فقالوا له ادخل فدخل وكانوا مائة رجل يتشاورون في شأنه ﷺ وكلما أشاروا بأمر قال لهم ما هذا برأى حتى قال أبو جهل والله إن لي فيه رأيا لم تقفوا عليه خذوا من كل قبيلة شابا جلدا وأعطوه سيفا صارما يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه ويتفرق دمه في البائل فنعقله لبنى عبد مناف فقال النجدى القول ما قال فتفرقوا على ذلك ثم أتاه ﷺ جبريل وقال له لا تبقى هذه الليلة على فراشك فلما كان الليل اجتمعوا على بابهِ يرصدونه فأمر ﷺ عليا فنام مكانه وغطى ببرده ﷺ فكان على أول من وقى بنفسه رسول الله ﷺ ثم خرج ﷺ وأخذ الله على أبصارهم فلم يروه ونثر على رؤوسهم ترابا في يده وهو يتلو قوله تعالى يـسـ إلى فأغشيناهم فهم لا يبيصرون ثم انصرف حيث شاء ثم قيل لهم خيبيكم الله قد خرج محمد ولا ترك منكم أحدا إلا ووضع على رأسه ترابا فوضع كل منهم يده على رأسه فإذا هو بالتراب وقصد ﷺ هو والصديق غار ثور فطلبوه بأعلى مكة وأسفلها وبعثوا القافلة إثره في كل وجه فوجد الذي قبل ثور أثره فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور فقعد وبال في أصل شجرة وقال هنا انقطع الأثر ولا أدري أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وقد جعلوا مائة ناقة لمن يرده ولما دخلا الغار أنبت الله على بابهِ الرأفة مثل قائمة الإنسان وهى ما يحشى بزهرها الوسائد ليحجبه الله عنهم وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه وحمامتين فوقفتا عليه وحرّم الله حمام الحرم لكونه من نسلهما ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بسيوف وعصى وهراء فنظر بعضهم في الغار فرأى الحمامتين فرجع وقال لأصحابه رأيت الحمامتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوه فقال أمية بن خلف إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ثم جاء وبال فقال الصديق إنه يرانا فقال ﷺ كلا إن ثلاثة من الملائكة سترتنا بأجنحتنا ثم خرجا منه ليلة الاثنين وهو ﷺ راكب خير مطية فتعرض له سراقَة وحصل بينهما وبينه ما هو مشهور ثم رجع سراقَة خائبا ولما وصل ﷺ قباء وتلقاه الأنصار أقام بها ثلاثا ودخل المدينة يوم الجمعة على المشهور وأقام بها وأظهر الإسلام (و) أنه ﷺ مات و (دفن بها) أي المدينة وقال بهجة المحافل توفي ﷺ يوم الاثنين ليلتين من ربيع الأول كما رجحه كثيرون وقيل لثنتى عشرة ورجحه آخرون وذلك حين اشتد الضحى في الساعة التى دخل فيها المدينة قال ابن عباس ﷺ ولد نبيكم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ولما أرادوا غسله سمعوا قائلا غسلوه في ثيابه (28/1) فغسلوه في قميصه والذين تولوا غسله على والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس أرسالا يصلون عليه الرجال فالتساء فالتصبيان ولم يؤمهم أحد واختلفوا في موضع قبره فقال أبو بكر سمعته ﷺ يقول ما دفن نبي إلا حيث يموت كما في الموطأ وغيره واختلفوا هل يلحد أو لا فجاء أبو طلحة وروى عنه ﷺ أنه قال اللحد لنا والشق لغيرنا فحفر له حول فراشه في منزل عائشة ودفنوه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء وإنما أخر دفنه مع أنه قد نهى عنه قيل لعدم اتفاقهم على موته فقال

بعضهم إنما أخذه ما كان يأخذه عند الوحي وقيل غير ذلك وسببه أنه لما قبض ﷺ دهش أصحابه دهشة عظيمة وركت عقولهم وطاشت أحلامهم وأفحموا واختلطوا وصاروا فرقا وكان ممن اختلط عمر ﷺ فجعل يصيح ويحلف ما مات رسول الله ﷺ ويتهدد من يقول ذلك وأقعد على وأخرس عثمان وأضنى عبد الله بن أنيس حتى مات كمدا واضطرب الأمر وجل الخطب ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر ﷺ وعن عائشة أنه لما مات ﷺ كان أبو بكر بالسبح فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله فجاءه أبو بكر فكشف عنه ﷺ وقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فجلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال إنك ميت وإنهم ميتون وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتلقاها الناس منه بالقبول فما سمع بشر منهم إلا يتلوها فقال عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعرقت حتى أهويت إلى الأرض فعرفت أنه ﷺ قد مات وكل ذلك من أبي بكر وعيناه تهملان وروى أنه قال لعمر أما علمت أنه ﷺ قال يوم كذا كذا فقال أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأنه تعالى حي لا يموت إنا لله وإنا إليه راجعون قال أنس ﷺ لما كان اليوم الذي دخل فيه ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وروى عنه ﷺ أنه قال من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتة بي فإنها من أعظم المصائب ولما ذكر النبي ﷺ البشارة لمن تقدم بين يديه فرط من الأولاد قالت عائشة فمن لم يكن له فرط قال أنا فرطه يا موفقة

-(عجبية)- اتفق أنه ﷺ توفي وعمره ثلاث وستون سنة ومثله أبو بكر وعمر ﷺ ونحر بيده الشريفة في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة وأعتق مدة حياته ثلاثا وستين رقبة (و)- يجب على المكلف أيضا أن يعتقد (أنه صلى الله عليه)- وعلى آله وصحبه (وسلم صادق في جميع ما أخبر به)- عن الله تعالى من أحكام أو تحذير أو تبشير أو إنذار من الدينية والدنيوية بحيث لو كشف الغطاء عما أخبر به لم يزد يقيننا على ما أخبر به وقد أثنى الله على المؤمنين بالغيب في قوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وفهم من ذلك وجوب الصدق له والأمانة والفتانة وتبليغ ما أمر بتبليغه واستحالة ضدها وهو الكذب والخيانة والبلادة وكتمان ذلك فهذه ثمان صفات ويجوز في حقه واحد وهو الأعراض البشرية التي لا تعد نقصا في مراتبه العلية ومثله (29/1) في ذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فجملة ما يجب اعتقاده للأنبياء تسع صفات تضم للواحد والأربعين التي للإله فتكمل خمسين عقيدة لا بد لكل مكلف من معرفتها تفصيلا بحيث لو سئل عنها أجاب وذلك لأنه ﷺ أرسلهم مشرعين لنا وصدقهم بالمعجزات وأوجب علينا اتباعهم مطلقا فلو لم يتصلوا بذلك للزم الكذب في خبره تعالى وهو محال وإنما جازت عليهم الأعراض البشرية التي لا نقص فيها لتحقيق مقام العبودية وللرفق بضعفاء العقول لئلا يظنوا أنهم آلهة وللتنبية على خسة الدنيا إذ لو كانت كريمة عنده تعالى لما كان أنبياءه أشد بلاء فيها وبئست الدار التي يبتلى فيها الأخيار ولذا رفضها كل كريم وتعلق بها كل لئيم ولتسلي الأمة عما يحصل لهم من المشاق (فمن ذلك)- أي مما أخبر به ﷺ (عذاب القبر)- يعني العذاب في البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة لبعض الأموات وإن لم يقبروا وإنما أضافه للقبر لأنه الغالب وهو دائم للكافر وبعض العصاة ومنقطع فيمن خفت جريمته وقد يرفع عن بعضهم بسبب الدعاء له كما في حديث ما من عبد يقول ثلاث مرات عند قبر ميت اللهم بحق محمد وآل محمد لا تعذب هذا الميت إلا رفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور وكذا بسبب صدقة أو صلاة أو صوم فقد حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن فقالت له توفيت لي ابنة وأريد رؤيتها في النوم فقال لها صلى أربع ركعات بعد العشاء واقري في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الأهاكم مرة ثم اضطجعى وصلى على النبي ﷺ إلى أن تنامى ففعلت فرأتها في العقوبة مسلسل ومغلولة فجاءت إليه فأخبرته فاغتم وقال لها تصدق عنها ففعلت ثم رأى في تلك الليلة كأنه في روضة من رياض الجنة وفيها سرير عليه جارية جميلة وعلى رأسها تاج من نور فقالت له أعرفتني فقال لا فقالت له أنا ابنة تلك المرأة فقال لها بغير هذا وصفت لي أمك حالك فقالت كنت كذلك فقال ثم بماذا بلغت هذا قالت كنا سبعين ألف نفس في تلك العقوبة فعبر واحد من الصالحين على قبورنا وصلى على النبي ﷺ مرة وجعل ثوابها لنا فأعتقنا الله من ذلك ببركته وبلغ نصيبى ما رأيت وأصل العذاب عند العرب الضرب من العذب وهو المنع وسمى الماء عذبا لكونه يمنع العطش ثم استعمل في كل عقوبة مؤلمة وما مر من أنه دائم ذكره في مواهب الديان وغيره وقال ابن القيم عن أبي يعلى لا بد من انقطاعه لأنه من عذاب الدنيا وما فيها منقطع وقال الجلال السيوطي ويؤيده ما أخرجه هناد عن مجاهد أن للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم إلى يوم القيامة فإذا صيح يا أهل القبور تقول الكفار يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ومن جملة عذاب القبر الضرب بمطارق والعرض على النار وجعل التنائين فيه تلذغ وضيقه وضغطته ولا ينجو منها إلا الأنبياء وفاطمة بنت أسد أم الإمام على كرم الله وجهه ومن قرأ سورة الإخلاص في مرض موته أربعين مرة كما ورد وأنه يأمن من فتنته وتحمله الملائكة بكافها حتى تجوز به الصراط إلى الجنة وقد سمع كثير من أهل البصائر العذاب لبعض الموتى في قبورهم كاشيخ المدينى شيخ البخارى والشيخ ابن حجر وغيرهما وقد بسط الكلام في ذلك الجلال السيوطي في شرح الصدور (و)- من ذلك (نعيمه)- أي القبر بمعنى البرزخ أيضا لمن هداه الله من هذه الأمة وغيرها وإن لم يقبر وصار رمادا للنصوص التي بلغت مبلغ التواتر ومنه توسيعه وجعل قنديل فيه وفتح

طاقة فيه إلى الجنة وجعله روضة من رياضها وامتلاؤه بالروح (30/1) والريحان وإتيان عمله عمله في صورة أحب شخص إليه يؤنس وينبغى أن يعلم أن نعيمه أو عذابه للروح والجسد كله أو بعضه فإن كان المعذب كله أعيدت الروح فيه كله أو بعضه أعيدت في المعذب فتشترك معه في العذاب وروي أنهما يختصمان فتقول هي أنت فعلت ويقول هو أنت أمرت فتقول لولاك ما استطعت فعل شيء فيقول إنما أنا كالجذع الملقى لا أحرك يدا ولا رجلا لولاك ثم يبعث الله ملكا يقضى بينهما فيقول أنتما كمقعد أي مكسح بصير وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى أثمارا ولكن لا أصل إليها فقال الضرير أركبني فركبه فتناولها يعني أن الجسد كالدابة للروح ولا يشكل هذا على قول الفقهاء إن القطع في السرقة على المقعد لأن العذاب أنواع فهذا عذابه القطع والحامل التعزير مثلا

واختلف في مقر الأرواح مدة البرزخ فأرواح الشهداء في الجنة وكذا غيرهم وقيل بالدار البيضاء في السماء السابعة أو بزمزم ويؤيده ما سيأتي آخر الكتاب في الكلام على قطيعة الرحم أو بأفنية القبور أو بالجابية بالشام وأرواح الكفار في النار أو بئر برهوت ويؤيده ما سيأتي أيضا وهو بعدن كما نقله في شرح الخطبة عن تاريخ بامخرمة أو بغير ذلك وحمل ما ذكر على أنها متفرقة ومختلفة في تلك الأماكن ولها اتصال بالبدن كله أو بعضه وإن بعدت عنه وصار ترابا قال النووي وأقرب ما قيل في الروح أنها جسم لطيف نوراني حي - لذاته مشتبك بالجسد اشتباك الماء بالعود الأخضر قال الإمام الغزالي ولا يعلم أحد حقيقة إلا بأحد الموتين إما الصغرى وهي مجاهدة النفس حتى يصير في درجة الولاية فينكشف له كثير من المغيبات أو الكبرى وهو الموت الحقيقي ولذا قال الحكماء الإنسان حي - ناطق ميت ولا تكمل حقيقته إلا بالموت أسأل الله لي ولوالدي - والمسلمين العافية وحسن الخاتمة - (و) من ذلك - (سؤال الملكين) - في القبر - (منكر) - اسم مفعول من أنكر أو اسم فاعل لأنه ينكر على غيره كلامه - (ونكير) - كملك سمي بذلك لأن الميت لا يعرفهما ولم ير كصورتهما إذ لا يشبه خلقهما شيئا من الخلق بل هو بديع إذ هما أسودان أزرقا العينين كقدرو النحاس من شدة حمرةتهما يراهما الناظر كالبرق الخاطف وأنيابهما كقرون البقر يحفران بهما الأرض وشعورهما مسدولة يجرانها على الأرض ونفسهما كالريح العاصف وكلامهما كالرعد القاصف أي الشديد ويخرج لهيب النار من أفواههما ومناخرهما ومسامعهما بيد كل منهما مطرق حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ولو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا جعلهما الله هتكا للمنافق وإخافة للكافر حتى يتحير في الجواب والصحيح أنهما بهذه الصفة يأتیان المؤمن عاصيا أو غيره لكن الله يعبته وقيل إنما يأتیان بهذه الصفة للكافر والعاصي الذي لم يتب وأما الموفق فله مبشر وبشير فيسألانه عن الاعتقاد بعد تمام الدفن وانصراف الناس وإعادة الروح للجسد كله أو نصفه الأعلى وتكميل حواسه التي يتوقف عليها فهم الخطاب ورود الجواب وكل أحد يسألانه بسأله وسواء دفن أو أكلته نحو السباع أو صار رمادا ويجب بما كان عليه ولو مات جمع في وقت واحد عظمت جنتهما وخاطبهما مخاطبة واحدة كذا في التذكرة قال السيوطي ويحتمل أنهما فرقتان فرقة تسمى منكرا والأخرى نكيرا يبعث لكل إنسان اثنان منهم والله أعلم قال اللقاني والحق أن كل مؤمن يوفق للجواب ومن زاغ ضرب بمرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لدك والسؤال يختص بهذه الأمة واستظهر (31/1) السيوطي عدم سؤال غير المكلف وقيل كل نبي مع أمته كذلك ويستثنى من عموم السؤال من ورد عدم سؤالهم كالأنبياء والشهداء والصديقين والمرابطين والمبطين وملازمي قراءة سورة الملك أو ألم السجدة كل ليلة ومن قرأ في مرض موته الإخلاص والمطعون والميت ليلة الجمعة أو يومها ومن لا يسئل لا يعذب في القبر وورد أن الثقلين يحجبان عن سماع السؤال فيسمعه كل شيء ما عداهما لئلا يخبر بعضهم بعضا فتفوت حكمة الإيمان بالغيب نعم ورد أن بعض الأولياء يسمعه كما روى عن العلاء بن عبد الكريم أنه مات رجل وله أخ ضعيف البصر فلما دفن وانصرف الناس عنه وضع أخوه رأسه على القبر فسمع صوتا يقول من ربك ومن نبيك وسمع أخاه يقول الله ربى ومحمد نبيى ثم ارتفع شبه السهم من القبر إلى أذنه فاقشعر جلده وحكى عن خادم أبى يزيد البسطامي أنه قال والله لئن سألتى الملكان لأقولن لهما أنى خادم أبى يزيد فقيل له ومن يعلم ذلك فقال اقعدوا على قبرى واسمعوا فلما مات جلسوا على قبره فسمعوا السؤال وسمعوه يقول لهما تسألان وقد حملت فروة أبى يزيد على كتفى ولما سئل أبو يزيد قال لهما أنا طريح بين يديه ولكن أسأله هل أنا عبده فإن قال نعم فلى الكرامة فقالا هذا كلام عجيب فقال وعندى أعجب منه هل كنتما حاضرين حين قال الله تعالى ألسنت بربكم فقلت مع نسمة بنى آدم بلى قال لا قال إذن خلوا بينى وبينه فقال أحدهما للآخر هذا أبو يزيد عاش سكران أى بمحبة الله ومات ووضع في قبره كذلك وبيع كذلك

(فائدة) - نقل أنه ﷺ يحضر عند الموت وورد في الحديث من قال اللهم صل على محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه أداء ثلاثا وثلاثين مرة فتح الله له ما بين قبره وقبر نبيه ﷺ وعن علي مرفوعا من قال ليلة الجمعة ولو مرة اللهم صل على محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم كنت أحدى بيدي - (و) ذلك - (البعث) - وهو كالنشر الإخراج من القبر بعد إعادة الأجزاء الأصلية والأرواح إليها - (والحشر) - وهو سوقهم إلى الموقف حفاة عراة للفصل من يجازى وغيره كما قاله النووي إلا الشهداء وأهل الزهد وفي الحديث أنهم يحشرون مشاة وركبانا وعلى وجوههم وأول من يبعث ويرد الحشر ويدخل الجنة نبينا ﷺ وقيل أول من يبعث موسى وأعلم أنهما لذا البدن الكائن في الدنيا بأعراضه وأوصافه فيبعث كل على ما مات عليه

كما شهدت بذلك النصوص قال سيدي علي الونائي جاء في الخبر أن عشرة لا تبلى أجسامهم النبي والعالم والشهيد وحامل القرآن والمؤذن والإمام العادل والميتة في نفاسها ومن قتل مظلوماً ومن مات ليلة الجمعة أو يومها وقال غيره بدل الإمام ومن بعده الصديق والمحب لله وكثير الذكر والميت مطعوناً أو مرابطاً (و) من ذلك (القيامة) أي قيامهم من المحشر بين يدي رب العالمين ليقضى بينهم (والحساب) وهو إطلاع الله عباده على أعمالهم قبل انصرافهم إلى المحشر تفصيلاً قولاً وفعلاً واعتقاداً المفعولة بالاختيار كالصدقة والسرقة وغيرها كالمرض والبلاء بعد أخذ كتبهم ويكون لكل أحد إلا من استثنى وهم كما في حديث حذيفة سبعون ألفاً مع كل واحد سبعون ألفاً وكيفيته مختلفة فمن سهل عليه ومن مشدّد عليه شدة متوسطة للعصاة وتامة للكفار وقول عائشة لا يحاسب رجل إلا دخل الجنة أي حساباً يسيراً فلا يرد الكافر ومن لم يعص فمن عصى سرّاً (32/1) حوسب سرا فعن علي وكرم وجهه مرفوعاً أنه لا يوقف عبده المؤمن على ذنوبه ذنباً ذنباً ثم يغفر له لا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ويستتر من ذنوبه ما يكره أن يوقف عليه ثم يقول لسيئاته كوني حسنة وأما العاصي جهراً والكافر فيحاسبان جهاراً والفاقد بين معارفه ليكون أشد في حقه وعن ابن عمر أنه يدنو المؤمن من ربه فيقول له عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فينادى على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ومن الحساب ما يكون بالتوبيخ كما روى أن عيسى مَرَّ بقبر فوكز برجله وقال يا صاحب القبر قم ياذن الله فقام وقال يا روح الله ما أردت فأني قائم للحساب منذ سبعين عاماً فقال له لقد كنت كثير الذنوب فقال إنما كنت أحتطب على رأسي وأكل حلالاً وأتصدق فقال سبحان الله عملك كذا وأنت قائم للحساب منذ سبعين سنة ثم قال يا روح الله كان من توبيخ الله لي أن قال كترك عبيدي فلان لتحمل له حزمة حطب فأخذت منها عوداً تخللت به وألقيته لي غير مكانه استهانة منك بي وأنت تعلم أني أنا الله المطلع وأراك ومنه بالفض كما ورد أنه يؤتى بالرجل فيقال أعرضوا عليه صفائر ذنوبه فتعرض عليه ويخبا عنه كارهاً ويقال عملت يوم كذا كذا فيقر فيقال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول إن لي ذنوباً لم أرها قال أبو ذر فرأيتَه ضحك ثم تلا فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات أي في الآخرة ومنه بالعدل كأن يثبت عليه ما عمله بالشهود كما روى أن العبد يقول يا رب ألم تجرني من الظلم ثم يختم على فيه ويقول لأركانہ انطق فتتطق فيخجل ثم يقول سحقاً لكن فعنكن أناضل أي أجادل وورد أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة ولا بعد في اتساع قدرته لأن يحاسبهم في زمن واحد والمعنى أنه لا يحاسبهم واحداً بعد واحد فلا ينافي ما روى عن ابن عباس نحن آخر الأمم وأولها حساباً وأكثر هذه الأمة يحاسب في قبره ليوافي القيامة بلا ذنوب كما قاله السيوطي

(فائدة) ورد في الأحاديث أن من ابتلى بذهاب بصره أو غيره من البليات فصبر حتى يلقي الله ومن مات بطريق مكة ذاهباً أو آيياً وكل رحيم صبور وطالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والبار بوالديه والماشي في حاجة أخيه المسلم ومن ربي صبيحاً حتى يقول لا إله إلا الله ومن مات ليلة الجمعة أو يومها ومن بلى بمصيبة في بدنه أو ماله فصبر ومن قرأ سورة القدر بعد وضوئه ثلاثاً ومن حفر بئراً بفلاة إيماناً واحتساباً لا يحاسبون وورد في الحديث حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا أي عدوا أعمالها لتتوبوا من المعاصي وتشكروا الله على الطاعة قبل أن تموتوا فتحاسبوا قال الإمام القرطبي وحساب الشخص نفسه هو أن يتوب من كل معصية قبل موته فيدخل الجنة بغير حساب حكى أن بعض الصالحين لقي شخصاً وفي كفه حصي أبيض وأسود فقال ما هذا فقال كلما عملت نفسى حسنة أخذت حصاة بيضاء أو ذنباً أخذت سوداء فإذا جاء الليل حسبتها فإن كان الأبيض أكثر علمت أنه حسنات فأنعمها وأطعمها وأسقيها وإلا علمت أنه سيئات فأعاقبها وأقطع عنها الأكل والشرب وهذا دأبى معها إلى أن أموت ورؤى الشبلى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

(33/1) ح-اس-بوا ث-م-ن-وا
ف-د-ق-ق-وا ف-أ-ع-ت-ق-وا

جعلنا الله من عتقائه من النار بمنه وكرمه (و) من ذلك الجزاء وهو (الثواب) لمن أطاعه بالجنة بفضله (والعذاب) لمن كفر به وعصاه بعدله فيقابل السيئة وهي ما يذم فاعله شرعاً والمراد عملها حقيقة بأبداً شرها أو حكماً بأن طرحت عليه لظلمه غيره ونفاذ حسناته صغيرة كنظر ولمس محرمين وإدخال غير مميز مسجداً إذا لم يؤمن تلويثه وإلا كره أو كبيرة كتقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر كما يأتي بمثلها إن لم يعف عنها والحسنة المقبولة الأصلية المفعولة التامة بضعفها وأقل مراتب التضعيف العشر وقيل سبعمائة ولا حد لغايته قال تعالى والله يضاعف لمن يشاء أما الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف لئلا يلزم التسلسل وأما الحاصلة لا بفعل بأن كانت بترك كأن صمم على نحو ربا فتركه أو بدلالة على فعل خير أو مأخوذة في نظير ظلامة وغير التامة كأن صلى فبطلت صلاته أو توضع فأحدث أثناءه بلا اختيار فيثاب على الأول وعلى ما مضى من الثاني بلا تضعيف لكن قال السحيمي وظاهر الحديث أن الدال مثل ثواب الفاعل إن حصل ما دل عليه وإلا فله ثواب الدلالة ولا عبرة بما يفعله الكافر في حال كفره من كل ما يتوقف على نية كصلاة وأما الذي لا يتوقف عليها كصدقة وعتق فيثاب عليها إذا أسلم بلا مضاعفة والقول بأن المضاعفة إلى سبعمائة خاصة بالإنفاق في سبيل الله ضعيف لورود الحديث بأن من دخل السوق وقال بصوت مرتفع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له

الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة قال الحسن ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان أى شعاع كشعاع الشمس وورد أن من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهها واحدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد إحدى عشرة مرة كتب الله له ألفى حسنة ومن زاد زاده **(تنبيه)** - التضعيف من خواص هذه الأمة وتفاوت مراتبه بحسب ما يقتدرن بالحسنة من إخلاص وحسن نية وبانتقالها من شخص لآخر كمن تصدق على فقير بدرهم فتصدق به على آخر وهو على آخر وهكذا فيحسب للأول عشرة ومثل ما للثاني مضروبا فيما له بجعله أصلا لأن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فيكون للأول مائة وللثاني عشرة وهكذا إلى ما لا يعلم قدره إلا الله ﷻ وكل من عمل خيرا من أمة نبينا ﷺ كان له ﷻ مثله لأنه الأصل وكذا المشايخ مع تلامذتهم ومن فضله ﷻ أنه إذا جازى من له حسنات متفاوتة يحاسبه على قدر أعلاها واعلم أن السيئة تتفاوت أيضا بحسب الزمان والمكان وشرف الفاعل وقوة معرفته بـ الله وقربه فإن من عصى السلطان على بساطه أعظم ممن عصاه على بعد ولذا قال ﷻ يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة أى كبيرة مبينة أى ظاهر قبحها يضاعف لها العذاب ضعفين أى يشتد حتى يكون كعذاب غيرها مرتين ليوافق فلا يجزى إلا مثلها لأن صدورهم منهن يقتضى أمرا زائدا على الفاحشة وهو أذاه ﷻ ولذا كره بعضهم المجاورة بمكة لكن الأئمة الثلاثة على استحبابه وعند أبى حنيفة لا تستحب ولا تكره إن وثق بنفسه **(فائدة)** - ذكر الشهاب الخفاجى فى آخر شرح الشفاء أى ممن يؤتى أجره مرتين أزواجه **(34/1)** ﷻ ثواب فى الدنيا وثواب فى الآخرة ومن قرأ القرآن وهو عليه شاق ومن توطأ مرتين والمجتهد إذا أصاب والمتصدق على قريبه أو زوجه ومن عمر جانب المسجد الأيسر لقلّة أهله والغنى الشاكر ومن سن سنة حسنة ومن صلى بتيمة ثم وجد ماء فأعاد ومن اشترى أمة فأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها وكتابى آمن بنبىه ثم بمحمد ﷻ ومن صلى فى الصف الثانى أو الثالث مخافة أذية مسلم والإمام والمؤذن ومن طلب علما فأدركه ومن أسغى الوضوء فى البرد الشديد ومن دنا من الخطيب فاستمع وأنصت ومن غسل يوم الجمعة واغتسل ومن قتله أهل الكتاب وشهيد البحر والمستمع للقرآن والمتصدق يوم الجمعة ومن تبع جنازة ماشيا مـ باختصار **(و)** - من ذلك **(الميزان)** - وأصله موزان قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها وله قسبة وعمود وكفتان كل واحدة منهما أوسع من طبقات السموات والأرض يوزن جبريل به الأعمال فيأخذ بعموده وينظر للسائه وميكائيل أمين عليه ومحله بعد الحساب إذ مراتب الموقف البعث فالحشرة فالقيام لرب العالمين فالعرض فتطائر الصحف فأخذها بالإيمان أو الشكائيل فالسؤال فالحساب فالميزان لأن الحساب إطلاع الله العبد على أعماله كما مر ليميز له الخير من الشر فتوزن بعد ذلك له لينظر هل ترجح الحسنات أو السيئات أو يتساويان وهو الآن موجود لما روى أن داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه إياه فلما رآه أغمى عليه ثم أفاق فقال إلهى ومن يقدر على ملء كفة هذا الميزان حسنات قال له تعالى يا داود إذا رضيت على عبدى ملأته بتمرة واحدة والمشهور أنه واحد فالجمع فى قوله تعالى ونضع الموازين للتفخيم ككذبت قوم نوح المرسلين مع أنه واحد أو لكونه متسعا فكان كل جزء منه ميزانا وقيل لكل شخص واحد وقيل واحد لصلاته وواحد لصومه وهكذا وقيل لكل أمة ميزان وقيل إنها ثلاثة واحد للإيمان ليميز المنافق من غيره فمن رجح إيمانه وهو لا إله إلا الله خلد فى الجنة والثانى لوزن الحسنات ومظالم العباد والثالث لم فضل منها عن المظالم والموزون الصحف المشتملة على الأعمال فتوضع صحيفة الحسنات فى كفة النور وهى اليمنى وصحيفة السيئات فى كفة الظلمة وهى اليسرى ويشهد له حديث البطاقة بكسر الباء الورقة الصغيرة وهو أنه يصلح برجل من أمتى على رؤوس الإشهاد يوم القيامة فتشتر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر وفى روح البيان كما بين المشرق والمغرب فيها خطاياهم وذنوبهم فيقول الله أتتكر من هذا شيئا أظلمك كبتى الحافظون فيقول لا يا رب فيقول ألك عذر أو حسنة فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يعقل مع اسم الله شيء وليس المراد بكلمة الشهادة التى دخل بها فى الإسلام بل التى نطق بها بعد وقيل الموزون العباد مع أعمالهم وقيل الأعمال فقط وفى حديث البطاقة دليل على أن الميزان كهينته فى الدنيا من كون الثقيل بسفل والخفيف بعلو وقيل العكس **(تنبيه)** - قال العلماء الناس ثلاثة متقون لا كبائر لهم فتوضع حسناتهم فى كفة النور وصغائرهم فى الأخرى فتثقل الحسنات ومخلطون فتوضع حسناتهم كذل وسيئاتهم فى الأخرى فيكون للكبائر ثقل فإن كانت أثقل ولو بخردلة دخل النار صاحبها ثم يخرج بالشفاعة وإن تساويا **(35/1)** كان فى الأعراف وهو سور الجنة وكفار فيوضع كفره فى كفة الظلمة ولا له حسنة توضع فى الأخرى فيدخل النار وآخر ما يوضع قول العبد الحمد لله ولذا كانت تملأ الميزان قال الإمام القشيري إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقئها فى الكفة اليمنى فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد له ما أحسن وجهك ونطقك فيقول له أنا نبيك محمد وهذه صلاتك على كنت تصلئها على قد وفيتك إياها ومن فوائد الوزن الامتحان بالإيمان بالغيب وجعله علامة لأهل السعادة والشقاوة ولا يكون لك أحد لحديث يا

محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وبالأولى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل إن أهل الصبر لا توزن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صبا وكذلك الملائكة بخلاف الجن {و} من ذلك دار العقاب وهي {النار} أعاذنا الله منها بجميع طبقاتها السبع التي أعلاها وأهونها {جهنم} وتكون لعصاة الموحدين من الجهم وهو الكراهة والغلظ فالنون زائدة {فلظى} لليهود {فالحطمة} للنصارى {فالسعير} للصابئين قرفة من النصارى أو منهما يحلقون أوساط رؤوسهم ويقطعون مذاكيرهم {فسقر} للمجوس {فالجحيم} لعبدة الأصنام {فالهافية} للمنافقين وباب كل من داخل الأخرى وفي الزواج أنه ﷺ قال يا جبريل صف لي النار وائعت في جهنم فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يفنى شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض السفلى كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لا رفضت وما تقاررت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال ﷺ حسبي يا جبريل لا يتصدع قلبي فأموت ثم نظر ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال له تبكى وأنت عند الله بالمكان الذي أنت به فقال وما لي لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون في علم الله على غير الحال الذي أنا عليها وما أدري لعلى ابتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلى ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل ﷺ وخرج ﷺ فمرّ بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما استغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعيد تجارون إلى الله تعالى فنودي لا تقنط عبادي إنما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال ﷺ سدوا وقاربوا وورد أنه ﷺ قال لو كان هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه وقال ﷺ إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف تتر في كل تتر سبعون ألف شعبان في شدة كل شعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله وقال ﷺ يرسل الله على أهل النار البكاء حتى تنقطع الدموع ثم يبيكون الدم حتى يصير في خدودهم كهينة {36/1} الأخدود ولو أرسلت فيها السفن لجرت وقال يا أيها الناس ابكوا فإن تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل أي الدم فتفرغ العيون قال ﷺ إن هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم وإنها ضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ما نتفع بها وقال ابن عباس سبعين مرة وهي الآن موجودة خلافا للمعتزلة

{لطيفة} في العلقمى على الجامع الصغير أن الأصمعى سأل أعرابيا عن النار فقال له الأعرابي إن الله من كرمه خلق النار ليسوق بها العباد إلى جنته {و} من ذلك {الصراط} بالصاد أو السين أو الزاي يذكر ويؤنث لغة الطريق والوضح وشرعا جسر بفتح أوله وكسره ممدود على متن جهنم أوله الموقف وآخره باب الجنة يرده الأولون والآخرون حتى الأنبياء ومن يدخل الجنة بغير حساب ذاهبين إلى الجنة فالمرور عليه هو ورود النار المذكور في قوله تعالى وإن منكم إلا واردوها كما رجحه النووي لأن جهنم بين الموقف والجنة أرق من الشعر وأحد من السيف مثل حد موسى كما ورد في حديث أنه ﷺ قال يا بني هاشم اشترى أنفسكم من الله تعالى فإنني لا أملك لكم من الله شيئا قالت عائشة ويكون يوم لا تغنى عنا من الله شيئا قال نعم في ثلاثة مواطن عند الميزان وعند النور والظلمة من شاء أتم نوره من شاء تركه في ظلمة وعند الصراط من شاء كلمه وأجاره ومن شاء كبكه أي ألقاه في النار فقالت عائشة يا رسول الله قد علمنا الموازين وقد علمنا النور والظلمة فما الصراط قال طريق بين الجنة والنار وهو مثل حد موسى والملائكة صافون يميننا وشمالا يخطفونهم بالكلايب مثل شوك السعدان بفتح السين نبت ذو شوك صلب يشبه حلمة الثدى وهم يقولون رب سلم سلم وأفندتهم هواء أي خالية من شاء سلمه ومن شاء كبكه قال العلامة السحيمي ولفظ أدق من الشعر وأحد من السيف ثابت في الحديث كما نقله العدول خلافا لمن قال لم يثبت ومذهب أهل السنة إبقاؤه على حقيقته مع تفويض علم حقيقته إليه تعالى ومدة المرور عليه ثلاثة آلاف عام ألف صعود وألف هبوط وألف استواء وجبريل أوله ينادي رب سلم سلم وميكائيل وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيم أفنوه وشبابهم فيم أبلوهم وعلمهم ماذا عملوا به ومآلهم فيم أفنوه ومن أين اكتسبوه وفي حافتيه كلايب فمن ارتكبها خطفته بأمره تعالى والناس مختلفون في المرور فمنهم من يمر كطرف العين ثم من كالبرق الخاطف ثم كالريح العاصف ثم كالطير ثم كالجواد السابق ثم من يسعى ثم من يمشى ثم من يحبو ثم من يزحف وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن المحرمات ونور كل شخص على الصراط لا يتعداه لغيره فلا يمشى أحد في نور غيره إلا إذا أراد الله إظهار فضل أحد فيمشى غيره في نوره ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه ففي الحديث أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم على صلاة في الدنيا فإن الصلاة على نور يوم القيامة على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم بين الخلق كلهم لوسعهم وروى أن المؤذنين إذا أتوا على الصراط يجدون عليه نجائب من نور مسرجة بالياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط ويشفع كل واحد منهم في أربعين ألفا ويمر في نوره ألف رجل وألف امرأة

وفى رواية أربعون ألفا ممن ليس لهم نور (و) من ذلك (37/1) (الحوض) الذى يعطاه نبينا فى الآخرة وهو جسم مخصوص يجرى على الأرض المبدلة التى هى كالفضة كبير متسع الجوانب وفى الحديث إنه كما بين عدن وعمان بفتح أوله وتشديد ثانيه مدينة بالشام ترده هذه الأمة لا غيرها إذ لكل نبي حوض وفى أثر أنه أعرض الحياض وأكثرها واردا وفى حديث من شرب منه لا يظلم بعده أبدا والمراد ظلماً مؤلماً وإلا فقد يظلم ظلماً اشتهاه فلا يرد أن فى الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وكل لذة لا تحقق إلا باشتهاء فكيف تنقطع عنهم شهوة الشرب وفى حديث حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وفى رواية من اللبن وفى أخرى وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وكيرانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظلم أبدا وفى رواية ولا يسود وجهه أبدا والمراد بكون زواياه سواء أنه لا يزيد طوله على عرضه كما ورد ما بين ناحيتى حوضى كما بين أبله إلى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة أحدهما ورق والآخر ذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وألين من الزبد فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لا يظلم حتى يدخل الجنة وفى رواية أكثر من نجوم السماء والشاربون مختلفون فمنهم من يشرب لدفع العطش ومنهم للتلذذ ومنهم لتعجيل المسرة

واختلف العلماء هل الحوض فى أرض المحشر قبل جواز الصراط أو فى أرض الجنة التى لا يتوصل إليها إلا بعد جوازه وورد أن أول الناس وردا صعاليك المهاجرين وسئل عنهم فقال الشعث رؤوسهم أى بعيدة العهد بالدهن والغسل والتسريح الشحبة وجوههم من الشحوب وهو تغير الوجه من الجوع والدنسة ثيابهم أى الوسخة لا تفتح لهم السدد أى الأبواب ولا ينكحون المنعمات الذين يعطون كل الذى عليهم ولا يعطون كل الذى لهم

(تنبيه) يحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزوج فيأبى ثم فى يوم قام من نومه بطلبه فسئل فقال لعل الله يرزقنى ولدا فيكون مقدمة فى فى الآخرة فإنى رأيت كأن القيامة قامت وكأنى مع جملة من الخلق فى شدة العطش فبينما نحن كذلك إذ جاء ولدان يتخللون الجمع عليهم منديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ويجاوزن أكثر الناس فمدت يدي لأحدهم وقلت أسقنى فقال ألك فينا ولد فقلت لا قال فإنما نسقى آباءنا فقلت ومن أنتم فقال نحن من مات من أطفال المسلمين دون البلوغ وصبر أبوه على فقده

(و) من ذلك (الشفاعة) الثابتة له وأوصلها ابن القيم إلى أكثر من عشرين شفاعاة إلا أن أعظمها المختصة به التى تكون لإراحة الخلق ولو كفارا من طول الموقف ليعجل حسابهم كما ورد أنه يبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعضهم لبعض بعد وقوفهم ثلاثة آلاف عام ألا تنظرون من يشفع لكم فيقول بعضهم أنتوا آدم فيأتونه فيعتذر ثم يأتون نوحا فيعتذر ثم يأتون إبراهيم فيعتذر ثم يأتون موسى فيعتذر ثم يأتون عيسى فيقول نفسى نفسى اذهبوا لمحمد قال الإمام الغزالي فى الدرة الفاخرة إن إتيان كل نبي والآخر ألف عام لكن قال الحافظ ابن حجر لم أقف له على أصل قال فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء غفر الله لك (38/1) ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا فأقول أنا لها فأقوم فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله لى ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلى فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب وفى حديث يا رب وعدتنى الشفاعاة فتشفعنى فى خلقك واقض بينهم فيقول الله قد شفعتك فيهم اثتهم واقض بينهم وهذا أول المقام المحمود المذكور فى قوله تعال عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وآخره استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار فيها وذبح الموت بين يديه والنداء كل فى محله بلا موت والثانية الشفاعاة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وهى مختصة به أيضا على ما قاله النووى والقاضى عياض وتردد فيه ابن دقيق العيد وتبعه السبكي قائلا لم يرد فيه شىء ومثله لا يدرك بالقياس قال بعضهم وقد ذكر حديثها مسلم والثالثة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووى فى اختصاصها به وجزم ابن السبكي بعدمه الرابعة فى إخراج الموحدين من النار ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون وفصل القاضى عياض فقال إن كانت لإخراج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان اختصاص به وإلا شاركه غيره فتكون للمؤمنين شفاعات فيمن وصل النار ودخلها وفيمن لم يصلها كما فى حديث إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفًا وأهل النار صفوفًا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول يا فلان نذكر يوم إذ صنعت معروفا إليك فيقول اللهم إن هذا صنع إلى معروفا فى الدنيا فيقال له خذ بيده وأدهله الجنة برحمة الله تعالى الخامسة فى زيادة الدرجات فى الجنة وجزم القرافي باختصاصها به السادسة فى جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعة غير الواجبة السابعة فيمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنه العذاب سواء عذاب المعاصى أم الكفر فى أوقات مخصوصة كما فى حق أبى طالب فقد قال فى حقه لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه

وحاصل القول فى أبى طالب أن ظاهر النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث كلها تدل على أنه على كفره وأنه كان عنده تصديق به كما يدل على ذلك كلامه فى أشعاره وغيرها ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم

ينفعه تصديقه نعم في السحيمي عن الشعراني والسبكي والقرطبي أنه ثبت إسلامه عند بعض أهل الكشف وأن الله تعالى أحياه حتى آمن به ☞ ومات مسلماً قال العلامة السحيمي وهذا هو الذي اعتقده وألقى الله به فيكون ما حصل له من العذاب قبل إحيائه والله أعلم الثامنة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا بالنار إذا دخلوها عند امتحانهم هل يمثلون الأمر أو لا فيؤمرون بالدخول فيدخلون فتكون عليهم برداً وسلاماً زاد بعضهم الشفاعة لمن مات بالمدينة قال السحيمي ولعل المراد في أنهم لا يحاسبون وروى مرفوعاً أول من أشفع له من أمي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف وورد أول من أشفع من أمي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل وروى مرفوعاً من غش العرب لم يدخل في شفاعتي (39/1) ولا تمتنع شفاعته ☞ لأهل الكبائر خلافاً للمعتزلة وحديث لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمي مكذوب عليه باتفاق لو سلم فهو محمول على من ارتد منهم ويشفع أيضاً غيره ☞ فقد ورد أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته وأن جبريل يشفع في رجل من أمة نبينا ☞ بعد أن يسمعه في النار أربعين ألف عالم يقول يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام فيشفعه ☞ فيه فيخرجه وقد صار كالفحم ويغسله بماء الحياة والكوثر فيدخله الجنة ويسلمه لسيدنا محمد ☞ وكذلك الأولياء يشفعون ومن فتونهم أنهم إذا أذن في الشفاعة لهم أن يبدؤوا بمن آذاهم في الدنيا ورماهم بالزندقة والكفر والرياء ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقامهم وإنما لم يقدموا من أحسن إليهم لأنه يعتقد فيهم في الدنيا مطمئن بما قدم من الإحسان فعين إحسانه يكفيه ويكون شفيعه قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وروى مرفوعاً استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة والمراد الصلحاء وروى أيضاً مرفوعاً أنه تعالى يقول للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغت عدد النجوم وعن مالك بن دينار مرفوعاً من أعان طالب العلم أعطاه الله كتابه بيمينه ومن أحب طالب العلم فقد أحب الأنبياء ومن أحب الأنبياء كان معهم ومن أبغض طالب العلم فقد أبغض الأنبياء ومن أبغض الأنبياء فجزأه جهنم وإن لطالب العلم شفاعة مثل شفاعة الأنبياء وله في جنة الفردوس عشرة آلاف قصر وفي جنة الخلد مائة ألف مدينة من نور وفي جنة المأوى ثلاثون ألف درجة من ياقوت أحمر وله بكل درهم ينفقه في طلب العلم من الحور العين بعدد نجوم السماء ومن صافح طالب العلم حرم الله جسده على النار ومن أعان طالب العلم كتب الله له براءة من النار ألا وإن طالب العلم إذا مات غفر الله لمن حضر جنازته فليل لمالك ربما يطلبه لأجل الدنيا فقال أوليس يقال طالب علم ولا يقال طالب دنيا ومن آذى طالب العلم لعنته الملائكة ولقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ألا وإن من أعان طالب العلم بدرهم بشرته الملائكة عند نزع روحه بالجنة وفتح له باب من النور في قبره وروى مرفوعاً إذا اجتمع العالم والقائم أي بوظائف العبادات وهو جاهل بما زاد على الفرض العيني على الصراط فيل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف فاشفع لم أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء في الدنيا يهدي الأمة للرشاد وفي الآخرة بالشفاعة للعباد

(و) من ذلك دار الثواب وهي (الجنة) وتكون لكل مؤمن كتب الله له السعادة وهي لغة البستان والمراد بها عرفاً دار النعيم بجميع أنواعها وروى مرفوعاً أنه تعالى خلق الجنة لبنة ولبنة من فضة وملاطمها أي طينها الذي يجعل بين اللبن المسك وقال تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى أي قرّة عين لك منزل الملوك وهي سبع جنان أو ثمان أفضلها وأعلاها الفردوس وسقفها العرش فالمأوى فالخلد فالنعيم فعند فدار السلام فدار الجلال هذه السبع عن ابن عباس ☞ والثامنة وثبتت عنه في رواية أيضاً دار القرار وفي كل ما في الأخرى لكن بعضها أرقى من بعض وقيل إنها أربع ورجح بقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أي عدن والنعيم ثم قال ومن دونهما أي أمامهما جنتان أي الفردوس والمأوى وقيل واحدة والأسماء جارية عليها وهي فوق (40/1) السموات السبع خلافاً لقول ابن حزم إنها في السادسة فقد ثبت عنه ☞ إنها فوق السموات السبع وتحت العرش كما حكاه الرازي في تفسيره قال عبد السلام اللقاني ولم يصح في محل النار خبر ومثله السيوطي لكن قال الحافظ ابن رجب إنها تحت الأرضين السبع وهي الآن موجودة كما صرح به الكتاب والسنة وقصة آدم وحواء ☞ قال الشيخ عبد الله بن سعيد في شرح حزب الشيخ أحمد بن عبد القادر وللجنة ثمانية أبواب كل باب يدخله سبعون ألف رجل صفاً واحداً وهي قصور مبنية وغرف وزوايا ومناظر بعضها فوق بعض من الذهب والفضة والزبرجد والزمرد واللؤلؤ والمرجان والكافور والعنبر وغير ذلك من الطيبات والحسنات والمعادن من الجواهر النفيسات متناكحة المباني منسوجة المعاني فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفي الزواجر أنه ☞ سئل عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنت عدن فقال قصر في الجنة من لؤلؤ فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش امرأة في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ووصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك كله في غداة واحدة وأخرج البخاري إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها زاد الترمذي وذلك الظل الممدود والطبراني وابن حبان في صحيحه إن أصل شجرة طوبى يشبه أصل شجر الجوز ينبت على ساق واحد ثم يمشر أعلاها وإن عظم أصلها إن الجذعة من الإبل لو ارتحلت لما قطعتها حتى تنكسر فرقونها هرماً وإن عظم العنقود من عنبها مسيرة شهر للغراب الأبقع لا ينشئ ولا يفتر وإن عظم الحبة

كالدلو الكبير وعن البراء معنى قوله تعالى وذلك قطوفها تذليلا إن أهل الجنة يأكلون من ثمراتها قياما وقعودا ومضطحين وصح عن ابن عباس ؓ إن جذوع نخلها من زمرد أخضر وأصول سعفها ذهب أحمر وسعفها كسوتهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها **عحم** وزعم أعرابي أن شجرة السدر مؤذية فكيف تكون في الجنة لقوله تعالى في سدر مخضود فقال ؓ خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمرا ينفثق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر

(و)- من ذلك (الخلود)- أى الإقامة المؤبدة فل الجنة للسعيد وهو من مات على الإسلام ولو عاصيا وإن تقدم منه كفر وفى النار للشقى وهو من مات على الكفر وإن تقدم منه إيمان قال تعالى فمنهم شقى وسعيد الآية قال الشيخ عبد السلام اللقاني ولا يدخل فى الشقى أولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ بل هم فى الجنة على الصحيح أى عشرة أقوال وأما أولاد المؤمنين ففى الجنة عند الجمهور بل بالإجماع على ما فى السحيمى فداخل الجنة منعم فيها بأنواع نعيمها كما ورد إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كال خادم صحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة فى كل واحدة لون لا يشبه الأخرى وإن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة من الحور العين (41/1) غير نساؤه فى الدنيا وإن أهل الجنة يدخلونها جردا أى لا شعر على أبدانهم مردا بياضا جعدا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة وهم على خلق آدم ؓ وفى الحديث إن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة فى كل حديقة سبعون ألف شجرة على كل شجرة سبعون ألف ورقة على كل ورقة مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أمة مذبذبة ورب غفور كل ورقة عرضها من شرق الدنيا إلى غربها وورد إنه إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم أن تحيو فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تياسوا أبدا وورد إن نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله تعالى فتأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون أمطرى علينا فما يزال النار عليهم حتى ينتهى ذلك فوق أمانهم ثم يبعث الله تعالى ريحا غير مؤذية فتتسف كتبانا من مسك عن أيانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك فى نواصي خيلهم ومفارقها ورؤوسهم

(تنبيه)- قال الشيخ عبد الله بن سعيد العمودى فى شرحه ربما يفهم أو يظن جامد العقل أن نعيم الجنة لأهل القرب من الخواص هذه اللذات والشهوات النفسانية من المطاعم والمشارب والمناكح وليس كذلك وليس كذلك وإنما هو مزيد القرب والأنس والمناجاة والمواصلة المشير إلى ذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين وحديث أعدت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فتأمل ذلك وقل سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اهـ بمعناه وداخل النار معذب فيها بأنواع العذاب كما ورد أنه إذا ألقى الرجل فى النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها فيلقى لهبها فيرده إلى أعلاها وما على عظامه لحم حتى إذا كاد يخرج تلقته الملائكة بمقامع من حديد فتضربه به فيهوى فى قعرها فلا يزال كذلك وإن فى جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وكلاليب من نار وسيوفا من نار وبيعت الله ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاب بأعناقهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونهم إلى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد مكانه عضو وروى إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان من نار يغلى منهما دماغه ويرى أن ما أحد أشد عذابا منه

(فائدة)- ورد أن من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه أبعد الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة مائة عام ومن توشأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعد من جهنم سبعين خريفا اللهم أجرنا من النار ومن غضب الجبار (و)- من أفضل نعيم أهل الجنة (الرؤية لله ؓ)- أى رؤيتهم إليه ؓ (فى الجنة)- كما ورد بها الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الشيخ عبد الله بن سعيد العمودى أجمعت الأمة على هذه الرؤية للمؤمنين خاصة وهى من دخول الجنة ولا نهاية لها أبدا سرمدا على مَرِّ الدهور والأنفاس اهـ قال الجلال السيوطى ويدخل فى المؤمنين الملائكة وقيل لا يروونه وقيل إلا جبريل ومؤمنو الجن والأمم السابقة على الأظهر ومن اتصف بالتوحيد من أهل الفترة وفى النساء غير زوجات الأنبياء وغير الصديقات خلاف قال الشيخ عبد الله بن سعيد وفى تحفة الجلساء أن (42/1) رؤيته تعالى يوم القيامة حاصلة لكل أحد بلا نزاع وأما فى الجنة فأجمع أهل السنة على أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة واختلف فى غيرهم قلت بل الراجح ثبوتها لعامة المؤمنين وقد جزم الحافظ ابن رجب بأن كل يوم عيد فى الدنيا يجتمع فيه المسلمون لزيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويوم الجمعة يدعى يوم المزيد فى الجنة ثم قال هذا حال العوام وأما الخواص كالأنبياء ففى كل يوم يروونه بكرة وعشيا اهـ ثم إن رؤيته تعالى على حقيقته التى حملت عليها آية لا تدركه الأبصار وقد ورد ثبوت الرؤية فى الآيات والأخبار والآثار قال تعالى وجوه يومئذ أى يوم القيامة ناضرة أى حسنه إلى ربها ناظرة أى مستغرقة فى جماله غافلة عما سواه وقال ؓ إذ نظر القمر ليلة البدر فقال أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته قال ابن الأثير والكاف للتشبيه فى الرؤية لا المرئى كما توهم والمعنى أنها رؤية يزاح عنها الشك مثل رؤيتكم القمر قال

الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي وهذا الحديث مشهور رواه أحد وعشرون من كبار الصحابة وفي حديث آخر هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤيتهما وورد إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه عدوة وعشيا وقال الشافعي ﷺ لما حجب قوما بالسخط أي بسبب المعاصي دل على أن قوما يرونه بالرضا أي بسبب الطاعة ولو لم أوقن أني أراه في الآخرة ما عبدته في الدنيا وأما رؤيته تعالى في الدنيا فلم تثبت إلا لنبينا ﷺ ليلة الإسراء والراجح أنها بعيني رأسه لما قال له ادن مني فأنا ربك فدنا فنظر عن يمينه فرأى ربه وعن يساره فرأى ربه وعن أمامه فرأى ربه وفوقه فرأى ربه وخلفه فرأى ربه قال الشيخ باقشير المكي وهذا قول ابن عباس وقدم على قول عائشة لأنه مثبت والمثبت مقدم على النافي وأيضا هو أعلم منها قال الشيخ عبد الله بن سعيد وأيضا فالسيدة عائشة احتجت بلا تدركه الأبصار وقد حمل على إدراك الإحاطة وابن عباس أثبتها بالسماع منه ﷺ فقال إلهي وسيدي أنت السلام فقال الله تعالى وعليك السلام ومن ادعاه غيره يقظة في الدنيا فهو ضال ياطباق المشايخ كما قاله صاحب التعرف قال الشيخ محمد طاهر سنبل وهو كتاب لم يصنف في التصوف مثله وقد صنف العلماء في ذلك كتباً ورسائل منهم أبو سعيد الخراز وأبو القاسم الجنيد وصرحوا بأن من قال ذلك لم يعرف الله الملك المتعال ورؤيته شيطانية كما رأى بعض السالكين الشيطان في طريق على عرش بين السماء والأرض فظنه ربه فسجد ثم حكى ذلك لجماعة من الشايخ فقالوا هو الشيطان لحديث إن للشيطان عرشا بين السماء والأرض يجلس عليه فجدد إيمانه وأعاد صلاته وقال بعض تلامذة سهل بن عبد الله له إني أرى كل ليلة ربي بعيني رأسي فقال إذا رأيته فابزق عليه ففعل فلم ير شيئا بعد ذلك ولذا قال بعضهم

ومـن قـال في الدنـيا يـراهِ	فـذلك زنديق طـغى
بعيـنه	وتـمـردا
وخـالف كـتب الله	وزاغ عـن الشـرع الشـريف
والرسـل كلـه	وأبعدا
وذـلـك مـمـن قـال فيـه	يـرى وجـهـه يـوم القيـامـة
إلـهـنـا	أسـودا

(43/1) فإن قيل كيف يظهر إبليس بصورته تعالى ولا يظهر بصورته ﷺ أجيب بأن كل عاقل يعلم أنه تعالى لا صورة له حتى يتشبه بها غيره بخلافه ﷺ قال الشيخ عبد الله بن سعيد وأما الشهود من جهة الإيقان بأسرار القلوب فقاطبة أهل التصوف وأئمة التعرف مجمعون عليه لأنه غاية الكرامة وهو ما يجدونه بأسرار قلوبهم من كشف وشهود لجمال قدسه ويعبرون عنه في مذهبهم بالرؤية لأنه رؤية بشهود الأسرار والأصح وقوع رؤيته تعالى مناما قال ﷺ خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمين ويجب على الراى أن يعلم أن المرئى أمر وارد منه تعالى وخلق من خلقه فليجر مجرى حديث ينزل ربنا وقد حكى عن كثير من السلف أنهم رأوه في المنام فعن أبي حنيفة أنه رآه تسعا وتسعين وقال لئن رأيته تمام المائة لأسألنه بم ينجو العباد يوم القيامة قال فرأيته فقلت يا رب عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك بم ينجو العباد يوم القيامة فقال ﷺ من قال بالغداة والعشي سبحان الأبدى سبحة الواحد الأحد سبحان الفرد الصمد سبحان من رفع السماء بغير عمد سبحان من بسط الأرض على ماء جمد سبحان من خلق الخلق وأحصاهم عددا سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحدا سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجا من عذابي وفي مجمع الأحباب إضافة سبحان للفظ الله في الأولى والثالثة والرابعة بلفظ سبحان الله رافع السماء قال المناوي والغداة والضحوة أول النهار والعشي ما بين الزوال إلى المغرب ونحو ذلك روى عن الإمام أحمد إلا أنه سألته عن أفضل ما يتقرب به إليه فقال له ﷺ تلاوة كلامي فقال بفهم وبغيره فقال سبحانه بفهم وبغير فهم قال سيدي على الخواص أي بغير فهم يتأتى معه الاستنباط للأحكام والأدلة وإلا فلا بد من أصل فهم صحيح لأنه ﷺ لا يتقرب إليه بالجهل قال الشيخ إبراهيم اللقاني وفيه نظر إذ القرآن متعبد بتلاوته فمجردها يترتب عليه الأجر كالطواف ووقوف عرفة ورمى الجمار ونقل عن ابن شريح أنه رأى قبل موته بثلاث ليال كأن القيامة قامت وإذا الجبار ﷺ يقول أين العلماء فجاءوا فقال ماذا عملتم فيما علمتم قالوا يا مولانا قصرنا وأسانا فأعاد السؤال كأنه لم يرض وأراد غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا قد غفرت لكم

(و) من ذلك **(أن تؤمن بملائكة الله)** وهم أجسام ذوات أرواح مركبة من العناصر الأربعة كبقية الحيوانات على المشهور لكن غلب عليهم الهواء مع النور فهم إليه أميل وعلى الجن هو مع النار والظلمة فهم إليها أميل وعمل الإنس التراب مع الكفاة فهم إليه أميل وقيل خلقت من النور فقط والجن من النار فقط والإنس من الماء فقط إلا آدم فمن التراب كما ورد عن عائشة ﷺ وأجسامهم لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال حسنة ليمتازوا عن الشياطين وتجري عليهم أحكامنا فلا يتكلمون إلا بما يليق بتلك الصور ومثلهم الجن لكن إذا قتلت صورة الجنى التي ظهر بها مات بخلاف الملائكة فإن صورتهم كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة

على غيرهم وشأنهم الطاعات ومسكنهم السموات غالباً لأنهم علوية وسفلية وهو رسل الله على أنبيائه وأمنائه على وحيه يسبحون الليل والنهار ﴿44/1﴾ لا يفترون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة ومنهم الموكل بالحجب والسموات والأرض والنار والتصوير في الرحم والبحار والسحاب وورد أنه ينزل مع كل قطرة ملك ومنهم حملة العرش ومنهم سياحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر ومنهم المبلغون الصلاة إليه ﷺ ممن صلى عليه ومنهم الحفظة لأبدان بنى آدم ولأعمالهم وغير ذلك وبالجملة فهم خدمة الملك كله وليس في العالم من أعلاه لأسفله شبر إلا وهو معمور بهم قال بعضهم ولذا نهى عن الاستقبال أو الاستدبار للقبلة بيول أو غائط إكراماً للمصلى منهم إليها قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقال ﷻ أطت السماء أي صوتت وحق لها أن تثط ما من موضع إلا وفيه ملك ساجد أو رাকع والمراد كثرتهم وإن لم يكن هناك أطيظ وورد أنه يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وأعلم أنه يكفي الإيمان بأن لله ملائكة إجمالاً نعم يجب تفصيلاً في عشرة جبريل ومعناه عبد الله وهو أفضل الملائكة وأمين الوحي وصاحب الشدة والقوة وورد أنه يحضر كل من مات من هذه الأمة وأنه نزل على آدم عشر مرات وعلى نوح خمسين وعلى إدريس أربعاً وعلى إبراهيم اثنين وأربعين وعلى موسى أربعمئة وعلى عيسى عشراً وعلى سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام أربعاً وعشرين ألف مرة وميكائيل ومعناه أيضاً عبد الله وهو الموكل بكيل الأمطار والبحار والأرزاق وتصوير الأجنة في الأرحام وإسرافيل وهو الموكل باللوح المحفوظ ونفخ الصور وعزرائيل وهو الموكل بقبض الروح ومنكر ونكير ورضوان خازن الجنة ومالك خازن النار وقيب وعتيد كاتب الأعمال لكل مكلف إنسياً كان أو جنياً لا يفارقاه إلا عند الغسل والجنابة وقضاء الحاجة وللصبي الممميز على الصحيح كاتب للحسنات يكتبها له ووليها ماجور أيضاً بأمره له بها وقيل الماجور الولي فقط وأما غير المميز فلا كاتب له وكذا الملائكة على الصحيح فيكتبان كل ما يصدر من المكلف من قول أو فعل أو اعتقاد سواء كان هما وهو ترجيح قصد الفعل فيكتب إذا كان بحسنة إلا بالسيئة أو عزمًا وهو الجزم بالفعل فيكتب مطلقاً أو تقريراً وهو عدم إنكاره على غيره فعل المعصية وإما مات قعداً عند قبره يسبحان ويحمدان الله تعالى ويهلان ويكتبان ذلك في صحيفته إن كان مؤمناً ويلعنانه إن كان كافراً إلى يوم القيامة فإذا قامت الساعة جعلاً صحيفته في عنقه ثم حضراً معه واحج سائق والآخر شهيد وحفظة بدن كل عبد عشرة بالليل وعشرة بالنهار لا يفارقونه أبداً (و) من ذلك أن تؤمن بأنبيائه تعالى و (رسله) عليهم الصلاة والسلام وبأنهم أفضل الخلق وأفضلهم نبيناً ﷺ فيجب على المكلف أن يعتقد أن لله أنبياء ورسلًا لا يعلم عددهم إلا هو لأنه اختلف في عدتهم فقليل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر وقليل غير ذلك والمختار عدم الجزم بحصرهم في عدد معين نعم يجب الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين كما أشار إليه بعضهم بقوله

ح-م على كل ذي التكليف	بأنبياء على التفصيل-يل-ق-د
مع-رفة	علم-وا
في تلك حج-تنا من-هم	من بعد عشر ويب-قى سبعة
ثمان-ية	وه-م
إدريس ه-ود شعيب صال-ح	ذو الكفل آدم بالمختار قد
ولذا	خت-ما

﴿45/1﴾ وفي السحيمي قال بعضهم يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ونسائه وخدمه أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بجمعهم ولا يظنوا أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد فقط فإن الإيمان بجميع الأنبياء ذكر اسمه في القرآن أو لم يذكر واجب (و) من ذلك أن تؤمن بجميع (كتبه) ﷻ التي أنزلها على رسله وجمالها مائة وأربعة خمسون لشيث وثلثون لإدريس وعشرة لآدم وعشرة لإبراهيم والتورة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود والفرقان لنبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وبأنه تعالى أنزلها بالفاظ دالة على كلامه القديم مخلوقة في اللوح المحفوظ بناء على أنها نزلت لفظاً ومعنى وقيل معنى فقط وعبر عنها الرسل بالفاظ من عندهم أو جبريل والراجح الأول ونزولها إما في ألواح كما في التوراة أو على لسان جبريل كما في القرآن وأن كل ما احتوت عليه حق وصدق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه وأن بعض أحكامها نسخها الله وبعضها لم ينسخ (و) من ذلك أن تؤمن (بالقدر) بفتح الدال وسكونها مصدر قدرت الشيء بتخفيف الدال إذا أحطت بمقداره أي بتقدير الله الأمور وإحاطته بها وهو عند الأشاعرة إيجاداً تعالى الأشياء على مقدار مخصوص في ذواتها وأحوالها بطبق ما سبق به العلم وعند الماتريدية تحديده تعالى في الأزل كل مخلوق بصفته التي يوجد عليها من حسن ونفع وضدهما وما يحويه من زمان ومكان وما يفعله من طاعة أو عصيان وغير ذلك فهو على الأول صفة فعل وعلى الثاني صفة ذات وقوله (خيره) وهو الطاعة (وشره) وهو المعصية بدلان من القدر فكلاهما بتقديره تعالى لكن الأدب أن لا ينسب الشر له كما في الحديث والشر ليس إليك والمراد أن فعل العبد ضد الخير يقال له معصية وشر وقبيح بالنظر لكونه له دخل فيه وظهر على يديه قال العلامة الأمير فائق فائق الفعل الحسن وغيره إنما هو من حيث ظهوره على يد الأغيار وأما بالنظر لإيجادته تعالى فلا يقال له ذلك بل هو حسن جميل قال سيدي علي وفا ﷻ ونفع به

سمع-ت الله فى سرى	□	أن-ا فى المل-ك وح-دى لا
يق-ول	□	أزول
وحى-ث الكل ع-نى لا	□	وقب-ح القب-ح من حي-ثى
قب-يح		جم-يل

ولذا قال الخضر فى تأويل خرق السفينة فأردت أن أعيبها وفى رواية وبالقدر حلوه ومرة أى ما تستطيه النفس كالغيث والخصب والسعة وما تكرهه كضد ذلك ولما كان الإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بالقضاء لم يتعرض له المصنف وهو لغة الحكم والبيان والصنع ومنه فقضاهن سبع سموات وأما اصطلاحاً فعرفه الأشاعرة بأنه إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال فهو صفة ذات والماتريدية بأنه فعله تعالى مع زيادة الإتقان وعن أنس □ أنه □ قال قال الله تعالى من لم يرض بقضائى وقدرى فليطلب ربا سواى وورد مرفوعا القدر سر الله فلا تفشوا سر الله □ والمعنى أن الله لم يطلع على حكمة إيجاد الأشياء وإعدامها إلا بعض خواصه لقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيجب عليهم كتمان ما أطلعهم عليه لأنه لو كشف لكل شخص عما يحصل له لم يصح تكليفه كما لا يصح عند كشف الغطاء يوم القيامة وللشافعى □

وم-ا شئ-ت كان وإن ل-م	□	وم-ا شئت إن لم تش-أ ل-م
أش-أ	□	يكن
{46/1} خلقت العباد على ما	□	على الع-لم يجرى الف-تى
أردت	□	والمسن
ع-لى ذا من-ت وه-ذا	□	وذا قد أعن-ت وذا ل-م
خ-ذلت	□	تع-ن
فمن-هم ش-قى ومن-هم	□	ومن-هم قبي-ح ومن-هم
سع-يد		حسن

والإيمان بهما يستدعى الرضا بهما فهو واجب ولا يرد أنه يلزم عليه الرضا بالمعاصى لأن الذنب مقضى لا قضاء والرضا إنما يجب بالقضاء بمعنى أنا نرضى بخلق الله المعصية ولا نعترض عليه ويجب علينا كراهتها من حيث كونها معصية قال الإمام الغزالى ونظيره ما إذا كان لك عدوان أحدهما عدو للآخر فإنك تكره موته من حيث أنه ساع فى هلاك عدوك وتفرح به من حيث أنه عدوك وقد قال تعالى لإبليس ما عرفتنى ولو عرفتنى لعلمت أنه لا اعتراض على شيء من أفعالى فإنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل وقد يطلق القضاء على المقضى كما فى حديث الله إني أعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء وهذا لا يجب الرضا به مطلقا بل إن كان واجبا وجب أو مندوبا ندب أو مباحا أبيع أو مكروها كره أو حراما حرم بخلافه بمعنى إرادة الله الأشياء {تنبيه} لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر على صدور ذنب إلا لدفع التعيير فمن وقع فى معصية عمدا فضى عليه بموجبها شرعا من حد أو تعزير أو غيره ولا يكون قوله قدر الله أو قضى على ذلك عذرا له وحجة روى أن عيسى □ كان يصلى على جبل فأتاه إبليس فقال أنت تزعم أن كل شيء بقضاء الله وقدره قال نعم قال فألق نفسك من الجبل فانظر أتعيش أم لا فقال له أما علمت أن الله تعالى قال لا يختبرنى عبدى فأنا أفعل ما شئت إن العبد لا يبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده قال طاوس فخصمه عيسى □ {و} من ذلك أن تؤمن بـ {أنه □ خاتم النبيين} بفتح التاء وكسرهما ويلزمه ختمه المرسلين بالأولى لأنه يلزم من ختم الأعم ختم الأخص فليس بعده نبى وأصل الخاتم اسم جنس للحلقة التى فيها فص من غيرها فإن لم يكن فيها ذلك سميت فتحة كقصة كما فى الصحاح واستعماله فى نبينا □ على سبيل التشبيه البليغ ووجه الشبه أنه □ محيط بالأنبياء أولا وآخرا كإحاطة الخاتم بالأصبع فلم يخرج أحد عن أمره فإن أريد به آلة الختم أى التى يختتم بها الشيء فتمنع ظهوره كان المعنى أنه متممهم ولا ينافى ذلك نزول عيسى بعد لأنه ينزل حاكما بشريعته □ ولا يضر كونه لا يقبل الجزية مع أنها فى شرعنا مقبولة لإخباره □ بأن ذلك مغيا بنزول عيسى □ فعدم القبول من شرعنا حينئذ {و} من ذلك أن تؤمن بأنه □ {سيد ولد آدم} □ أى أولاده كلهم {أجمعين} إذ هو مفرد مضاف والمراد بولد آدم النوع الإنسانى فيشمل آدم □ فاندفع ما قيل إن حديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر لا يدل على سيادته □ على آدم ودفعه بعضهم بأنه فى أولاد آدم من أفضل منه كإبراهيم وموسى وعيسى فيلزم أنه أفضل منه حينئذ على أن فى بعض الأخبار التصريح بذلك كحديث أنا سيد الناس يوم القيامة رواه البخارى ولا يرد أنه □ قال السيد الله لأنه محمول على السيادة المطلقة وقد علم أنه □ أفضل {47/1} الخلق على الإطلاق ويليهِ الأنبياء والمرسلون عليه وعليهم الصلاة والسلام ثم الصحابة □ وأفضلهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فبقية العشرة وهم طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد وعامر بن الجراح ولم يرد نص بتفاوت هؤلاء الستة فى الأفضلية ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة □ أجمعين والتابعين وتابعيهم على تفصيل فى ذلك للعلماء لا يحتمله هذا الكتاب وسيأتى ذكر شيء يسير من فضائلهم والحث على محبتهم واتباعهم آخر الكتاب إن شاء الله تعالى والله أعلم {خاتمة فى ذكر شيء من أخلاقه □} اعلم أنه □ كان يأكل ويلبس ما وجد ولا يتكلف تحصيل ما فقد

لاستغراقه في جلال الذات القدسية وعدم اكترائه بالهياكل الجسمانية وكان في بيته أشد حياء من العائق لا يسألهم طعاما ولا يشتهي عليهم شيئا إن أعطوه شيئا قبله وإلا صبر وربما قام لما أراده بنفسه قال العراقي فاكان يلبس ما وجده من قطن وكتان وصوف وشعر وحرير قبل تحريره وقميص وقباء وشملة وجبة وخميصة وبرد وأسود وأبيض وأحمر وأخضر وروى عن عائشة أنها أخرجت لبعض الصحابة كساء ملبدا وإزارا غليظا وقالت قبض رسول الله ﷺ في هذين قال المناوي في شرح السمائل أرادت أنهما مع ما فيهما من الخشونة والرثاثة كانا لباسه ﷺ بعد فتحه الفتوحات مع كمال سلطنته واستيلائه على أعدائه فلم يكثر يزخرقة الدنيا وفيه دلالة على أنه ينبغي للإنسان أن يجعل آخر عمره محلا لترك الزينة وأن يركن للعيش الخشن قال ابن العربي أصل اللباس أن يكون على حالة القصد في الجنس والقيمة لأنه إذا كان رفيعا وامتنهه صاحبه كان مسرفا أو صانه كان له عنده مقدار فعمد الصوفية للزوم لباس الصوف وتفاخر بعضهم فيه فخرج عن الطريق والسنة التي كان عليها ﷺ وفيه أيضا دلالة على ندب حفظ آثار الصالحين والتبرك بها من كساء وغيره فإن عائشة حفظت ذلك للتبرك به قد أثر عنه ﷺ رثاثة الملبس وتبعه السلف في ذلك لما رأوا تفاخر أهل اللهو بتعظيم ما حقر الله ورسوله والآن قست القلوب ونسيت ذلك المعنى فاتخذ الغافلون الرثاثة شبكة يصيدون بها الدنيا فانعكس الحال وتعينت مخالفتهم في ذلك ولذا قال الشاذلي لذي سمائل أنكر عليه هيتي تقول الحمد لله وهيتك تقول أعطوه وورد أنه ﷺ كان متواصل الإحزان وقد قال شيبتي هود وأخواتها أي لاشتمالها على بيان أحوال السعداء والأشقياء وأحوال القيامة وما يتعسر بل يتعذر غايته على غير النفوس القدسية وهو الأمر بالاستقامة وغير ذلك مما يوجب استيلاء سلطان الخوف لاسيما على أمته لعظم رأفته بهم ودوام تفكره فيما يصلحهم وفيما فعل بمن قبلهم مما يستلزم ضعف الحرارة الغريزية وبضعفها يسرع الشيب لكن لما كان عنده ﷺ ما يسليه من شرح صدره وتزاحم نور يقينه لم يسرع ذلك إلا في قدر يسير من شعره الشريف وكان يمزح ﷺ نادرا وما ورد في ذم المزاح إنما هو إذا كثر وأورث إيذاء أو وحشة وروى عنه ﷺ أنه قال لما قيل له إنك تداعينا أي تمازحنا نعم غير أني لا أقول إلا حقا قال ابن علان فمن حافظ على قول الحق وتجنب الكذب وأبقى المهابة والوقار فله المزاح ومن داوم ﴿48/1﴾ عليه أو أكثر منه أو اشتمل على نحو كذب أو أسقط المهابة فليس له ذلك لأنه حينئذ يورث كثرة الضحك وقسوة القلب والإعراض عن ذكر الله تعالى والتفكر في مهمات الدين بل كثيرا ما يورث إيذاء وحقدا وعداوة وجرأة من الصغير على الكبير وعليه يحمل النهي الوارد فما سلم عن ذلك بشرطه ندب وفاقا للمناوي وخلافا للعصام إذ الأصل في فعله ﷺ الوجوب أو الندب إلا لمانع ولا مانع هنا ودخل الشعبي في وليمة فوجد أهلها سكوتا فقال ما لكم كأنكم على جنازة أين الدف والغناء وقيل لسفيان بن عيينة المزاح محنة فقال بل سنة لمن يحسنه وكان ﷺ غالب قوته اليسير من التمر والشعير قالت عائشة ﷺ ما شبع آل محمد من خبز الشعير ثلاثة أيام متوالية ويأكله من غير أن ينخل إذ المنخل إنما حدث بعده وربما تادم بخل أو تمر كما ورد أنه ﷺ أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها ثمرة وقال هذه الثمرة إدام هذه الكسرة قال المناوي وهذا من أحسن تدبير الغذاء فإن الشعير بارد والتمر حار رطب على الأصح وعن عائشة أنه ﷺ قال نعم الإدام الخل وورد أنه ﷺ دخل على أم هانئ يوم الفتح وكان جائعا فقال لها عند طعام أكله فقالت إن عندي لكسرة يابسة وإني لأستحي أن أقدمها إليك فقال هلميها فكسرها في ماء وجاءته بملح فقال ما من إدام فقالت ما عندي إلا شيء من خل فقال هلميه فلما جاءته به صبه على طعامه فأكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الإدام الخل يا أم هانئ لا يقفر بيت فيه خل قال المناوي لأنه سهل الحصول قانع للصفراء نافع لأكثر الأبدان واستفيد منه مدح الاقتصار عليه ومنع الاسترسال في ملاذ الأطلعة قال ابن القيم وهذا لا يدل على أفضليته على غيره لأن سبب ذلك أنه ما وجد غيره فقال تطيبيا لقلب من قدمه وكان يحب اللحم ويقول إنه سيد طعام أهل الدنيا والآخرة والدباء فكان يتبعه في جوانب الصحفة ويحب أن ينقع له التمر والزبيب في الماء وأن يمزج له العسل بالماء أيضا وقال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وهو طعام يترد في مرق اللحم وقد تجعل فيه قطع لحم وكان لا يعيب شيئا من الطعام ويعظم النعمة أي يبجلها ظاهرة كانت أو باطنة دنيوية كانت أو أخروية وإن قلت وكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ويخدم أهله ويركب البعير والفرس والحمار والبغلة ويفلئ ثوبه ولا يلزم من التفلية إيذاء القمل له ﷺ ووجوده فيه مع أنه من عفونة البدن وهو ﷺ نور نقي من ذلك وعرقه أطيب من المسك فيحتمل أنها كانت للتعليم أو تفتيش ما في الثوب من نحو خرق وشوك وقيل كان فيه القمل لكن لا يؤذيه والله أعلم قال العلامة العراقي في وصف فراشه ﷺ

لي-ف-لا-يل-هي-يع-جب

زه-وه

بثنية-ين-عن-د-يع-ض

النس-وة

ما تحت-ه-شئ-س-وى

الس-رير

فراش-ه-م-ن-أدم

وحش-وه

وربم-ا-ن-ام-ع-لى

العب-اءة

وربم-ا-ن-ام-ع-لى

الحص-ير

وفيه دلالة على أن النوم على الفراش المحشو واتخاذة لا ينافي الزهد سواء كان حشوه ليفا أو غيره لأن العبرة

بالمألوف المباح نعم الأولى لمن غلبه الكسل أنه لا يبالغ في حشوه لأنه يجلب كثرة النوم والغفلة عن مهمات الخير

(49/1) وأما تواضعه ﷺ فبلغ النهاية فيه مع علو مرتبته وحسبك أنه خير بين كونه نبيا ملكا أو نبينا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وكان يردف خلفه إذا ركب ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب الدعوة يجلس بين أصحابه مختلطا بهم وخرج مرة على بعض أصحابه متوكئا بعضا فقاموا له فقال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد قال في الزواجر وهذا لا ينافي قول الإصحاب يستحب القيام لمن فيه علم أو صلاح أو شرف أو ولادة أو رحم أو ولاية مصحوبة بصيانة أو نحو ذلك لأنهم قيدوا ذلك بقولهم احتراما وإكراما لا رياء وتفخيما وهذا الذي نفوه هو الذي نهى عنه ﷺ بقوله كما تقوم الأعاجم إلخ ومن ثبت في نذب القيام بقيدة المذكور أحاديث صحيحة جمعها النووي ﷺ في جزء صفه في ذلك ردا على من أطلق إنكار ندبه قال الأذرعى بل يظهر وجوبه في هذا الزمان دفعا للعداوة والتقاطع كما أشار إليه ابن عبد السلام فيكون من باب دفع المفساد أم بمعناه وأما عدله وكرمه وشجاعته وعفوه واحتماله ورحمته وشفقته وسائر الخلق عن ضبطها بالحصص وأما معارفه وعلومه فقد أوتى علم الأولين والآخرين كما قال

فإن من جـودك الدينـيا ﷺ ومن علومك علم اللوح
وضرتهـا والقلـم

(فصل) في جملة من ألفاظ وأفعال ونيات **(يجب على كل)** مكلف ذكرنا كان أو أنثى حرا أو عبدا أن يصون نفسه عن الوقوع في شيء منها لأنها توقع في الكفر والخروج عن دين الإسلام وقد تقرّر أنه يجب على كل **(مسلم)** ومسلمة ولو جنيا **(حفظ إسلامه و)** هو **(صونه عما يفسده)** بأن يستمر فيه **(و)** لا يأتي بما **(يبطله و)** لا بما **(يقطعه)** من كل ما ينافيه مما يأتي بيانه سواء كان دينه المتدين به عاما كشرع نبينا ﷺ أو خاصا كشرع عيسى ﷺ قبل نسخه **(وهو)** أي ما يقطع الإسلام ويبطله ويفسده **(الردة)** أعاذنا الله منها وهي لغة الرجوع وقد تطلق على الامتناع من الحق كمانعي الزكاة في زمن الصديق ﷺ وشرعا قطع من يصح طلاقه ودوام الإسلام **(والعياذ)** أي التحصن **(بالله)** سبحانه و **(تعالى)** منها ولذا كانت أفحش أنواع الكفر وأغلظها حكما وإنما تحبط العمل عندنا إن اتصلت بالموت فلا تجب إعادة عبادته قبل الردة وقال أبو حنيفة ﷺ تجب أما إحباط ثواب الأعمال بمجرد الردة فمحل وفاق كما أوضحه في التحفة قال وزعم الإمام عدم إحباطها للعمل وإن مات كافرا بمعنى أنه لا يعاقب عليه في الآخرة غريب بل الصواب إحباطه وإن فعل حال الإسلام لأن شرطه موت الفاعل مسلما وإلا صار كأنه لم يفعل فيعاقب عليه فلا تباح ظاهرا ولا باطنا نعم عند الإكراه تباح في الظاهر ولكنها لا تباح شرع قتال الكفار المحاربين والمرتدين وغيرهم كالزنادقة وهذه إحدى الكليات الخمس والثانية حفظ النفس فلا يباح قتلها وقطع أطرافها بغير حق ولذا شرع القصاص والثالثة حفظ المال فلا يباح تملكه شرعا ولو قل في ملة من الملل بغير حق كسرقة ولذا شرع حد نحو السرقة والرابعة حفظ النسب فلا يباح الزنا ولذا شرع حده والخامسة حفظ العقل والعرض فلا يباح إفساده بنحو خمر وأفيون ولا تمزيق العرض بقذف ولذا شرع حد الشرب والقذف وسيأتي كل ذلك إن شاء الله تعالى **(وقد كثر)** **(50/1)** جدا **(في هذا الزمان التساهل في الكلام)** القبيح خصوصا في الأماكن الفاضلة كمكة والمدينة **(حتى إنه)** أي الحال والشأن صار **(يخرج من بعضهم)** أي المسلمين العوام وغيرهم حتى المتوسمين بالعلم **(الفاظ)** تجرى على ألسنتهم وأفعال واعتقادات تصدر منهم و **(تخرجهم)** أي تلك الألفاظ والأفعال والاعتقادات **(عن)** دائرة **(الإسلام)** وتدخلهم في دائرة الكفر وهم لا يشعرون بذلك **(ولا يرون)** أي لا يظنون أنهم خرجوا عنه بل ولا يعدون **(ذلك)** الصادر منهم **(ذنبا)** صغيرا **(فضلا عن كونه)** كبيرا أو **(كفرا)** وما ذاك إلا لفرط الجهل وعدم إنكار المنكرات التي شاعت وفشت في جميع الجهات اللهم إنا نسألك الثبات على الإسلام والتنبه لتلك الخصال بمنك وكرمك

(تنبيهان: الأول) قال سم في الآيات البيّنات شرط لفظ فضلا أن تتوسط بين معنيين يكون أدناهما مقدما عليها تنبيها بنفيه على نفى الأعلى وقال العلامة العدوي تقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعمالها بعد النفي كما في المصباح وهي منصوبة على المصدرية والتقدير فضل أي زاد الثاني فضلا أي زيادة في نفى الرؤية مثلا كما هنا الثاني قال في الزواجر اعلم أنه يجري على السنة العامة جملة من أنواع الكفر من غير أن يعلموا أنها كذلك فلنبين لهم ذلك لعلمهم يجتنّبونه إذا علموه لئلا تحبط أعمالهم ويخلدون في أعظم العذاب وأشد العقاب ومعرفة ذلك أمر مهم جد ٢ فإن من ارتكب مكفرا حبطت جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ومع ذلك قد توسع أصحابه في المكفرات وعدّوا منها جملا مستكثرة جدا وبالغوا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب هذا مع قولهم بأن الردة تحبط الأعمال وبأن من ارتدّ بانت منه زوجته وحرمت عليه فمع هذا التشديد العظيم بالغوا في الاتساع في المكفرات فتعين على كل ذي مسكة في دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه ولا يقع فيه فيحبط عمله ويلزمه قضاؤه وتبيين زوجته عند هؤلاء الأئمة بل عند الشافعي ﷺ أن الردة وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط والاكثرون وإن لم يقلدوهم لكن الاستبراء للدين والنفس المأمور به يوجب الاحتياط

ومراعاة الخلاف ما أمكن سيما في مثل هذا الباب الضيق الشديد الجرج في الدنيا والآخرة بل لا أشد منه أم وقد استوفى جميع ما قالوه من المعتمد وغيره في الأعلام ومن أراد الإحاطة بجميع تلك الفروع فعليه بالكتاب المذكور ومن ثم قال المصنف (والردّة) كما علم مما مرّ (ثلاثة أقسام) القسم الأول (اعتقادات و) الثاني (أفعال و) الثالث (أقوال وكل قسم) من هذه الثلاثة (يتشعب) أي ينجزا ويتفرع (شعبا) بضم أوله أي أجزاء وفروعا (كثيرة) جدا ثم فصل كل واحد منها مقدما للاعتقادات لأنها بمعنى العزم وهو الأصل للقول والفعل فقال (فمن الأوّل) وهو الاعتقادات (الشك في) وجود ذات (الله) ووحدته والإيمان به ونحو ذلك والشكوك كثيرة وكلها من الشيطان وسيأتي الكلام عليها آخر الكتاب إن شاء الله (أو) لم يشك في وجوده تعالى ولكن شك (في) رسالة (رسوله) محمد ﷺ أو نبوته ومثله غيره من الأنبياء أو المرسلين المجمع عليهم لا كالخضر وخالد بن سنان كما في الزواجر (أو) لم يشك في ذلك ولكن شك في شيء من (القرآن) المجمع عليه ولو آية كالمعوذتين كما في (51/1) الزواجر أي شك في وجوده أو أنه منزل عليه من عنده تعالى لأن فيه تكديبا له ﷺ ومثله الكتب المجمع عليها كالتوراة والإنجيل وزبور داود وصحف إبراهيم كما في الزواجر (أو) شك في (اليوم الآخر) أي يوم القيامة وأوله من الموت لحديث من مات فقد قامت قيامته وعليه فمدة البرزخ منه وقيل من الحشر وعليه فهي ليست منه إلى ما لا نهاية وقيل نهايته دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار سمي بذلك لأنه آخر الأيام أو لأنه لا ليل بعده قال في الإعلاك والكفر بإنكار يوم القيامة واضح كالکفر بإنكار حشر الأجساد وأما إنكار الصراط والميزان ونحوهما مما تقول المعتزلة قبحهم الله تعالى بإنكاره فإنه لا كفر به إذ المذهب الصحيح أنهم وسائر المبتدعة لا يكفرون (أو) في وجود (الجنة) في الآخرة (أو) في وجود (النار) كذلك أما لو شك في وجودهما الآن أو أنكره ك بعض المعتزلة فقل إنه لا يكفر لإقراره بهما وإن كانت النصوص دالة على بطلان ما قاله كما هو مبين في الأصول قال في الإعلاك وإنكار الجنة والنار الآن لا كفر به لأن المعتزلة قبحهم الله تعالى ينكرونهما الآن وأما إنكار وجودهما يوم القيامة فالكفر به ظاهر لأنه تكذيب للنصوص المتواترة القطعية (أو) شك في حصول (الثواب) للمطيع (والعقاب) للكافر وبعض العصاة قال في الإعلاك وفي إطلاق كون الشك في وعده تعالى أو وعيده كفرا نظر إلا إن جوز شرعا دخول كافر الجنة أو تخليد مسلم مطيع في النار (أو) شك في (نحو ذلك) أي المتقدم ذكره (من) كل (ما هو مجمع عليه) من مسائل الدين الضرورية قال في الزواجر أو تكفير أي أو شك في تكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة أو في مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام أو في صفة الحج أو هيئته المعروفة وكذا الصلاة والصوم أو في حكم مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كتحريم المكس ومشروعية السنن كصلاة العيد أم.

(تنبيه) نقل في الإعلاك عن ابن دقيق العيد أنه قال مسائل الإجماع إن صحبها التواتر كالصلاة كفر منكرها لمخالفته له لا للإجماع وإلا فلا بخلاف من أنكر الإجماع أو شك فيه من أصله أو في حجيته الو المجمع عليه غير الضروري فإنه لا يكفر فالمدار إنما هو على إنكار الضروري المستلزم لإنكار الإجماع (أو) لم يشك في شيء مما مرّ ولكن (اعتقد فقد) أي عدم ثبوت أصل (صفة من صفات الله) سبحانه و (تعالى) الذاتية القديمة العبودية (الواجبة له) (إجماعا) أي بالإجماع الذي هو في الأصل العزم قال تعالى فأجمعوا أمركم ثم شاع في الاتفاق من الجمع حقيقة في المحبوس مجازا في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الأمة وهو نوعان عام كإجماع الأمة على الصلاة وعدد ركعاتها مما يعرفه العام والخاص وإنكار هذا كفر إلا أن يكون المنكر قريب عهد بالإسلام وخاص وهو ما يعرفه العلماء فقط كحرمة الجمع بين المرأة وعمتها كما قاله الشهاب الخفاجي وذلك (كالعلم والقدرة) أي كان يعتقد نفى أصل علمه تعالى مطلقا أو بالجزئيات هذا إذا كان متعمدا أما الجاهل فقليل لا يكفر قال الأشعري لأنه لم يعتقد اعتقادا يقطع بصوابه فهو معذور وقيل يكفر وليس الجاهل عذرا وأما من لا ينكر أصل الصفة كالمعتزلة وبعض الفلاسفة القائلين بنفى الصفة القائمة بالذات وإثبات الوصف فيقولون عالم بلا صفة علم زائدة على ذاته بل بذاته قالوا لأن تعدد القديم ممتنع مع أن الممتنع إنما هو (52/1) تعدد ذوات قديمة فبعضهم كفرهم وهو مبنى على أن لازم المذهب مذهب لأنه يلزمهم أنه إذا انتفى العلم انتفى الوصف به إذا عالم هو من قام به العلم والصحيح أن لازم المذهب ليس بمذهب وعليه فلا يكفرون بذلك كما في الشفاء وشرحه للشهاب (أو) لم يعتقد ذلك ولكنه (أثبت له) (صفة) من الصفات التي (يجب) على المكلف (تنزيهه) أي تطهيره وتقديسه (عنها إجماعا) أي بالإجماع وذلك كالجسم واللون أو الاتصال بالعالم أو الانفصال عنه فمدعى الجسمية أو الجهة إن زعم واحدا من هذه كفر وإلا فلا لأن الأصح أن لازم المذهب ليس بمذهب كما مرّ قال في التحفة ونوزع فيه بما لا يجدى وظاهر كلامهم هنا الاكتفاء بالإجماع وإن لم يعلم من الدين بالضرورة ويمكن توجيهه بأن المجمع عليه هنا لا يكون إلا ضروريا وفيه نظر والوجه أنه لا بد من التقييد به هنا أيضا ومن ثم قيل أخذا من حديث الجارية يغتفر نحو التجسيم للعوام لأنهم مع ذلك في غاية من اعتقاد التنزيه والكمال المطلق أم وقال في الزواجر أو يعتقد إثبات ما هو منفي عنه بالإجماع كاللون أو أنه متصل بالعالم أو خارج عنه على ما فيه من نزاع وتفصيل حاصله أن النقص إما أن يعتقد اتصافه تعالى به صريحا أو لازما فالأول كفر إجماعا والثاني كذلك على خلاف فيه الأصح منه عندنا عدم الكفر فعلم أن نحو المجسم أو الجهوى لا يكفر بما يلزم مقالته من النقص إلا إن اعتقده أو صرح به أم.

{أو}- لم يعتقد ذلك ولكنه {حل محرم بالإجماع}- ولو صغيرة إن كان تحريمه {معلوما}- أى واضحاً {من الدين بالضرورة}- أى لا يحتاج إلى الاستدلال فتستوي فيه العامة والخاصة ولا يكون إلا مجمعا عليه وكان {مما لا يخفى}- تحريمه {عليه}- واعتقد إباحته بخلاف ما إذا قال لحرام هذا حلال ولم يعتقد إباحته وذلك {كالزنا}- وشرب الخمر والمكس {واللواط}- قال الأعلام ولو فى مملوكه وإن كان أبو حنيفة لا يرى الحد به لأن مأخذ الحرمة عنده غير مأخذ الحد وفى السحيمى ولو فى مملوكه خلافاً لأبى حنيفة فى قوله إنه لا يكفر ويحرم عليه وما تفسير الرازى من إباحة دبر المملوك دسه عليه بعض الملحة فاللائق ممن اطلع عليه محوه قال فى البحر حرمة اللواط أشد من الزنا وسيأتى الكلام عليهما إن شاء الله تعالى {و}- كالصلاة بغير وضوء بخلافها مع نجاسة للخلاف فيها وإيذاء مسلم أو ذمى بلا مسوغ شرعى بالنسبة لاعتقاده كما فى الزواج ونحو {القتل}- للمحترم بغير حق {والسرقة}- وهى أخذ مال الغير خفية {والغصب}- وهو أخذه بالاستيلاء والقهر وسيأتى حكمها إن شاء الله تعالى قال فى التحفة وسبب التكفير بهذا كالاتى سواء فى ذلك ما فيه نص وما لا نص فيه أن إنكار ما ثبت ضرورة أنه من دين سيدنا محمد ﷺ فيه تكذيب له {أو}- لم يحل حراماً ولكنه {حرم حالاً كذلك}- أى بالإجماع معلوما حله من الدين بالضرورة وإن كره كما فى التحفة وذلك {كالبيع}- والشراء {والتكاح أو}- لم يحرم ذلك ولكنه {نفى وجوب مجمع عليه}- أى على وجوبه {كذلك}- أى بالإجماع معلوما وجوبه بالضرورة {كالصلوات الخمس}- المكتوبة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح {أو}- نحو ركوع أو {سجدة منها}- أى من الخمس {و}- كذا نحو {الزكاة والصوم والحج والوضوء}- لنحو الصلاة من كل ما يتوقف صحته عليه {أو}- عكس كان {أوجب ما لم يجب إجماعاً كذلك}- أى معلوما من الدين بالضرورة كصلاة سادسة اعتقد وجوبها كالخمس فلا يرد الوتر عند أبى حنيفة {53/1} كما فى السحيمى {أو نفى مشروعية مجمع عليه}- يعنى على مشروعيتها إجماعاً {كذلك}- أى معلوما من الدين بالضرورة {كالرواتب}- للصلوات المكتوبة وكالعيد كما صرح به البغوى قاله فى التحفة أما ما لا يعرفه إلا الخواص كاستحقاق بنت الابن السدس مع بنت الصلب وحرمة نكاح المعتدة للغير وما لمنكره ومثبته تأويل غير قطعى البطلان أو بعد عن الناس بحيث يخفى عليه فلا كفر بحده لأنه ليس فيه تكذيب ونوزع فى نكاح المعتدة بشهرته ويوجب بمنع ضرورته إذ المراد بها ما يشترك فى معرفته العام والخاص وهو ليس كذلك إلا فى بعض أقسامه وهو غير مؤثر

{تنبيهات: الأول}- من أفراد قولنا أو لمثبته إلخ إيمان فرعون الذى زعمه قوم فإنه لا قطع على عدمه بل ظاهر الآية وجوده وحينئذ فلا يكفر القائل بإيمانه خلافاً لمن قال إنه يكفر لأننا وإن اعتقدنا بطلانه لكنه غير ضرورى وإن فرض أنه مجمع عليه بناء على أنه لا عبرة بخلاف ذلك القائل الثانى ينبغى للمفتى الاحتياط فى التكفير ما أمكنه لعظم خطره وغلبة عدم قصده سيما من العوام وما زال أئمتنا على ذلك قديماً وحديثاً بخلاف أئمة الحنفية فتوسعوا فى التكفير بكثير مما يقبل التأويل بل مع تبادره منه قال الزركشى والمتورعون من متأخريهم ينكرون أكثر ذلك ويخالفونهم ويقولون لا يجوز تقليد هؤلاء لأنهم غير معروفين بالاجتهاد ولم يخرجوها على أصل أبى حنيفة لأنه خلاف عقيدته إذ منها أن معنا أصلاً محققاً هو الإيمان فلا نرفعه إلا بيقين فليتنبه لهذا وليحذر من يبادر إلى التكفير فى هذه المسائل منا ومنهم فيخاف عليه الكفر لأنه كفر مسلماً قال بعض المحققين منا ومنهم وهو كلام نفيس وقد أفتى أبو زرعة فيمن قيل له زنى فى الله فقال هجرتك لألف الله بأنه لا يكفر إن أراد الألف سبب أو هجرة لله وإن لم يكن ظاهراً من اللفظ حقناً للدم ما أمكن نعم يؤدب على إطلاقه لشناعة ظاهره الثالث قال الغزالى من زعم أن له مع الله حالاً أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو شرب الخمر وجب قتله وإن كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر أم ولا نظر فى خلوده لأنه مرتد لاستحلاله ما علم وجوبه أو نفيه ما علم تحريمه ضرورة ولذا جزم فى الأنوار بخلوده {أو}- لم يصدر منه شيء من ذلك ولكنه {عزم على الكفر فى المستقبل}- ولو فى زمن بعيد أى كالسنة الآتية فيكفر حالاً لأن الإيمان لا يكون إلا مؤبداً لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى داوموا على الإيمان ولأنه رضى كفر نفسه ورضا الإنسان بكفر نفسه كفر قطعاً كغيره استحساناً للكفر أو علقه بلسانه أو قلبه على شيء ولو محالاً عقلاً قال فى الأعلام فيما يظهر فيكون ذلك كفراً فى الحال كما نقله الشيخان عن التهمة وجزم به البغوى وغيره كالحليمى وصححه الرويانى وقول الشافعى ﷺ فى الأم كل ما لم يحرك به لسانه فهو حديث النفس الموضوع عن بنى آدم لا يخالفه خلافاً لمن وهم فيه لأنه محمول على خاطر الذى لا يستقر كما حمل الأئمة الحديث عليه وأطال فى ذلك ثم قال ونقل الإمام عن الأصوليين أن من نطق بكلمة الردة وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهراً وباطناً وأقرهم على ذلك فتأمله ينفعك فى كثير من المسائل وكان معنى قصده التورية أنه اعتقد مدلول ذلك اللفظ وقصد أن يورى على السامع وإلا فالحكم بالكفر باطنياً فيه نظر وفى التحفة ونقل الإمام عن الأصوليين أن إضمار التورية أى فيما لا يحتملها كما هو ظاهر لا يفيد الكفر باطنياً أيضاً لحصول التهاون منه {54/1} وبه فارق قبوله فى نحو الطلاق باطنياً {أو}- لم يعزم على الكفر نفسه ولكن عزم {على فعل شيء من}- جميع {ما ذكر}- كأن يعزم على الشك فى الله والعياذ بـ الله تعالى أو فى رسوله أو القرآن قال فى الإعلاك ومن ذلك أى مما يكفر اعتقاد ما يوجب الكفر وإن لم يظهر بقول أو فعل

{تنبيه}- ذكر مسألة العزم ليبين أنه المراد من النية فى كلامهم لأنها قصد الشيء مقترناً بفعله وهو غير شرط

هنا كما في التحفة (أو) لم يعزم على ذلك ولكن (ترد فيه) أي في فعل شيء مما ذكر أي فعله أو لا فيكفر حالا لمنافاته الإسلام كما في التحفة (لا) إن حصلت له (وسوسة) فتردد في الإيمان أو الصانع أو تعرض بقلبه لنقص أو سب وهو كاره لذل كراهة شديدة ولم يقدر على دفعه فإنه لا يكون عليه شيء وإلا أثم وذلك لأنها لا تستقر فهي من الخاطر لا الاعتقاد فيستعين على دفعها بالله إذ هي من الشيطان كما في الإعلاك (أو) لم يفعل ذلك ولكن (أنكر صحبة سيدنا أبي بكر) الصديق واسمه عبد الله واسم أبيه أبو قحافة (أو) وكرم وجهه كما نص عليه الشافعي وغيره لمخالفته لقوله إذ يقول لصاحبه لا تحزن وصريح كلامهم أن إنكار صحبة غير أبي بكر لا يكون كفرا واختار بعضهم أن إنكار صحبة غيره المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر ويجب أن شرط إنكار المجمع عليه الضروري أن يرجع لتكذيب أمر يتعلق بالشرع كما في إنكار مكة بخلاف ما يتعلق به وإنكار صحبة أبي بكر فيها تكذيب القرآن بخلاف إنكار صحبة غيره فإنه لا يتعلق به ذلك قال في الكافي ولو قذف عائشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من الزوجات لأن القرآن العظيم نزل ببراءتها (أو) أنكر (رسالة) أو نبوة (واحد) معين (من الرسل) أو الأنبياء المنصوص عليهم في القرآن العظيم بذكر اسمه صريحا كما قاله الشهاب الخافجي أو من (المجمع على رسالته) أو نبوته بالإجماع القاطع أو بالخبر المشتهر المتفق عليه ممن يعتد به من رواية الحديث وعلماء الدين الذي لا يقبل الكذب أو أنكر واحدا من الملائكة المجمع عليهم كجبريل وميكائيل وهما من رسل الملائكة ومالك ورضوان وحملة العرش والزبانية وغيرهم بخلاف من لم يثبت تعيينه باسمه كذلك كالخضر ولقمان الحكيم لا ابن عاد وكان أسود وليس بعبد وقيل عبد حبشي أو نوبى وقيل كان نبيا خياطا والأكبر على خلافه ونرى القرنين كان في زمن الخليل سمى بذلك لأن قومه ضربوه على قرني رأسه وقيل غير ذلك والأكبر على أنه رجل صالح على دين الخليل وقيل من الملائكة وكمرهم بنت عمران والمشهور أنها صديقة لأن النبی لا يكون إلا رجلا ورجح القرطبي نبوتها قال والذكورة لا تشترط في النبي بل في الرسول وأسيرة امرأة فرعون والصحيح أنها مؤمنة صالحة وخالد بن سنان وقصته مشهورة (أو جحد) أي أنكر بغيا وعنادا سورة أو آية أو (حرفا مجمعا عليه) أنه (من القرآن) العظيم كالمعذنتين بخلاف البسملة كما في الإعلاك قال في التحفة أو صفة من وجوه الأداء المجمع عليها وإنكار المصحف بمعنى القرآن كفر إجماعا بخلاف إنكار صحف الأعمال كما في الإعلاك (أو) لم ينكر شيئا منه ولكن (زاد حرفا فيه مجمعا على نفيه) منه لكن لا مطلقا بل إن زاده (معتقدا أنه منه) فخرجت الزيادة والنقص الواقعة في القرآن من حروف وكلمات بل وآيات كالبسملة في الفاتحة فإنها ليست من القارئ إذ ما بين دفتي (55/1) المصحف متواتر من أول الحمد إلى قل أعوذ برب الناس ومثله من جحد التوراة والإنجيل وجميع الكتب المنزلة كما في الشفاء قال في الإعلاك ومنها إلقاء المصحف في القاذورات بغير عذر ولا قرينة على عدم الاستهزاء وإن ضعفت والمراد بها النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر أيضا كما صرح به بعضهم قال الروياني والمصحف في ذلك أوراق العلوم الشرعية ويؤيده ما يأتي فيمن قال قصعة تريد خير من العلم وكتب الحديث وكل ورقة فيها اسم من أسمائه تعالى أولى بذلك في كون إلقائه في القذر كفرا وهل مراد الروياني بالعلوم الشرعية الحديث والتفسير والفقه وآلاتها كالنحو وغيره وإن لم يكن فيها آثار السلف أو يختص بالحديث والتفسير والفقه الظاهر الإطلاق وإن كان بعيدا المدرك في ورقة من كتاب نحو مثلا ليس فيها اسم معظم والمراد بالمصحف ونحوه كل ورقة فيها شيء من القرآن أو الحديث أو نحوهما سواء كتب فيها القرآن للدراسة أم لا وإلقاء المصحف ونحوه في القاذورات تلطيح الكعبة وغيرها من المساجد بنجس ولو قيل إن تلطيح الكعبة بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد إلا أن كلامهم ربما ياباهم باختصار (أو كذب رسولا) أو نبيا من الرسل أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما أتى به أو نسب إليه تعمد الكذب قال في الإعلاك وقضية قولهم أو تكذيب نبي أنه لا فرق بين تكذيبه في أمر ديني أو غيره وهو ما صرح به العراقي وهو الأوجه لأن تكذيبه ولو في أمر دنيوي صريح في عدم عصمته من الكذب وفي إلحاق النقص به وكلاهما كفر ولا ينافي ذلك ما وقع من بعض الأعراب مما يقرب من ذلك لأنهم كانوا معذورين بقرب إسلامهم قال في التحفة وخرج تكذيبه كذبه عليه وقول الجويني أنه على نبينا كافر بالغ ولده إمام الحرمين في تزييفه وأنه زلة (أو نقصه) بالتخفيف على الأفصح أي أتى بما يعد نقصا في نفس رسول أو نبي من الرسل أو الأنبياء المجمع عليهم خلقا وخلقا أو في نسبه كأن يقول إنه ليس من قریش أو في دينه أو في صفة من صفاته (أو) حقر شأن أحد منهم كأن (صغر اسمه) أو صفة من صفاته إذا كان (يقصد تحقيره) لأنه سب له (أو) لم يكذب أحدا منهم ولكن (جو) رسالة أو (نبوة أحد) من الخلق (بعد) وجود (نبينا محمد) كالجبرية القائلين بتواتر الرسل وإنها لا تنقطع فيقولون يحدث في كل زمن رسول يوحى إليه وزعموا أن النبوة تدرك بالرياضة وتصفية الباطن وترك الشهوات وأن النور القدسي انتقل من آدم إلى الأنبياء حتى وصل إلى سيدنا محمد ثم انتقل إلى علي ثم إلى أولاده وتم فيهم قبهم الله تعالى قال في التحفة وعيسى نبي من قبله فلا يرد ومثلهم من جواز الرسالة أو النبوة لأحد في زمنه كمسيلمة والأسود العنسي أو ادعى مشاركة علي له كأكبر الرافضة وكذا يكفر من ادعى النبوة أو تمنّاها لنفسه بعده أو معه واستظهر ابن حجر كفر كل من طلب من مدعيها معجزة لأنه بطله مجوز صدقه مع استحالاته المعلومة بالضرورة نعم إن قصد بذلك تسفيهه أو تكذيبه فلا كفر به

{والقسم الثاني الأفعال}- وهى كل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر حقيقة لكونه من جنس أفعالهم وإن كان فاعله مصرحا بالإسلام حقيقة أو حكما بشهادة ظاهر حاله إن صدر عن تعمد أو استهزاء بالدين صريح كما فى الإعلاك وذلك {كسجود لصنم}- أى وثن وهو ما يتخذ {56/1}- إلهًا يعبد وقيل الصنم المجسم والوثن الصورة كما فى الخفاجى {أو}- لنحو {شمس}- أو قمر {أو مخلوق آخر}- بفتح أوله حيوانا كان أو غيره كالصليب والنار قال فى التحفة لأنه أثبت لله تعالى شريكا وزعم الجوينى أن الفعل بمجرد لا يكون كفرا رده ولده نعم إن دلت قرينة قوية على عدم دلالة الفعل على الاستخفاف كأن كان الإلقاء أى لنحو مصحف بقانورة لخشية أخذ كافر له والسجود أى لنحو صنم من أسير فى دار الحرب بحضرتهم فلا كفر وخرج بالسجود الركوع لأن صورته تقع فى العادة للمخلوق كثيرا بخلاف السجود نعم يظهر أن محل الفرق بينهما عند الإطلاق بخلاف ما لو قصد تعظيم مخلوق بالركوع كتعظيم الله به فإنه لا شك فى كفره حينئذ قال فى الإعلاك وسواء كان السجود فى دار الحرب أم فى دار الإسلام بشرط أن لا تقوم قرينة على عدم استهزائه أو عذره وما فى الحلية عن القاضى عن النص أن المسلم لو سجد لصنم فى دار الحرب لم يحكم برده ضعيف وواضح أن الكلام فى المختار وإنما لم يكفر بالسجود للوالد والعالم على جهة التعظيم لأن الوالد ورد الشرع بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له كما فى قوله تعالى وخروا له سجدا بناء على أن المراد ظاهره ومشى عليه جمع وقالوا إنه شرع من قبلنا وقال آخرون إن المراد به الانحناء وعلى كل فقد ثبت هذا الجنس للوالد فكان شبهة دائرة لكفر فاعله بخلافه لنحو صنم فإنه لم يرد هو ولا ما يشابهه فى شريعة من الشرائع ولا نظر لقصد التقرب فيما لم يرد الشرع بتعظيمه فاندفع الاستشكال العز ابن عبد السلام الفرق بين السجود للصنم والسجود للوالد على جهة التعظيم وفى المواقف وشرحها أن من صدق بما جاء به النبى ﷺ وسجد للشمس غير مؤمن بالإجماع لأنه يدل بظاهره على أنه غير مصدق ونحن نحكم بالظاهر فإن علم أنه لم يسجد لها تعظيما بل وقلبه مطمئن بالتصديق لم يحكم بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وإن أجرى عليه حكم الكفر ظاهرا اهـ ثم ما تقرر من كون العالم كالوالد هو ما دل عليه كلام الروضة آخر سجود السهو وعبارتها وسواء فى هذا الخلاف وفى تحريم السجود ما يفعل بعد صلاة وغيرها وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة الظالمين من السجود لله أو غفل وفى بعض صورة ما يقتضى الكفر أعاذنا الله تعالى عن ذلك اهـ فأفهم أنه قد يكون حينئذ كفرا بأن قصد به عبادة أو التقرب إليه وقد يكون حراما بأن قصد به تعظيمه أو أطلق وكذا يقال فى الوالد ولا يقال لم ينقل صورة السجود للعالم حتى يكون كالوالد لأننا نقول ورد لجنسهم السجود فى قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إذ هو العالم الأكبر فكان شبهه وإن كان المراد به فى الآية الانحناء عند جماعة وأن آدم لم يكن هو المسجود له وإنما هو قبلة لسجودهم كالكعبة قبلة لصلواتنا اهـ باختصار

{والقسم الثالث الأقوال وهى كثيرة جدا لا}- تكاد {تنحصر}- فى عدد {منها أن يقول}- مسلم {لمسلم}- آخر {يا كافر}- بلا تأويل مع قصده أن دينه المتلبس به وهو الإسلام كفر {أو يا يهودى أو يا نصرانى}- كذلك فيكفر حينئذ بلا نزاع لأنه سمي الإسلام كفرا أو يهودية أو نصرانية فإن أول قال أردت كفران النعمة مثلا كان حراما إجماعا فإن اعتقد الحل ابنى على الخلاف فى مستحل الحرام المجمع عليه فإن قلنا باشتراط كونه معلوما من الدين بالضرورة {57/1}- احتمل أن نقول بالكفر هنا وندعى أن حرمة ذلك معلومة من الدين بالضرورة لأن كل أحد لا يجهل تحريم إيذاء المسلم سيما بهذا اللفظ القبيح وإن قلنا بعدم اشتراط ذلك فالكفر بهذا اللفظ واضح وإن قال لم أقصد أن دينه المتلبس به ذلك اتجه ما أفاده فى شرح مسلم من أنه إن استحل ذلك أى الإيذاء بما ذكر كفر وإلا فلا كما قاله فى الإعلاك {أو}- قال لمسلم {يا عديم الدين}- إن أراد أن ما هو عليه من الدين لا يسمى ديناً فإن أراد أنه لا دين فى المعاملات مثلا فلا يكفر ولكن يعزز التعزيز الشديد اللائق به فإن لم يرد شيئا فإن اعتقد حل ذلك كفر إن لم يخف عليه على ما مر وإن لم يستحله أو لم يخف عليه عز كما قاله فى الإعلاك وهذه المسئلة هى الحاملة للعلامة ابن حجر على تأليفه الأعلام فى قصة ذكرها فى أوله وبما تقرر علم أن قائل ذلك لا يكفر إلا إن كان {مريدا}- أى قاصدا بقوله يا كافر {أن الذى عليه المخاطب}- بفتح الطاء بذلك {من الدين}- و {هو}- دين الإسلام {كفر أو}- مريدا بقوله يا يهودى أو يا نصرانى أن دينه وهو الإسلام {يهودية أو نصرانية أو}- مريدا من قوله يا عديم الدين أن دينه وهو الإسلام {ليس بدين}- أو لم يرد ذلك ولا أول على ما مر من التفصيل هذا هو المعتمد كما أوضحه فى الأعلام غاية الإيضاح قال وقضية كلام جمع منهم الغزالي وابن دقيق العيد أنه لا فرق فى كفر من قال لمسلم يا كافر بين أن يؤول أو لا {و}- منها الاستهزاء والتهاون بالله تعالى {كالسخرية باسم من أسمائه}- سبحانه و {تعالى}- والاستخفاف به كان يصغره أو يقول وهو يتعاطى خمرا أو يقدم على الزنا بسم الله استخفافا باسم الله تعالى فالتكفير من حيث الاستخفاف باسمه تعالى المستلزم للاستخفاف به تعالى لا من حيث المعصية وكذا السخرية والاستخفاف بأمره تعالى {أو وعده}- بالثواب {أو وعيده}- بالعقاب قال فى الأعلام كذا نقله الشيخان عن الحنفية وأقره وهو واضح جلى إلا أن محل ذلك أى السخرية باسم الله أو أمره أو وعده أو وعيده كما يعلم مما يأتى إن صدر {ممن لا يخفى عليه نسبة ذلك إليه ﷻ}- لا سيما الأسماء المشتركة فيستفسر ويعمل بتفسيره ولو قال لا أخاف القيامة فإن قصد الاستهزاء كفر أو أطلق أو لمح بسعة عفو الله ورحمته وقوة رجائه فلا يكفر {و}- من السخرية بأمره تعالى المخالفة فيما لو فرض أن الله أمره به {كان يقول لو أمرنى الله}- ﷻ {بكذا}- أى من نحو

صلاة أو صدقة سواء كان فعلا أو تركا أو غير ذلك - (لم أفعله أو) - يقول - (لو صارت القبلة) - أي الكعبة وعبارة الزواجر لو جعل أي الله القبلة - (في جهة كذا ما صليت إليها) - قال في الأعلام كذا نقله عنهم أيضا وأقره وبحت الأذرعى أنه يأتي فيهما التفصيل الآتى في إن أعطانى الله الجنة وهو قريب وإن أمكن الفرق - (أو) - نحو ذلك ومن السخرية بوعده تعالى أن يقول - (لو أعطانى الله الجنة ما دخلتها) - كذا نقله عنهم وأقرهم الرافعى عليه وقال النووى فى الروضة مقتضى مذهبنا والجارى على القواعد أنه لا يكفر وهو الصواب أم وفصل غيره بين أن يقوله - (مستخفا) - بوعده تعالى - (أو مظهرا للعناد) - له ❧ فيكفر أو لا فلا واستوجهه فى الأعلام قال ويؤيده ما يأتى فى مسألة قص الأظفار واعتمده كبحت الأذرعى السابق المصنف ❧ حيث قال - (فى الكل) - أى من المسائل الثلاث - (و) - من السخرية بالوعيد أن ينسبه تعالى إلى الظلم والجور - (كأن يقول) - جوابا لمن قال له لا تترك الصلاة مثلا فإن الله يؤاخذك بذلك - (لو أخذنى الله بترك الصلاة) - أو الصوم مثلا - (مع ما أنا فيه من المرض) - والشدة - (58/1) - (ظلمنى أو قال) - المظلوم - (لفعل حدث) - به من ظالم - (هذا) - الفعل بتقدير الله فقال الظالم أنا أفعل - (بغير تقدير الله) - فيكفر الظالم كذا أطلقه فى الأعلام - (أو) - قال فى دعوى مثلا - (لو شهد عندى الأنبياء أو الملائكة) - وفى نسخة بخط المؤلف أو الملائكة بها ما قبلتهم قال فى الأعلام كذا نقله عن الحنفية وأقره وهل لو قال الملائكة فقط أو الأنبياء فقط يكفر أو لا الذى يظهر نعم لأن ملحظ الكفر كما لا يخفى نسبة الأنبياء أو الملائكة إلى الكذب فإن قلت جرى خلاف فى العصمة قلت أجمعوا على العصمة من الكذب ونحوه والذى يظهر أيضا أنه لو قال الرسل بدل الأنبياء كان كذلك بل أولى - (أو) - قال كما استظهره فى الأعلام لو شهد عندى - (جميع المسلمين بكذا ما قبلتهم) - قال فيه لما مر أن الشرع دلّ على عصمتهم من الاتفاق على الكذب - (أو قال) - جوابا لمن قال له أفعل كذا كقص أظفارك فإنه سنة رسول الله ❧ - (لا أفعل كذا) - أى كقص الأظفار فى المثال - (وإن كان سنة) - كذا نقله عنهم وأقرهم الرافعى وقال فى الروضة المختار لا يكفر إلا إن قاله - (بقصد الاستهزاء) - وما اختاره متعين وكقص الأظفار حلق الرأس كما صرح به الرافعى عنهم وأقره لكن محله إن كان فى نسبك وإلا فلا لاختلاف العلماء فى كراهته - (أو) - قال - (لو كان فلان نبيا) - أو رسولا - (ما آمنت به) - قال الأسنوى الذى شاهدته بخط النووى آمنت به بدون ما وهو كذلك فى بعض نسخ الرافعى وفى بعضها بما وهو الصواب قال فى الأعلام وهو ظاهر ويفرق بينهما بأن الأول فى تعليق الإيمان به على كونه نبيا وهو تعليق صحيح لما فيه من تعظيم مرتبة النبوة وفى الثانى تعليق عدم الإيمان على كونه نبيا ففيه تنقيص لمرتبتها حيث أراد تكذيبها على تقدير وجودها وهو فرق صحيح لا غبار عليه - (أو أعطاه عالم فتوى) - فى سؤال استفتاه فيه - (فقال) - لكونها لم تطابقه - (أي - شىء هذا الشرع) - وربما قال فى الأعلام وهو ظاهر إن كان - (مريدا) - بذلك - (الاستخفاف) - بالشرع ويحتمل الإطلاق لأن قرينة رميها تدل على الاستخفاف وعبارة الزواجر أو ألقى فتوى عالم وقال أى شىء هذا الشرع أو قصد الاستخفاف - (أو قال) - وقد أمر بحضور مجلس علم أى شىء أعمل بمجلس العلم أو - (لعنة الله على كل عالم) - قاصدا الاستخفاف فيهما أو - (مريدا الاستغراق) - فى الثانية - (الشامل لأحد الأنبياء) - عليهم الصلاة والسلام كما فى الزواجر قال فى الأعلام أو قال لمن قال له ألا تقرأ القرآن أو ألا تصلى إني شيعت من القرآن أو من فعل الصلاة أو إلى متى أعمل هذا أو العجائز يصلون عنا أو الصلاة المعمولة وغير المعمولة واحد أو صليت إلى ضاق قلبى أو لمن قال له صلّ حتى تجد حلاوة الصلاة صلّ أنت حتى تجد حلاوة تركها إن أراد الاستخفاف بشىء مما قاله فى الكل أو أراد بوصول عنا والمعمولة وغير المعمولة واحد عدم وجوبها عليه لما مر أن إنكارها أو إنكار سجدة منها كفر - (أو قال أنا برىء من الله) - ❧ - (أو من النبى) - ❧ - (أو من القرآن) - العظيم - (أو من الشريعة) - شريعة سيدنا محمد ❧ - (أو من الإسلام) - أى من الانقياد لما أتى به ❧ قال ❧ من قال إني برىء من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال وإن كان صادقا لم يعد إلى الإسلام سالما - (أو قال لحكم حكم به) - بالبناء للمفعول وبه فى محل رفع نائب فاعله أى حكم به حاكم إذا كان - (من أحكام الشريعة) - المحمدية - (ليس هذا) - المحكوم به موافقا - (الحكم) - الشرعى وكذا لو سخر بالشريعة أو بحكم من أحكامها - (أو) - قال له خصمه أحاكمك بحكم الله - (59/1) - تعالى فقال له - (لا أعرف الحكم) - أو ما هناك حكم ما هناك إلا دبوس أى شىء يعمل كذا نقله فى الأعلام عن بعض الأحناف قال وما ذكره فى الإعراض عن الحكم إنما يتحه الكفر به إن كان المعرض عنه - (مستهزئا بحكم الله) - ❧ أو مستحقرا له - (أو قال و) - الحال أنه - (قد ملأ وعاء) - بكسر أوله أى إناء كقدح ماء مثلا - (كأسا دهاقا) - أى خمرا مائنة محلها - (أو) - قال وقد - (فرغ شرابا) - مثلا - (فكانت سرابا أو) - قال - (عند وزن أو) - عند - (كيل) - لموزون أو مكيل اشتراه مثلا - (وإذا كالوهم) - فى الثانى - (أو وزنوهم) - فى الأولى أو كليهما فى كليهما - (يخسرون أو) - قال - (عند رؤية جمع) - مجتمعين أو مزدحمين فى دخول محل أو خروج منه - (وحشرناهم فلم تغادر) - أى لم نترك - (منهم أحدا) - كذا نقله فى الأعلام عن بعض الأحناف قال وظاهر أنه لا يكفر قائل ذلك إلا إن قاله - (بقصد الاستخفاف أو الاستهزاء) - بالقرآن - (فى الكل) - من المسائل الأربع - (وكذا) - أى ومثل هذه الأربع - (كل موضع استعمل) - المكلف - (فيه القرآن بذلك القصد) - أى بقصد الاستخفاف أو الاستهزاء - (فإن كان) - قد استعمل - (بغير ذلك القصد) - بأن أطلق ولم يقصد شيئا - (فلا يكفر) - مستعمله فى تلك المواضع الأربع وغيرها - (لكن) - هل يحرم استعماله فى ذلك أو لا - (قال الشيخ) - العلامة والبحر الفهامة خاتمة أهل الفتيا والتدريس ناشر علوم الإمام محمد بن إدريس شهاب الملة والدين وخادم شريعة سيد المرسلين سيدى أبو

العباس (أحمد بن) محمد بن علي بن (حجر) الهيثمي السعدي الأنصاري (رحمه الله) أي الله أرحمه في كتابه المسمى بالأعلام في قواطع الإسلام (لا تبعد حرمة) أي حرمة استعمال ذلك وليس هو من التضمين كما هو ظاهر حتى يقال إنه لا يحرم على أن جمعا من العلماء قالوا بحرمة التضمين أيضا كما بينته مع فوائد نفيسة لا يستغنى عنها في شرح العباب قبيل الغسل

(تنبيه) - يحتمل أن أصل شيخ التشديد كميت وميت أو أشيخ نقلت حركة العين للفاء وحذفت الهمزة كما في خير وشر أو أنه مصدر شاخ يطلق في الأصل على كبير السن ثم تعورف في كبير القدر ولو صغيرا وفضائل العلامة ابن حجر لا تخفى وقد ذكر سيدي الحبيب عبد القادر بن شيخ العيدروس باعلوى في كتابه النور السافر في فضائل أهل القرن العاشر أنه ولد في رجب سنة تسع وتسعمائة ومات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان الكاملان علما وعملا العارف شهاب الدين بن أبي الحماثل وشمس الدين الشناوي ونقله الثاني من بلده أي الهياتم إلى مقام سيدي أحمد البدوي فقرأ هناك في مبادئ العلوم ثم إلى الجامع الأزهر وعمره أربع عشرة سنة وسلمه رجل صالح فحفظه حفظا بليغا وقدم مكة آخر سنة ثلاث وثلاثين وجاور بها سنة ثم عاد إلى مصر ثم حج بعياله آخر سنة سبع وثلاثين ثم عاد ثم حج سنة أربعين وجاور بها يؤلف ويفتي ويدرس إلى أن توفي في رجب سنة أربع وسبعين ودفن بالمعلی ومدة إقامته بها ثلاث وثلاثون سنة وإنما اشتهر بابن حجر قيل لأن أحد أجداده كان ملازما للصمت لا يتكلم إلا لضرورة أو حاجة فشبه بحجر ملقى اه باختصار (وكذلك يكفر من شتم) أي سب (نبيا) من الأنبياء المجمع على نبوتهم المعلومة من الدين بالضرورة (أو) شتم (ملكا) من الملائكة المجمع عليهم كذلك قال في الأعلام قال في الشفا من سب نبينا ويلحق به في جميع ما ذكر غيره من الإنبياء المتفق على نبوتهم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله (60/1) أو عرّضه به أو شبهه بشيء على طريق السب أو التصغير لشأنه أو لعنه أو دعا عليه أو تمنى له مضره أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو غيره بشيء مما جرى عليه من البلاء والمحنة كان كافرا بالإجماع كما حكاه جماعة وحكاية ابن حزم الخلاف فيه لا معول عليها سواء صدر منه جميع ذلك أو بعضه فيقتل ولا تقبل توبته عند أكثر العلماء وعليه جماعة من أصحابنا بل ادّعى فيه الشيخ أبو بكر الفارسي الإجماع وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في إسلام أبيه كما لا يخفى

(تنبيه) - قال في الأعلام وقع الخلاف في كفر من سب أحد الشيخين قال الزركشي كالسبكي ينبغي أن يكون الخلاف فيما إذا سبه لأمر خاص به أما لو سبه لكونه صاحبيا فينبغي القطع بتكفيره لأنه استخفاف بحق الصحة وفيه تعريض به ولا شك أنا نتحقق ولاية العشرة فمن أدّى أحدا منهم فقد بارز الله تعالى بالمحاربة فلو قيل يجب عليه ما يجب على المحارب لم يبعد ولا يلزم هذا في غيرهم إلا من تحققت ولايته بإخبار الصادق اه وما بحثه م القطع بالتكفير ظاهر نقلا ومعنى ومن الإلحاق بالمحارب ظاهر دليلا لا نقلا وسيأتي لذلك بسط آخر اه (أو قال) له شخص صل أو صم مثلا فقال (أكون قو) أي ساعيا بالفاحشة بين النساء أو المرد والرجال (إن صليت) أو صمت وطولت على نفسي (أو) قال (ما أصبت خيرا مذ) أو منذ أي من وقت أن (صليت) أو صمت (أو) قال (الصلاة لا تصلح لي) أو الصوم لا يصلح لي قال في الأعلام والذي يتجه أنه لا يكفر إلا أن قال ذلك (بقصد الاستخفاف بها) أي بالصلاة أي أو بالصوم (أو) بقصد (الاستهزاء) بأحدهما (أو) بقصد (استحلال تركها) أي الصلاة أو ترك الصوم (أو) بقصد (التشاؤم بها) من حيث كونها صلاة أو به من حيث كونه صياما بخلاف ما لو أطلق أو قصد معنى آخر (أو قال لمسلم) يعني لأحد من أهل الإسلام رجلا كان أو غيره (أنا عدوك وعدو نبيك) وهذه وقعت بتونس سنة أربع وثمانين وسبعمائة فعقد لها مجلس وأفتى بعض المالكية بأن قائله مرتد يستتاب وأخذ كفره من قوله تعالى من كان عدوا لله الآية وبعضهم بأنه كفر تنقيص فلا يستتاب وأخذ ذلك مما في الشفاء من أن امرأة سبت النبي فقال من يكفيني عدوتي فقتلت قال بعضهم والتحقيق الأول قال في الأعلام وهو مقتضى قواعدنا فهو مرتد (أو) قال (لشريف) في النسب بأن كان من أولاد الحسن أو الحسين إذ هو في الاصطلاح لا يطلق على غيرهم وأما لغة فيطلق على كل من ساد وشرف بكرم أو علم أو غيره (أنا عدو ك وعدو ك) لكن لا مطلقا بل إن قاله (مريدا) بقوله جدك (النبي) أي نبينا محمدا (أو يقول شيئا من نحو هذه الألفاظ) المتقدمة (البشعة الشنيعة) وهو كثير جدا لا يحتمله هذا الكتاب ولا ينحصر فإن أراد الاطلاع على أكثر مما هنا وأبسط منه فاعلم أن للعلماء من الشافعية وغيرهم في ذلك تأليف كثيرة (وقد عد الشيخ أحمد بن) محمد بن علي بن (حجر) الهيثمي الشافعي المتقدم ذكره (والقاضي عياض) بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي بفتح الياء وتثنية الصاد المهملة نسبة ليحصب أبي قبيلة باليمن السبتي الغرناطي المالكي ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة كما في الشهاب الخفاجي وغيره قيل سبب وفاته أن الغزالي دعا عليه لما تكلم (61/1) في الإحياء وأمر بتحريقه وهو غير ظاهر فإن الغزالي مات سنة خمس وخمسمائة فليتأمل (رحمهما الله) سبحانه و(تعالى) وأنزل على ضريحهما شأبيب الرحمة والرضوان (في كتابيهما) ابن حجر في (الأعلام) بقواطع الإسلام وهو كتاب نفيس عديم النظير في فنه حجمه نحو ستين ورقة بالخط المعتدل (و) القاضي في آخر (الشفا) بتعريف حقوق المصطفى وهو كتاب جليل وعلى جلالته مؤلفه أدل دليل قيل فيه

وعن ابن المقرئ أنه لا يقع ضرر ولا غرق لمحل هو فيه وأنه ما قرئ على مريض إلا وعوفي (شيئا) مفعول لعد (كثيرا) جدا ملخصا منقحا لا سيما في الأعلام فإنه خاص بالفن (فيبغي) لكل من انتمى للعلم (الاطلاع عليه) أي على ما عده هذان الإمامان في كتابيهما (فإن) أي لأن (من لم يعرف الشر يقع فيه) وهو لا يدري وقد مر أن كثيرا تخرج منهم ألفاظ مكفرة ولا يعدونها ذنبا فضلا عن كونها كفرا وكل شر سببه الجهل وكل خير سببه العلم فهو النور المبين والجهل بئس القرين قال في الأعلام والحاجة ماسة لمعرفة ذلك سيما وقد توعرت هذه المسالك حتى صار الغلط في الواضحات فضلا في المشكلات أقرب إلى المنسوبين للعلم من حبل الوريد ولسان حالهم يعلن أنهم ليس لهم عنها محيد لما جبلوا عليه من مخالفة سنن الماضين والخلد إلى أرض الشهوات والطمع فيما في أيدي الظلمة والمتمردين نسأل الله تعالى أن يعافينا من ذلك وأن يجنبنا ظلم هذه المسالك وأن يوفقنا لما كان عليه أئمتنا من صالح العمل ومجانبة الزلل إنه أكرم مسؤول وأرجى مأمول أم (وحاصل أكثر تلك العبارات) التي ذكرها ذاك الإمامان (يرجع إلى أن كل عقد) بفتح أوله وسكون ثانيه أي اعتقاد (أو فعل أو قول) موصوف كل واحد منها بكونه (يدل على استهانة) ممن صدر منه (أو استخفاف بالله) (أو) بشيء من (كتبه) المائة والأربعة المار ة (أو) بأحد من (أنبيائه) وفي نسخة بخط المؤلف أو رسله والأولى أعم (أو ملائكته) المجمع عليهم كما مر (أو) بشيء من (شعائره) جمع شعيرة وهي العلامة أي علامات دينه كالكعبة والمساجد فقوله ✠ (أو معالم دينه) بمعنى الشعائر كما قاله السيوطي (أو) بشيء من (أحكامه) تعالى أي أحكام دينه كالصلاة والصوم والحج والزكاة (أو) بشيء من (وعده) بالثواب للمطيع (أو) من (وعيده) بالعقاب لمن كفر به وعصاه (كفر) خبر أن أي إن قصد فائل ذلك الاستخفاف أو الاستهزاء بذلك (أو معصية) محرمة شديدة التحريم إن لم يقصد ذلك وعلى كل (فليحذر الإنسان من ذلك جهده) أي طاقته قال في القاموس الجهد بمعنى الاجتهاد أو المشقة بفتح الجيم لا غير وبمعنى الطاقة بالفتح والضم ومما ذكره في الأعلام من المكفرات السحر الذي فيه عبادة نحو شمس وإلا فهو حرام فقط والرضا بالكفر ولو ضمنا كأن يسأله كافر يريد الإسلام أن يلقيه الشهادتين فلم يفعل أو يقول له اصبر حتى أفرغ من شغلي أو خطبتى وكأن يشير له بأن لا تسلم وإن لم يكن طالبا للإسلام فيما يظهر وقوله لا أدري أكان النبي إنسيا أو جنيا وقول مريض طال مرضه توفي إن شئت مسلما أو كافرا وقول من ابتلى بمصائب أخذت ولدى وكذا وكذا وماذا تفعل أيضا وقول معلم الصبيان اليهود خير من المسلمين لأنهم يقضون حقوق معلمى (62/1) أولادهم إن قصد الخيرية المطلقة وإلا بأن أراد في الإحسان إلى المعلم فلا وقول ظالم لمن قال له اصبر إلى المحشر أي شيء في المحشر إن أراد الاستخفاف وقوله لمحوقل أي شيء تكون أو تعمل أو لا تغنى من جوع أو عند سماع مؤذن هذا صوت الجرس إن أراد تشبيه الأذان بناقوس الكفرة وقوله فلان كافر وهو أكفر مني لإقراره بالكفر على نفسه وفي الزواج أن منها ما لو قال إذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وعنى بذلك رفع الأحكام أو أنه فنى من صفاته الناسوتية إلى اللاهوتية أو أن صفاته تبدلت بصفات الحق أو أنه يراه عيانا في الدنيا أو يكلمه شفاه أو أنه يحل في صورة حسنة أو أنه أسقط عنه التكليف أو قال لغيره دع العبادات الظاهرة الشأن في عمل الأسرار أو سماع الغناء من الدين أو أنه يؤثر في القلوب أكثر من القرآن أو العبد يصل إلى الله من غير طريق العبودية أو الروح من نور الله فإذا اتصل النور بالنور اتحدا إذا كان ذلك مع الاستخفاف أو الاستهزاء أو قال ولو مازحا أنا الله أو لا أؤدى حقه جحدا للواجبات أو قال الله يعلم أنى فعلت كذا وهو كاذب لنسبته ✠ إلى الجهل أو قال لزوجته أن أحب إلى من الله أو رسوله وأراد محبة التعظيم لا الميل كما أشار إليه شراج البخارى أو قال قن لا أصلى فإن الثواب يكون لمولاي على نظر فيه وواضح جهل أكثر الأرقاء بما في ذلك من محذور فليس الكلام فيهم بل في عالم بالحكم الشرعى وحينئذ فلا نظر فيه أو قيل له ما الإيمان فقال لا أدري مستخفا أو قال لمن شمت كبيرا بيرحمك الله لا تقل له هكذا قاصدا أنه غنى عن الرحمة أو أجل من أن يقال له ذلك أو قال قصعة ثريد خير من العلم استخفافا أو تمنى كفرا ثم إسلاما حتى يعطى دراهم مثلا أو حل ما لم يحل في زمن قط كالقتل أو الزنا أو الظلم إن نسب الله إلى جور في التحريم أو لبس زى كافر ميلا لدينه أو قال عن نبينا ✠ أنه كان أسود أو توفي قبل أن يلتحي أو ليس بقرشى أو عربى أو إنسى لأن وصفه بغير وصفه تكذيب له ووخذ من أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها كفرا أو قال لا أدري أهو الذى بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره أو الولي أفضل من النبى أو أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو يدخل الجنة قبل موته

(تنبيه) قال شيخنا في كتابة له في التجويد وقد كفر بعضهم من وقف على نحو قوله تعالى وقالت اليهود وابتدأ بقوله عزيز ابن الله أو وقالت النصارى وابتدأ بقوله المسيح ابن الله أو وقالت اليهود وابتدأ بقوله يد الله مغلولة أو وما أنتم بمصرخى وابتدأ بقوله إنى كفرت والمحققون على أنه لا يطلق القول بالتكفير ولا بالحرمة بل إن كان مضطرا وابتدأ بما بعده غير معتقد لمعناه لم يكن عليه وزر وإن اعتقد معناه كفر مطلقا وقف أو لا وعليه يحمل كلام من أطلق فإن وقف متعمدا غير معتقد المعنى حرم ولم يكفر أم بمعناه قال في الأعلام ومما يخشى الكفر منه شتم رجل اسمه من أسماء النبى ✠ كأن يقول له يا ابن الزانية وهو ذاك النبى ✠

والكلام بكلام الدنيا عند سماع قرآن أو أذان وقوله للقراء هؤلاء أكلوا الربا أو لصالح وجهه عندى كوجه الخنزير أو أريد المال سواء كان من حلال أو حرام وذلك لأن كلا مما ذكر يحتمله لكن احتمالا بعيدا فربما مال خاطره لذلك الاحتمال وبه يعلم أن ما فى معنى ما ذكر من كل ما يحتمل الكفر احتمالا بعيدا يندب تجنبه بل قد يجب (فصل) فى حكم ما (يجب على) كل (من وقعت منه ردة) بشيء مما مر أو غيره (63/1) وهو أنه يجب عليه (العود) أى الرجوع من الدين الذى ارتد إليه (فورا) بلا مهلة (إلى) دين (الإسلام) ولا يحصل له الرجوع إلا (بالنطق) أى التلفظ (بالشهادتين) من الناطق قال فى التحفة فلا يكفى ما بقلبه من الإيمان وإن قال به الغزالي وجمع محققون لأن تركه التلفظ بهما مع قدرته عليه وعلمه بشرطيته أو شطيته لا يقصر عن نحو رمى مصحف بقذر ولو بالعجمية وإن أحسن العربية على المنقول المعتمد والفرق بينه وبين تكبيرة الإحرام جلى بترتيبهما ثم بالاعتراف برسالته ﷺ إلى غير العرب ممن ينكرها أو البراءة من كل دين يخالف دين الإسلام (و) برجوعه عن الاعتقاد الذى ارتد بسببه فعلم أنه لابد مع النطق بهما من (الاقلاع عن) كل (ما وقعت به الردة) أى رده (ويجب عليه) مع ذلك أن يتوب من كفره قال الإمام وإذا أسلم فليس إسلامه توبة من كفره وإنما توبته (الندم على) كل (ما صدر منه) من الكفر (والعزم على أن لا يعود لمثله) أى مثل ما صدر منه قال فى الزواجر ولا يتصور أن يؤمن ولا يندم على كفره بل تجب مقارنة الإيمان للندم على الكفر ثم وزر الكفر يسقط بالإيمان والندم على الكفر بالإجماع وهذا مقطوع به وما سواه من ضروب التوبة مضمون قبوله غير مقطوع به وقد أجمعت الأمة على أن الكافر إذا أسلم وتاب عن كفره صحت توبته وإن استدام معاصى أخرى كما دل عليه كلام الزركشى (و) يجب عليه (قضاء ما فاتته من واجبات الشرع) فيجب عليه قضاء كل عبادة وجبت عليه (فى تلك المدة) أى مدة الردة وإن فعلها فيها لأنه لا تصح منه عبادة قال فى التحفة ثم إن أسلم وتاب صح إسلامه وترك لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولخبر فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم ولا فرق فى ذلك بين من ارتد بسبب النبى وغيره على المعتمد مذهباً لكن اختيار قتل من ارتد بسببه ﷺ مطلقاً ونقل الخطابى والفارسى من أئمتنا الإجماع عليه فى سبب هو قذف لا مطلقاً هذا هو صواب النقل عن الفارسى وممن بالغ فى الرد عليه الغزالي ولا يعز مرتد تاب أول مرة خلافا لما يفعله جهلة القضاة ومن جهلهم أيضاً أن من ادعى عليه عندهم كفر أو جاءهم يطلب الحكم بإسلامه يقولون له تلفظ بما قلت وهو غلط فاحش فقد قال الشافعى ﷺ إذا ادعى على رجل أنه مرتد وهو مسلم لم أكشف عن الحال وقلت له قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأنت بريء من كل دين يخالف دين الإسلام اهـ ويؤخذ من تكريره ﷺ لفظ أشهد أنه لابد منه فى صحة الإسلام وهو ما يدل عليه كلام الشيخين فى الكفارة وغيرها لكن خالف فيه جمع وفى الأحاديث ما يدل عليه اهـ (فإن لم يتب) من نفسه (وجبت) على الإمام (استتابته) أى طلب التوبة منه بأن يقول له تب وارجع لدين الإسلام قال فى التحفة لاحترامه بالإسلام قبل وربما عرضت له شبهة بل الغالب أنها لا تكون عن عبث محض فتجب استتابته وإن حارب على الأوجه كما بينه فيها ثم إن تاب فذاك ظاهر وإن لم يتب قتل قال فى التحفة لأمره ﷺ فى امرأة ارتدت أن يعرض عليها الإسلام فإن أسلمت وإلا قتلت (و) بهذا علم أنه (لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل) بضرب العنق دون ما عداه كما فى التحفة سواء كان رجلاً أو امرأة والنهى عن قتل النساء محمول على الحريات ولا يتولاه إلا الإمام أو نائبه فإن قتله غيره عزز وللسيد قتل قنه

(64/1) (تنبية) الفرق بين المرتد وتارك الصلاة كسلا حيث لم تجب استتابته بل تندب على ما فى التحقيق أن التارك لا يخلد فى النار فهو مسلم مصيره الجنة بخلاف المرتد والذي فى الروضة تجب كالمترد وقيل تندب فى المرتد أيضاً وقال سم تجب فيهما وينبغى حمل القول بالنذب على أنه من حيث القتل بمعنى أنه لا يتوقف جوازه عليها فلا ينافى الوجوب من حيث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اهـ (ويبطل بها) أى بالردة إذا حصلت منه أثناء صوم أو تيمم (صومه وتيممه) بخلاف الوضوء فإنه لا يبطل بها لقو ته (و) كذا يبطل بها (نكاحه) مسلمة إذا كانت رده ولو معها (قبل الدخول) بها أى قبل وطئها أو وصول المنى المحترم لفرجها لأن النكاح لم يتأكد حينئذ لفقد غايته (وكذا) يبطل إذا ارتدا معا أو أحدهما (بعده) أى الدخول (إن لم) يعودا أو (يعد) المرتد منهما (إلى الإسلام) أى إن لم يجمعهما الإسلام (فى) مدة (العدة) والمراد أنه يتبين بطلانه من حين الردة منهما أو من أحدهما فلا ينفذ طلاق ولا ظهار ولا إيلاء وإن جمعهما الإسلام دام النكاح بينهما لتأكده ونفذ ما ذكر فعلم أن النكاح فيما بعد كذا موقوف إن عاد للإسلام فى العدة دام وإلا تبين بطلانه من حين الردة ويحرم الوطء فى زمان التوقف ولا حد فيه نعم فيه التعزير وليس له فى زمانه نكاح نحو أختها (ولا يصح) من المرتد (عقد نكاحه) يعنى لا تصح مناكحته لمسلم وغيره فإذا ارتدت لم تحل لأحد مسلم لإهدارها وكافر لعلقة الإسلام ومرتد لإهداره (وتحرم ذبيحته) يعنى ما له دخل فى ذكاته فلو شارك مسلماً ولو فى نحو إرسال كلب لم يحل المذبوح تغليبا للحرمة (ولا يرث) المرتد حال الموت بحال وإن أسلم لأنه لا مناصرة بينه وبين أحد لإهداره قال فى التحفة وبحث ابن الرفعة إرثه إذا أسلم خارق للإجماع قاله السبكي ومثله الزنديق وهو من لا يتدين بدين (ولا يورث) بحال أيضاً لأن ماله فىء كما يأتى بخلاف غيره من الكفار فإنهم يتوارثون لكن المشهور أنه لا توارث بين حربى وذمى (ولا يصلى عليه) أى لا تجوز الصلاة عليه إذا مات كغيره من الكفار ولو ذمياً قال فى الفتح للنهى عنها فى القرآن ومنه صغير كافر وصف الإسلام

بناء على الأصح من عدم صحة إسلامه وإن كان من أهل الجنة لتصريحهم بأن يعامل بأحكام الدنيا كإرث كافر له وعدم قتل مسلم به ولا شك أن الصلاة عليه من أحكام الدنيا الواجبة علينا إكراما للمسلمين وهذا ليس منهم فإفتاء بعضهم يجواز الصلاة عليه ليس في محله (ولا يغسل ولا يكفن ولا يدفن) - يعني لا يجب له شيء من ذلك كالحربي والزندقي بل يجوز إغراء الكلاب عليهم إذ لا حرمة لهم أما الذمى والمعاهد والمستأمن فيجب تكفينهم ودفنهم علينا إذا لم يكن لهم مال أو منفق أو كان وتعذر وفاء بدمتهم كما يجب إطعامهم وكسوتهم (وماله) - أي المرتد موقوف على الأظهر إن أسلم بان أنه لم يزل ملكه عنه وإن مات مرتدا بان زواله عنه وأنه (فىء) - لبيت المال سواء ما اكتسبه فى مدة الإسلام والردة وسواء ارتد فى صحته أو مرضه ومحل الخلاف فى غير ما ملكه فى الردة بنحو اصطيد وإلا فهو باق على إباحته (تنبيه) - الفىء لغة مأخوذ من فاء إذا رجع ثم استعمل فى المال الراجع من الكفار إلى المسلمين وشرعا ما حصل من كفار بلا قتال ولا إيجاف خيل ولا إبل كالجزية وعشر التجارة والله أعلم (فصل) - فيما يلزم المكلف (يجب على كل مكلف) - ذكرنا كان أو أنثى إنسيا أو جنيا (آداء) (65/1) - جميع ما أوجبه الله - (عليه) - لكن لا يجب الأداء فورا فهو موسع إن لم يضق الوقت فى نحو الصلاة وإلا فمضيق ولما كان كثير من الناس يتساهلون فى كيفية الأداء قال (يجب) - عليه (أن يؤديه على ما أمر الله) - (به) من الاتيان بأركانه - بيان لما فى موضع الحال والأركان جمع ركن ويرادفه الفرض وسيأتى أنه ما كان داخل الماهية كالركوع والسجود فى الصلاة (و) - مع (شروطه) - جمع شرط وسيأتى أنه ما كان خارج الماهية وتوقفت الصحة عليه كالظهر ودخول الوقت فى الصلاة (ويجب عليه) - أى على كل مسلم مكلف بذل النصيحة للمسلمين قال (الدين النصيحة قالوا له لمن ؟ قال لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال ابن حجر فى شرح الأربعين أى يارشادهم لمصالحهم فى أمر آخرتهم ودنياهم وإعانتهم عليها بالقول والفعل وستر عوراتهم وسد خللتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بشروطه المقررة فى محلها وتوفير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتعهدهم بالموعظة وترك غشهم وحسدكم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر والذنب - عن أموالهم وأعراضهم وحتهم على التخلق بجميع ما كان عليه السلف الصالح (ومنها) (أمر) - كل (من رآه) - منهم (تاركا لشيء) - من واجبات الدين أو مخلا بشيء (منها) - بأن لا يأتى بجميع شروطه وأركانه (أو يأتى بها) - ولكن (على غير وجهها) - المطلوب أن يؤتى بها عليه فيذكره له فى خلوة بينه وبينه قال فى النصائح فإن لم يوفق لذلك فهو لنقص فيه فلا ينبغي أن يضم إليه نقصا آخر أقبح منه وهو هتكه وذكر عيوبه للناس فى غيبته وكان السلف إذا أرادوا نصح أحد وعظوه سرا حتى قال بعضهم من وعظ أخاه سرا فقد نصحه ومن وعظه على رعوس الناس فقد ذبحه وقيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير (و) - أعلم أنه (يجب عليه) - أى على كل مكلف حر وقن ذكر وأنثى على الكفاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نعم إن كان بمحل لا يعلمه غير واحد أو لا يقدر عليه غيره أو كان يقدر عليه باليد وغيره باللسان تعين عليه إلا أن يكون الرجوع لذى اللسان أقرب أوانه يرجع له ظاهرا وباطنا ويرجع لذى اليد ظاهرا فقط فيتعين عليه حينئذ ومحل الوجوب على كل إذا كان الأمر بواجب والنهي عن محرم مع الأمن على نفس ومال وبيض وعضو ومن الوقوع فى مفسدة أكثر من مفسدة المنكر الواقع فيه نعم يلزم المحتسب الأمر بمندوب فيه شعار ظاهر كصلاة العيد ويستحب لغيره على المعتمد وعلى الإمام أن يؤمر محتسبا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كانا غير مختصين به لأن كلمته أنفذ ولا يجوز له أن يحمل أحدا على مذهبه إذ لا يلزم الناس اتباع مذهب إمامهم ويأمر الناس بالمحافظة على الفرائض والسنن ويأمر بما يعم نفعه كعمارة سور البلد ومؤنة ذلك من الأغنياء وينهى الموسر عن مطل دائنه إن استعداه الغريم عليه وينكر على من وقف مع امرأة بطريق خال ويقول له إن كانت محرما فصنها عن مواقف الريبة وإن كانت أجنبية فخف الله تعالى من الخلوة بها فإنها محرمة ويأمر الأولياء بإتكاح الأكفاء والنساء بإيفاء العدد (66/1) - والسادة بالرفق بالماليك وأصحاب البهائم بتعدها والرفق بها وينكر على من أسر فى جهرية أو عكس أو زاد فى الأذان أو نقص ولا ينكر فى حقوق الأذى قبل استعداء ذى الحق إليه وينكر على القضاة إن احتجبوا عن الخصوم أو قصروا فى النظر فى أمورهم وعلى أئمة المساجد المطروقة أن طولوا الصلاة للاتباع ويمنع **الخونة** من معاملة النساء قال الأئمة (يجب على كل مكلف إنكار الصغيرة كالكبيرة بل لو لم يكن العقل لخصوص فاعله معصية وجب الإنكار كما لو رأى غير مكلف يشرب خمرا أو يزنى فإنه يلزمه منعه منه وليس بعد انقضاء المعصية إلا الوعظ بل يسر الستر نعم فى شرح مسلم من عرف بالفساد سن كشفه ورفع له للحاكم إن لم يخف مفسدة ومن علم بمنكر سيوجد كان سمع من إنسان أنه عازم على نحو شرب خمر أو زنا غدا وعظه فقط فإن أدرك ذلك منه بقرائن دون سماع حرم وعظه إن سجل عليه فى وعظه بنحو فسق وإلا فلا على المعتمد ولا يشترط فى الأمر أو الناهى أن يكون مسموع القول ولا ممثلا للأوامر والنواهى ولا مأذونا له من جهة الإمام لانه يجب عليه أن يأمر نفسه وغيره فإذا اختل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يأمر وينهى فى دقائق الأمور إلا العلماء دون العامة لجهلهم بها ومن ثم استوى الكل فى الظواهر كالصلاة والصيام وشرب الخمر ولا ينكر العالم إلا مجمعا على إنكاره أو ما يرى الفاعل تحريمه دون ما عدا ذلك نعم ينبغي له أن يندبه على وجه النصيحة إلى الخروج من الخلاف إن لم يقع فى خلاف آخر أو فى ترك سنة ثابتة لاتفاق العلماء

على استحباب الخروج من الخلاف حينئذ ومن قدم على منكر جاهلا به لو علم به رجع عنه وجب تعليمه برفق حتى لو علم أنه يفيد مخاطبة غيره بالتعليم حوطب به غيره أو عالما به ابتداء خوف بذكر وعيد ذنبه ثم يندرج معه من يريد تعليمه بغاية اللطف والبشاشة مع ملاحظة لطف الله به إذ حفظه من ذلك ولو شاء لعكس بل ليس هو أمنا من ذلك فإن عجز عن الإنكار باللسان أو لم يقدر وقدر على التعبس والهجر والنظر شذرا لزمه ذلك ولا يكفيه إنكار القلب فإن لم يتعظ ويتذكر وعلم منه الإصرار أخشن عليه الكلام وسبه بلا فحش كيا فاسق يا جاهل يا أحمق يا من لا يخاف الله وليحذر أن يغضب فيبقى إنكاره لنصرة نفسه أو يسترسل إلى ما يحرم فينقلب الثوال عفاها هذا كله فيما لا ينكر باليد أما ما ينكر بها كإراقة خمر غير محترمة وكسر آلة لهو وتجريده من حلى ذهب أو حرير ومنعه من شدة نحو شاة وإخراج نحو جنب وذئ نجس ينضح من المسجد فلا يكفى فى الإنكار إلا تغييره وتوبيخ فاعله {وقهره على} ترك {ذلك} والالتيان بالواجب عليه إن كان تاركا له لكن لا مطلقا بل {إن قدر} المنكر أو الأمر {عليه} أى على ذلك التغيير وما ذكر معه ويجب عليه أن يتوقى فى نحو إراقة الخمر وكسر آلة اللهو الكسر الفاحش إلا إذا ترقق إلا به أو خشى أن يدركه الفساد ويمنعوه فيفعل حينئذ ما لا بد منه ولو بحرق وغرق وللإمام ذلك مطلقا زجرا وتعزيرا وله فيمن لا ينكف بخشن الكلام أن يضربه بنحو يده فإن لم ينكف إلا بشهر سلاح منه وحده أو مع جماعة فعل ذلك لكن بإذن الإمام على المعتمد وقال الغزالي لا يحتاج لإذنه قيل وهو الأقيس كما يجوز قتل فاسق يناضل عن فسقه ولو قتل المحقق فهو شهيد ويأمر وينهى نحو السلطان بوعظ ثم يخشن له إن لم يخف ضرره وله ذلك وإن أدى لقتله للحديث الصحيح أفضل الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر {67/1} فأمره ونهاه فقتله ولو رأى بهيمة تتلف ما غيره لزمه كفها إن لم يخف ومن وجده يريد قطع طرف نفسه منعه وإن أدى لقتله لأن الغرض حسم سبيل المعاصى ما أمكن لا حفظ نفسه وطرفه وكذا يمنع من رآه يريد إتلاف ماله أو دبر حيلته وإن أدى لقتله وينكر على امرأة يعلم فسقها إذا رآها تزينت وخرجت ليلا وكذا على من عرف بقطع الطريق إذا وقف فيه بسلاحه ويأمر الولد أبويه وينهاهما بلطف لا بتخويف ونحوه إلا أن اضطر إليه ولو منعه الاشتغال بالإنكار من كسب قوته تركه حتى يحصل قوته وفوت ممونه ووفاء دينه دون ما زاد على ذلك فعلم أنه إن لم يقدر على الإنكار باليد وجب عليه باللسان إن قدر {وإلا} يقدر عليه باليد ولا باللسان {فيجب عليه الإنكار بقلبه} ولا يسقط الإنكار به عن مكلف أصلا إذ هو كراهة المعصية وهو واجب على كل مكلف بل ذهب جماعة منهم الإمام أحمد ﷺ إلى أن ترك الإنكار بالقلب كفر لخبر وهو أضعف الإيمان فعلم مما تقرر أن المراتب فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث وفى الزواجر ما يفهم أنها أربع حيث قال: وعلم من الأحاديث السابقة أن إنكار المنكر يكون باليد ثم إن عجز باللسان ثم قال فإن عجز عن اليد واللسان رفعه للوالى ثم {إن عجز عن} التغيير {والقهر} على تركه باليد {و} عن {الأمر} باللسان والرفع إلى الوالى أنكره بقلبه وليس للأمر والنهى التجسس والبحث واقتحام نحو دار نعم إن أخبره ثقة بمن اختفى بمحرّم فيه انتهاك حرمة يفوت بتركها كان أخبره أن رجلا خلا بامرأة ليزنى بها أو بشخص ليقته لزم أن يقتحم له الدار وأن يتجسس فإن سمع صوت المراهى أو القينات أو السكارى دخل وكسر المراهى وأخرج نحو القينات ولا يجوز له كشف ذيل فاسق فاحت من تحت راحة الخمر وسيأتى أن التجسس فى كل أمر إذا فتشت عنه ثقل على صاحبه علمك به ثم ما علم من الترتيب فى الإنكار باليد ثم اللسان ثم القلب مأخوذ من قوله ﷺ من رأى منكرا فليغير بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه {وذلك أضعف الإيمان أى أقل ما يلزم الإنسان} إن يأتى به {عند العجز} عن اليد واللسان لأنه يقدر عليه كل أحد وهذا التغيير بناء على أن المراد من الإيمان الأعمال كما هو المراد من قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أى صلاتكم فإن أريد ظاهره وهو التصديق كما مر فسر بأقل ثمراته وهذا لا ينافى أن إيمان المنكر بقلبه قد يكون أقوى من المنكر بيده أو لسانه قال ملا على قارى ولا يبعد كون المعنى فليغيره بهمة قلبه ودعائه ربه فإن همة الرجال تهدم الجبال كما قال أبو عبد الله القرشى لأصحابه إنكار المنكر بالباطن من حيث الحال أتم منه بالظاهر من حيث المقال قيل له أرنا آيته فجلس عند مفرق طريق فمرّ عليه بغل عليه جرار خمر فأشار بأصبعه إليها وقال هو هذا فعثر البغل فتكسرت ومزّ به آخر وآخر وهو يفعل ذلك ثم قال هكذا يكون الإنكار

{تنبيهان: الأول} قال الإمام الشعرانى ذهب بعضهم إلى وجوب الدعاء على من دعاؤه يزيل المنكر لقدرته على الإزالة وقال بعضهم لا يجب كمن قدر أن يحصل الحج بخطوة لأن العبرة بالظاهر العادى وقد مرّ الشيخ معروف الكرخى على جماعة يشربون الخمر ويضربون الأوتار فليل له ادع عليهم فقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا فرحهم فى الآخرة فليل له فى ذلك فقال إنه لا يفرحهم فى الآخرة حتى يتوب عليهم الثانى قال فى الزواجر ترك الأمر بالمعروف والنهى {68/1} عن المنكر مع القدرة من الكبائر لقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال الغزالي أفهمت أن من تركهما خرج من المؤمنين وقال القرطبى جعلهما الله فرقا بين المؤمنين والمنافقين وفى قوله تعالى لعن الذين كفروا الآية غاية التشديد ونهاية التهديد لمن تركهما ولقوله ﷺ أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول له ما هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا الآية

ثم قال كلا والله لتأمرن المعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وغير ذلك من الآيات والأخبار والآثار التي لا تكاد تحصر وقد ذكر منها جملة في الزواجر فعليك بها (و) علم مما تقرر أنه (يجب) على كل مكلف (ترك جميع المحرمات) صغائرها وكبائرها لاسيما المتعلقة بالباطن كالعجب والكبر وغيرهما مما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى (و) أنه كما يجب عليه تركها في حق نفسه يجب عليه (نهى مرتكبها) أي مرتكب شيء منها ولو صغيرة كما تقرر باللسان إن لم يقدر عليه باليد (أو منعه قهرا) عليه من ارتكاب شيء منها باليد (إن قدر عليه) أي على منعه وقهره من ذلك بها (وإلا) يقدر على شيء من ذلك (وجب عليه) الرتبة الثالثة وهي رفعه إلى الوالي فإن عجز وجب عليه (أن ينكر ذلك بقلبه) أي يكرهه به كما مر وهذا يقدر عليه كل أحد (و) يجب عليه أيضا مع الإنكار بالقلب (مفارقة موضع المعصية) فلا يجالس فاعلها ولا يواكله قال ﷺ أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يا رب إن فيها عبدك فلان لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقال ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وأكلوهم وشاربوهم فضرب الله على قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

(تنبيهان: الأول) قال في الزواجر واعلم أن بعض الجهلة إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر قال قال تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وما علم الجاهل بقول سيدنا أبي بكر ﷺ وكرم وجهه إن من فعل ذلك أردف إثم العصية يائم تفسيره برأيه أي وهو من الكبائر وإنما معنى الآية عليكم أنفسكم بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قاله ابن المسيب وفيها أقوال آخر الثاني ينبغي للأمر والنهي تقديم النية الصالحة بأن ينوي النصيح لله ورسوله والشفقة على المسلمين كما حكى عن بعضهم أنه أقبل على نحو أربعين دنا من خمر لبعض الأمراء فكسرها كلها إلا واحدا فأتى به إلى الأمير فسأله عن ذلك فقال لما كسرت تلك دخلني العجب في الإقدام عليها مع كونها للأمير فتركت هذا وقيل لداود الطائي أرايت رجلا يدخل على الأمراء فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قيل إنه يقواه قال فالسيف قيل كذلك قال فالداء الدفين العجب وليحذر من التحدث بما يفعله مع نحو الأمراء فإنه من الرياء إذ فيه إشعار بأنه ما قدم على ذلك إلا ليقال إنه (69/1) من الإقوياء في الإيمان الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم فقد كان مقصد الأكابر بالقيام بذلك ردع أهل الظلم وإقامة الحق (حكى) أن هـ 'رون الرشيد أرسل لجارية تغنى فمرت ومعها العود على شيخ يلقط النوى فقبل له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فكسره فأخبره 'رون بذلك فغضب وطلبه فلما استؤذن عليه به قال للندماء ما ترون نرفع ما عندنا من المنكر أو نقوم لمحل آخر فقاموا لآخر ثم دخل فسلم وجلس فقال هرون ما حملك على ما فعلت قال أي شيء وهرون يستحي أن يقول له كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرعون على المنبر إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية وإني رأيت منكرا فغيرته فقال له هرون قم فغير فلما خرج أعطى رجلا بدرة دراهم وقال أتبعه فإن رأيت يقول قلت للأمير كذا وقال لي كذا فلا تعطه وإن لم يتكلم فاعطه فلما خرج رآه عند نواة غاصت في الأرض يعالجها ولا يكلم أحدا فقال له خذ هذه من الأمير فقال له قل له يردها من حيث أخذها فكذا كان العارفون لا يعاؤون بما صدر منهم ولا ينظرون إليه بعين الاستعظام بل قد يرونه نقصا ويرون أن الحسنة إذا أفضت إلى نحو القرب من سلطان مع القصد الصحيح عسى أن يسلم صاحبها لا له ولا عليه قال بعضهم إذا تحرك العبد لإزالة المنكر فقامت دونه موانع فإنما ذلك لفساد نيته فلو صحت مع الله تعالى واستأذنته فيها واستعان لم يقم دونه مانع (وحكى) أن عابدا بلغه أن قوما يعبدون شجرة فخرج لقطعها فلقية إبليس وقال له أي شيء لك وقطعها أرجع لعبادتك فقال لابد منه فقاتله فصرعه فقال له أنت رجل ولكن أرجع وأنا أجعل لك كل ليلة دينارين تحت رأسك وإذا شاء الله قطعها أرسل لها غيرك وماذا عليك إذ لم تعبدها أنت فرضى فرجع فلما أصبح وجد دينارين ثم من الغد كذلك وفي الثانية لم يجد شيئا فخرج ليقطعها فلقية وقال له كما مر فأبى فقاتله فصرعه إبليس فقال كيف صرعتني الآن فقال لأنك أولا خرجت لله والآن خرجت للدينارين والله الموفق ولما ذكر المحرمات احتاج لبيان ضابطها فقال (والحرام) هو (ما توعده الله) (مرتكبه) المكلف مع العلم والتعمد (بالعقاب) أي وإن كان قد يعفو عن بعض مرتكبه وزاد قوله (ووعده تاركه) أي امتثالا (بالثواب) في الآخرة لمجرد فائدة ما يترتب على تركه ويعرف ذلك بنص أو إجماع على المنع منه بعينه أو من جنسه أو على أن فيه حدا أو تعزيرا أو وعيدا ثم التحريم إما لمفسدة أو مضرة خفية كالزنا ومذكى المجوسى أو واضحة كالسم والخمر كما بينه العلامة ابن حجر في شرح الأربعين

(فصل) قد تقرر أنه لابد من معرفة الواجبات فلا بد من بيانها وهي كثيرة فمنها ما يجب كل يوم ومنها ما يجب في السنة مرة ومنها ما يجب في العمر مرة وتحت كل أفراد كثيرة (فمن الواجب) على كل مكلف كما يأتي المعلوم من الدين بالضرورة بل هو أحد أركان الإسلام وأفضلها بعد الشهادتين بل وأفضل سائر العبادات البدنية والمالية والقلبية كما في العوارف (خمس صلوات في) مجموع (اليوم والليلة) والجمعة في يومها واحدة منها ولم تجمع لغير نبينا ﷺ بل كان لآدم ﷺ الصبح ولداود ﷺ الظهر وسليمان ﷺ العصر وليعقوب ﷺ المغرب وليونس ﷺ العشاء ثم أن صلوات جمع صلاة أصلها فعلة بفتحات ولامها واو قلبت ألفا هذا إن أخذت من

الصلوين (70/1) وهما عرقان ينحنيان عند الركوع والسجود فإن أخذت من الوصل لأنها وصلة بين العبد وربّه فوزنها علفة بتأخير الفاء عن اللام وقيل إنها من الصلى وهو الاصطلاء على النار لأنها مفيدة للاستقامة كما أن الصلى مفيد لاستقامة الخشبة المعوجة فالعبد المعوج بسبب نفسه الأمانة إذا أراد تقويمها عرضها على نار الصلاة وهى ما يكشف فيها من حجاب سبحات وجهه الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته فإذا أصيب المصلّى الخاشع بشيء من تلك النار المشاهدة بقدر الإمكان زال ما به من إعوجاج نفسه بل يتحقق بذلك معراجة إلى معالم القلب والروح ولذا كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر لإحراقها لهما فالمطلّى بنار السطوة الإلهية كالمطلّى بالنار المعروفة ومن اصطلى بها وزال إعوجاجه لم يعرض على نار جهنم ثم هى لغة الدعاء فكان المصلّى يدعو الله بجميع جواحه الظاهرة والباطنة وإذا دعاه كذلك أجابه لوعده بذلك واصطلاحاً أقوال وأفعال غالباً مفتوحة بالتكبير مختمة بالتسليم فدخلت صلاة الأخرس والمجرى الأركان على قلبه بشرطه قال السحيمى وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله ﷻ ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء واستعمال الجوارح فى خدمته ﷻ إذا تقرر ذلك فالأولى من الخمس (الظهر) وهو لغة الزوال واصطلاحاً اسم للصلاة المفعولة وقته سميت بذلك لأنها أول ما ظهرت فى الإسلام ولذا قدمها المصنف ﷻ أو لفعلها وقت الظهيرة أى شدة الحر وتسمى الأولى وصلاة الهجيرة (و) لا تجب كغيرها إلا إذا دخل (وقتها) الكلى لكن وجوباً موسعاً إلا أن يبقى منه ما يسعها مع مقدماتها وإلا فمضيها وأوله (إذا زالت الشمس) يعنى عقب زوالها أى ميلها عن وسط السماء المسمى بلوغها إليه بالاستواء باعتبار ما يظهر لنا لا بنفس الأمر فإنه يتحقق فيه قبل ذلك فلا حكم له لو وافقه التحريم قبل ظهوره لنا ومثلها باقى الصلاة فى نظير ذلك إذ التكليف لا تربط إلا بما للحس دخل فيه ثم يبقى (إلى مصير ظل كل شيء مثله غير ظل) الشمس الموجود عند (الاستواء) فى غالب البلاد وقد ينعدم فى بعضها كمكة وصنعاء فى بعض الأيام وهو يوم واحد أطول أيام السنة كما فى الإيعاب وقيل أربعة وعشرون يوماً قبل أطول الأيام وبعده كذلك والظل لغة الستر واصطلاحاً أمر وجودى يخلقه الله ﷻ لنفع البدن وغيره تدل عليه الشمس فى الدنيا أما فى الآخرة فلا شمس والفاء خاص بما بعد الزوال ولها ستة أوقات غير الكلى من حيث التسمية وإلا فهى أجزاء له وترجع لخمس كما قاله العلامة الكردى وقت فضيلة أوله وجواز إلى بقاء قدر ما يسعها كلها وهو وقت الاختيار أى ضاً وحرمة وهو أن يبقى من الوقت ما لا يسعها كلها بأخف ممكن من فعل نفسه وضرورة وهو الوقت الذى يزول المانع فيه كحيض وجنون وإسلام ويسع قدر تكبيرة التحريم وسيأتى بيانه وعذر وهو وقت العصر لمن يجمع قال العلامة الشرقاوى والمعتمد أن الاختيار والفضيلة والجواز مشتركة فى أول الوقت فإذا مضى قدر وقت الفضيلة خرج وبقي الاختيار إلى نصف الوقت تقريباً فيخرج ويبقى الجواز إلى ما يسعها كما مر (و) الثانية (العصر) وهو لغة الدهر واصطلاحاً الصلاة المخصوصة وتسمى الوسطى وهى أفضل الصلاة بعد الجمعة كما يأتى فى الجماعة سميت بذلك لمعاصرتها أى مقارنتها لغروب الشمس (و) يدخل (وقتها) الكلى (من بعد) خروج (وقت الظهر) فيدخل بمصير ظل كل شيء مثله مع بعض زيادة على ظل الاستواء إذ المصير من (71/1) وقت الظهر والزيادة من العصر لكن لا يكاد يعرف وقتها إلا بمضيها ويبقى (إلى مغيب) جميع قرص (الشمس) وإن تأخر عن وقته المعتاد كرامة ولها غير الكلى سبعة أوقات كذلك فضيلة أوله واختيار إلى مصير ظل الشيء مثليه غير ظل ظل الاستواء وجواز بلا كراهة من بعد ذلك إلى الإصفرار ثم بكراهة إلى ما لا يسعها ثم حرمة ووقت عذر وهو وقت الظهر لمن يجمع وضرورة وهو ما مر (و) الثالثة (المغرب) وهو لغة وقت الغروب واصطلاحاً الصلاة المخصوصة فى ذلك الوقت وتسمى صلاة الشاهد (و) يدخل (وقتها) الكلى (من بعد مغيب) جميع قرص (الشمس) ويعرف بزوالها من رءوس الجبال وبرؤية الظلام من جهة المشرق بخلاف وقت الفجر فيخرج بطلوع بعضها ويبقى فى القديم المعتمد اعتبار مغيبه فى هذه ونحوها بل هو جديد أيضاً كما بينه العلماء ﷻ ويبقى (إلى مغيب) جميع (الشفق) للأحاديث الصحيحة فى ذلك كخبر وقت المغرب ما لم يغيب الشفق وهو الحمرة وإطلاقه على نحو الأبيض مجاز فقوله ﷻ كغيره (الأحمر) صفة كاشفة مؤكدة كعشرة كاملة وقدر المؤقتون مغيبه بعشرين درجة من مغيب الشمس فلو تقدم عن ذلك أو تأخر فالعبرة بما وقتوه كذا قاله العلامة الشرقاوى لكن فى البجيرمى أن المعتمد اعتبار مغيبه ولها سبعة أوقات غير الكلى كما مر فضيلة واختيار وجواز أوله ثم كراهة ثم حرمة وضرورة وعذر وهو وقت العشاء لمن يجمع (و) الرابعة (العشاء) بكسر العين والمد اسم لأول الظلام سميت به الصلاة المخصوصة لفعلها فيه (و) يدخل (وقتها) الكلى (من بعد) خروج (وقت المغرب) فيدخل بغروب الشفق ويسن تأخيرها إلى مغيب الصفرة والبياض خروجاً من الخلاف ويبقى (إلى طلوع الفجر الصادق) وهو المنتشر ضوءه من جهة المشرق فقط معترضاً بنواحي السماء وقبله يطلع الكاذب مستطيلاً أعلاه أضوء من باقيه ثم تعقبه ظلمة ثم يطلع الصادق وبينهما خمس درج وقد يتصل بالصادق وكلاهما بياض شعاع الشمس عند قربها من الأفق الشرقى ولها سبعة أوقات غير الكلى فضيلة أوله ثم اختيار إلى ثلث الليل ثم جواز بلا كراهة إلى الفجر الكاذب ثم بها إلى ما لا يسعها ثم حرمة إلى الفجر الصادق وعذر وهو وقت المغرب لمن يجمع وضرورة (و) الخامس (الصبح) يدخل (وقتها) الكلى (من بعد) خروج (وقت العشاء) فيدخل بطلوع الفجر الصادق ويبقى (إلى طلوع) بعض قرص (الشمس) ولها ستة أوقات غير الكلى فضيلة أوله ثم اختيار إلى الأسفار أى الإضاءة بحيث يميز الناظر القريب منه لأن

جبريل ﷺ صلاها ثانی يوم كذلك بالنبي ﷺ ثم جواز بلا كراهة إلى الحمرة ثم بها إلى أن يبقى من وقتها ما لا يسعها ثم حرمة وضرورة وى نهائية شرعا ليلية حقيقة ولذا طلب الجهر فيها وهى الوسطى عند الشافعى ﷺ لكن صحت الأحاديث بأنها العصر مذهبه اتباع صحة الحديث فتحصل أن مجموع تلك الأوقات سبعة تجرى فى جميع الصلوات إلا الصبح فليس له وقت عذر وإلا الظهر فليس لها وقت كراهة وأن وقت الاختيار والجواز متحد فى الابتداء والانتهاى فى المغرب وأن له ثلاث إطلاقات كما فى الكردى وإن قال فى التحفة إطلاقان ويكره تسمية المغرب عشاء والعشاء عتمة والنوم قبلها والحديث بعدها إلا فى خير كقراءة ومطالعة وإيناس **(72/1)** نحو ضيف وإذا علمت ذلك **(فتجب هذه الفروض)** الخمسة بمعنى إيقاعها **(فى أوقاتها الخمسة)** المذكورة من غير تقديم ولا تأخير فلا بد من تحقق دخول وقت كل صلاة وإلا لم تصح ولا تجب هذه الفروض إلا **(على كل)** شخص **(مسلم)** ولو فى الماضى فشمّل المرتد والذكر وغيره أما الكافر الأصلى فلا تجب عليه بمعنى أنه لا يطالب بها فى الدنيا لعدم صحتها منه وإن عذب على تركها ما لم يسلم كغيرها من الفروع المجمع عليها فى الآخرة لتمكنه من فعلها بالإسلام **(بالغ)** لا صبي **(عاقل)** لا مجنون وسكران غير متعدّ بلغته الدعوة لا من لم تبلغه لعدم تكليفهم ومعنى وجوبها على المتعدى بنحو جنون وجوب انعقاد بسبب بمعنى أنه يجب عليه القضاء **(ظاهر)** لا حائض ونفساء وإن استعجلنا ذلك بدواء لتكليفهما بتركها فى زمانهما وإذا تقرر أنه لا بد من تحقق دخول الوقت **(فيحرم)** على من وجبت عليه **(تقديمها)** أى الصلوات المذكورة ومثلها المنذورة **(على)** دخول أول **(وقتها)** المشروع **(و)** كذا **(تأخيرها)** إلى ما لا يسعها من آخر وقتها بأن يقع بعضها ولو التسليمة الأولى خارجه وإن سميت أداء بل سيأتى أن تقديمها أو تأخيرها **(عنه بغير عذر)** شرعى كنوم وإنقاذ غريق وتجهيز ميت خيف انفجاره وتوقف ذلك عليه من الكبائر بخلاف ما إذا كان لعذر فإنه لا يحرم بل قد يجب التأخير كما فى إنقاذ الغريق وما بعده كما فى شرح الأربعين وعلم مما تقرر أنه لا يجب إيقاعها أول وقتها فإذا أخرها عنه **(فإن طرأ مانع)** من موانعها **(كحيض)** أو جنون أو إغماء وكان طروء **(بعد ما مضى من)** أول **(وقتها ما)** أى زمن **(يسعها)** أى يسع أركانها فقط بالنسبة لمن يمكنه تقديم الطهر على الوقت كسليم غير متيمم وبعد أن يمضى منه ما يسعها **(وطهرها)** بالنسبة لمن لا يمكنه تقديمه **(لنحو سلس)** بكسر اللام وفتحها كمتيمم **(لزمه)** بعد زوال المانع **(قضاؤها)** أى قضاء ضلّة ذلك الوقت لإدراكه من وقتها ما يمكنه فعلها فيه فلا تسقط بما طرأ **(أو زال المانع)** كأن بلغ أو أفاق أو طهرت أو أسلم **(و)** الحال أنه **(قد بقي)** جزء **(من الوقت)** ولو كان **(قدر)** ذلك الجزء قدر زمن **(تكبيره)** للتحريم **(لزمته)** صلاة ذلك الوقت فيجب عليه قضاؤها إن لم يمكنه أدائها فى الوقت بشرط بقاء السلامة من الموانع قدر الصلاة بأخف ممكن كركعتين لمسافر وإن أراد الإتمام تغليباً للإيجاب كافتداء قاصر بتمم وقدر الطهارة وكذا باقى الشروط فى غير الصبي والكافر لإمكانهما تقديمها على زوال مانعها عند حج **(وكذا)** يلزمه **(ما)** أى الصلاة التى **(قبلها إن جمعت معها)** كالظهر مع العصر لاتحاد وقتها فى العذر ففى الضرورة أولى فيجب عليه قضاؤها بشرط بقاء السلامة بعد زوال المانع قدرها كذلك وقدر مؤداة وجبت فلو بلغ ثم جنّ مثلاً قبل ما يسع ذلك فلا يجب القضاء وإن زال الجنون عن قرب أو أدرك ركعة من العصر مثلاً وعاد المانع بعد ما يسع المغرب فقط وجبت لأنها صاحبة الوقت وما بقي لا يكفى العصر لكن إن لم يشرع فيها قبل الغروب وإلا نقضت عند حج أو قدر ركعتين من كل منهما وجبت العصر عنده ولم تجب عند م ر أو ما يسعها مع الطهارة دون الظهر تعين لهما وسقط الظهر أو قدر ثلاث ركعات آخر وقت العشاء لم تجب كالمغرب

(فصل) فيما يلزم أولياء نحو الصبيان وفى حكم تارك الصلاة **(يجب على وليّ الصبي والصبية (73/1)** المميزين) من كل من الأبوين وإن علا ولو من جهة الأم على الكفاية فيسقط بفعل أحدهما عن الآخر لأنه من الأمر بالمعروف ولذا خوطبت به الأم ولا ولاية لها ثم الوصي فالقيم فالملتقط ومثله السيد والمودع والمستعير **(أن يأمرهما)** أى الصبي والصبية **(بالصلاة)** ولو قضاء وبغيرها من أمور الشرع الظاهرة ولو سنة كسواك وينهاهما عن منهيّاته ولو مكروها كالشرب قائماً ولا بدّ مع الأمر من التهديد لكن بغير ضرب **(و)** أن **(يعلمهما)** بنفسه أو نائبه أحكامها أى الصلاة من شروط وأركان وإنما يجب ذلك **(بعد)** أى عقب تمام **(سبع سنين)** إن ميزا كما فهم من قوله أولاً المميزين بحيث يأكل كل منهما ويشرب ويستنجى وحده ولا يجب قبلها وإن ميزا لندرتة قبلها **(و)** يجب عليه أيضاً أن **(يضرّبهما على تركها)** أو ترك شىء من واجباتها أو المجمع عليه من غيرها ضرباً غير مبرح فإن لم يفد إلا هو تركه ويسن للمؤدب ولو معلم القرآن أن لا يزيد على ثلاث ويحرم تبليغه أدنى الحد لكن لا يجب الضرب عليها إلا **(بعد)** أى عقب تمام **(عشر سنين)** عند حج وعند ابتدائها عند م ر لخبر مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع لكن التفريق غير واجب وغير الصلاة من المجمع عليه **(كصوم)** شهر رمضان إذا **(أطاقاه)** مثلها فيجب أمرهما به لسبع وضرّبهما عليه لعشر وحكمة ذلك التمرين لهما حتى يألّفاه بعد الوجوب عليهما ويجب أيضاً ضرب زوجة كبيرة على نحو ترك الصلاة إن أمن النشوز وكذا صغيرة لكن وجوبه على أبويهما فإن عدما فالزوج **(و)** كذا **(يجب عليه)** أى الولي **(أيضاً)** مصدر أض بمعنى رجع **(تعليمهما)** أى الصبي والصبية **(ما يجب عليهما)** بعد بلوغهما من كل ما يضطر لمعرفته من الأمور الضرورية المشترك فيها الخاص والعام وإن لم يكفر جاحداً ومنه ما مر أول الكتاب من العقائد **(و)** كذا تعليمهما **(ما يحرم)** عليهما كالجهل بما مر والزنا

واللواط والغيبة والنميمة وغير ذلك مما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى (ويجب على ولاية الأمر) بضم أوله جمع وال أي ولاية أمر المسلمين (قتل تارك الصلاة) المكتوبة حداً إن تركها (كسلاً) أي تغافلاً عنها أو تهاوناً بها مع اعتقاد وجوبها أما تاركها جحوداً فكافر كما مر ويقتل إن لم يسلم كفراً لا حداً ولا يقتل نحو فاقد الطهورين بتركها للخلاف في وجوبها عليه ومثله كل من يلزمه القضاء وإن لزمته اتفاقاً لأن إيجاب قضائها شبهة في تركها وإن ضعف بخلاف ما لو قال من تلزمه الجمعة إجماعاً لا أصليها إلا ظهراً فإن الأصح قتله والقول بأنها فرض كفاية شاذ لا يعول عليه وتسبب استتابته أولاً فوراً وقيل تجب كما مر ثم (إن لم يتب) ضرب عنقه بالسيف إذا خرج وقت الجمع فيما تجمع فيقتل بالظهر إذا غربت وبالمغرب إذا طلع الفجر وبالصبح إذا طلعت لأن الوقتين قد يتحدان فكان شبهة دائرة عن القتل ولذا لو ذكر عذراً ولو فاسداً كان قال صليت ولو ظن كذبه لم يقتل وظاهر أنه يقتل بترك الجمعة إذا ضاق الوقت عن أقل ممكن من الخطبة والصلاة لأن العصر ليس وقتاً لها (وحكمه) إذا قتل في الدنيا (مسلم) فيعطى حكمه في التجهيز والصلاة والدفن في مقابرنا ولا يطمس قبره وعلى ندب الاستتابة لا يضمنه من قتله قبلها لكنه يائمه من جهة الافتيات على الإمام (ويجب على كل مسلم) مكلف أباً كان أو غيره (أمر أهله) يعني من له عليه ولاية من ولد وزوجة ورقيق وغيرهم (بها) أي الصلاة المكتوبة (74/1) مع التهديد (و) إذا أمرهم ولم يمتثلوا وجب عليه (قهرهم) عليها بنحو ضرب ولو لزوجة كما مر (وتعليمهم أركانها وشروطها ومبطلاتها) إن عرف ذلك وإلا فيسأل العلماء ويعلمهم أو يأذن لهم في الخروج لتلم ما يجب عليهم تعلمه ويحرم عليه منعهم من الخروج للتعلم ولو زوجة ومن لم يمتثل أبعد عنه وغضب عليه أشد مما يغضب عليه لو أثلف ماله (و) كذا يجب عليه تعليم (كل من قدر عليه من) المسلمين (غيرهم) سواء معارفه وغيرهم لأنه من الأمر بالمعروف فإن لم يفعل ذلك أثم وأثم منهم المكلف ولا يجوز لمسلم أن يجالس أو يوالى قاطع الصلاة بمعاملة أو غيرها وقد أغفل ذلك كثير من فتراهم يخالطونهم ويواكلونهم ويستعملونهم في نحو التجارة ولا يبينون لهم ذلك ولا ما ورد في تركها وإخراجها عن وقتها ولا ما في فضلها وفضل الجماعة من الثواب وذلك مما يهدم الدين قال الحبيب أحمد بن سميط فعليك يا أخى أن تبين لكل جاهل ذلك وإلا فانت أول من تسعر بهم النار كما ورد في الحديث إذ كل من عرف شيئاً ولم يعلمه غيره داخل فيمن علم ولم يعمل بما علم واعلم أن البلاء إذا نزل يعم الصالح مع الطالح وقد بلغنا أن قرية عذبها الله تعالى وفيها ثمانية عشر ألفاً أعمالهم كأعمال الأنبياء غير أنهم لا يغضبون لله والله الموفق (فصل ومن شروط) صحة (الصلاة الوضوء) وهو أول مقاصد الطهارة وليس من خصوصياتنا بل الخاص بنا الغرة والتحجيل أو بالكيفية المخصوصة والأفصح صم أوله إن أريد به الفعل وفتحته إن أريد به الماء من الوضوء أي النظافة سمي بذلك لإزالته ظلمة الذنوب ولكون الصلاة مناجاة للرب طلب لها التنظيف ثم أن له ولو مندوباً فرضاً ونواقض (و) لا بد من بيانها فحينئذ (فروضه ستة) أربعة بالكتاب والسنة واثنان بالسنة النية بحديث إنما الأعمال أي إنما صحتها بالنيات والترتيب بحديث ابدؤا بما بدأ الله به إذ العبرة بعموم اللفظ بل قيل إن الترتيب بالآية لأنه فرق فيها بين المغسولات بالمسح والعرب لا تفرق بين المتجانسات إلا لنكتة ونواقضه أربعة ستأتي في الفصل الآتي (الأول) من الفروض النية وهي قصد الشيء مقترناً بفعله غالباً فلا يرد نحو الصوم والزكاة وحكمها الوجوب ومحلها القلب والتلفظ بها سنة والمقصود بها تمييز العبادة وتمييز رتب العبادة ككونها فرضاً أو نفلاً وشرطها الإسلام والتمييز والعلم بالمنوى وتحقق المقتضى والقدرة على المنوى وعدم الإتيان بما ينافيها من نحو ردة وتردد في قطعها وكيفيةها بحسب الأبواب ويجزئ فيها هنا ولو من نحو سلس (نية الطهارة للصلاة) أو أداء الطهارة أو الطهارة الواجبة ولا بد أن تكون (بالقلب) كما مر فلا يكفي التلفظ بها من غير استحضارها بقلبه ولا تتعين هذه النيات بل إما هي (أو غيرها من النيات المجزئة) كنية فرض الوضوء أو أدائه وكذا الوضوء فقط لكنه خلاف الأولى للخلاف فيه واستباحة مفتقر إلى وضوء كصلاة ومس مصحف لا ما تستحب له كقراءة القرآن وكذا رفع الحدث أو الطهارة عنه في سليم إذ حدث السلس لا يرتفع ويستبيح السلس ما يستبيحه المتيمم ويجب أن تكون النية (عند غسل) أول جزء من (الوجه) فمتى قرنت بجزء منه كفت وفي اقترانها بما لا يتم الواجب إلا به خلاف وما غسل قبلها تجب إعادة غسله نعم يكفي قرنهما بسنة كغسل الكفين بشرط أن يستحضرها عنده والأولى أن ينوي عند (75/1) غسلهما سنن الوضوء وعند غسله فرضه لأنه إذا نوى عندهما فرضه وانغسل جزء منه كحمرة الشفة عند ذلك فأتت عليه سنتا المضمضة والاستنشاق وفيه كلام لا يحتمله المقام ويجوز تفريقها على الأعضاء ونية تبرئ معها (والثاني غسل) ظاهر (الوجه جميعه) يعني انغساله ولو بفعل غيره أو بنحو سقوطه في ماء مع استحضار النية وكذا يقال في باقى الأعضاء أما باطنه كباطن العين والفم والأنف وإن ظهر بنحو قطع إذ العبرة بالأصل وإنما جعل في النجاسة ظاهراً لغلظها فلا يجب غسله نعم يجب غسل ما باشره القطع وحد الوجه طولاً (من منابت شعر رأسه) أي المتوضئ (إلى) أسفل اللحيين وهما منبت الأسنان السفلى وأسفل (الذقن) بفتح أوله المعجم وثنائه وهو مجمع اللحيين (و) عرضاً (من) وتد (الأذن إلى) وتد (الأذن) الأخرى ولا يجب غسلهما لكن يسن فيجب غسل جميع ما بين هذه المذكورات (شعراً) ظاهره وباطنه ومنه الغمغمة وهو ما ينبت عليه الشعر من جهة الأغم إذ لا عبرة بنباته في غير محله كما لا عبرة بانحساره عن محله كالناصية والهدب بضم فسكون أو فتح وهو ما ينبت على أجفان العين والحاجب وهو ما ينبت بأعلى العين والشارب والعدار وهو

ينبت على عظم ناتئ قرب الأذن والعنققة {وبشرا} ومنه ما يظهر من حمرة الشفتين عند إطباق الفم وما باشره القطع من أنف المجدوع كما علم مما مرّ والبياض الذي بين العذار والأذن {إلا باطن} ما خرج عن حد الوجه لو مدّ إلى جهة نزوله ولو من غير ذكر عند م ر و باطن {لحية الرجل} يعنى الذكر وهى بكسر اللام الشعر النابت على الذقن بخلاف لحية غيره فيجب غسل ظاهرها وباطنها وإن كثفت لندرتها فى المرأة وللاحتياط فى الخنثى {و} باطن {عارضيه} أى الذكر وهما الشعر الذى بين اللحية والعذار فيستثنى باطن شعر هذه الثلاثة لكن لا مطلقا بل {إذا كثفت} بحيث لا ترى البشرة من خلالها فإن خفت وجب غسله أيضا ولو خف البعض فلكل حكمه إن تميز وإلا غسل الجميع ويجب غسل سلعة نبتت فى حدّ الوجه وإن خرجت عنه وجزء من سائر الجوانب ويستحب تخليل اللحية الكثّة ككل ما لا يجب غسل باطنه وكونه بماء جديد وبأصابع اليمنى ومن أسف للاتباع {والثالث غسل اليدين} يعنى غسل كل يد أصلية كانت أو زائدة التبسّت بها أو سامتها {مع المرفقين} بكسر ففتح أفصح من عكسه تنفية مرفق كذلك وهو مجتمع عظم الساعد والعضد ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل ما بقى فإن أبين الساعد وجب غسل رأس العضد أو من فوق المرفق سنّ غسل العضد {و} مع {ما عليهما} من شعر وإن كثف وطال وظفر وشق وثقب وحاصل حكمهما فى اليد وغيرها أنه يجب غسل ما كان فى الجلد منها لا ما جاوزه إلى اللحم إن لم يظهر العضو من الجانب الآخر وإلا وجب غسل جميعه حيث لا ضرر والشوكة إذا استترت فواضح أو ظهر رأسها وجب إخراجها إن لم تجاوز الجلد وإلا فلا ويكفى غسل قشر جرح وإن لم يتألم به وإن خرج بعد غسله كما لو قطع شعرا أو ظفرا بعد الطهر فلا يجب غسل ما ظهر منهما {والرابع مسح} يعنى وصول البلل إما لجميع شعر وبشر {الرأس} ومنه البياض الذى وراء الأذن {أو} لبشر {بعضه} أو شعره فيكفى مسح جزء منه {ولو شعرة} واحدة أو بعضها لكن بشرط أن تكون {فى حده} أى الرأس بحيث لا تخرج بالمدّ عنه لجهة النزول فما يخرج لا يكفى المسح عليه وإن مسح فى حده ولو وضع يده المبتلة على {76/1} خرقة برأسه فوصله البلل أجزأ وإن لم يقصد الرأس عند حجر لأنه إذا وقع الغسل بفعله لا يحتاج لتذكر النية والمسح مثله {والخامس غسل الرجلين مع الكعبين} من كل منهما ومع ما عليهما مما مرّ فى اليدين ويجب إزالة ما فى شقوقهما من نحو شمع لم يصل لغور اللحم وليس غسلهما بمتعين على لابس الخف بشرطه بل إما هو {أو مسح} بعض ظاهر أعلا {الخف} المحاذى لظاهر القدم من الكعب وغيره لكن لا يجزئ المسح عليه إلا {إذا كملت شروطه} بأن يكون فى وضوء لا غسل وإزالة نجاسة وفى بعض ظاهر أعلا كل من الخفين ولو على شعره كما استوجهه فى الفتح قياسا على مسح الرأس وخالفه ابن زياد وأن يكون لبسه بعد طهر كامل وضوء أو غيره وأن يكون الخف طاهرا وقويا يمكن تتابع المشى عليه بلا نعل ولو لمقعد ثلاثة أيام لمسافر فى حاجته عند حط وترحال وغيرها مما جرت به العادة ويوما وليلة لمقيم فى حاجة إقامته وقبل سفره ومانعا نفوذ الماء من غير الخرز وينزعه المقيم بعد مضى أربع وعشرين ساعة والمسافر بعد اثنين وسبعين من نهاية الحدث عند ابن حجر ومن ابتدأه عند م ر إن أراد مسحاً عليه وسن مسح أعلاه وأسفله وحرّفه وكونه خطوطا وبالكيفية المشهورة ويسن المسح لمن وجد ثقله على نفسه لعدم إلفه لا لإتيانه بالغسل الأفضل أو يقتدى به أو خاف فوت الجماعة لو غسل ومثله بقية الرخص وقد يجب إذا توقف عليه إدراك واجب كوقوف بعرفة ووقت مفروضة وإنقاذ غريق أو معه ماء يكفيه لو مسح ولا يكفيه لو غسل ولا يكلف لبسه لو كان متوضئا وأرهقه حدث ومعه ذلك {والسادس الترتيب} إن لم يجنب بأن يرتب بين الأعضاء {هكذا} أى كما ذكر فى تعدادها فيبدأ بالوجه فاليدان فالرأس فالرجلين فلو قدم شيئا لم يعتد به أو غسلت أعضاؤه معا ارتفع حدث الوجه فقط ويكفى الترتيب ولو تقديرا كان غطس فى ماء قليل ناويا وإن لم يمكث زمنا يمكنه الترتيب الحقيقى فيه لأنه يحصل فى لحظات يسيرة لا تظهر فى الحس أما الجنب فيسقط عنه فلو غسل ما سوى أعضاء الوضوء ثم أحدث جاز أن يقدم ما شاء وتجب الموالاة فى وضوء نحو سلس منى واستصحاب حكما على كل متوضى بأن لا يأتى بما ينافيها {تنبيه} قال فى العوارف ومن آداب الوضوء حضور القلب فيه فإنه إذا حضر فيه حضر فى الصلاة وإذا سها فيه دخلت الوسوسة الصلاة وتندب استدامته إذ هو سلاح المؤمن وكان السلف يداومون عليه حتى أن بعضهم كان فى عينه ماء فقال له الطبيب لا تمس الماء أياما فلم يرض واختار الوضوء على بصره رضى الله عنهم أجمعين قال حجة الإسلام ومن المحافظة على الصلاة المحافظة على الطهارة بأن تسبغ الوضوء قبل الصلاة ويحصل بأن تأتى بجميع السنن والأذكار المروية عند كل وظيفة منها وتحتاط فى طهارة الماء احتياطا لا يفتح عليك باب الوسوسة فإن الشيطان بوسواس الطهارة يضيع أوقات أكثر العباد واعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج وطهارة البدن وهو القشر القريب طهارة القلب وهو اللب الباطن إذ طهارته عن نجاسة الأخلاق الذميمة أمّ الطهارة وفى طهارة الظاهر أثر فى إشراق نور القلب فإذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة الباطن وجدت فى القلب صفاء لا تجده قبل ذلك فإن تجد شيئا فاعلم أن الدرن الذى على قلبك من كدورات الشهوات اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف فاشتغل بجلائه فإنه أوجب عليك مما أنت فيه قال بعض المحققين الوضوء على {77/1} ثلاثة أقسام وضوء العوام وهو غسل الأعضاء ووضوء الخواص وهو غسل القلب من ذمائم الباطن وخواص الخواص وهو طهارة السر والروح عن خطرات الغير

{فصل-} فى بيان الحدث والمراد عند الإطلاق الأصغر غالبا {و-} هو كل ما {ينتقض الوضوء-} من الأسباب الأربعة الآتية وإنما آخر المصنف كجمع هذا الفصل عما قبله ليعرف أولا ما يبطل بهذه الأسباب وقدمه آخرون ليعرف أولا ما يتوضأ منه الأول من الأربعة {ما خرج-} يقينا {من-} حتى واضح من أحد {السبيلين-} قبل والدبر إذا كان الخارج {غير المنى-} وفى نسخة بخط المؤلف إلا المنى أى منى الشخص نفسه وحده أول مرة أما هو فلا ينتقض لأنه أوجب الغسل بخصوص كونه منيا فلا يوجب الوضوء بعموم كونه خارجا بخلاف خروج منى غيره منه فإنه ينتقض ولو رأى على ذكره بللا واحتمل طروءه من خارج لم ينتقض وضوؤه {و-} الثانى {مس-} واضح أو مشكل جزءا من {قبل الأدمى-} الواضح ومنه القلفة المتصلة {أو-} مس جزء من {حلقة دبره-} أى الأدمى سواء كان حيا أو ميتا صغيرا أو كبيرا ذكرا أو غيره من نفسه أو غيره ولو أشل أو زائدا عاملا أو على سنن الأصل أو مشتبهها به والناقض من الدبر ملتقى المنفذ ومن قبل المرأة ملتقى شفريرها على المنفذ فقط وإنما بنقض المس إذا كان {ببطن الكف-} من اليد الأصلية ولو شلاء لخبر فيه ولأنه مطنة التلذذ وهو الراحة وبطون الأصابع وكان {بلا حائل-} بخلاف ما لو مسه برؤوس الأصابع أو حروفها وحرف الكف أو بحائل كخرقة أو مس دبر أو قبل غير آدمى أو أحد قبلى مشكل فلا ينتقض الوضوء {و-} الثالث {لمس-} الذكر يقينا ولو صبيا وممسوحا وعيننا ومكرها شيئا من {بشرة-} الأنثى {الأجنبية-} وعكسه إذا كان ذلك فيها {مع كبر-} لكل من اللامس والملموس يبلغ به حدا يشتهى عند ذوى الطباع السليمة ولو جنيا عند م ر ومع عدم الحائل وإن رقّ والبشرة ظاهر الجلد وألحق بها لحم الأسنان واللسان وكذا باطن عين وكل عظم ظهر عند م ر وباطن أنف كما فى الشرقاوى وإذا حصل اللمس بشرطه انتقض وضوء اللامس والملموس الحى بخلاف الميت {و-} الرابع {زوال العقل-} يقينا أى الغلبة عليه بجنون أو نحو صرع أو سكر أو إغماء ولو ممكنا أو بنوم {إلا نوم-} متوضى {قاعد ممكن مقعدته-} من مقرة كارض وظهر دابة ولو سائرة ومحتبيا وفى الصلاة للأمن من خروج شىء منه ولا نقض بالشك فى أنه هل نام أو نعس أو متمكنا أو لا أو هل زالت إحدى اليه قبل اليقظة أو بعدها

{فصل-} فى الاستنجاء وشروطه {و-} هو بالحجر من خصائصنا {يجب الاستنجاء-} عند خوف التضمخ بالنجاسة أو علمه أنه لا يجد الماء وقت الصلاة وعند إرادة نحو الصلاة أو دخول وقته فوجوبه أول الوقت موسع وآخره مضيق كبقية الشروط كما مر {من كل رطب-} ملوث {خارج من أحد السبيلين-} ولو نادرا كدم ولو نحو حيض وقليله يعفى عنه بعد الحجر إذ يغتفر فى الدوام ما لا يغتفر فى الابتداء إذا كان ذلك الرطب {غير-} نحو {المنى-} من كل طاهر أما هو فلا يجب الاستنجاء منه نعم يسن من المنى خروجا من الخلاف ثم أن الواجب على المستنجى إما أن يغسل محل الاستنجاء {بالماء-} على الأصل ولو من زمزم لكنه يكره منها فيغسل محله به {إلى أن يطهر-} ذلك {المحل-} ويكفى غلبة الظن فى ذلك وإذا بليت اليد {78/1} قبل الاستنجاء لم يظهر للنجاسة فيها رائحة {أو-} أنه {يمسحه-} أى المحل بالحجر ويكره من الحرم مع وجود غيره ولا يجب الاستنجاء من الريح نعم إن كان المحل رطبا ندب كمن غير الملوث فإن خرج من غير السبيلين ككتبة لم تعط حكم الفرج تعين الماء كالقلفة من الذكر ومدخل الذكر من الأنثى إذا وصلهما البول والأفضل الجمع بين الحجر والماء فإن أراد الاقتصار فالماء أفضل ولا يكفى الاقتصار على المسح بالحجر إلا بشرط أن يكون {ثلاث مسحات-} ولو بحجر واحد وإن لم تكن بأطرافه إن حصل الإنقاء بما دونها {أو-} بها وإلا فلا بد من أن يكون {أكبر-} منها بأن يزيد عليها {إلى أن ينقى-} بفتح أوله {المحل-} بحيث لا يبقى فيه ما تمكن إزالته بالحجر {وإن بقى-} فيه {الأثر-} الذى لا يزيله إلا الماء أو صغر الخذف ولا فرق بين مسح الذكر صعودا أو نزولا وما فى التحفة من أنه لا يكفى الصعود صغوه ويندب الإيتار إن حصل الإنقاء بشفع ولا يتعين الحجر بل إما به أو {بقالع-} غيره من كل ما هو بمعناه ولو حريرا لرجل ونقدا لم يطبع أو يهيا له لا بغير القالع لملاسته كقصب أو لزوجته أى تمططه وتمدده كما فى القاموس قال فى الإيعاب كجلد رطب أو تئثر أجزائه بأن يلصق منه شىء بالمحل كفحم رخو وتراب تئثر وأن يكون بنحو حجر {طاهر-} لا نجس ولا متنجس وإنما طهر الدباغ النجس جلد الميتة لأنه إحالة {جامد-} لا رطب ولا عليه رطوبة ولو خرقة ولو بوجيها إن لم تصل الرطوبة لوجهها الآخر كما فى الفتح {غير محترم-} أما بمحترم فلا يجزئ ويعصى به من حيث ذاته وإن كان يعصى أيضا بغيره من كل ما لا يجزئ من حيث كونه عبادة فاسدة كما قاله سم والمحترم ككتب علم شرعى وآلته كالمناطق المعهود الآن قال فى الإمداد بل هو من أعلاها وإفتاء النووى كابن الصلاح بجوازه به محمول على ما كان فى زمنهما وهو المخلوط بقوانين الفلسفة المنابذة للشرع بخلاف الموجود الآن فإنه محترم بل فرض كفاية بل عين إن وقعت شبهة لا تخلص إلا به وأطال فى الإيعاب فى ذلك وكمطعوم لنا فقط أو مع البهائم ولو على السواء أو للجن غير الماء كعظم وإن أحرق وصار فحما كما فى العباب ويكره بنحو قشر رمان وجوز إن كان له فى باطنه وأن يكون الخارج فى محله الذى استقر فيه عند خروجه {من غير انتقال-} عنه إلى غيره بأن لا يجاوز صفحته فى الغائط وهى ما ينضم عند القيام وحشفته فى البول وأن لا يدخل مدخل الذكر وإلا تعين الماء ويجزئ المسح فى الدبر وإن كان عليه شعر {و-} أن يكون المسح {قبل الجفاف-} للخارج كله أو بعضه وأن لا يختلط به غير جنسه وغير عرق ولو طاهرا وإلا ولو بعد استجماره تعين الماء سواء كان رطبا كماء أم جافا وسواء كان نجسا كروث أو طاهرا كتراب عند حج ولو استنجى بماء ثم بال مع

بقاء رطوبة الماء تعين الماء لاختلاطه بأجنيبي نعم لا يضر ماء الطهر بعد الاستجمار قال في بشري الكريم كان استنجى في دبره بحجر ثم في قبله بماء فوصل دبره ويسن استيعاب المحل بكل من الثلاث والاستنجاء باليسار والاعتماد على الأصبع الوسطى في الدبر إن استنجى بماء وتقديم القبل في الاستنجاء بالماء وتقديم الاستنجاء على الوضوء وذلك يده بالأرض ونضح فرجه وإزاره من داخله وقول اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش

(فصل) في الغسل وموجباته وفروضة (و) كونه (من شروط الصلاة) وهو لغة (79/1) سيلان الماء على الشيء مطلقا وشرعا سيلانه على جميع البدن بنية مخصوصة تشترط لصحة الصلاة (الطهارة من الحدث الأكبر وهو) أي الطهارة وذكره باعتبار قوله (الغسل) بفتح المعجمة أفصح من ضمها إذا قام بالشخص ما يوجب (والذي يوجب خمسة أشياء) أي أحدها الأول (خروج المني) بشد الياء وقد تخفف إلى ظاهر الحشفة وفرج البكر وما يظهر من فرج الثيب عند قعودها على قدميها والمراد من الشخص نفسه ولو ظنا كأن خرج منها منى الرجل بعد الغسل من جماع قضت شهوتها به إذ يغلب على الظن حينئذ اختلاطه بمنيتها ويعرف المني بتدفق أو تليذ أو ريح طلع نخل أو عجين بز إن كان رطبا أو بياض بيض إن كان جافا فإن فقدت كل هذه الصفات فليس بمنى (و) الثاني (الجماع) وهو إيلاج الحشفة أو قدرها من فاقدها في فرج ولو دبرا ومن بهيمة وميتة ولا غسل عليهما ولو من صغير لم ينزل ومن رأى منيا في ثوبه ولو بظاها عند حج أو في فراشه ولا ينال فيه غيره ممن يمكن إنزاله وجب عليه الغسل لعدم احتمال كونه من غيره وإعادة كل فرض صلاة لا يحتمل حدوثه بعده (و) الثالث (الحيض) وهو الدم الخارج من رحم المرأة وإمكانه من بعد تسع سنين تقريبا وأقله يوم وليلة وأكثره خمسة عشر وهو أقل الطهر بين الحيضتين (و) الرابع (النفاس) وهو الدم الخارج بعد خروج الولد وأقله لحظة وأكثره ستون يوما وغالبه أربعون والمراد أن انقطاعهما مع إرادة نحو الصلاة هو الموجب (و) الخامس (الولادة) ولو لعلة أو مضغة أخبرت القوابل بأنها أصل آدمي ولو بلا بلل لأن ذلك منى منعقد قال الشرقاوي والأولى التعليل بأنه مظنة خروج النفاس لأن التعليل الأول يقتضى وجوب الغسل بخروج بعض الولد وليس كذلك لكن في الفتح أنه كذلك خلافا لمن قال الملاحظ هنا اسم الولادة وهو منتف إذ لا دليل عليه وبعضهم عد الموت من الموجبات (وفروض الغسل اثنان) الأول النية وهي إما (نية رفع) الجنابة ذاتها إن أريد بها الأمر الاعتباري أو المنع من نحو الصلاة أو حكمها إن أريد سببها أو رفع (الحدث الأكبر) أو الحدث أو فرض الغسل أو أداء الغسل (ونحوها) كاستباحة مفتقر إلى الغسل أو الطهارة للصلاة لا الغسل أو الطهارة فقط لأنه قد يكون عادة ولو نوت رفع حدث الحيض ارتفع حدث النفاس وعكسه ولو عمدا ما لم تقصد المعنى الشرعى عند حج (و) الثاني (تعميم جميع البدن بشرا) وهو ما ظهر من نحو منبت شعرة زالت قبل غسلها وصماخ وأنف جدع وشقوق لا غور لها لا باطن نحو فم وأنف (وشعرا) ظاهره وباطنه (وإن كف) لندرة الجنابة ويجب قرن النية بأول مغسول ليعتد به فلو نوى بعد غسل جزء وجبت إعادته ولو قرنت بسنة كالسواك فكما مر في الوضوء وسنن الغسل كثيرة منها الاستقبال والقيام والتسمية مقرونة بالنية وغسل الكفين والوضوء وينوى به سنة الغسل إن تجردت جنابته عن الأصغر وإلا نوى به رفعه كما في المنهج القويم وفي بشري الكريم ينوى رفعه وإن تجردت عنه وأخره عن الغسل خروجاً من خلاف القائل بأن خروج المني ينقض وينبغي لمن يغتسل من نحو إبريق قرن النية بغسل محل الاستنجاء إذ قد يغفل عنه فلا يتم طهره وإن ذكره احتاج للف نحو خرقة على يده أو لمسه فينتقض وضوؤه والأولى نية رفع الحدث عن محله فقط ليسلم من نحو ذلك ومنها رفع الأذى الطاهر كمنى والنجس الحكمي والعيني إذا كان أثرا مجردا وإلا وجب قبل الغسل وخط (80/1) خطأ إن اغتسل بفلاة ولم يجد ما يستتر به فإن اغتسل عاريا سن له أن يقول بسم الله الذي لا إله إلا هو لأنه ستر عن أعين الجن ودخول الماء بمئزر وتعهد المعاطف كإبط وطبق بطن وتخليل الشعر ثلاثا بيده مبلولة فيدخل أصابعه العشر في ماء ثم في الشعر ولو محرما عند حج لكن برفق وإفاضة الماء على رأسه ثم شقه الأيمن المقبل ثم المدبر ثم الأيسر كذلك وكون كل حتى الذكر ثلاثا والدلك كل مرة واستصحاب النية بالقلب وأن لا ينقص الماء عن صاع ولا يزيد عليه في المعتدل أما غيره فينقص ويزيد بحسب حاله وأن تتبع المرأة غير معتدة الوفاة والمحرمة أثر الدم بنحو مسك والذكر المأثور وترك الاستعانة بأنواعها ويكره الإسراف في الصب والغسل والوضوء في ماء راكد لم يستبحر والزيادة على الثلاث المحققة وترك المضمضة والاستنشاق والأكل والشرب والنوم والجماع قبل غسل الفرج أو الوضوء ويحرم جماع من تنجس ذكره غير السلس كما في بشري الكريم

(فصل) في شروط الوضوء والغسل وبعضها وهو الإسلام والتمييز ومعرفة الكيفية شروط للنية (شروط الطهارة) عن الحدث الأصغر والأكبر (الإسلام والتمييز) لأنهما عبادة والكافر وغير المميز ليسا من أهلها نعم غسل كافرة لتحل من حيضها لحليها المسلم فقط حتى لو أسلمت وجبت إعادته وغسل غير مميز لطواف صحيحان (وعدم المانع) الذي يمنع (من وصول الماء إلى) العضو (المغسول) أو الممسوح كدهن جامد لا مائع وإن لم يعبت عليه الماء وكوسخ تحت أظفار من غير عرق وغبار على البدن لم يضر كجزء منه ولا يضر خضاب وإن ستر لون البشرة وفي عد هذا شرطا مسامحة إذ هو من جملة الركن الذي هو غسل جميع العضو (والسيلان) للماء على العضو (وأن يكون الماء مطهرا) وهو كل ما يسمى ماء (بأن لا يسلب اسمه) ولو كان

سلب اسمه {بمخالطة طاهر} له {يستغنى الماء عنه} أى عن ذلك الطاهر ككافور رخو وقطران يختلط به فإن سلب اسمه بمخالطة نحو ذلك ولو كان كثيرا بأن بلغ قلتين تقريبا فلا تصح الطهارة به أما تغييره بما لا يستغنى عنه كما فى مقره وممره أو تغييرا لا يسلب اسمه فلا يضر {وأن لا يتغير بنجس} وصل إليه ولو غير مخالط كعنه أو لونه أو ريحه {ولو} لم يغيره إلا {تغيرا يسيرا} فإن لم يتغير به إلا بعد مدة رجع لأهل الخبرة إن علموا وإلا فالأصل الطهارة {وإن كان الماء} قليلا وهو ما {دون القلتين} وهما خمسمائة رطل بالبغدادى تقريبا فلا يضر نقص رطل أو رطلين وبالمكى كما قاله سيدى على الونائى أربعمائة رطل وستة أرتال وبالمصرى أربعمائة وستة وأربعون وثلاثة أسباع رطل {زيد} فيه على ما مر شرطان وهما أن لا يكون متنجسا ولا مستعملا بـ {أن لا يلاقيه نجس غير معفو عنه} ولو لم يتغير {و} أن {لا} يكون قد {استعمل} وهو بصفة القلة {فى رفع حدث} ولو حدث غير مميز إذا أريد به الطواف {أو} قد استعمل فى {إزالة نجس} ولو معفو عنه إذ إزالته واجبة أصالة وإن لم يأت بتركها كما أن ماء الوضوء للنفل مستعمل لأنه لا بد لصحته منه وإن لم يأت بتركه أو فى غسل لا رفع فيه لكنه اشترط للعبادة كظهر دائم الحدث أو غيرها كغسل ميت وكافرة لتحل لحليل مسلم ونحو مجنونة لتحل لحليلها فإنه إذا استعمل فى شئ من ذلك أو لاقاه نجس غير معفو عنه لم يسم {81/1} مطلقا فلا يرفع حدثا ولا يزيل نجسا وبقي من شروط الطهارة إزالة نجاسة عينية كما مر أما الحكمية فيكفى لها وللحدث غسلة واحدة وعدم الصارف ويعبر عنه بدوام النية حكما فلو قطعها أثناء وضوءه احتاج فى باقى الأعضاء لنية جديدة وعدم تعليقها فلو قال نويت الوضوء إن شاء الله لم يصح إلا إن نوى التبرك ولدائم الحدث دخول الوقت يقينا أو ظنا وتقديم الاستنجاء والموالة {ومن لم يجد ماء} بتلك الشروط كأن فقده حسا ومنه ركب بحر خاف من الاستقاء منه الغرق فيتيمم ولا إعادة عليه كما فى التحفة إذ الفقد الحسى أن يتعذر استعماله حسا {أو} شرعا {كان يضره الماء} أى يخاف من استعماله على نفسه أو عضوه أو طول مرضه أو حدوث شين فاحش فى عضو ظاهر كتغير لون أو نحول أو استحشاف {تيمم} محدثا كان أو جنبا إذا استجمع شروط التيمم وأركانه أما الشروط فهى أن يكون بالنسبة لمن يتيمم لفقد الماء {بعد} يتقن الفقد لو بخبر عدل عند م ر وإن كان الفقد بفعله كان أثلف الماء لا إن باعه فى الوقت لعدم صحة البيع فإن توهمه أو ظنه أو شك فيه وجب عليه طلبه فى الوقت لكل تيمم ولو بنائه الثقة أو من وقع فى القلب صدقه بأن يفتش منزله ورفقته وأن يكون بعد {دخول الوقت} للصلاة التى يريد فعلها ولو ظنا لأنه طهارة ضرورة ولا ضرورة قبله {و} أن يكون بعد {زوال النجاسة} غير المعفو عنها إن كان بيدنه إن أمكن فلو تيمم قبله لم يصح سواء نجاسة محل النجو وغيره لأنه إباحة ولا إباحة مع المانع {و} أن يكون بعد {معرفة القبلة} باجتهاد أو غيره فلو تيمم قبله لم يصح عند حج قال وفارق ستر العورة بأنه أخف وأن يكون {بتراب} على أى لو كان كالدرا والسبخ وغيرهما ولو محرقا أو مخلوطا بقى اسمه ولو خلط بنحو خل جف وتغيرت أوصافه به ويشترط فى التراب أن لا يخالطه غيره فلا يجزئ غير تراب {خالص} من المخالط وإن قل وأن يكون طهورا بأن لا يكون متنجسا بنحو بول وإن جف أو نجس عين كتراب مقبرة نبشت ولو مستعملا فى حدث كأن بقى بالوجه مثلا بعد مسحه أو تناثر منه بعد مسحه به أو خبث بأن استعمل فى سابعة مغلظ أو فيما قبلها وطهر فهو وإن كان طاهرا فى الصورتين غير {طهور} إذ لا يزول عنه وصف الاستعمال وأن يكون {له غبار} ولو كان مما يتداوى به فيجزئ غبار رمل خشن بحيث لا يلصق بالعضو لأن الرمل من جنس التراب لا الحجر بخلاف حجر مسحوق وإن صار له غبار وما يلصق من التراب بالعضو لنداوة أو نعومة نعم رطوبة العضو الضرورية كمن بلى بدمع العين أو بعرق يصح تيممه وأما الأركان فهى أن يكون {فى} جميع {الوجه} السابق فى الوضوء ولو بنحو خرقة ومنه ظاهر اللحية المسترسل ولا يجب مسح باطن الشعر وإن خف والمقبل من أنفه على شفته {و} فى كل من {اليدين} بمرفقيهما كالوضوء أيضا كما أفادته أل والترتيب بين الوجه واليدين فى المسح لا النقل فلو ضرب يديه ونقل ليساره قبل يمينه ومسح باليمين وجهه ثم باليسار يمينه جاز لكن يندب له أنه {يرتبهما} أيضا فى النقل للخلاف القوى فى وجوبه فعلم أن معنى قولهم {بضريتين} بنقلتين وأن يكون {بنية استباحة} مفتقر إليه كمس مسحف وصلاة وينزل على أدنى المراتب ولا يكفى نية التيمم إلا فى نحو غسل الجمعة ولا فرض التيمم إلا إن نوى الفرض البدلى واستباح إذا نوى كذلك ما عدا الصلاة فإن زاد للصلاة استباح ما عدا الفرض فإن نوى استباحة {فرض الصلاة} استباح به فرضا عينيا ولو نذرا أو غير صلاة كطواف أداء {82/1} أو قضاء وما شاء من غيره ولو فرض كفاية غير خطبة جمعة إذ لها حكم العينية أما نحو صلاة الجنائز وإن تعينت عليه فيستبيحه مع العينية كالنفل ولا بد أن تكون النية {مع النقل} للتراب أى تحويله من أرض أو هواء إلى العضو الممسوح لأنه أول الأركان {و} استدامتها إلى {مسح أول} جزء من أى محل من {الوجه} فلو عزيت قبله بطلت وإن استحضرها عنده عند حج لأنه المقصود والنقل وسيلة

{فصل} فيما يحرم بالحدث الأصغر {و} الأكبر {من انتقض وضوؤه} بشئ مما صار محدثا ويسمى حدثه أصغر {حرم عليه الصلاة} ولو نفلا وصلاة جنازة نعم دائم الحدث وفاقد الطهورين لا تحرم عليهما بل تجب بشرطها {والطواف} بالبيت بسائر أنواعه لأنه بمنزلة الصلاة إلا أنه يحل فيه الكلام {وحمل المصحف} بتثليث ميمه والمراد به ما كتب لدراسة قرآن ولو نحو خرقة {و} كذا {مسه} أى المصحف وورقه وحواشيه

لغير ضرورة أما لها كخوف تنجسه أو ضياعه وعجز الماس عن الطهارة أو استيداعه مسلماً فلا يحرم ومثله جدره المتصل به وكذا المنفصل الذي لم تنقطع نسبته إليه عند م ر وصندوقه ومنه بيت الربعة وعلاقته المعدات له وحده وإلا كالخزائن حرم مس المحاذي له ولا يحرم حمل أو مس ما ذكر إذا لم يكن فيها وكذا مس أو حمل الكرسي والخشب الحامل لبيت الأجزاء على ما نقل عن سم وفي حاشيته على شرح المنهج ولا فرق في ذلك بين الكبير والصغير {إلا} إذا كان الصغير حمله أو مسه لنحو التعلم فيه فيحل {للصبي} المميز حمله ومسه {للدراة} والتعلم فيه ووسيلتهما كحمله للمكتب ولا يمنع من ذلك ولو جنباً وحافظاً لمشقة دوام طهره بخلاف غير المميز أو مميز لغير ما ذكر فيحرم تمكينه منه وليس لقن صغير حمله لسيدته الصغير إلى المكتب كما قاله سم {و} أما المحدث حدثاً أكبر فهو إما جنب بغير حيض ونفاس أو بهما فيحرم {على الجنب} بغيرهما {هذه} المذكورات {و} يزيد بأنه يحرم عليه أيضاً {قراءة القرآن} ولو حرفاً منه بقصد القراءة وحدها أو مع غيرها فإن قصد نحو الذكر فقط أو أطلق لم يحرم {و} بأنه يحرم عليه أيضاً إذا كان مسلماً مكلفاً ولم يكن نبياً {مكث مسجد} أي فيه وفي رحبته وهوائه وجناح بجداره ولو في هواء الشارع وشجرة أصلها فيه ومثل المكث التردد فيه ومنه دخول مسجد لا باب له ثان أو بقصد الرجوع لما دخل منه لا إن عن له ذلك نعم إن عذر كان أغلق عليه أو خاف من الخروج جاز المكث ووجب التيمم إن لم يمكنه الغسل فيه بتراب لم يدخل في وقفه أما الكافر وغير المكلف والنبى فلا يحرم عليهم المكث مطلقاً {و} يحرم {على الحائض والنفساء هذه} المذكورات التي حرمت على الجنب والمحدث {و} تزيد بأنه يحرم عليه {الصوم} والطلاق لزوجة موطوءة ولو في الدبر إذا كان كل منهما وقع {قبل انقطاع} للدم أما بعده ولو قبل الغسل فيحلان {و} بأنه لا يحرم على الحليلة {تمكين} نحو {الزوج والسيد من الاستمتاع بما بين سرتها وركبتها} بوطء مطلقاً أو بغيره بلا حائل ولو بعد الانقطاع لكن {قبل الغسل} أو التيمم وبأنه يحرم عليه المرور بالمسجد إن خاف تلويثه وإلا كره قال م ر لغير حاجة وسيأتي أن الطلاق والوطء في تلك المدة من الكبائر ويسن لمن وطئ أول الدم ككل من ارتكب كبيرة التصديق بدينار أو قدره ولو على فقير واحد وبنصفه أو قدره إن وطئ آخره ككل من ارتكب صغيرة ويجب {83/1} على الحائض والنفساء قضاء الصوم

{فصل} في النجاسة وأحكامها {و} كون إزالتها {من شروط} صحة {الصلاة} تجب {الطهارة عن النجاسة} الغير المعفو عنها عند خوف التلطيخ بها أو إرادة الصلاة إذ من شرطها الطهارة {في} جميع {البدن} ومنه داخل الفم والأنف والعين وإن لم يجب غسله في الجنابة لغلط النجاسة {و} في جميع {الثوب} يعنى الملبوس {و} في {المكان} الذي يلاقى بدنه أو محموله في صلاته {و} في {المحمول له} أي للمصلى ولا تضر محاذاة النجاسة لشيء مما ذكر بلا إصابة لها في ركوع أو غيره وإن تحرك بحركته كبساط بطرفه نجاسة {فإن لاقاه} أي بدن المصلى {نجس} غير معفو عنه {أو لاقى ثيابه} أي المصلى {أو محموله} في أثناء الصلاة وإن لم يتحرك بحركته {بطلت صلاته} أو في أولها لم تعتقد {إلا أن يلقيه حالاً} كأن وقع في رداءه فألقى الرداء أو نفذه إن كان يابساً بغير نحو كفه حالاً بخلاف رطب أو يابس لم يلقه حالاً أو نفذه بمحموله ككفه {أو يكون معفو عنه كدم جرحه} وقيحه وصدیده ومائه المتغير ريحه أما غير المتغير فطاهر ودم برغوث وقمل وبعوض وبق واستحاضة وفصد وحجامة وروث وبول ذباب وخفاش ولس بول فإنه يعفى عن قليل هذه المذكورات وكثيرها الرطب واليابس في البدن والثوب وكذا المكان في دم البرغوث وروث وبول الخفاش والذباب وإن تفاحش وانتشر بنحو عرق وجاوز البدن إلى الثوب لعموم البلوى لكن بشرط عدم مخالطته قليلاً كان أو كثيراً أجنبياً لكن في التحفة أن محله في الكثير وعدم مجاوزة الكثير محله المستقر فيه عند خروجه وإن لم يستقر دم نحو رأسه إلا بقدمه وللثوب الالملاقى للبدن حكمه وعدم حصوله بفعله قصداً نعم إن حمل نحو ثوب فيه ما ذكر لغير حاجة أو ضرورة وصلى فيه عفى عن قليله فإن لبسه ولو لنحو تجمل عفى حتى عن كثيره ثم القليل هو ما يعسر الاحتراز عنه ويختلف باختلاف الوقت والمحل وخرج بالأجنبي وهو ما لا يحتاج لمماسه نحو ماء طهر وشرب وتنظف وتبرد ومأكول ومشروب حال تعاطيه وبلل رأسه عند حلقة وسائر ما يحتاج إليه فلا تضر مخالطته المعفو عنه وفي التحفة عن المجموع لا يضر اختلاط الدم بالريق ولو قصداً وعن المتولى لا يضر اختلاط المعفو عنه برطوبة البدن بل تسامح بعضهم في الاختلاط بالماء ام ولا يعفى عن جلد نحو برغوث في بدن ولو عند الابتلاء بنحو الذباب وأفتى الحافظ ابن حجر بالعفو حينئذ {ويجب إزالة} كل {نجس لم يعف عنه} سواء كان مغلفاً أو غيره إذ النجاسة ثلاثة أقسام متوسطة ومغلظة ومخففة أما المتوسطة فعينية وحكمية والعينية وهي ما يدرك لها عين أو وصف لا تحصل الإزالة فيها إلا {بإزالة العين} لها {من طعم ولون وريح} ولو بنحو صابون وذلك توقفت عليه ولا يضر بقاء لون أو ريح ولو من مغلف عسر زواله بحيث تصفو الغسالة ولم يبق إلا أثر محض بعد غسله ثلاثاً بحت وقرص في كل واحدة ويصر بقاءهما بمحل واحد وكذا بقاء الطعم وحده وإن عسر زواله فإن تعذرت إزالته عفى عنه إلى القدرة ويشترط كون الإزالة للنجس {بالماء المطهر} المتقدم لا بمستعمل ومتنجس ونحو شمس {والحكمية} وهي ما لا يدرك لها عين ولا وصف كبول جف لا ريح له ولا طعم ولا لون تحصل إزالتها {بجرى الماء} الطهور {عليها} مرة ومنها حب نقع في بول ولحم طبخ به فيطهر كل منهما بجرى الماء على ظاهره كما في التحفة ويعفى عن خزف عجن بنجس وجبن بأنفحة نجسة وأجر {84/1} عمل بسرجين ويصح بيعه وبناء مسجد

وفرش عرصته به والصلاة عليه مع الكراهة (و). أما المغلظة وهي النجاسة (الكلبية) - يعني نجاسة الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما مع حيوان آخر فتحصل الإزالة فيها (بغسلها سبعا) - من المرات يقينا بشرط أن تكون (إحداهن) - إذا كانت النجاسة في غير التراب (ممزوجة بالتراب الطهور) - المجزئ في التيمم ولو بالقوة إذ يكفي الرطب هنا بأن يكدر الماء ويصل بواسطته لجميع المحل سواء وضع فيه ثم صب الماء أو مزجا ولا تتعين له واحدة من السبع والأولى الأولى حيث لا جرم ولا وصف على ما يأتي (والمزيلة للعين) - الشاملة للوصف وقيل الجرم فقط (وإن تعددت) - هي غسلة (واحدة) - ولا عبرة بالترتيب قبل إزالة العين مطلقا ولا قبل إزالة الوصف إلا إن أزالها الماء المصاحب للتراب ويكفي سبع جريات أو تحريكات وأما المخففة وهي بول صبي لا صبية لم يطعم غير لبن ولم يجاوز سنتين تحديدا وقيل تقريبا فحكمه أن ينضح عليه الماء والنضح غلبة الماء للمحل بلا سيلان فإن سال فغسل (ويشترط) - في طهر المتنجس مطلقا (ورود الماء) - عليه (إن كان) - الماء (قليلا) - فإن ورد هو عليه تنجس بخلافه كثيرا والفرق بين الوارد وغيره أن الوارد أقوى لكونه عاملا ولا فرق بين المنصب من نحو أنبوبة والصاعد من نحو فوارة

(فصل) - في الاستقبال (و) - غيره (من شروط الصلاة) - يشترط لصحة الصلاة أمور غير ما تقدم منها (استقبال) - عين (القبلة) - أي الكعبة أو بدلها بالصدر في القيام والقعود وبمعظم البدن في الركوع والسجود كما في التحفة يقينا فيمن لا حائل بينه وبينها بمعينة أو مس أو أمانة تفيد ما يفيد هذا وظنا فيمن بينه وبينها حائل والمراد بالعين كما في التحفة سمت البيت وهوأوه إلى السماء السابعة والأرض السابعة عرفا نعم لا يشترط الاستقبال في شدة الخوف وما ألحق بها فرضا ونفلا فيصلى فيها كيف أمكنه وفي نفل سفر جائز ولو قصيرا فيصلى لجهة مقصده ويستقبل مطلقا في التحرم وكذا ماش في ركوع وسجود وجلوس بين السجدين ويومئ الراكب بركوعه وسجوده أخفض وجوبا إن لم يركب في نحو مرقد كهودج وسفينة وإلا فيتم ويستقبل إن لم يكن له دخل في تسيير السفينة وإلا لزمه في التحرم فقط إن سهل كراكب الدابة (و) - منها (دخول الوقت) - يقينا أو ظنا باجتهاد (و) - منها (الإسلام والتمييز والعلم) - بكيفيتها بأن يعرف أفعالها وأقوالها وترتيبها إذ لا يتمكن من نيتها إلا حينئذ والعلم (بفرضيتها) - فلو تردد فيها أو اعتقد النفلية في صلاة مفروضة لم تعتقد (و) - منها (أن لا يعتقد فرضا) - معينا (من فروضها سنة) - بخلاف مبهم فليس بشرط لأنه لم يفعل ركنا منها مع اعتقاد سنيتها وبخلاف ما لو اعتقد أن أفعالها وأقوالها كلها فروض أو بعضها فروض وبعضها سنن ولم يقصد بمعين سنة فإنها تصح ولو من عالم عند حج وقال م ر من عامي (و) - منها (الستر) - لجميع العورة عن عيون الإنس والجن والملائكة مع القدرة عليه ولو في ظلمة وخاليا تأدبا مع الله تعالى والعورة لغة النقص وشرعا تطلق على ما يحرم نظره وهو جميع بدن امرأة ولو أمة وإن انفصل كشرعها المبان فيحرم على الرجل نظره وعكسه وهذا يذكرونه في النكاح ولا ينافيه قولهم عورة المرأة عند الأجانب جميع البدن غير الوجه والكفين لأن المراد به ما يسمى عورة وبالأول ما يحرم نظره والمراد بالعورة هنا من الرجل مطلقا وممن فيه رق من غيره ما بين السرة والركبة وجميع البدن غير الوجه والكفين من الحر وغيره كما يأتي (85/1) وشروط الستر أن يكون (بما يستر به لون) - جميع (البشرة) - في مجلس التخاطب بالنسبة لمعتدل البصر وإن حكى الحجم أو لم يعتد كطين وماء كدر ولا بد أن يكون ما يستر لون البشرة ساترا (لجميع بدن) - المرأة (الحرّة) - والخنى الحرّ (إلا الوجه والكفين) - ظهرا وبطنا إلى الكوعين فلا يجب سترهما لأنهما غاية لما يجب ستره (و) - أن يكون ما (يستر) - لونها أيضا ساترا لجميع (ما بين السرة والركبة) - مع جزء منهما ليتحقق ستر العورة بالنسبة (لذكر) - الواضح (والأمة) - يعني من فيها رق ولو مكاتب ومبعضة وأم ولد وأن يكون الستر (من كل الجوانب) - لكنه (لا) - يجب (من أسفل) - في الصلاة وخارجها والله أعلم

(فصل) - في مبطلات الصلاة (وتبطل الصلاة بالكلام) - عمدا من العلم بالتحريم وتذكر الصلاة وعدم الغلبة (ولو بحرفين) - متواليين وإن لم يفهما ومنهما الحرف الممدود لكن لا يضر زيادة ياء قبل أيها النبي فلا تبطل بغير متواليين وإن كثر (أو بحرف مفهم) - عند المتكلم كق وع وف من الوقاية والوعاية والوفاء إذ هو كلام لغة وعرفا بخلاف غير المفهم ما لم ينطق به بقصد النطق المبطل (إلا إن نسي) - أنه في الصلاة كان سلم معتقدا تمام صلاته فتكلم عمدا (وقل) - ما تكلم عرفا بأن كان ست كلمات عرفية فأقل أو ظن بطلان صلاته بكلامه ناسيا فتكلم يسيرا أو جهل التحريم فيما تكلم به وإن علم تحريم جنسه وعذر إما لخائه على العوام بحيث يجهله أكثرهم كالتنحج وتكبير المبلغ بقصد الإعلام وما شك في كونه من الظاهر أو الخفى فمن الخفى وإما لقربه بالإسلام أو نشئه بمحل بعيد عن يعرف بأن لا يجد مؤنة توصله إليه (و) - تبطل أيضا في غير نحو شدة الخوف (بالأفعال الكثيرة المتوالية) - بأن لا يعد عرفا كل منها منقطعا عما قبله سواء كانت من ثلاثة أعضاء كحركة يديه ورأسه أو من اثنين (كثلاث) - خطوات أو (حركات) - متوالية ولو شك في كونه كثيرا فقليل أو متواليا فغير متوال (و) - تبطل أيضا (ب) - الفعل الفاحش ولو سهوا أو جهلا وعذرك (بالحركة المفرطة) - وهي التي فيها انحناء بكل البدن (وبزيادة ركن فعلى) - كركوع لغير متابعة ولو بحركة واحدة وإن لم يطمئن (وبالحركة الواحدة) - ولو غير مفرطة إذا كانت (للعب) - ولا يضر فعل قليل غير فاحش غير لعب كحركة وحركتين وخطوتين وإن اتسعتا وحركات خفيفة وإن كثرت كتحرريك الأصابع مع قرار الكف ونحو جفنة ولسانه وأذنه وحلّ وعقد ولو لغير غرض (و) - تبطل مع العلم بالتحريم والتعمد بوصول مفطر وإن قلّ

ولم يؤكل جوفه كعود دخل أذنه و {بالأكل والشرب} ولو سهوا أو جهلا أو كرها وإن لم يفطر به {إلا إن نسي} أو جهل تحريمه وعذر {وقل} ما تناوله فيهما نعم تبطل بثلاث مضغات تواتت ولو ناسيا أو جاهلا {و} تبطل {بنية قطع الصلاة} والتردد فيه حالا أو بعد مضى ركعة مثلا ولو بالخروج لأخرى فى غير ما يأتى أو فى الاستمرار فيها وسيأتى أن قطع الفرض بغير عذر من الكبائر {و} تبطل أيضا {بتعليق قطعها} بشيء ولو محالا لا عقلا فى التعليق القلبى أما اللفظى فمبطل مطلقا {وبالتردد فيه} أى فى قطعها {و} تبطل أيضا {بأن يمضى ركن} ولو قوليا كالفاتحة {مع الشك فى} أصل {نية} الصلاة أو جزء من أجزائها أو شيء من شروطها أو هل نوى ظهرها أو عصرا أو فى تكبيرة {التحرر} أم أو {بأن يطول زمن الشك} أى التردد فيما ذكر أو لم يعد ما قرأه مع الشك وإن لم يمض معه ركن ولا طال زمنه أما لو تذكر قبل مضى ركن وطول {86/1} الزمن وأعاد ما قرأه مع الشك فلا بطلان قال العلامة الشرقاوى وطوله بأن يسع ركنا وقصره بأن لا يسعه كأن خطر له خاطر وزال سريعا فليتأمل وخرج بالشك الظن كأن ظن أنه فى صلاة أخرى فتصح وإن أمها كذلك فرضا كانت أو نفلا

{تنبيه} قد تنصرف الصلاة نفلا مطلقا وذلك كأن دخل الوقت فأحرم بفرضه وبأن عدم دخوله أو صلى ما ظنه عليه فبان عدمه ونحو ذلك مما يأتى إن شاء الله ﷻ واعلم أن ترك جميع هذه المذكورات من شروط الصلاة أيضا

{فصل وشرط} بالبناء للمجهول {مع ما مر} من الشروط المذكورة {لقبولها عند الله سبحانه} وتعالى الإخلاص فيها وهو {أن يقصد بها وجه الله} سبحانه وتعالى وحده لا يشرك معه فيها غيره بأن لا يقصد شيئا آخر من حظ نفس وهوى أو مراعاة مخلوق ويحصل ذلك بالتوجه التام وحضور القلب بأن يفرغه من جميع الخواطر حتى يعلم ما يقول ويفعل ففى الحديث ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها كما يأتى ولا يشغله بالوساوس والخواطر وإنما يقبل الله من الصلاة بقدر الحضور كما ورد إن الرجل لينصرف وما كتب له من صلاته إلا عشرها أو تسعها ثمنها سبعا سدسها خمسها ربعها ثلثا نصفها وفى الحديث قال تعال أنا خير قسيم لمن أشرك بى شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك بى أنا عنه غنى وإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه والقبول ترتب الغرض المطلوب من الشيء على الشيء فمعناه هنا أن ترتب العوالب الكامل على العمل مبنى على الإخلاص فيه فلا ينافى أن صحتها وهى عند الفقهاء موافقة الفعل لى الوجهين وقوعا الشرع وإن لم يسقط القضاء كما قاله المناوى لا تترتب على ذلك واعلم أنها إذا صحت صورة وروحا كانت كنزا وذخرا وذلك بأن يستعد للصلاة قبل دخول الوقت بالوضوء وإذا دخل الوقت صلى السنة الراتبة لأن العبد ربما تشعب باطنه وتفرق همه من نحو المخالطة وأمر المعاش فتحصل له كدورة فإذا قدم السنة زال ذلك ثم يجدد التوبة عند الفريضة من كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة ويصلى جماعة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الإلهية بباطنه ويقرا قل أعوذ برب الناس ثم يرفع يديه ويستحضر فى تحمرمه عظمة الإله وكبريائه ويعلم أن معنى أكبر أنه أكبر من أن يتعاضله شيء أو يكون فى جنب عظمتيه وليس معناه أنه أكبر مما سواه من المخلوقين إذ ليس له مشابهة وفى العوارف سئل أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة فقال هو أن تقبل عليه تعالى كإقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يديه ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه قال فى الأربعين الأصل ما معناه ولا تقل الله أكبر إلا وليس فى قلبك أكبر منه ولا تقل وجهت وجهى إلا وقلبك متوجه بكرة إليه تعالى ومعرض عن غيره ولا تقل الحمد لله إلا وقلبك طافح بشكر نعمته عليك فرح به ولا تقل إياك نعبد وإياك نستعين إلا وأنت مشعر ضعفك عجزك فإنه ليس إليك ولا إلى غيرك من الأمر شيء وكذلك فى جميع الأذكار والأعمال وشرح ذلك يطول وقد شرحناه فى كتاب الإحياء فجاهد نفسك على ذلك روى عنه ﷻ أنه قال يقول الله ﷻ قسمت الصلاة بينى وبين عبادى نصفين فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله ﷻ مجدى عبدى فإذا {87/1} قال الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى فإذا قال مالك يوم الدين قال فو ض إلى عبدى فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل قال فى اليهود ومن غلبت ورحانيته سهل عليه الاستحضار للطافة الأرواح وما عكسه فلا يكاد يعامل الأمور إلا شيئا شيئا لكثافة الحجاب والأول للأكابر والثانى للعوام ولا يخفى أن الأول هو المصلى حقيقة لدخوله حضرة الله التى لا تصلح الصلاة إلا فيها بخلاف الثانى فإنه مصل صورة {و} من شروط قبولها أيضا {أن يكون مأكله} ومشربه {وملبوسه ومصلاه} أى كل منها {حلالا} لأن الحلال له أثر فى تنوير القلب وورقته وإطاعة الجوارح وقد كان بعض السلف إذا أعوزه الحلال سفل الرمل وبعضهم يأكل البقول المباحة من الجبال والصحارى لأنه المتيقن حله ولا يتصور فى الماء إلا أن يأخذه من نهر بالكف لا بنحو دلو فإذا تحرى المصلى وغيره الحلال فلا يؤاخذ بما لا يعلمه من غيره ولا يؤثر فى قلبه فسوة ولا فسادا كما قاله الغزالى مرة وقال مرة يضر كمن يشرب سما وهو لا يعلم قال العلامة الشيخ عبد الله باسودان وكأنه يرجع لهمة الأخذ فإن أخذه بقوة أنه حلال لم يضره لأن همة الإنسان تقلب الأعيان وإن أخذه بالشك والتردد ضره فالهمة بالصدق والتوجه اسم الله الأعظم وهى قوة إرادة وغلبة انبعاث إلى نيل مقصود ما وتكون عالية إن تعلقت بمعالى الأمور وسافلة إن تعلقت بأدانيها كما قال العلامة ابن عباد فينبغى للعاقل أن يتحرى الحلال

لتقبل أعماله قال ﷺ من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل الله منه صلاة ما دام عليه قال فى النصائح فإذا كان هذا فى الثوب الذى عشر ثمنه حرام فكيف لو كان كله حراما وإذا كان فيما بظاهر الجسد فكيف بالطعام الذى يكون بباطنه ويجرى فى لحمه ودمه وسائر أجزاء جسده فتأملوا ذلك جدا وأمعنوا النظر واتقوا الله واحذروا وقال عباس لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه لقمة حرام وقال ابن عمر لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يتقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز قال بعض السلف كل ما شئت فمثله يعمل ولا بد أن يعرض لمن يأكل الحرام فى طاعاته ظاهرا أو باطنا ما يفسدها حقيقة ويخرجها عن كونها طاعة ومن جرب ذلك عرفه إن لم يكن مغرورا مستدرجا ولا ينبغي أن يقال إن الحلال لم يبق منه شيء فإنه قول فاسد قال الغزالي لا بد من وجود الحلال والحرام والشبهة فى كل زمن كما يؤخذ من حديث الحلال بين وفى اتحاف الناسك عن العارف المرسى العمل ينشأ من العبد على صورة اللقمة حلا وحرمة وعن ابن أدهم أطب طعامك ولا عليك أن تصوم ولا أن تقوم قال الغزالي إذا تعذر عليك الحلال فالزم قلبك الخوف لما أنت مضطر لتناوله فعسى الله أن ينظر إليك بعين الرحمة ويتجاوز عنك بسبب خوفك اهـ بمعناه (و) من شروط قبولها عند الله تعالى أيضا (أن يحضر قلبه فيها) أى الصلاة (فليس له من صلاته إلا ما عقل منها) كما ورد فى الحديث وسبب حضوره الهمة وقد مر معناها فإن القلب تابع لها فلا يحضر إلا فيما يهم به فمهما هم الإنسان بأمر حضر قلبه فيه شاء أم أبى فإذا لم يحضر القلب فى الصلاة فهو جائل فيما الهمة فيه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضاره إلا صرفها إلى الصلاة ولا تنصرف إليها ما لم يتبين لها أنها وسيلة إلى الغرض (88/1) المطلوب وهو الإيمان بأن الآخرة خير وأبقى فإذا أضيف هذا لحقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتنا حصل من ذلك حضوره فالهمة هى الأكبر الأعظم كما قال

وقائـلة لـم علتـك	✕	وأمرـك ممتـل فى
الهمـوم	✕	الأمـم
فقلـت ذريـنى عـلى	✕	فـإن الهمـوم عـلى قـدر
حـالتى		الهمـم

وبمثل هذه العلة يحضر القلب عند الأكابر ممن لا يقدر على مضرة أو منفعة فلما كان لا يحضر مع مناجاة ملك الملوك فلا شك أن سببه ضعف الإيمان فليجتهد صاحبه فى تقوية إيمانه وبالجملـة إن للصلاة صورة صورها رب الأرباب كما صور الحيوان فروحها النية والإخلاص وحضور القلب وبدنها الأعمال وأعضاؤها الأصلية الأركان وأعضاؤها الكمالية الأذكار فالإخلاص والنية يجريان منها مجرى الروح والقيام والقعود مجرى البدن والركوع والسجود مجرى الرأس واليد والرجل وإكمال الركوع والسجود بالطمأنينة وتحسين الهيئة مجرى حسن الأعضاء وحسن أشكالها وألوانها والأذكار والتسبيحات مجرى آلات الحس المودعة فى الرأس والأعضاء كالعين والأذن ومعرفة معانى الأذكار وحضور القلب عندها مجرى قوى الحواس المودعة فى آتاه كقوة السمع والبصر والشم والذوق فى معانيها واعلم أن تقربك بها كتقرب بعض خدام سلطان بإهداء وصيفه فإن فقدت النية والإخلاص فكانه أهدى إليه جيفة مستهزئا به فيستحق سفك الدم أو الركوع والسجود فكانه أهدى إليه مفقودة الأعضاء أو الحضور وفهم المعنى فكانه أهدى إليه مفقودة السمع والبصر ومن هذا فعلة كيف يكون حاله مع السلطان وقول الفقيه فى الصلاة الناقصة أبعاضها وسننها إنها صحيحة كقول طبيب فى وصيفة ناقصة الأطراف إنها حية فهو كلام صحيح لكنه غير كاف فى التقريب بها إلى السلطان ونيل الكرامة بل ربما ردت عليه وزجر فكذا الصلاة الناقصة غير صالحة للتقرب بها إلى الله تعالى ونيل كرامته ولا يبعد أن ترد عليه كالخرفة الخلقة كما ورد فى الخبر (و) من شروط قبولها عند الله ﷻ (أن لا يعجب بها) أى الصلاة والعجب بها كما سيأتى هو شهود الإنسان العبادة صادرة منه غائبا عن المنة مع الاستعظام لها وسيأتى بسط الكلام فيه وأنه من المهلكات قال ﷺ لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب ولو كان العجب رجلا لكان رجل سوء وأن العجب يحبط عمل سبعين سنة وغير ذلك من الأحاديث وغيرها الواردة فى ذمه والحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يفعل الصلاة وغيرها من أعمال البر ويعول على فضل الله ﷻ ولا يرى لعمله شيئا قال العلامة الأمير فى حاشية الحكم والحاصل أن من أعرض عن العمل كافر ومن عمل ولاه مؤثرا بطريق الإيجاب فكذلك لأنه مخالف لقوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويعجب وفى الحديث إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة إلخ ومن رأى أن للأعمال أسبابا توجب كما تقو المعزلة فهو فاسق ومن لم يرها كذلك إلا أنه عول عليها كان محجوبا ومن عمل لأمر الله وعول على فضل الله فهو الكامل المخلص وهو معنى ما ورد الخلق كلهم هلكى إلا المخلصون وهم على خطر عظيم من حيث أنهم عرضة للتغيير والتبديل اهـ قال حجة الإسلام واعلم أن تخليص الصلاة من الشوائب والعلل وإخلاصها لله تعالى وأداءها بالشروط الظاهرة والباطنة من خشوع وغيره سبب لحصول أنوار القلب (89/1) وتلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة والله أعلم فليحذر الإنسان مما يفسدها ويحبطها فإنها إذا فسدت جميع الأعمال إذ هى كالرأس للجسد وورد أنها عرس الموحدين لأنه يجتمع فيها أنواع العبادة كما أن العرس يجتمع فيه أنواع الطعام فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله عبدى مع ضعفك أتيتنى بالوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتحميـدا وتهليـلا وتكبيرا وسلاما فانا مع جلالتي وعظمتي لا يجمل منى أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بالوان العبادة وأكرمك

برؤيتي كما عرفتني بالوحدانية فإنني لطيف أقبل عذرك وأقبل الخير منك برحمتي فإنني أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد إلها غيري يغفر سيئاتك عندي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة إلى وجهي وهذا لا يكون إلا لمن أخلص فيها لله وحده

﴿فصل﴾- كيفية الصلاة وأركانها- (أركان الصلاة سبعة عشر)- بعد الطمأنينة في كل محل من محالها الأربعة ركنا وبعضهم يجعلها هيئة تابعة للركن فيعدها ثلاثة عشر وبعضهم يعدها في محالها الأربعة ركنا واحدا فيعدها أربعة عشر- (الأول النية)- فلا بد من أن تصدر منه نية- (بالقلب)- فلا يكفي النطق بها مع غفلته ولا يضر النطق بخلاف ما فيه ثم الصلاة إما فرض أو نفل مقيد بوقت أو سبب أو مطلق فيكفي في المطلق وهو ما لا يتقيد بوقت ولا سبب وما ألحق به من المقيد وهو ما المقصود منه إيجاد مطلق صلاة كالتحية وسنة الوضوء والاستخارة والطواف والزوال والقدوم ودخول المنزل والخروج منه أو من الحمام وصلاة الحاجة والصلاة بأرض لم يعبد الله فيها النية- (للفعل)- أي لفعل الصلاة لتمييز عن غيرها فلا يكفي إحضارها في الذهن مع عدم قصده فتندرج التحية وما بعدها في غيرها من فرض ونفل وإن لم تنو بمعنى أنه يسقط طلبها ويثاب عليها عند م ر ولا يثاب عند حج إلا إن نواها بخلاف غير المذكورات كسنة الضحى فلا يندرج في غيره بل لو نواه معه لم تنعقد صلاته- (و)- أما المقيد بسبب أو وقت فلا بد من كون المصلي- (يعين)- فيه مع نية الفعل للصلاة- (ذات السبب)- كالعيد والخسوف- (و)- ذات- (الوقت)- كسنة الظهر القبلية أو البعدية وينوي في الجمعة قبلتها وبعديتها ولا يجب تعيين المؤكدة ولا يكفي في العيد نية سنة العيد بل لابد تمييزه بإضافة للفطر أو الأضحية ونحو الكسوف- (و)- أما الفرض فلا بد من أنه- (ينوي)- فيه ولو صبيا عند حج مع نية الفعل والتعيين- (الفرضية في)- الأصح ومن- (الفرض)- المنذور والكفائي ويجمع الثلاثة أصلى فرض الظهر مثلا أو الظهر فرضا ويكفي في المكتوبة نيتها وفي النذر نيته

﴿فائدة﴾- لا تشترط نية الفرضية في النسك والزكاة بلا خلاف ولا في الصوم في الأصح ويستحب ذكر عدد الركعات والإضافة إلى الله تعالى وذكر الأداء والقضاء- (و)- الثاني تكبيرة الإحرام ويشترط فيها أن- (يقول بحيث يسمع نفسه)- بالفعل جميع حرفها حيث لا مانع وإلا فقد ما يسمعه لولاه- (ككل ركن)- ومنسوب- (قولي)- فلا يعتد به إلا إن سمعه كذلك- (الله أكبر)- قارنا النية بها- (و)- حكمة افتتاحها بالتكبير الذي- (هو ثاني أركانها)- كما مر استحضار عظمة معناه الدال على عظمة المصلي له فتتم له الهيبة والخشوع ولذا زيد في- (90/1)- تكريره ليدوم ذلك في صلاته ويتبين بتمامه دخوله فيها بأوله ولا يضر تخلل سكوت يسير كسنة تنفس ووصف يسير كالله الجليل أو عز وجل أكبر بخلاف كثير كالله لا إله إلا هو أكبر أو غير وصف وإن قل كالله هو أو يا رحمن أكبر ولا إلحاق صفات أو تقديمها على التكبيرة ويشترط إيقاعها في القيام في الفرض وإلى القبلة وتقديم الجلالة وعدم مد همزتها ويجوز إن وصلها بإماما أو مأموما لكنه خلاف الأولى بخلاف همزة أكبر فإنها قطع وعدم ألف الجلالة زيادة على السبع ألفات وباء أكبر فإن قصد معناه حينئذ حرم بل ربما أذاه للكفر لأنه حينئذ جمع كبر وهو اسم طبل وعدم تشديد بائها وعدم زيادة واو قبل الجلالة أو بين الكلمتين وتأخير تكبيرة المأموم عن جميع تكبيرة إمامه وفقد الصارف فيضرب هنا التشريك بخلافه في الانتقالات ويسن التلطف بالنية قبل التكبيرة واستصحابها بقلبه ورفع اليدين ولو لمضطجع مع ابتداء همزتها وكشف الكفين إلا لعذر وتوجيهها إلى الكعبة وتفريجها وسطا ومحاذاة رأس إبهاميه شحمة أذنيه ورأس غيرها أعلاهما وكفيه منكبيه وإنهاء الرفع مع آخر التكبير ويسن رفعهما أيضا عند الركوع بأن يبدأ به قائما مع ابتداء التكبير فإذا حاذى كفاه منكبيه انحنى مادًا إلى استقراره وعند الاعتدال والأفضل كونه بهيئة التحريم وعند القيام من التشهد الأول

﴿تنبيه﴾- قال في شرح الخطبة واحذر أن يستفرك الشيطان بشؤم الوسواس فإذا عرض لك بطلب المحال أو مالميس في طوقك له قوة بحال فمل قالوه للتسهيل الذي قال به الغزالي وإمامه الجليل واختاره في المجموع والتنقيح وأيدوه بالتلويح والتصريح من الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام بحيث يعد مستحضرا للصلاة وأطال في الاستدلال لذلك في التحفة وفتح المعين الركن- (الثالث القيام)- من أول التحريم إجماعا- (في الفرض)- ولو نذرا وكفائيا وصورة كصلاة صبي ومعادة لكنه لا مطلقا بل بالنسبة- (للقادر)- عليه ولو بأجرة لمعين فضلت عما يعتبر في الفطرة أو بعاكاز فإن عجز بأن لحقته مشقة شديدة لا تحتمل عادة وإن لم تبح التيمم كدوران رأس وهل المذبة للخشوع شديدة قال حج لا و م ر نعم بل قال الشارقي المذهبة لكماله شديدة وقف منحينا فقاعدا فعلى جنبه فمستلقيا ويرفع رأسه قليلا ليتوجه بوجهه للقبلة فإن تعذر فبالأخصمين ويومئ برأسه للركوع والسجود أخفض ثم يطرقه فإن لم يقدر أجرى الأركان الفعلية على قلبه وكذا القولية إن اعتقل لسانه وشرطه الاعتماد على قدميه ونصب فقار ظهره لا رقبته ولا يضر استناده لما لو رفع سقط لكنه يكره كعلی ظهر قدميه ويركع القاعد محاذيا برأسه ما قدام ركبتيه والأفضل أن يحاذي موضع سجوده ويسن وضع يديه بعد التحريم تحت صدره وفوق سترته وكذا بعد القيام من التشهد الأول والسجود وقبض كوع اليسرى وأول الساعد وبعض الرسغ بكف اليمنى ونظر موضع سجوده لو عند الكعبة وفي صلاة جنازة وأعمى إلا عند إلا الله فينظر مسبحته ودعاء الافتتاح بعد التكبيرة والتعوذ في كل ركعة ويفوت به دعاء الافتتاح وبجلوس مسبوق لا بتأمينه مع الإمام والتأمين بعد الفاتحة والجهر به في جهرية لقراءة نفسه

وإمامه إذا سمع منها جملة ولو ولا الضالين كما استقر به في حاشية الفتح والسكوت بين التحريم والافتتاح وبينه وبين التعوذ وبينه وبين البسملة والفاتحة وأمين وأمين (91/1) والسورة والسورة والركوع وكلها بقدر سبحان الله إلا التي بعد آمين فيطوئها إمام الجهرية بقدر الفاتحة ويشغل في سكوته بذكر أو قرآن الركن (الرابع قراءة) جميع آيات (الفاتحة) أو بدلها في قيام كل ركعة أو بدله في فرض ونفل حفظاً أو تلقيناً أو نظراً في نحو مصحف إلا لمعذور لسبق حقيقة أو حكماً كزحمة ونسيان وبطء حركة كأن لم يقيم من السجود إلا والإمام راعٍ أو قريب منه فتسقط كلها في الأولى وبعضها في الثانية ولا بد من أن تكون قراءتها (بالبسملة) لأنها آية منها ككل سورة غير براءة لأنها نزلت بالسيف فتحرم أولها وتكره أثناءها وعند م تركه أولها وتسبب أثناءها كأنها غير اتفاقاً ويشترط عدم الصارف فلو نوى بها نحو ولي وجبت إعادتها بخلاف ما لو شك وكونها بالعربية فإن عجز لم يترجم عنها (و) مراعاة (التشديدات) الأربع عشرة فيها فلو خفف مشدداً لم تصح قراءته لتلك الكلمة ومنه فك الإدغام في حق عالم بل تبطل إن غير المعنى ولو شدد مخففاً أساء ولا تبطل صلاته وكذا قراءته ما لم يغير المعنى إلا بطلت كصلاته إن علم وتعتمد (و) مراعاة (موالاتها) أي الفاتحة بأن لا يفصل بين شيء منها وما بعده بأكثر من سكتة تنفس فتقطع به إن تعمد وإن لم ينو قطعها وإلا كان سكت لعي أو تذكر آية أو سهواً لم يضر وإن طال وتنقطع بسكوت يسير مع نية قطع القراءة بخلاف مجرد قصد القطع وبالدرك وإن قل كالحمد لله من عاطس وإن سن ولو فيها كاجابة مؤذن بغير الحيعلتين نعم إن سن فيها لمصلحتها كالتأمين لقراءة إمامه والتعوذ من العذاب وسؤال الرحمة عند قراءة آيتهما منه أو من إمامه والرد عليه إذا توقف أو سكت فلا تنقطع به (و) مراعاة (ترتيبها) أي الفاتحة فيجب ولو خارج الصلاة بأن يأتي بها على نظمها المعروف لأنه مناط الإعجاز فلو قدم كلمة فإن غير المعنى أو أبطله بطلت صلاته إن علم وتعتمد وإلا فالقراءة وإن لم يعلم ويتعمد لم يعتد بما قدمه وكذا بما أخره إن قصد التكميل وإلا كمل عليه إن لم يطل فصل (و) مراعاة (إخراج الحروف من مخارجها) فلا يصح إبدال قادر أو مقصر في التعلم الضاد بالظاء ومنه عند حج النطق بالقاف بينها وبين الكاف (و) لابد في قراءتها أيضاً من (عدم اللحن المخل بالمعنى) لها سواء المغير له كضم تاء أنعمت وكسرها والمبطل له كالمستقين ممن أمكنه التعلم والحاصل أنها تبطل بتغير المعنى وإبطاله وكذا بإبدال حرف في غير قراءة شاذة وإن لم يغير المعنى أو فيها وغيره (ويحرم) النطق بكلمة مرتين كأن يقف ولو يسيراً بين السين والتاء من تستعين و (اللحن الذي لا يخل) بالمعنى (و) لكن ذلك (لا يبطل) الصلاة الركن (الخامس الركوع) وهو لغة الانحناء وشرعاً انحناء خاص بشروط تأتي ويحصل أقله (بأن ينحني) بلا انحناس وهو رفع الأعلى وخفض العجيزة وتقديم الصدر (بحيث تنال) يقينا أي تبلغ (راحتاه) وهما ما عدا الأصابع من الكفين (ركبتيه) لو وضعهما عليهما عند اعتدال خلقته فلا يكفى مع الانحناس ولا بلوغ الأصابع دون الراحتين أو أحدهما ولا عبرة ببلوغ راحتي طويل ولو كان معتدلاً لم تبلغاً ولا مع الشك الركن (السادس الطمأنينة فيه) أي الركوع يقينا للأمر بها في خبر المسىء صلاته وتحصل باستقرار الأعضاء لينفصل رفعه من الركوع عن الهوى له وتكفى ولو (بقدر سبحان الله) (92/1) ولا تقوم زيادة الهوى مقامها ويشترط في الركوع عدم الصارف فلو هوى لنحو تلاوة فجعله ركوعاً لم يكف فلا بد أن ينتصب ثم يركع ويسن فيه مد الظهر والعنق كالصحيفة ونصب ساقيه وفخذه وأخذ ركبتيه بكفيه مع التفريق بين الركبتين وبين الرجلين شبرا وبين الأصابع وسطاً وتوجيهها للقبلة وقول سبحان ربى العظيم أي الكامل ذاتاً وصفات وزيادة بحمده وكونه ثلاثاً ولو لإمام غير محصورين لم يرضوا وإمام محصورين ومنفرد الزيادة على ذلك والإتيان باللهم لك ركعت ولك خشعت وبك أمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى وعظمى ومخى وعصبى كما في العوارف قال فيها وينبغي أن يكون قلبه في الركوع متصفاً بمعناه من التواضع والإخبات الركن (السابع الاعتدال) وهو لغة الاستقامة والمماثلة وشرعاً عود الراكع إلى ما كان عليه قبل ركوعه من قيام أو غيره فيحصل (بأن ينتصب) المصلى القادر (قائماً) وبأن يرجع غيره إلى ما كان عليه قبل ركوعه الركن (الثامن الطمأنينة فيه) أي الاعتدال كما مر في الركوع ويشترط في الاعتدال عدم الصارف فلو رفع فزعا من شيء لم يكفه للاعتدال وخرج بفزعا ما لو شك راعها في الفاتحة فرفع بعد الطمأنينة ليقرأها فتذكر أنه قراها قبل فإنه يكفيه ذلك الرفع للاعتدال لأنه ليس أجنباً ويسن فيه أن يقول إذا رفع من الركوع سمع الله لمن حمده وإذا استوى قال ربنا لك أو ولك الحمد أو اللهم لك أو ولك الحمد أو الحمد لربنا حمداً كثيراً إلخ وأفضلها الأول ولنحو مفرد زيادة أهل الغناء إلخ والقنوت في اعتدال ثانية صبح وركعة وتر نصف رمضان والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه أخره ورفع اليدين مكشوفتين إلى السماء فيه والجهر به لإمام وتأمين مأموم سمع الدعاء ومشاركته للإمام في الغناء فإن لم يسمع قنت هو ويسن في اعتدال آخر كل ركعة من كل مكتوبة لئلا تزلزلا نزلت الركن (التاسع السجود مرتين) في كل ركعة وهو لغة الخضوع وشرعاً وضع الأعضاء الآتية وضعاً مخصوصاً (بأن يضع) المصلى (جبهته) يعنى بعضها من شعر أو بشر (على مصلاه) أي موضع سجوده حال كونها (مكشوفة) أي الجبهة بمعنى بعضها وهي ما اكتنفه الجبينان وهما المنحدران على جانبها وإنما وجب كشفه من الجبهة دون غيرها لسهولة (و) حال كون المصلى (متثاقلاً بها) بمعنى بعضها على موضع سجوده بحيث لو كان تحته قطن لانكسر وظهر أثره على يده أي أحست به لو كانت تحته وإنما خصت به لخبر إذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقر نقراً (و) حال كونه (منكساً) بأن يرفع أسافله على أعاليه

يقينا فلو عكس لم يصح وكذا إن استويا في الأصح فإن لم يمكنه صلى بحسب حاله وأعاد فإن عجز عن وضع بعض الجبهة إلا على نحو وسادة وجب إن حصل به التنكيس وإلا فلا (و) بأن (يضع) على مصلاه (شيئا) وإن قل ولو مستورا وإن لم يتحامل عليه من كل (من ركبتيه ومن بطون) كل من (كفيه) يقينا والمراد بالكف الراحة وبطون الأصابع (ومن بطون أصابع) كل من (رجليه) في أن واحد لخبر أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين ويشترط فيه عدم الصارف فلو سقط من الاعتدال على وجهه قهرا لم يحسب ويجب العود إليه بخلاف ما لو سقط من الهوى أو منه بعد قصده الهوى لعدم الصارف حينئذ وعدم السجود على محمول يتحرك بحركته ولو بالقوة عند م ر نعم يصح على نحو منديل بيده مع الكراهة لكونه في (93/1) حكم المنفصل

(تنبيه) عذ السجودين هنا ركنا لاتحادهما والمناسب لكلامهم في التقدم على الإمام والتأخر عنه بركنين عدهما ركنين وإنما كرر دون غيره لأنه أبلغ في التواضع وفيه إرغام للشيطان الركن (العاشر الطمأنينة فيه) أي في كل من السجودين يقينا على ما مر ويسن فيه وضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته مع أنفه مكشوبا كاليدين مجافيا الذكر مرفقيه عن جنبه وبطنه عن فخذه وتفريق قدميه وركبتيه شبرا وموجها أصابعهما للقبلة ومبرزا لهما عن ذيله وضم غير الذكر بعضه لبعض حتى القدمين والركبتين في الركوع والسجود وغيرهما وكذا عار وقول سبحان ربى الأعلى وزيادة وبحمده وكونه ثلاثا ولمن م زيادة العدد وقول سبح قدوس رب الملائكة والروح اللهم لك سجدت إلخ ووضع الكفين حذو المنكبين بحيث لو سقط منهما شيء لوقع عليهما وضم أصابع اليدين واستقبال القبلة بها ونشرها ونصب القدمين وكشفهما والاعتماد على بطون أصابعهما الركن (الحادى عشر الجلوس بين السجدين) ولو في نفل ويشترط فيه عدم تطويله كالاعتدال لأنها شرعا للفصل لا لذاتها فكانا قصيرين فإن طول أحدهما فوق ذكره المشروع فيه بقدر الفاتحة في الاعتدال وأقل التشهد في الجلوس عامدا عالما بطلت صلاته واختير أنهما طويلان وعدم الصارف فلو رفع فزعا من شيء لم يكفه لما مر الركن (الثانى عشر الطمأنينة فيه) يقينا على ما مر ويسن فيه الافتراش أو الإقعاء المسنون والأول أفضل ووضع يديه قرب ركبتيه بحيث تسامتهما رؤوس أصابعهما ونشر الأصابع وضمها موجهة للقبلة وقول رب اغفر لى إلخ ويسن إذا أراد النهوض لركعة ثانية جلسة خفيفة للاستراحة بقدر الجلوس بين السجدين ويجعل يديه على فخذه فيها ولا تسن بعد سجود تلاوة ولو تركها الإمام سنت للمأموم لقصر زمنها وتكره لبطء النهوض ويعذر في التخلف لها إلى ثلاثة أركان عند م ر وتسن تكبيرة واحدة بمدا لا يزيد على سبع ألفات والاعتماد على بطن الكفين مبسوطتين على الأرض عند القيام من سجود وتشهد واستراحة الركن (الثالث عشر الجلوس) على القادر (للتشهد الأخير) يعنى الذى يعقبه السلام فيصدق بتشهد نحو الصبح (وما بعده) من الصلاة على النبى ﷺ والسلام ويسن فيه التورك لمن ليس عليه سجود سهو وليس مسبوقا وإلا فالافتراش ووضع اليسرى على الفخذ اليسرى مبسوطة مضمومة ومحاذة رؤوس أصابعها طرف الركبة واليمنى على طرف ركبته اليمنى وقبض أصابعها إلا المسبحة فيرسلها ويضع الإبهام تحتها كعاقد ثلاثة وخمسين ورفعها عند إلا الله بلا تحريك الركن (الرابع عشر التشهد الأخير) بمعنى ما مر وأقله التحيات لله سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله وكذا وأن محمدا رسوله عند م ر وإذا أراد الأكل (فيقول التحيات) جمع تحية أى جميع ما يحيا أى يعظم به من سلام وغيره (المباركات) أى التاميات (الصلوات) أى الخمس وقيل الدعاء بخير (الطيبات) أى الصالحات للثناء عليه ﷺ ثابته (لله) ومختصة به بالاستحقاق الذاتى (السلام) أى الله حفيظ ورفيق (عليك) بالحفظ والمعونة أو التسليم أو السلامة من الآفات وقيل الله معك (أيها النبى ﷺ) بالياء المشددة أو الهمز (ورحمة الله وبركاته) أى (94/1) عليك وإنما خوطب ﷺ إشارة إلى أنه يكشف له عن حال المصلى من أمته حتى كأنه حاضر معه ليشهد له بأفضل عمله وليكون تذكرو حضوره سببا للخضوع ولذا قال حجة الإسلام وأحضر شخصه الكريم فى قلبك قبل قولك السلام عليك وليصدق أمل المصلى فى أنه يبلغه ويردّ عليه بما هو أوفى منه (السلام علينا) أى الحاضرين من آدمى وملك وجنى (وعلى عباد الله الصالحين) جمع صالح من جميع الخلق وهو القائم بحقوق الحق والخلق وإنما فسر فى خبر وولد صالح يدعو له بالمسلم لأن المراد فيه الحث على التزوج للنسل وهنا التعظيم للمدعو له وفى شرح الخطبة عن الحبيب عبد الله الحداد أنه يقصد من عناهم ﷺ وقيل المراد بهم القائمون بحقوق الله والعباد وقيل المسلمون ونقل المناوى عن ابن عربى أنه قال إذا قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أو سلمت على أحد وقلت السلام عليكم فاقصد كل عبد صالح من عباده تعالى فى الأرض والسماء حى وميت فإنه حينئذ يردّ عليك السلام فلا يبقى ملك مقرب ولا روح مطهرة يبلغه سلامك إلا ردّ عليك وهو دعاء مستجاب لك فتفلق ومن لم يبلغه من عباده تعالى المهيمين فى جلاله تعالى المشتغلين به ناب هو عنهم ﷺ فى الرد عليك وأعظم به شرفا حيث يرد عليك الرب ﷺ فليته لم يسمع أحد ممن سلمت عليه حتى ينوب عنه الحق فى الرد عليك (أشهد أن لا إله إلا الله) يادغام النون فى اللام وجوبا (وأشهد أن محمدا رسول الله) وقد مر الكلام عليهما وتشترط موالاته عند م ر بمعناها فى الفاتحة نعم يغتفر زيادة الكريم بعد أيها النبى وياأ قبله والملائكة المقرئين بعد الصالحين ووحد لا شريك له بعد إلا الله وكونه بالعربية على القادر كغيره من الأذكار فإن عجز ترجم عن المأثور فقط

وبقية شروط الفاتحة شروط هنا فيجب إدغام كل مدغم فلو أظهره لم تصح صلاته إن لم يعده صواباً لأن فيه ترك شدة أو إبدال حرف بآخر الركن {الخامس عشر الصلاة على النبي ﷺ} -لاية صلوا عليه مع الإجماع على عدم وجوبها في غير الصلاة فتعين فيها {وأقلها}- أي الصلاة على النبي {اللهم صل}- أو صلى الله {على محمد}- أو على رسوله أو النبي لا أحمد وعليه والرسول والحاشر والعاقب ونحوها وشروطها شروط التشهد ولو أتيت الياء في صل حرم وفي البطلان خلاف وأكملها كما في الروضة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وأولى منه لمنفرد وإمام محصورين بل في التحفة وإمام غيرهم ما في الأذكار وهو اللهم صل على محمد عبدك وسوكتك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد أي كامل في الشرف والكرم ولا بأس بزيادة سيدنا بل عند م ر تندب وآل إبراهيم إسماعيل وإسحق وباقي أولاده وإنما خص لأنه لم تجتمع البركة والرحمة في القرآن لغيره ويسن الدعاء بعد الصلاة بما شاء ديناً ودنياً وبالمأثور أولى وأفضله اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر أي البرزخ ومن فتنة المحيا والممات أي الحياة والموت ومن شر فتنة المسيح الدجال أي الكذاب ومنه اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم أي الدين والإثم واللهم اغفر لي ما قدمت وما أخت أي إذا وقع يقع {95/1} مغفورا أو بحيث يحفظ من أن يقع فيه وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ومنه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ومنه اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وروى بدل كثيراً كبيراً بالموحدة فيسن الجمع وينبغي التعميم في الدعاء ويكره الجهر بالتشهد وما بعده وكذا باقى أذكار الصلاة إلا ما ورد فيه وقد يحرم إذا اشتد التشويش به الركن {السادس عشر السلام وأقله السلام عليكم}- فلا بد من الإتيان بال وكاف الخطاب وميم الجمع والموالة بين كلمتيه ويشترط فيه عدم الصارف وإسماع نفسه ولو بالقوة واستقبال القبلة بصدده إلى تمامه بميم عليكم وعدم الزيادة على الوارد والنقص عنه نعم لو قال السلام التام أو الحسن أو كسر السين أو سكون اللام أو فتحها وقصد به معنى السلام ولو مع غيره أو جمع بين آل والتونين أو زاد واوا لم يضر والعطف على ما قبله وأكملة السلام عليكم ورحمة الله واختير زيادة وبركاته واعتمده حج في لجنزة ويسن تسليمة ثانية وإن تركها إمامه إن لم يعرض معها أو قبلها مبطل كحدث وإلا حرمت وبعدها أسألك الفوز بالجنة والفصل بين التسليمتين بقدر سبحان الله والابتداء به مستقبلاً للقبلة بوجهه والاتفات بالأولى حتى يرى من على جانبه وفي الإحياء من خلفه خده الأيمن وبالثانية الأيسر ناوياً المأموم بالثانية الرد على الإمام ومن سلم من المأمومين إن كان عن يمين الإمام فإن كان عن يساره فبالأولى وإن كان قبالة تخير والأولى أحب والإمام الرد على مأموم سلم قبل سلامه الثانية وإلا نوى الابتداء بها وكل مصل السلام على من على يمينه من ملائكة ومؤمني إنس وجن إلى آخر الكون علوى وسفلى الركن {السابع عشر الترتيب}- لأركانها كما ذكر في تعدادها المشتمل على قرن النية بالتكبير في القيام والقراءة به والتشهد والصلاة على النبي ﷺ بعودها فهو فيما عدا ذلك وعده ركناً بمعنى الفرض صحيح وبمعنى الجزء تغليب {فإن تعمد تركه}- أي الترتيب بتقديم ركن قولي هو السلام أو فعلى مطلقاً {كان سجد قبل ركوعه}- مع العلم والتعمد {بطلت}- صلاته إجماعاً لتلاعبه بخلاف قولي غير السلام على قولي أو فعلى لكن لا يحسب ما تقدم على محله وبخلاف السنن فإنه لو قدم مؤخرًا على مثله اعتد به وفات ثواب المتروك ولو أعاده أما على واجب كما لو قدم السورة على الفاتحة ثم أتى بها بعدها فيتعدت بها {وإن سها}- بترك الترتيب ثم ذكر المتروك فما فعله بعده لغو لعدم وقوعه في محله {فليعد}- بفتح أوله أي يرجع غير المأموم {إليه}- أي إلى الإتيان به فوراً محافظة على الترتيب وإلا بطلت صلاته {إلا أن يكون في مثله}- بأن لم يتذكر إلا وهو في مثله من ركعة أخرى {أو}- فيما {بعده فتتم}- به- أي بالمثل الذي هو فيه أو فيما بعده {ركعته}- إن كان آخرها كالسجدة الثانية {ولغا}- ما بينهما وهو {ما سها به}- وإن كان أولها أو أثناءها كالفاتحة حسب له عن المتروك وأتى بما بعده منها وتدارك الباقي من صلاته هذا إن كان المثل من الصلاة وإن نوى به غيره كجلوس بين السجدين نوى به الاستراحة وإلا كسجدة تلاوة لم يجزئه وعرف عين المتروك ومحله وإلا أخذ باليقين وأتى بالباقي نعم إن جوز أن متروكه النية أو التكبير بطلت صلاته أما المأموم فلا يعود له بل يأتي بركعة بعد سلام إمامه {96/1}- {تنبيه}- الشك كالتذكر فلو شك راعها هل قرأ الفاتحة أو ساجدا هل ركع أو اعتدل قام فوراً وجوباً ولا يكفيه في الثانية القيام راعها ولو شك في قراءة الفاتحة قائماً لم تلزمه فوراً لأنه لم ينتقل عن محلها {تتمت: الأول}- تسن سجدة تلاوة لأمام ومنفرد وقارئ ومستمع وسماع وتؤكد لهما وهى فى أربع عشرة آية ليس منها سجدة ص فتبطل بها الصلاة وتندب خارجها شكراً لقبول توبة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام وسجدة الشكر لحدوث نعمة أو اندفاع نقمة أو رؤية مبتلى ويحرم التقرب إلى الله تعالى بسجدة لغير سبب ويصح بركعة الثانية فى صلاة النفل وهو كثير فمنه ما تسن فيه الجماعة وهو العيد والكسوف والاستسقاء والتراويح ووتر رمضان وما عداه لا تسن فيه فالعيد ركعتان يكبر فى الأولى بعد الافتتاح وقبل التعوذ سبعا وفى الثانية خمساً يفصل بين كل تكبيرتين غير الأولى بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويقرأ فيهما ق واقتربت أو الأعلى والغاشية ووقتها بين طلوع الشمس

إلى الزوال والكسوف للشمس والخسوف للقمر ركعتان كالعيد وأكملها بركوعين وقيامين وتطويل كل منهما ومن السجودين وتفتوت بالانجلاء لهما وبغروب الشمس والاستسقاء ركعتان كالعيد إلا الوقت فلا يتعين ولكنه الأولى ويسنّ بعدهما خطبتان كالعيد لكن في العيد يكبر في الأولى تسعا والثانية سبعا وهنا يستغفر بدله والتراويح عشرون ركعة وهى قيام رمضان ووقتها كالوتر بين فعل العشاء وطلوع الفجر ويكره الإفراط فى تخفيفها بل يحرم إن أخل بشيء من الأركان فيكون لا هو صلى وفاز ولا ترك فاعترف ويسلم وجوبا من كل ركعتين والوتر أقله ركعة ويكره الاقتصار عليها وأدنى كماله ثلاث فخمس فسبع فتسع وأكره إحدى عشرة ويكره الوصل إن اقتصر على الثلاث فإن فعل فالأولى ترك التشهد الأول ويقرأ فى الأولى من الثلاث الأعلى والكافرون فى الثانية والإخلاص والمعوذتين فى الثالثة ويسنّ بعده السواك والدعاء المأثور وهو مشهور والرواتب المؤكدة وهى عشر ركعات ثنتان قبل الصبح وثلثان قبل الظهر وثلثان بعده أو بعد الجمعة وفى الإحياء ويندب زيادة ركعتين بعدها غير الرواتب يصلحها فى البيت أو فى المسجد بعد الانتقال لمحل آخر وثلثان بعد المغرب والعشاء وغير المؤكدة وهى اثنتا عشرة ثنتان قبل الظهر وبعدها وقبل المغرب والعشاء وأربع قبل العصر فينبغى المواظبة عليها ومنه ركعتا الإشراف بعد خروج وقت الكراهة غير الضحى قال فى العوارف وأربع بعدها بصليها بنية الاستعاذة بالله من شر يومه وليلته ثم ركعتان بنية الاستخارة لكل عمل يعمل فى يومه وردة فى التحفة بأنه لم يرد لها أثر فى السنة ومنه الضحى وأقلها ثنتان وأكرهها ثنتا عشرة وأفضلها ثمان وأدنى الكمال أربع فست وسن قراءة والشمس فى الأولى والضحى فى الثانية إن صلى ثنتين فإن زاد قال حج فالقياس أنه يقرأ بسورتى الإخلاص ومنه أربع سنة الزوال غير راتبة الظهر وصلاة الأوابين بين المغرب والعشاء وأكرهها عشرون وأقلها ثنتان والتحية ثنتان فأكثر بتسليمة وتكرر بتكرار الدخول ويقرأ فيها بسورتى الإخلاص وسنة الوضوء وصلاة الحاجة ثنتان بسورتى الإخلاص ويندب بعدها لا إله إلا الله الحليم ﴿97/1﴾ الكريم سبحانه الله رب العرش العظيم إلخ وفى الإحياء أنها ثنتا عشرة ركعة وأنه رواها ابن مسعود ومنه صلاة التوبة كما ورد ما من رجل يذنب ذنبا فيتطهر ويصلى ثم يستغفر الله إلا غفر الله تعالى له وصلاة التسبيح أربع والأفضل كونها بتسليمة إن صلاها نهارا وإلا فبثنتين ويقرأ فى الأولى ألهاكم وفى الثانية والعصر وفى الثالثة والرابعة سورتى الإخلاص ويقول بعد الافتتاح الوارد فيها وهو سبحانه الله وبحمده تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقبل التعوذ سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خمس عشرة مرة وبعد القراءة وفى كل من الركوع والاعتدال والسجودين وجولسهما عشرا وقيل يأتى بالخمسة عشر بعد القراءة وبالعشر التى بعدها بعد الرفع من السجود الثانى إما قبل القيام وإما بعده وقبل القراءة كما فى النصائح وكذا كل ركعة ثم يدعو بعد التشهد الأخير باللهم إنى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة إلخ ثم يسلم قال فى النصائح ومن نسى التسبيحات أو بعضها فى ركن أتى بها فى الذى بعده قلت ولا ينبغى للمتنسك أن يدع هذه الصلاة فى كل أسبوع أو فى كل شهر وذلك أقله والله أعلم ومنه ركعتان بعد الوتر يصلحها جالسا يقرأ فى الأولى الزلزلة وفى الثانية التكاثر قال حجة الإسلام كان ﷺ يصلحها وركعتان عند إرادة السفر قبل خروجه من بيته فإذا سلم قرأ آية الكرسي ولئلا يفرق قريش ودعا بإخلاص قلب وركعتان كلما نزل فى سفره وبعد الخروج من الحمام وعند القتل ودخول بيته والخروج منه وبأرض لم يعبد الله فيها أو لم يمز بها وعند الزفاف قبل الوقاع لكل من الزوجين ولا حد للنفل المطلق وهو غير المؤقت وذى السبب ولا يتعين له وقت وله الإحرام بركعة فما فوق شفعاً ووتراً والزيادة على ما نوى والنقص عنه لكن لابد من النية قبل الشروع فى الزوائد وإلا بطلت وإذا أحرم مطلقاً فله أن يسلم مع جهله كم صلى

والحاصل أنه ينبغى الإكثار من صلاة النفل إذ هى أفضل عبادة البدن وخير موضوع وإطالة القيام أفضل من عدد الركعات وفعلها فى البيت وفعل المكتوبة للرجل وركعتى الطواف والإحرام وسنة الجمعة القبلية والضحى وكل ما يسن جماعة فى المسجد أفضل قال فى العوارف وقد غلط أقوام وظنوا أن المقصود من الصلاة ذكر الله وإذا حصل الذكر فأى حاجة إليها وسلوكوا طرقاً من الضلال وركنوا إلى أباطيل الخيال ومحو الرسوم والأحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلخوا فى ذلك طريقاً أدت بهم إلى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا النوافل واغترروا بتيسير روح الحال وأهملوا أفضل الأعمال ولم يعلموا أن فى كل هيئة من الهيئات وكل حركة من الحركات أسراراً لا توجد فى شيء من الأذكار والأحوال والأعمال وما دام العبد فى دار الدنيا معرضاً عن الأعمال فهو عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال وفى لطائف المنن مثل القائم بالواجبات المكتفى بها والقائم بها وبالنوافل مثل عبيد خارجهما الملك على أربعة دراهم كل يوم فأحدهما قام بها فقط والآخر قام بها وعمد إلى طرف الفواكه وغرائب التحف فاشترها وأهداها له فهو لا شك أولى بؤد الملك من الآخر وقال فيها أيضاً ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده إلزام حتمه عليه ﴿98/1﴾ لم يدخل فيها إلا باختيار الله له فاندفع هوى العبد فيها لأنه ﷺ وقت أعداها وأمدادها وأسبابها فلما كانت كذلك كان قيام العبد مقتطعا عن اختياره لنفسه راجعاً إلى اختيار الله له فأوجب القرب منه ما لم يوجبه غيرها فلذلك قال وما تقرب إلى المتقربون بمثل ما افترضته عليهم ثم قال وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاعلم أن النوافل هى الزيادة ولذلك سمي النفل نفلاً وهو ما

ينفله الإمام من الغنيمة لمن يراه زائدا على نصيبه ولم يجعل ۞ واجبا إلا وجعل من جنسه نافلة حتى إذا قام به العبد وفيه خلل ما جبر بها كما في الحديث إنه ينظر في صلاة العبد فإن هو قائم بها كما أمره الله جوزى عليها وأثيبت له وإن كان فيها خلل كملت من نافلته

{فصل}- فيما يتعلق بالجماعة والجمعة أما {الجماعة}- فهي في الركعة الأولى من الجمعة فرض عين {-على الذكور الأحرار المقيمين}- العقلاء {-البالغين غير المعذورين}- والمستأجرين إجارة عين وفي نحو التراويح سنة وفي غير ذلك من السنن مباحة وفي نحو الأداء بالقضاء وعكسه مكروهة وفيما إذا اختلف نظم الصلاة كصبح وكسوف ممنوعة وفي أول ركعة من المكتوبة المؤداة غير الجمعة على من مر {-فرض كفاية}- فتحصل بإقامة كلهم أو بعضهم بحيث يظهر الشعار في محل إقامتها بأن تقام في البلد الصغيرة بمحل وفي الكبيرة بمحال بحيث يمكن قاصدها إدراكها بلا مشقة ظاهرة وأكدها جماعة الصبح لاسيما صبح الجمعة فالعشاء فالعصر والمسجد للرجل أفضل ما لم يفوتها على أهله بذهابه إليه وما كثر جمعه أفضل لما لم يكن إمامه ممن لا يعتقد وجوب بعض الواجبات أو نحو فاسق وتدرك فضيلة جميعها بإدراك جزء من الصلاة مع الإمام أولها أو أثناءها أو آخرها بأن بطلت صلاة الإمام أو فارقه بعذر ما لم يشرع في السلام عند م ر أو ينطق بميم عليكم عند حج قبل فراغ المأموم من التحريم لكن ليس كفضل من أدركها كلها ويدرك فضل التحريم بحضور تحريم الإمام واتباعه فوراً وينبغي المحافظة عليه لخبر لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبير الأولى ويسن انتظار داخل في ركوع وتشهد أخير من غير تطويل وتمييز بين الداخلين ويكره في غيرهما وإعادة الفرض ولو جمعة ونفلا تشرع فيه الجماعة أو وترا عند حج بشرط كونه أداء وصحة الأولى وإن لم تغن عن القضاء كتميم لبرد ونية الفرضية الصورية في الفرض وكون الجماعة في جميعها عند م ر وتكفي في ركعة عند حج وعدم الزيادة على مرة وفرضه الأولى أما المعذورين بشيء من الأعذار المرخصة في تركها كمطر وثلج وبرد بل الثوب ومرض شق وتمريض من لا متعهد له أو له واشتغل بشراء نحو داء وإشراف نحو قريب وزوجة وصهر ومملوك وصديق وأستاذ ومعتق وعتيق على موت وخوف على نفس أو عضو أو مال أو اختصاص وإن قل بل وإن كان لغيره وملازمة غريم معسرا فلا تجب عليهم {-و-} أما {الجمعة}- فهي والجماعة في الركعة الأولى منها كما مر {-فرض عين عليهم}- أي الذكور الأحرار المقيمين البالغين لكن لا تجب إقامتها عليهم إلا {-إذا كانوا أربعين}- ذكرا متوطنا لأن هذا العدد فيه كما إذ هو زمن بعث الأنبياء وقدر ميقات موسى والجمعة ميقات المؤمنين ونجوز كون إمامها عبداً أو مسافراً أو صبياً أو محدثاً لم يبين حدته إلا بعد الصلاة إن زاد على العدد ولا بد أن يكون توطنهم وإقامتهم {-في}- خطة {-أبنية}- بلد أو قرية ولو من خشب أو قصب أو سعف {-و-} كما تجب على المتوطنين بنحو بلد تجب {-على من}- أي مسافر {-نوى (99/1)-} الإقامة عندهم أربعة أيام صحاح{- غير يومى الدخول والخروج فأكثر لانقطاع سفره بذلك {-وعلى من}- توطن محلاً يبلغه منه النداء وتصح منهما وإن تنعقد بهما إذ الناس في الجمعة ستة أقسام من تلزمه وتنعقد به وتصح منه وهو من جمع الشروط وعكسه وهو الكافر الأصلي وغير المميز ومن لا تلزمه وتنعقد به وهو المعذور كمريض ومن تلزمه ولا تصح منه وهو المرتد ومن تلزمه وتصح منه ولا تنعقد به وهو من كان مقيماً غير متوطن أو متوطناً بمحل {-بلغه}- منه ولو بالقوة {-نداء}- شخص {-صيت}- أي عالى الصوت عرفاً يؤذن كعادته في علو الصوت وهو واقف بمستو ولو تقديراً {-من طرف يليه}- أي السامع {-من بلدها}- أي الجمعة مع سكون الريح ولو تقديراً والصوت بحيث يعلم أن ما يسمعه نداء الجمعة وإن لم يبين الكلمات وهو معتدل السمع لخبر بذلك وتجب على عاص بسفره لا على مسافر سفراً مباحاً ولو قصيراً ويحرم على من لزمته السفر بعد الفجر إلا إن أمكنته بطريقه أو توحش بتخلفه عن الرفقة {-وشرطها}- مع ما مر أن تقع {-وقت الظهر}- ويصح رفع وقت {-وخطبتان قبلها فيه}- أي في وقت الظهر فلو ضاق عن الركعتين مع الخطبتين صلوا ظهراً ولا بد من كون الخطبتين {-يسمعهما}- أي يسمع أركانها {-الأربعون}- الذين تنعقد بهم الجمعة ولو بالقوة بحيث لو أصغوا لسمعوا عند م ر {-وأن تصلى}- الركعة الأولى منهما كما مر {-جماعة بهم}- أي الأربعين الذين سمعوا الخطبة فلو نقصوا بالانفضاض أو غيره في الخطبة أو بينها وبين الصلاة أو في الركعة الأولى بطلت الخطبة في الأوليين والجمعة في الثالثة وصارت ظهراً إلا إن تموا فوراً ممن سمع أركان الخطبة فحينئذ يبنى في الثلاث على ما مضى إن أدركوا الفاتحة والركوع قبل ارتفاع الإمام عن أقله أو أحرم قبل الانفضاض من كمل العدد به وإن لم يسمع الخطبة لأنهم لما لحقوا والعدد تام صار حكمهم واحداً ثم إن أدرك الأولون الفاتحة لم يشترط تمكثهم منها لأنهم تابعون لمن أدركها وإلا اشترط {-وأن لا تقارنها أو تسبقها جمعة}- أخرى {-بيلدها}- مثلاً وإن عظمت وكثرت مساجدها إلا لعسر اجتماع بأن لم يوجد محل يسعهم بلا مشقة ولو غير مسجد والعبارة بمن يغلب فعلهم لها عادة كما في التحفة والنهاية والمعنى قال في الإيعاب والقياس اعتبار من يحضر بالفعل واعتمده سم واعتمد جمع اعتبار من تصح منه وإن لم تلزمه وفيه فسحة فإن سبقتها مع عدم عسر الاجتماع فالسابقة هي الصحيحة فإن تقارنا بطلتا والعبارة في السبق والمقارنة بالراء من تكبيرة الإمام {-وأركان الخطبتين}- خمسة من حيث المجموع وثمانية من حيث الجميع الأول {-حمد الله}- أي الحمد وما اشتق منه مع إضافته للجلالة كالحمد لله أو لله الحمد أو حمد الله أو أنا حامد الله فلا يكفى نحو لا إله إلا الله أو الشكر لله أو الحمد للرحمن {-و-} الثانى {-الصلاة على النبى ۞}- أي مصدرها وما اشتق منه كالله صل أو صلى الله أو أصلى أو نصلى أو الصلاة على محمد أو أحمد الرسول أو

النبي أو الحاشر أو البشير أو نحو ذلك ولا يكفي سلام الله على محمد أو رحم محمدا أو صلى الله عليه بالضمير (و). الثالث (الوصية بالتقوى) وهي المقصود الأعظم فلا يكفي التحذير من الدنيا بل لابد من الحث على الطاعة والزجر عن المعصية أو أحدهما وتكفي ولو بغير لفظها كاحذروا عقاب الله أو النار أو أطيعوا الله وهذه الثلاثة أركان (فيهما) أي في كل منها (و). الرابع (آية مفهمة) كاملة وإن تعلقت (100/1) بحكم منسوخ أو قصة تقرأ (في أحدهما) أو قبلهما أو بعدهما أو سطهما والأفضل في الأولى لتقابل الدعاء في الثانية وخروجا من الخلاف وكونها في آخرها بل تندب قراءة ق بكماها بعد الأولى ولا يكفي بعض آية وإن طال عند حج ولو قرأ بنية الوعظ والقراءة أو أطلق كفى (و). الخامس الإتيان بما يحصل به (الدعاء للمؤمنين) الشامل للمؤمنات إذ المراد به الجنس ولكن يسن ذكر المؤمنات والواجب الدعاء لمن حضر بل لو خصص أربعين من الحاضرين كفى لا إن خصص الغائبين وإن كثروا ومنه يعلم أنه لا يكفي عنه الدعاء لنحو الصحابة ولا بأس بالدعاء للسلطان بعينه حيث لا مجازفة في وصفه ويسن لولاة المسلمين وجيوشهم ويتعين هذا (في الثانية وشروطهما) أي شروط كل منهما تسعة الأول (الطهارة عن الحدثين) الأصغر والأكبر فإن سبقه تطهر واستأنف وإن قصر الفصل (وعن النجاسة) الغير المعفو عنها (في البدن والمكان والمحمول) من ثوب وغيره بتفصيله السابق في الصلاة (و). الثاني (ستر العورة) وإن قلنا بالأصح أنها ليستا بدل ركعتين (و). الثالث (القيام) فيهما على القادر بالمعنى السابق في قيام الفرض فإن عجز فجالسا ثم مضطجعا والأولى الاستخلاف (و). الرابع (الجلوس بينهما) للاتباع فلو تركه ولو سهوا لم تصح والجالس يفصل بسكتة وشروطه عدم الصارف لا النية لكن تسن وأقله قدر الطمأنينة وأكملة قدر سورة الإخلاص وتندب قراءتها فيه (و). الخامس (الولاء بينهما) أي الخطبتين بمعنى أركانها (وبينهما و) بين (الصلاة) بأن لا يطول الفصل عرفا بما لا يتعلق بهما فإن طال بقراءة فإن كان فيها وعظ فلا تقطع وإلا قطعت كما في التحفة عن بعضهم (و). السادس (أن تكون) أركان كل منهما (بالعربية) وإن كان كل الحاضرين أعاجم نعم وإن لم يكن فيهم من يحسنها ولا أمكن تعلمها قبل ضيق الوقت خطب واحد غير الآية بلسانهم والسابع كونهما بعد الزوال والثامن ما مر من استماع الأربعين والتاسع كونهما قبل الصلاة والمعتمد أن ترتيب أركانها الثلاثة الأول سنة ويندب كونهما على منبر أو مرتفع والسلام من الخطيب على كل صف وإذا أقبل عليهم بعد صعود ما يلي المستراح والجلوس عليه حال الأذان وكونهما بليغة ومفهومة وقصيرة والاعتماد على نحو سيف أو عصا بيساره والمبادرة بالنزول إذا فرغ ويكره التفات ودق درج المنبر في صعوده برجله

(تنبيه) يندب في الركعة الأولى قراءة سورة الجمعة أو سبح وفي الثانية المنافقون أو الغاشية والغسل لحاضرها ووقته من الفجر وتأخيرها للرواح والتبكير لغير الإمام ولبس أبيض والتنظيف بحلق ونحوه والمشى بسكينة والاشتغال بقراءة أو ذكر في طريقه وفي المسجد والإنصات للخطبة وكره سلام داخل لكن يجب الرد ويستحب تشميت عاتس وقراءة الكهف يومها وليلتها والإكثار منها وأقله ثلاث مرات والصلاة عليه ٥ فيهما والإكثار منها وأقله ثلثمائة والدعاء في يومها وقراءة آل عمران وهود والدخان ويحرم التشاغل عنها ببيع وغيره مما لا يضطر إليه بعد الأذان الثاني ويكره قبله وبعد الزوال ولا تدرك الجمعة إلا بركعة وورد من قرأ الفاتحة والمعوذات سبعا سبعا عقب سلامها قبل إنشاء رجله غفر له ما تقدم وما تأخر وأعطى أجرا عدد من آمن بالله ورسوله قال الغزالي ويقول اللهم يا غني يا حميد إلخ قال الشرقاوي من واطب عليه أربع مرات أغناه الله ورزقه من حيث لا يحتسب وغفر له ما تقدم وما تأخر وحفظ له دينه ودنياه وأهله (101/1) وولده وسيأتي أن ترك الجمع والجماعة من الكبائر

(فصل) في شروط صحة الاقتداء (يجب على كل من صلى) أي أراد الصلاة (مقتديا) بغيره سواء كان (في جمعة أو غيرها) أن يراعى شروط الاقتداء في إمامه الذي يريد الاقتداء به وهي ستة الأول أن لا يعلم بطلان صلاته بحدث أو غيره الثاني أن لا يعتقد البطلان أو يظنه كمجتهدين اختلفا في القبلة أو إناءين أو ثوبين ومخالف علمه ترك فرضا عنده كالسملة ولو أميرا عند م ر الثالث أن لا يعتقد وجوب القضاء عليه كمتيمم لفقد ماء بمحل يغلب فيه وجوده الرابع أن لا يشك في كونه مأموما أو إماما فبالأولى العلم فلو رأى اثنين وشك أيهما الإمام لم يصح الاقتداء بأحدهما وإن ظن أنه الإمام باجتهاد عند حج الخامس أن لا يكون أميا وهو من لا يحسن حروف الفاتحة بأن يعجز ولو عن حرف منها أو عن إخراجها من مخرجه أو عن تشديده منها ولو في سرية ولا يضر تجويز كونه أميا أو به مانع آخر لم تقم قرينة ظاهرة عليه كإساراه في محل الجهر وإلا ضرر نعم يجوز اقتداء مثله في ذلك الحرف به وإن أبدله أحدهما راء والآخر عينا مثلا بخلاف ما إذا كان كل منهما يغير حرفا وإن أبدل كل منهما حرفه راء مثلا السادس أن لا يقتدى الذكر والخنثى بغير ذكر واضح أما المرأة فتقتدى برجل وخنثى وامرأة وبعد توفر هذه الشروط لابد أن يراعى شروط صحة الجماعة وهي سبعة الأول (أن لا يتقدم) المأموم في جزء من صلاة غير صلاة شدة الخوف (على إمامه في الموقف) يعني في المكان لا بقيد الوقوف إذ قد يصلي قاعدا أو غيره والعبرة في التقدم بعقب رجل القائم المعتمد عليها وآلية القاعد وجنب المضطجع وكذا برأس المستلقي عند م ر فإن تقدم بشيء مما ذكر جزء منها لم تصح صلاته ولا عبرة بغير ذلك ما لم يعتمد عليه كأصابع قائم وركبتى قاعد (و). الثاني المتابعة له في التحريم فيجب أن لا يتقدم عليه في تكبيرة (الإحرام) وسائر الأفعال الواجبة (بل تبطل) بضم أوله (المقارنة) الصادرة من المأموم

لإمامه يقينا أو شكاً (فى) بعض تكبيرة (الإحرام) بالصلاة يعنى يتبين أنه لم يدخل فيها فيما إذا أحرم ثم تذكر أنه قارن أو شك فى أثناء التكبيرة أو بعدها وطال الزمن فعلم أنه يجب تأخير جميع تكبيرة المأموم يقينا عن جميع تكبيرة الإمام لخبر إذا كبر فكبروا أما لو زال الشك عن قرب فلا يضر كهُو فى أصل النية (وتكره) المقارنة من المأموم للإمام (فى غيره) أى الإحرام من سائر الأفعال وتفاوت بها فضيلة الجماعة فيما قارنه فيه والأقوال ولو فى سرية ما لم يعلم أنه لو تأخر إلى فراغه من القراءة لم يدركه فى الركوع فيندب أن يكون ابتداءه متأخرا عن ابتداء إمامه ومتقدما على فراغه منه والأكمل تأخر ابتداء فعله عن جميع حركة الإمام فلا يشرع حتى يصل الإمام لحقيقة المنتقل إليه ما لم يعلم أنه لو فعل ذلك لم يدركه فى المنتقل إليه فيفعل حينئذ ما يظن به إدراكه فيه والواجب أن لا يتأخر بركنين ولا يتقدم عليه بركن وتندب المتابعة له فى كل مندوب (إلا التأمين) فالأفضل فيه المقارنة بأن يؤمن معه ليوافق تأمين الملائكة وإن وصله بالفاتحة ولأنه لقراءة الإمام وقد فرغت فمعنى خبر إذا آمن فأمّنوا إذا أراد أن يؤمن فإن فاتته المقارنة آمن بعده وإن شرع فى السورة ولو أخره الإمام عن زمنه المشروع آمن قبله واعتمد فى الأسنى أنه لو جهر فى سرية لا يؤمن لقراءته لكن فى التحفة خلافه ولو فرغا من الفاتحة معا كفى تأمين واحد وإلا آمن لكل (ويحرم) على المأموم (تقدمه) على إمامه (بركن) (102/1) تام (فعلى) مع العلم والتعمد بل هو من الكبائر كما يأتى إن شاء الله تعالى واعتمد حج أن السبق ببعضه مكروه كالتأخر بتام ولا تبطل به الصلاة (و) إنما (تبطل) بالتقدم عليه مع العلم والتعمد (بركنين) فعليين متواليين طويلين أو طويل وقصير بلا عذر ككسبان أو جهل عذر به وإلا فلا تحسب له الركعة إلا إن أعادهما مع الإمام وذلك بأن يركع ويعتدل ويهوى للسجود والإمام واقف قال فى التحفة أو بأن يركع قبل الإمام فلما أراد أن يركع رفع فلما أراد أن يرفع سجد فلم يجتمع معه فى ركوع ولا اعتدال (وكذا) تبطل إذا حصل من المأموم (التأخر عنه) أى الإمام (بهما) أى الركنين الفعليين إلخ لكن إن كان التأخر بهما (لغير عذر) مما يأتى بأن فرغ منهما وهو فيما قبلهما كان زاد الإمام عن حد الاعتدال وهو فى القيام (و) لا تبطل بالتأخر بالعذر إلا إذا كان (بأكثر من ثلاثة أركان طويلة) وهى المقصودة لذاتها فلا يحسب منها الاعتدال والجلوس بين السجودين بأن ينتهى إلى الرابع أو ما هو بصورته وهو التشهد الأول فما دام لم يتلبس به الإمام فيسعى المأموم على ترتيب صلاة نفسه والتخلف (له) أى للعذر يكون فى مسائل ليس هذا محلها (و) الثالث من الشروط (أن يعلم) المأموم ولو علم ظن (بانتقالات إمامه) قبل شروعه فى الركن الثالث ليتمكن من المتابعة ويحصل برؤية الإمام أو بعض المأمومين أو بسماع صوت ولو من مبلغ غير مصل عدل رواية أو اعتقد صدقه ولو ذهب المبلغ لزمنه المفارقة ما لم يرج عوده قبل مضى ركنين (و) الرابع (أن يجتمعا) أى الإمام والمأموم فى مكان مسجد أو غيره من فضاء أو بناء أو أحدهما بمسجد والآخر بغيره فإن كانا (فى مسجد أو) مساجد متلاصقة وتنافذت أبوابها وإن انفرد كل بمؤذن وصلاة فتصح الصلاة وإن بعدت المسافة جدا وحالت الأبنية المتنافذة أو اختلفت كبر ووسطح ومنازة داخلات فيه وأغلق باب بنحو ضبة لا بتسمير وإن لم يكن له مفتاح بشرط إمكان المرور العادى من كل لآخر ولو بانعطاف وإزورار بخلاف غير المعتاد كبنحو وثبة من نحو فرجة وإن كانا فى غير ذلك كانا فى فضاء أو بيت أو سفينتين أو سطحين اشترط القرب وهو أن لا يزيد بينهما ولا ما بين كل صفين على (ثلثمائة ذراع) بذراع الأدمى المعتدل تقريبا وإن بلغ ما بين الإمام والصف الأخير فراسخ بشرط إمكان المتابعة وعدم تقدمه على من قبله إن لم ير الإمام لأنه له كالأبادة (و) يشترط إذا كانا فى غيره مع القرب (أن لا يحول بينهما) أى الإمام والمأموم (حائل يمنع الاستطراق) أو رؤية الإمام أو من خلفه كجدار أو باب مغلق أو مردود لمنعه الرؤية أو شباك لمنعه الاستطراق ولا يضر تخلل شارع ونهر كبير وإن لم يمكن عبوره ونار ونحوها وبحر بين سفينتين لأنها لا تعد للحيلولة فلا تسمى حائلا عرفا نعم الفلكان المكشوفان كالفضاء لا يشترط فيهما إلا القرب ويكره ارتفاع أحدهما على الآخر ارتفاعا يظهر فى الحس وإن قل إن أمكن استواؤهما وإلا أبيح وينبغى أن يكون المرتفع حينئذ الإمام ولم يكن حاجة تتعلق بالصلاة كتبليغ توقف عليه الإسماع وكتعليم المأمومين صفة الصلاة وإلا استحب (و) الخامس (أن يتوافق نظم صلاتيهما) أى الإمام والمأموم بأن يتفقا فى الأفعال الظاهرة وإن اختلفا عددا ونية فإن اختلفا كمكتوبة أو مندورة أو جنازة أو نفل مع كسوف فعل بقيامين وركوعين أو ما عدا الجنازة معها أو عكسهما لم تصح القدوة لتعذر المتابعة ولذا تصح فى القيام الثانى من الركعة الثانية بل وتذكر به (103/1) الركعة عند م ر وكذا فى آخر تكبيرات الجنازة عند حجر وتصح ظهر مع مغرب وصبح ويتم كمسبوق بعد سلام الإمام ومتابعته فى قنوت الصبح وتشهد المغرب أفضل من المفارقة فلو فارقه عند فعلهما لم تفته الفضيلة إذ هو معذور ويصح عكسه وله المفارقة إذا تمت صلاته والانتظار فى التشهد أفضل إن لم يحدث جلوسا لم يفعله الإمام وإلا كمغرب مع نحو عشاء تعينت المفارقة قبل الجلوس وله انتظاره فى السجود قبله ويصح قضاء مع أداء وفرض مع نفل وعكسه والانفراد أفضل فى ذلك من الجماعة (و) السادس (أن لا يتخالفا) أى الإمام والمأموم (فى سنة تفحش المخالفة) من المأموم للإمام (فيها) فإن خالفه فيها كان ترك الإمام التشهد الأول ففعله بطلت صلاته إن علم وتعمد وإن لحقه عن قرب لعدوله عن فرض المتابعة ولذا لو فعل الإمام التشهد الأول وتركه المأموم عمدا لم تبطل صلاته لعدوله من فرض لفرض أما سهوا فيلزمه العود وإلا بطلت أما إذا لم تفحش المخالفة فيها كجلسة استراحة وكذا قنوت إن أدركه فى السجدة الأولى فلا يضر لأنه يسير

ولم يحدث ما لم يفعله الإمام بخلافه في التشهد الأول ومن ثم لو أتى الإمام ببعض التشهد الأول جاز للمأموم إكماله استصحاباً {و} السامع {أن ينوي} المأموم القدوة أو الجماعة ولو في أثنائها أو الائتمام بالإمام أو بمن في المحراب أو مع الإطلاق عند غير الخطيب ويشترط أن تكون نيته {الاقتداء} ونحوه {مع} تكبيرة {التحرر} في {نحو} {الجمعة} من كل ما لا ينعقد فرادى وهو المعادة ومجموعة المطر وأما المنذورة جماعتها فهي وإن وجبت فيها الجماعة لكن تنعقد فرادى {و} أما غير ما ذكر من سائر الصلوات فيشترط أن تكون نية الاقتداء فيها {قبل المتابعة و} قبل {طول الانتظار} فلو لم ينو الاقتداء {في غيرها} أي الجمعة وكذا ما ألحق بها أو شك في نيته وتابع قصداً في فعل ولو مندوباً أو وقف سلامه على سلامه فإن طال انتظاره الإمام بأن لم يتبعه في ذلك بطلت صلاته لأنه وقف صلاته على صلاة غيره بلا رابطة وفي الإمداد إنه يغتفر للجاهل وخالفه م ر وإلا بأن تابع اتفاقاً أو لم يطل انتظاره أو طال بلا متابعة لم يضر ويبسّر إن تابع ويضر الشك في نحو الجمعة إن طال أو مضى معه ركن وإن قصر لأن الجماعة شرط فيه وأفهم كلامه ة عدم وجوب تعيين الإمام وهو كذلك لكن لو عينه كزيد وأخطأ بطلت صلاته ما لم يشر كزيد هذا {وتجب على الإمام نية} نحو {الإمامة} لكن لا مطلقاً بل {في الجمعة و} ما ألحق بها من {المعادة} ومجموعة المطر {وتسن} نيتها له {في غيرهما} أي الجمعة وما ألحق بها وترتيب الأئمة في الأحقية وما ألحق به مبسوط في غير هذا المحل

{تتمتان: الأولى} يجوز قصر الرباعية بمجاورة سور البلد لمن قصد مرحلتين فأكثر بشرط العلم بجوازه فلا يصح من جاهل وعدم الاقتداء في جزء من صلاته بتمم أو مشكوك في سفره وإن بان مسافراً لعدم الجزم بنيته ونية القصر أو ما في معناه كصلاة السفر أو الظهر ركعتين والتحرر عما ينافي نيته إلى السلام ودوام السفر من أول صلاته لآخرها ويجوز الجمع بين العصرين والمغربين تقديماً بشرط بقاء وقت الأولى يقينا وظن صحتها والعلم بجوازه والبداءة بالأولى وتأخيراً بشرطين نية التأخير قبل خروج وقت الأولى ولو بقدر ركعة أي نية إيقاع الأولى وقت الثانية فإن نواه بلا نية إيقاع عصى وصارت قضاء ودوام السفر إلى تمام الثانية وإلا صارت الأولى قضاء {104/1} وترك الجمع أفضل وكذا القصر في دون ثلاث مراحل إلا لمن وجد في نفسه كراهته أو شك في جوازه أو كان بمن يقتدى به أو يصلى منفرداً لو تركه أو بعرفة أو مزدلفة أما القصر في ثلاث فأكثر فيندب للخلاف في وجوبه وينقطع السفر بوصوله بلده وإن كان ماراً به أو غيره ونوى إقامة أربعة أيام صحاح وله الجمع والقصر والفطر لتوقع حاجة كانتظار سفينة إلى ثمانية عشر يوماً ويجوز تقديماً لنحو المطر عند إحرام الأولى وتحللها ودوامه إلى إحرام الثانية وأن يصلوا جماعة في مكان مسجد أو غيره يأتونه من بعد ويتأذون بنحو المطر في الطريق بخلاف ما لو صلى منفرداً أو جماعة في بيته أو غيره وهو قريب بحيث لا يتأذى به أو وجد كذا يسير فيه إليه واختار النووي ة جوازه تقديماً وتأخيراً للمرض الذي يشق معه فعل كل فرض في وقته كمشقة المشى في المطر ويراعى الأرفق فإذا كانت زيادة الحمى مثلاً وقت الثانية قدمها بشرط التقديم أو وقت الأولى آخرها بنية الجمع وفهم من ذلك أن المرض موجود فيهما وإنما التفصيل بين زيادته وعدمها

{الثانية} في صلاة الخوف وهي أنواع اختار الشافعي منها ثلاثة الأول صلاة عسافان وهي أن يكون العدو في جهة القبلة وكل فرقة منا تقاومه ولا سائر فيصلى الإمام بهم ويسجد معه الصف الأول ويحرس الثانية فإذا قاموا سجد الثاني ولحقه وسجد معه في الثانية بعد تقدمه وتأخر الأول ليحرس بلا كثرة أفعال فإذا جلس لتشهد سجد المتأخر وسلم بالجميع الثاني صلاة بطن نخل وهي أن يكون في غير جهتها أو هناك سائر فيصل بكل فرقة مرة فتكون له الثانية نفلاً أو بفرقة ركعة ثم عتد قيامها للثانية تفارقه وتتم ثم تقف في جهة العدو وتأتى الحارسة فيصلى بها الثانية وينتظرها في التشهد وتلحقه فيصلم بها وهي النوع الثالث وهي صلاة ذات الرقاع وبقي نوع رابع وهي صلاة شدة الخوف وبيانها أنه إذا التحم القتال ولو مع غير كافر أو اشتد الخوف لهجوم عدو أو حبس بغير حق أو نحو سيع كحية وسيل صلى كيف أمكنه راكباً أو ماشياً ويعذر في القبلة إن عجز كما مر وفي كثرة الأفعال المتوالية كطعنات وضربات وركوب وإيماء بركوب وسجود لا في صياح ونطق لعدم الحاجة إليه بل السكوت أهيب وسيأتى إن شاء الله بيان ما يحرم من اللباس والحلى وما يتعلق به {فصل} في أحكام الجنائز يستحب ذكر الموت بالقلب واللسان والإكثار منه والاستعداد له بالتوبة والمريض أولى وندب عيادة المريض المسلم ولو برمد وعدواً ومن لا يعرف وكافراً إن كان جاراً أو قريباً غبا بكسر أوله أي يوماً بعد يوم نعم نحو قريب وصديق ممن يأنس أو يتبرك به المريض يزوره بقدر قابليته له ولو مراراً في اليوم ويخففها ويدعو له بالعافية إن طمع فيها ولو على بعد والأفضل أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبعا كما في الحديث ويذكر له ما في المرض من الثواب حتى قال بعضهم ساعة منه خير لى من قيام أربعين سنة وأنه يعقبه الفرح فإن لم يطمع فيها رغبه في التوبة والوصية بلطف وفي تحسين ظنه بمولاه وتكره الشكوى إلا لنحو صديق ليدعو له وتمنى الموت بلا خوف فتنة في دين وإكراه المريض على تناول الدواء وإذا حضرته أمارات الموت ألقى ندبا على شقه الأيمن ووجهه للقبلة كما في اللحد فالأيسر فعلى قفاه ويجعل وجهه وأخمصاه للقبلة ويلقن لا إله إلا الله بأن تذكر عنده بلا إلحاح بل يسن إذا قالها عدم إعادة ذكرها

إلا إن (105/1) تكلم بغيرها لتكون آخر كلامه لما صح من كانت آخر كلامه دخل الجنة أى مع الفائزين وإلا فكل مسلم يدخلها فإذا مات غمض عيناه وشدّ لحياه بعصابة عريضة ولينت مفاصله ولو بدهن إن احتيج إليه ونزعت ثيابه وستر بثوب خفيف طرفاه تحت رأسه إن لم يكن محرماً ورجليه ووضع على بطنه شئ ثقيل والأولى كونه فوق الثوب ومن حديد كسيف لأنه أبلغ فى دفع النفخ واستقبل به القبلة كمحتضر ويتولى ذلك أرفق محرم به ويدعى له ببراءة ذمته وإنفاذ وصيته ويستحب الإعلام بالموت بنحو نداء للصلاة ودعاء له وتكره ترثيته بذكر محاسنه بنظم وغيره حيث لا ندب معها وإلا حرمت نعم فى حق نحو عالم إذا خلت عن الندب تندب كتقبيل وجهه لكل أحد ولأهل وأصدقاء غيره أما لغيرهم فخلاف الأولى ثم بعد ذلك يجب (غسل الميت) ولو غريقاً وسقطاً وقاتل نفس (وتكفينه والصلاة عليه) وحمله (ودفنه) وكل واحد من هذه المذكورات (فرض كفاية) على من علم بموته من أقاربه وغيرهم فإذا فعله واحد منا ولو غير مميز سقط الحرج عن الباقيين لكن لا تجب هذه إلا (إذا كان) الميت (مسلماً) قد (ولد حياً) غير شهيد المعركة أما الكافر فلا يجب لحريته ومرتد شئ منها (ووجب لذمى) يعنى ذا أمان (تكفين) وحمل (ودفن) لا غسل لكنه يجوز ولا صلاة (و) تجب كلها (لسقط) بتثليث أوله من السقوط إذا ظهرت فيه أمارة الحياة كاختلاج اختياري بعد انفصاله وبالأولى ما لو علمت حياته بنحو صياح وإن لم ينفصل كله بل عند مرمى بلغ ستة أشهر وإن لم تظهر فيه أمارة الحياة حكمه حكم الكبير بخلاف سقط (ميت) لم تظهر فيه أمارة الحياة فإنه إن ظهر خلقه ولو قبل مائة وعشرين يوماً وجب له (غسل وكفن) وحمل (ودفن) تحرم الصلاة عليه كالذمى فحينئذ (لا يصلى عليهما) فإن لم يظهر خلق السقط ولو بعد مائة وعشرين يوماً ندب لفه بخرقه ودفنه (و) أما شهيد المعركة وهو (من مات) مسلماً ولو غير ذكر حر بالغ (فى قتال كفار) أى جنسهم ولو واحداً مرتداً (بسببه) أى القتال ولو برمح دابته له أو قتل مسلم خطأ أو عاد سهمه إليه أو سقط من دابته فيندب أن يكفن فى ثيابه المملوطة وغيرها ولا يجاب بعض الورثة لنزعها إن لاقت به أما كلهم فيجابون نعم ما لا يعتاد التكفين فيه كدرع وفرو ينزع وإذا (كفن فى ثيابه) التى مات فيها وكفته فظاهر (فإن لم تكفه زيد) بالبناء للمجهول (عليها) إلى ثلاثة على ما يأتى (و) حمل و (دفن) وجوبا (ولا يغسل) ولو نحو جنب (ولا يصلى عليه) وجوبا فيحرم كل من الصلاة عليه والغسل له وإن لم يرد لإزالة دم الشهادة إشارة لتطهيره ۞ له بالشهادة وأنه متولى بلا واسطة دعاء مصل له أما شهيد غير المعركة كمبطون وغريق وطالب علم فحكمه كغيره من وجوب الصلاة والغسل وغير ذلك (وأقل الغسل) للميت (إزالة النجاسة) العينية عنه إن وجدت أما الحكمية وما بمعناها من العينية فيكفى لها وللغسل جربة واحدة (وتعميم جميع) بدنه من (شعره وإن كفف وبشره) كالحى (و) يجب كونه (مرة بالماء المطهر) ولا تجب لهذا الغسل نية بل تسن ويندب غسله فى قميص بالسخيف وفى خلوة عن غير غاسل ومعينة والولى وتحت سقف وعلى نحو لوح واستقبال القبلة به ورفع ما يلى رأسه وتغطية وجهه بخرقه وغض الغاسل بصره عن غير عورته وعنهما يجب وبماء بارد إلا لحاجة ومالح أولى ومسح بطنه بيده اليسرى بقوة ليخرج ما فيها بعد إجلاسه مائلاً لورائه يأسند ظهره بركبته اليمنى ووضع يده اليمنى على كتفه وإبهامه فى نقرة قفاه وفوح مجمرة بالطيب من موته إلى انقضاء غسله ولو محرماً وكثرة صب الماء وغسل سواتيه وما حولهما بخرقه وجوبا فيهما (106/1) وندبا فيما حولهما وثانية لغسل البدن وثالثة يسوكه بها بسبابة يسراه ويوضئه كالحى وينشفه ثم يغسل رأسه فلحيته فالمقبل منه الأيمن فاليسر فالمدبر كذلك بنحو سدر ثم مزيلة بماء خالص ثم ثالثة بماء مع قليل كافور فهذه كلها غسلة واحدة ثم ثانية وثالثة كذلك أو يغسله بسدر ثلاثاً ولاء ثم مزيلة ثم ثلاثاً بماء أو واحدة بسدر فمزيلة فسدر فمزيلة فثلاثاً بماء ثم ينشف بخرقه بعد تليينه والأولى بغسل الذكر الذكور والأفقه بالغسل أولى من الأقرب وبالمراة النساء فإن يحضرها إلا أجنبى أو عكسه يمم (وأقل الكفن) الواجب بالنسبة لحق الميت (سائر جميع البدن) غير رأس محرم وجه محرمة من الثياب التى تحل له حياً وتليق به وإن كفن من مال غيره فله إسقاط الزائد عليه عند حجر أما بالنسبة لحقه تعالى فيكفى سائر العورة فليس له إسقاطه (و) للغرماء المنع من ثان وثالث وللورثة مما زاد على الثلاثة لا منها إذ يجب (ثلاث لفائف لمن) كفن من ماله ولا دين عليه مستغرق بأن (ترك تركة زائدة على دينه) إن كان أو لم يكن عليه دين أصلاً وإن لم يملك سواها (و) هذا إن (لم يوص بتركها) أى الثلاث وإلا فالواجب له سائر العورة كما مر وسن لذكر كفن من مال غيره أو عليه دين مستغرق ثلاث لفائف ولامرأة إزار وقميص كقميص الحى كما قاله الشرقاوى وغيره وخمار ولفافتان والبياض القطن المغسول أولى لكن فى التحفة أن المذهب نقلاً ودليلاً أولوية الجديد ولذا كفن فيه ۞ (وأقل) الواجب فى (الصلاة عليه) أى الميت الإتيان بأركانها وهى سبعة الأول النية كغيرها فيجب فيها ما يجب فى الفرض وهو (أن ينوى) المصلى عند تكبيرة الإحرام (فعل الصلاة عليه) أى الميت (و) ينوى (الفرض) ولو الكفائي وإن تعينت عليه (و) أن (يعين) هامن غيرها كغيرها من الفروض ولا يجب تعيين الميت ولا معرفته ولو غائباً عند حج بل الواجب أدنى مميز كعلى هذا مثلاً وعند مرمى لا بد أن يعين المصلى الغائب بقلبه (و) الثانى أربع تكبيرات بتكبيرة التحريم فإن زاد ولو بقصد الركنية لم يضر فيجب أن (يقول) مع النية عند التحريم (الله أكبر) بشروط تكبيرة التحريم السابقة ومنها أن يحرم إن كان قادراً (وهو قائم) والثالث القيام بعد التحريم (إن قدر) عليه فهو قبله شرط له وبعده ركن (ثم) بعد التحريم إن شاء أتى بالركن الرابع وهو القراءة وإن شاء

آخرها إلى ما بعده والأفضل أن -يقرا الفاتحة- بعد تكبيرة التحريم وإذا آخرها لما بعدها فيجوز تقديمها على ذكر ما آخرها إليه وتأخيرها عنه بل تصح بعد زائدة كخامسة -ثم- بعد القراءة إن أتى بها بعد الأولى أو بعدها يجب عليه أن -يقول- ثانيا -الله أكبر ثم- يأتي بالركن الخامس وهو الصلاة على النبي ﷺ بعدها وجوبا فلا يجوز تقديمها ولا تأخيرها وأقلها أن -يقول اللهم صل على- محمد وأكملها اللهم صل وسلم على -سيدنا محمد- وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته إلى آخر صيغة التشهد ويندب الدعاء للؤمنين عقبها والحمد قبلها -ثم- بعد الصلاة يجب عليه أن -يقول- ثالثا -الله أكبر- ويأتي بالركن السادس وهو الدعاء بأخروى للميت بخصوصه ولو أقل ما يطلق عليه اسم الدعاء نحو -اللهم اغفر له و- اللهم -أرحمه- والطفل كغيره وليس اللهم اجعله فرطا مغنيا عن الدعاء له عند حج لأنه دعاء باللازم ويتعين بعد الثالثة وأكملة الدعاء المشهور -ثم- بعد الدعاء يجب أن -يقول- رابعا -الله أكبر- ويأتي بالركن السابع وهو السلام كغيرها وأقله **(107/1)** -السلام عليكم- مرة وأكملة مرتين وزيادة ورحمة الله وكذا وبركاته عند حج كما مر ويتعين بعد الرابعة -ولا بد فيها- أي صلاة الجنابة -من- وجود -شروط الصلاة- الواجبة فيها ويندب فعل المندوبات كرفع اليدين في التكبير والتعوذ نعم لا يسن الافتتاح وقراءة السورة هنا -و- لا بد أيضا من -ترك المبطلات- للصلاة والأولى بالصلاة عليه عصيته الذكور هنا وترتيبهم وفي الغسل والدفن مذكور في المطولات -وأقل الدفن- المحصل للواجب -حفرة تكتم راحته- بعد طمها من أن تظهر -وتحرسه من- نحو -السباع- أن تنبشه وتأكله فإن لم يمنعه إلا البناء أو صندوق وجب ولا يكفي البناء مع إمكان الحفر ويجوز لمن بسفينة إلقاؤه بعد غسله والصلاة عليه في البحر إن تعذر دفنه ويحرم الدفن في الفساقى لأن فيها إدخال ميت على آخر قبل بلائه واختلاط النساء بالرجال وعدم منعها الرائحة وأكملة أن يكون القبر واسعا يسع من ينزله ومعينه ويندب أن لا ينقص عن قامة وبسطة وهي أربعة أذرع ونصف ولو لصغير واللحد في الصلبة والشق في غيرها وتوسعتهما لاسيما عند رأسه ورجليه ليتمكن وضعه كراكي ورفع سقفهما -ويجب- إذا أنزل الميت القبر -توجيهه- فيه -للقبلة- وسدّ فتح اللحد على المعتمد ويسن إسناد وجهه ويديه لجدار القبر مجافيا بياقيه كالركاع وظهره بنحو لبنة ووضع لبنة تحت رأسه وإفضاء خده إليها أو إلى الأرض وأن يدخله وتر ثلاثة أو أكثر وقول بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملة رسول الله ﷺ عند الدفن لما ورد أنه أمان من العذاب أربعين سنة والدعاء بما يليق كـ اللهم افتح أبواب السماء لروحه وأكرم منزله ووسع مدخله ووسع له في قبره ووضعه على شقه الأيمن بل قيل يجب وحثو كل من دنا من القبر بتراب ثلاثا قائلًا مع الأولى منها خلقناكم اللهم لقنه عند المسئلة حجته ومع الثانية وفيها نعيدكم اللهم افتح أبواب السماء لروحه ومع الثالثة ومنها نخرجكم تارة أخرى اللهم جاف الأرض عن جنبيه وأخذ شيء من تراب القبر يقرأ عليه سبعا سورة القدر ثم يوضع في الكفن أو القبر لما ورد إنه أمان من عذاب القبر وتلقين بالغ ولو شهيدا بعد تمام الدفن وهو يا عبد الله بن أمته ثلاثا أذكر ما خرجت عليه إلخ كما ذكره في النهاية وغير ذلك مما هو مبسوط في محله من الكتب المبسطة

(فصل) في الزكاة وهي لغة التطهير والإصلاح وشرعا اسم لما يخرج عن مال أو بدن على وجه مخصوص وهي أحد أركان الإسلام وذكها بعد الصلاة اقتداء بقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله ﷺ وإقام الصلاة وإيئاء الزكاة واعلم أن تركها ومنعها مستحقها من الكبائر كما سيأتي الوعيد الشديد في ذلك إن شاء الله تعالى قال النصائح ومن لم يزك لم يقبل الله له صلاة ولا حجا حتى يخرجها لأنها مرتبطة ببعض كما ورد في الحديث ويخشى على مانعها سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وينبغي لمخرجها أن يخرجها فرحا وسرورا بطيب نفس رائيا الحق والاحسان لمن قبلها منه لقبوله حق الله تعالى منه التي هي طهرته وبها نجاته من النار كما قاله الغزالي قال في شرح الخطبة وهذا مما لا يعقله إلا العالمون -و- لا -تجب الزكاة- في شيء مما يأتي إلا إذا كان مالكة حرا ولو بعضا مسلما ولو أصالة كمرتد متيقنا وجوده لا فيما وقف لجنين تام الملك أي قويه لا على مكاتب لضعف ملكه معينة لا في مال **(108/1)** مسجد نقدا أو غيره ولا في موقوف مطلقا أو نحو ثمرته إن كان على غير معين أما عليه فعليه الزكاة وأنواعها خمسة لأنها إما زكاة بدن أو مال وهي إما متعلقة بالعين وهي زكاة النعم والمعشرات والنقد والركاز أو القيمة وهي التجارة فالأول النعم فتجب -في الإبل والبقر والغنم- لا في غيرها من الحيوانات من حيث العين -و- الثاني المعشرات من الزروع والثمار فلا تجب في شيء من الثمار إلا في -التمر والزبيب و- إلا في شيء من -الزروع- وإلا في -المقتاتة- منها وهو ما يقوم به البدن غالبا والعبرة بكونه مقتاتا -حالة الاختيار- ولو نادرا كحنطة وشعير وأرز وذرة ودخن وحمص وفول بخلاف نحو القثاء كخوخ وتين ولوز وسمسم وتفايح وحنظل وغاسول وترمس وحلبة -و- الثالث النقد بمعنى المنقود وقد يطلق على المضروب فقط والمراد به المضروب وغيره من -الذهب والفضة- فتجب فيهما -و- في -المعدن والركاز- بمعنى المركز أي المدفون الجاهلي إذا كانا -منهما- أي الذهب والفضة -و- الرابع التجارة فلا تجب إلا في -أموال التجارة- التي لا زكاة في أعيانها بشروط تأتي -و- الخامس زكاة البدن وهي التي يقال لها -الفطرة- بكسر أوله أي الخلقة -و- لا بد في النعم من النصاب فحينئذ -أو- ل نصاب الإبل خمس -و- فلا تجب في أقل منها -ومن البقر ثلاثين ومن الغنم أربعين- كذا بخط المصنف وهو لغة وإن كان الأولى ثلاثون وأربعون -فلا زكاة- تجب -قبل- بلوغها -ذلك ولا بد- أيضا في الكل -من- حولان -الحول- المتوالى عليها في ملكه -بعد ذلك- أي بعد تمام النصاب نعم نتاج نصاب قبل تمام حوله ولو بلحظة

يتبع حول أمهاته إن كان من جنسها وملكه بملكها وبلغت به نصاباً آخر أو ماتت وهو نصاب كان ملك مائة وعشرين شاة ونتجت واحدة بعد تمام الحول فتجب شاتان أو أربعين شاة فتتجت كلها قبله ثم ماتت الأمهات وهكذا (و) لا بد - أيضاً للكل (من السوم) - أي الرعى من المالك أو نائبه (في كلاً) - بوزن جبل (مباح) - أو مملوك قيمته يسيرة لا يعد مثله كلفة في مقابلة نمائها فلا زكاة في معلوفة أو سائمة بنفسها أو أسامها غير مالك كغاصب أو هو ولكن علفها بنية قطعه أو قدرا لا تعيش بدونه بلا ضرر بين كيومين ونصف ولو مفرقة (و) لا بد أيضاً من (أن لا تكون) - نعمه (عاملة) - في نحو حرث لملكها أو بأجرة فلا زكاة في عاملة وإن أسيمت وإذا تقرر ذلك (فيجب في) - كل (خمس من الإبل) - إلى العشرين (شاة) - جذعة ضأن أو ثنية معز ففي عشر ثنتان وخمسة عشر ثلاث وعشرين أربع وإذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض وهي من الإبل ما لها سنة أو ابن لبون وهو ما له سنتان منها إن فقدتها وفي ست وثلاثين بنت لبون وفي ست وأربعين حقة وهي ما لها ثلاث سنين منها وفي إحدى وستين جذعة وهي ما لها أربع سنين منها وفي ست وسبعين بنتا لبون وفي إحدى وتسعين حقتان وفي مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون وفي مائة وثلاثين حقة وبنات لبون ثم في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وما بين النصب معفو عنه ومن فقد الواجب صعد درجة وأخذ جبرانا وهو شاتان أو عشرين درهما أو نزل درجة وأعطى جبرانا (و) - يجب في كل (أربعين من الغنم شاة) - وهي إما (جذع) - أو جذعة (ضأن) - وإن أجدع قبل تمام سنة أو ما له سنة وإن لم يجدع (أو ثنية معز) - وهي ما لها سنتان كاملتان والتاء في الشاة للوحدة فتطلق على الذكر (109/1) وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان وفي مائتين وواحدة ثلاث وفي أربعمائة أربع ثم في كل مائة شاة (و) - يجب في كل (ثلاثين من البقر تبيع) - أي ذكر ابن سنة كاملة وكذا تبعية سمي بذلك لأنه يتبع أمه وفي كل أربعين مسنة وهي ما لها سنتان سميت بذلك لتكامل أسنانها ويجزئ فيها تبيعان (ثم إن زادت ماشيته) - من الإبل والبقر والغنم (على ذلك) - أي الخمس في الإبل والثلاثين في البقر والأربعين في الغنم (وجب) - وجوبا عينيا (عليه أن يتعلم ما أوجبه الله) - سبحانه و (تعالى عليه فيها) - وهو ما علمته (وأما التمر والزبيب والزرع فأول نصابها خمسة أوسق) - لخبر ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة (وهي) - جمع وسق وهو ستون صاعا فمجموع الخمسة (ثلاثمائة صاع بصاعه صلى الله عليه) - وعلى آله وصحبه (وسلم) - وفي نسخة ☐ وهو أربعة أمداد والمد رطل وثلاث بالبغدادى قال الشيخ محمد صالح الرئيس في حاشية شرح المنهج والخمسة الأوسق بالأردب المكي خمسة أمداد وثلاث أردب وكيلة وثلاث كيلة أم فيكون الصاع كيلة مكية إذ الأردب ست وخمسون كيلة فليتأمل (ويضم) - في إكمال النصاب (زرع العام) - يعني الاثنى عشر شهرا وثمره (بعضه إلى بعض) - بأن بلغ وقت نهايتهما في عام واحد جدادا في التمر وحصادا في الزرع وإن لم يقطعا فيه وصورته أن يكون عنده نخل مثلا يثمر بعضه في الربيع وبعضه في الصيف أو مرتين وإطلاق الثاني قبل جداد الأول وجداد الكل في عام (ولا يكمل جنس بجنس) - يخلاف نوع بنوع وإن اختلف جودة ورداءة ولونا كبر مصرى وشامى وتمر برنى ومعقلى لاتحاد الجنس (وتجب الزكاة) - فيما مَزَّ أي ينعقد سبب وجوبها (يبدؤ) - مع ظهور (الصالح) - في التمر كله أو بعضه وإن قل كحبة بأن تظهر مبادئ النضج والخلوة والتلون وضابطه بلوغه صفة يطلب فيها غالبا لأنه حينئذ ثمرة كاملة وقبله حصرم وبلح (و) - مع (اشتداد الحب) - كذلك في الزروع لأنها حينئذ قوت وقبله بقل ولا يصح الإخراج إلا بعد الجفاف والتصفية ثم اعلم أن الزروع والثمار إما أنه (يجب فيها العشر) - وذلك (إن لم تسق بمؤنة) - كان سقيت بمطر أو مصب من نحو نهر كجبل وعين وثلج وساقية حفرت من نهر وإن احتاجت لمؤنة (و) - إما (نصفه) - أي العشر وذلك (إن سقيت بها) - أي بمؤنة كالتواضح من الإبل والبقر والدوايب أو بماء مملوك والمعنى في ذلك كثرة المؤنة وخفتها

(تنبيه) - ماء العيون والأنهار إن ملك منبعه فمملوك لذى المنع وإلا فمباح ولا يملك حتى يحرز (وما زاد على النصاب) - في الثمار والزروع ولو يسيرا (أخرج منه) - قدر زكاته وجوبا (بقسطه) - وهو عشره أو نصفه إذ لا وقص فيها بخلافه في النعم (ولا زكاة) - واجبة (فيما دون النصاب) - في النعم وغيرها (إلا أن يتطو ع) - مالكا بإخراج شيء منها فإنه يسن إطعام الفقراء من الزكوى وغيره (وأما الذهب فنصابه) - أي أوله (عشرون مثقالا) - من خالصه يقينا فلو وفي في ميزان ونقص في آخر فلا زكاة فيه والمثقال أربعة وعشرون قيراطا (و) - أما (الفضة) - فأول نصابها (مائتا درهم) - إسلامى كذلك وهو سبعة عشر قيراطا (و) - لا (يجب فيها) - أي في كل منهما إذا بلغ نصابه إلا (ربع العشر) - له ولو من معدن (وما زاد) - منهما على نصابه وإن قل (فبحسابه) - إذ لا وقص هنا كالأقوات فيخرج ربع عشره ولا شيء فيما نقص عن النصاب وإن (110/1) راج رواجه ويكمل نوع بنوع لا جنس بجنس ولا في مغشوش حتى يبلغ خالصه نصابا فيخرج منه خالصا أو مغشوشا خالصه قدر الواجب ويكون الغش تطوعا فلا يجوز لولى محجور إخراجها إذ لا يجوز له التبرع بماله (ولا بد) - في وجوب الزكاة (فيهما) - أي الذهب والفضة أيضا (من) - حولان (الحول) - عليهما في ملكه نعم لو ملك نصاب ستة أشهر ثم أقرضه إنسانا لم ينقطع حوله وكذا لو اشترى بعينه عرض تجارة فينبى حولها على حوله (إلا ما حصل) - منهما (من معدن أو ركاز) - فلا يشترط فيه الحول لأنه إنما يشترط للنماء وهما نماء (فيخرجها) - بضم أوله أي الزكاة مالكا أو نائبه وجوبا منهما (حالا و) - لكن يخرج (من الركاز خمسا) - لأنه لا مؤنة فيه بخلاف المعدن فإنه كغيره من النقود كما مَزَّ كالمسقى بمؤنة وبغيرها ويصرف الخمس مصرف الزكاة على المشهور

وقيل مصرف خمس الغنيمة وشرط الركاز كونه نقدا ونصابا ولو بضمه لما فى ملكه من جنسه أو عروض
تجارة يقوم بنقده وكونه من دفين الجاهلية وهم من قبل بعثته ﷺ وأن يوجد بموات أو ملك أحياء ولا تجب
فى حلى مباح لم يقصد كنزه أما المكروه كضبة صغيرة لزينة أو كبيرة لحاجة والمحرم لعينه كإناء وطلّى نحو
جدار ففيهما الزكاة - (وأما زكاة التجارة) - فلا تجب إلا فى أموالها التى لا زكاة فى عينها كخيل ورقيق وثياب إذا
بلغت قيمتها نصاب أحد النقيدين آخر الحول كما يأتى وحينئذ - (فنصابها نصاب ما اشترت به من) - أحد
- (النقيدين) - لأنها تقوم به فإن اشترت بغيرهما أو بأحدهما ونسى أو جهل اعتبر الغالب منهما بالبلد إذ التقويم
به - (ولا يعتبر) - النصاب فيها - (إلا آخر الحول) - فمتى بلغته آخره وجبت الزكاة وإلا فلا وإن اشترى بنصاب
وباعه بعد التقويم بأكثر منه لأن آخر الحول وقت الوجوب - (و) - لا - (يجب فيها) - إخراج قدر الزكاة وهو - (ربع
عشر القيمة) - إلا بشرط نية التجارة مقترنة بالتملك بمعاوضة محضة كبيع وإجارة ومنه أن يستأجر المنافع
كسفينة وبيت ليؤجرها بقصد الربح أو غيرها كعوض دم ومهر وخلع نوى بها التجارة بخلافها بغيرها كإرث
وهبة بلا ثواب وإقالة وردّ بعيب لعرض قنية قصد به التجارة وبشرط أن لا ينض مالها ناقصا عن النصاب
بنقده أثناء الحول وإلا كأن اشترى عرضا بذهب فباعه أثناء الحول بسبعة عشر مثقالا انقطع الحول فإن
اشترى به آخر بنيتها انعقد حوله من حينئذ وأن لا يقصد به كله أو بعضه القنية ولو محرمة وإلا انقطع حول ما
نواها فيه - (ومال) - الشخصين - (الخليطين) - المعينين - (أو الخلاء) - كذلك الثلاثة فأكثر إذا اختلطا أو اختلطوا
فى نصاب من جنس وإن اختلف النوع ولو غير ماشية أو فى أقل منه ولأحدهما نصاب ولو بضمه للمشارك
بشرط كونهم من أهل الزكاة يكون حكمه - (كمال المنفرد فى النصاب و) - قدر - (المخرج) - فتجب الزكاة عليهما
كزكاة المال الواحد - (إذا) - وجدت الشروط المارة و - (كملت شروط الخلطة) - وهى دوامها حولا فى الحولى فلو
ملك كل أربعين شاة أول المحرم وخلط أول صفر لم تثبت فى الحول الأول فيخرج فيه كل شاة وتثبت فيما
بعده وإلى بدو الصلاح فى غيره واتحاد المشرب والمسرح الشامل للمرعى وطريقه فى الماشية وما تساق منه
للمرعى ومراحها ومراعيها ومحل ما اتحد نوعه ومحل حلبها ومكان وماء سقى وحارث وملقح وجداد وحصاد
وحمال وحافظ وجرين فى الشجر والزرع ونحو حارس ومكان فى تجارة ونقد ثم إن الخلطة فى الماشية
تفيد تخفيفا كأربعين شاة بمثلها وتثقيلا كعشرين بمثلها وتخفيفا على أحدهما وتثقيلا على الآخر كأربعين
بعشرين وقد لا تفيد شيئا كمائة بمثلها وفى - (111/1) - غيرها لا تفيد إلا تثقيلا إذا وقص فإن لم يكن لأحدهما
نصاب فلا زكاة وإن بلغه مجموع مالهما كان انفرد كل بسبعة عشر واشتركا فى ست أو خلطاً ثمانية وثلاثين
ميز اثنتين - (و) - أما - (زكاة) - البدن فهى زكاة - (الفطر) - ويقال لها زكاة الصوم بإضافتها لأحد سببها وزكاة الفطرة
بالهاء بإضافة البيان أو على معنى اللام أى الخلقة بمعنى أنها تزكى النفس وتنمى عملها وصدقة البدن وفى
الخبر إنها طهرة الصائم من اللغو والرفث وأن صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر
أى متوقف تمام ثوابه إلا بها - (و) - إنما - (تجب) - أى يتحقق وجوبها - (يأدراك) - آخر - (جزء من رمضان و) - أول
- (جزء من شو) - أن يدرك غروب شمس آخر يوم من رمضان وهو حى حياة مستقرة فلا تجب فيما
حدث بعده من نحو موت وطلاق ولو بائنا وشرط المخرج عنه الإسلام فتجب - (على كل مسلم) - حر - (ولو) -
مبعضا - (صغيرا) - فلا تجب على كافر بمعناه فى الصلاة أصالة وإلا فقد يكون المخرج كافرا إذ تلزمه فطرة نحو
قريبه وعبد المسلمين لأنها تجب أولا على المؤدى عنه ثم يتحملها المؤدى فتجب - (عليه) - فطرته - (و) - تجب
أولا - (على من عليه نفقتهم) - فطرتهم ثم يتحملها عنهم من تجب عليه نفقتهم - (إذا كانوا مسلمين) - ولو كان هو
كافرا كما مرّ ومن عليه نفقتهم هو نحو زوجة ولو رجعية أو حاملا ولو بائنا وخادما وولد صغير وإن سفل
ووالد وإن علا إذا كانا فقيرين بخلافهما غنيين بمال وكذا بكسب لائق فى الولد فلو قدر أحدهما على قوت يوم
العيد وليته لم تجب على أصله أو فرعه ولا يصح إخراجها عن الأصل والولد الكبير إلا بإذنه فليتنبه له ومملوك
ولو مدبرا ومعلقا عتقه بصفة وأمّ ولد ومرهونا وموصى بمنفعته وأبقا وإن انقطع خبره - (و) - قدر الواجب
- (على كل واحد صاع) - نبوى وهو كيلة مكية كما مرّ ويجب كونه - (من) - خالص - (غالب قوت البلد) - يعنى محل
المؤدى عنه فى غالب السنة ولا نظر لوقت الوجوب بشرط كونه من المعشر السليم من العيب المنافى صلاحية
الإدخار والاقتيات فلا تكفى القيمة والمعيب ومنه المسوس والمبلول إلا إن جف وعاد لصلاحية الإدخار أو
القديم المتغير بنحو طعم وإن كان قوت البلد كذلك وقيل يجوز حينئذ ويجوز إخراج أقط وجبن ولبن لم ينزع
زيدهما ولم يفسد جوهر الأولين ولا تجب على من ذكر إلا - (إذا) - كان موسرا بأن - (فضلت عن دينه) - ولو مؤجلا
عند حج وإنما لم يمنع زكاة المال لتعلقها بعينه - (و) - عن - (كسوته) - وكسوة ممونه اللانقان بهما منصبا ومروءة
قدرا ونوعا زمانا ومكانا حتى ما جرت به عادة مثله مما يتجمل به يوم العيد أو يحتاجه لنحو برد - (و) - عن
- (مسكنه) - ومسكن ممونه اللانقان بهما وإن اعتاد السكنى بأجرة وكذا عن خادم له أو لممونه - (و) - عن - (قوته
وقوت من) - تجب - (عليه نفقتهم) - ولو ما اعتيد للعيد كالكعك - (ليلة العيد) - المتأخرة عن يومه كما فى النفقات
كذا فى بشرى الكريم - (ويوميه) - ولم تعتبر زيادة عليهما لعدم ضبط ما وراءهما وسنّ لمن طرأ يساره أثناء ليلة
العيد أو يومه إخراجها وأفهم كلامه ﷺ أنه لا يجب الكسب لها ومحله ما لم تصر ديننا وإلا وجب لتعديه ويجوز
إخراجها فى رمضان ولو أول ليلة منه بشروط التعجيل الآتية والسنة يوم العيد وقبل الصلاة ويحرم تأخيرها
عنه بلا عذر والحاصل أن أوقاتها خمسة جواز فى رمضان ووجوب بغروب شمس آخر يوم منه وفضيلة قبل

صلاة العيد وكراهة بعدها إلا إن أخرها لنحو قريب وحرمة (112/1) بعد غروب شمس يوم العيد نعم لا حرمة إن أخرها لعذر كغيبه ماله أقل من مرحلتين فإن غاب مرحلتين فأكثر فلا وجوب من أصله (وتجب النية) بالقلب وتسن باللسان (فى جميع أنواع الزكاة) المتقدمة كهذه زكاة مالى أو بدنى والأفضل نية الفرضية أو صدقة مالى أو المال المفروضة أو الواجبة ولا يجب تعيين المخرج عنه فى النية ولو شك فيها بعد دفع الزكاة لم يضر قاله الحنفى وتكفى النية (بعد الإفراز) أى العزل لقدر الزكاة عن المال أو عنده أو عند دفعها للإمام أو لوكيل ثم إن للزكاة مطلقا وقت وجوب وجواز فإذا حال الحول وجبت وإن لم يتمكن من أدائها إذ التمكن إنما هو شرط للضمان فإذا تمكن بأن حضر المال والمستحق وخلا المالك عن مهم دينى ودنيوى وزال حجر فلس وجفف التمر ونقى الحب والمعدن وجب الأداء فورا فإن أخر أثم وضمن قدر الزكاة إن تلف المال نعم إن لم يشتد ضرر المستحقين الحاضرين ندب التأخير لنحو قريب أو جار أو أفضل وإلا حرم ويضمن بالتأخير مطلقا ويجوز تعجيلها قبل تمام الحول بشرط بقاء المالك أهلا للوجوب والمال إلى آخر الحول فلو مات أو افتقر أو تلف ماله أو خرج عن ملكه لم يقع عنها وأن لا يتغير لواجب وإلا كان عجل بنت مخاض عن خمس وعشرين فتوالدت وبلغت ستا وثلاثين أخره لم تجز وإن صارت بنت لبون والقباض مستحقا إلى آخره فلو مات أو استغنى بغير المعجل كزكاة أخرى لم يجزه وإذا لم يجز فله أنه يسترده إن علم القباض عد القبض أنه معجل ولو بقول المالك (و) أعلم أنه (يجب) على مخرج الزكاة (صرفها) ولو فطرة (إلى من وجد من) الأصناف الثمانية المذكورين فى آية إنما الصدقات واختار جمع صرف الفطرة لثلاثة فقراء أو مساكين وآخرون لواحد (الفقراء) جمع فقير وهو من لا نفقة له واجبة ولا مال ولا كسب حلال يقع موقعا من كفايته مطعما وملبسا ومسكنا وغيرها مما لا بد منه على ما يليق به وبمموه كمن يحتاج لعشرة ويجد أربعة فأقل (والمساكين) جمع مسكين وهو من له ما يسد مسدا من حاجته بنحو ملك ولا يكفيه كفاية لائقة بحاله كمن يحتاج لعشرة فيجد ثمانية فأقل وإن ملك أكثر من نصاب والمراد لا يكفيه باقى العمر الغالب وهو ستون سنة باعتبار الأخذ لا ممونه إذ المراد إغناؤه هو فإن زاد عمره عليه أعطى سنة بسنة ومن له عقار لا يكفيه دخله فقير أو مسكين (والمعاملين عليها) أى من نصبه الإمام لأخذ الزكاة ولم يجعل له أجرة من بيت المال وإلا سقط كساع وشرطه كونه أهلا للشهادة وكاتب وقاسم وحاشر يجمع أهل الأموال وعريف وحاسب وحافظ وكيال ووزان وعد (والمؤلفة قلوبهم) وهم أصناف ضعفاء النية فى أهل الإسلام بأن يكون عندهم وحشة منهم وشريف فى قومه أسلم يتوقع بإعطائه إسلام غيره ولو امرأة ومقاتل من يليه من كفار وبغاة ومائعى زكاة حتى يحملهم إلى الإمام (وفى الرقاب) وهم المكاتبون كتابة صحيحة كما فسره بهم فى الآية أكثر العلماء فيعطون إن لم يكن معهم وفاء وإن قدروا عليه بالكسب بخلاف المكاتبين كتابة فاسدة فلا يعطون منها (والمغارمين) أى المدنين وهم أنواع من استدان لدفع فتنة بين متنازعين فيعطى ما استدانه إن حل ولم يوفه من ماله وإن كان غنيا ولو بنقد أو لقرى ضيف وبناء نحو مسجد أو فك أسير ونحوهما من المصالح العامة فيعطى وإن كان غنيا بغير نقد إن حل ولم يوفه من ماله أو لنفسه وصرفه فى غير معصية أو فيها وتاب وظهرت قرائن صدقه فيعطى قدر دينه إن حل وعجز عن وفائه والضامن فيعطى إن عسر وحل (113/1) الدين على من ضمنه وهو معسر أو موسر ضمنه بغير إذنه لعدم رجوعه عليه ومن قضى دينه بنحو قرض أعطى لبقائه ما يوفى به القرض بخلاف من مات ولم يخلف وفاء لعدم كونه من المستحقين

(تنبيه) دفع لمدينه زكاة بشرط ردها له عن دينه لم تجز فإن نويها بلا شرط لم يضر وكره لقاعدة كل شرط ضر صريحه كره إضماره ولو قال أعطنى دينى وأرده لك زكاة فأعطاه لم يلزمه رده أو جعلت الدين الذى لى عليك زكاة لم يجز (وفى سبيل الله) وهم الغزاة المتطوعون بالجهاد بأن لم يكن لهم سهم فى ديوان المرتزقة من الفء كما فسره بهم فى الآية لأنهم قاتلوا بلا مقابل فيعطون ولو أغنياء إعانة لهم على الغزو (وابن السبيل) الشامل للذكر وغيره وهو المسافر أو المريد سفرا غير محرّم المحتاج بأن لم يكن معه ما يكفيه لسفره فمن سافر كذلك ولو لنزهة أو كان غريبا مجتازا بمحل الزكاة أعطى ولو كسوبا كفاية سفره ذهابا وإيابا إن قصد الرجوع وإن كان له مال بغيره ولو دون مسافة قصر أو وجد من يقرضه ويعطى مركوبا إن عجز عن المشى أو طال سفره وكذا ما يحمل عليه زاده إن عجز عن حمله أما المسافر سفرا محرّما فلا يعطى لأن فيه إعانة على معصية فإن تاب أعطى لبقية سفره ومنه سفره بلا مال وجعله نفسه كلا أى ثقيل على الناس ومعه المال وشرط الأخذ من مجموع هؤلاء الحرية الكاملة فلا يعطى رقيق غير المكاتب ولو مبعضا والإسلام نعم العامل قد يكون كافرا كحاسب وكاتب وغير هاشمى ولا مطلبى ولا مولى لهم فلا يعطى أحد منهم وإن منع خمس الخمس وذهب جمع لجواز إعطائهم حينئذ لكن ينبغى لمن أعطاهم أن يبين لهم ذلك وأن لا يكون ممونا للمزكى أو غيره ولا محجورا عليه (و) علم مما تقرّر أنه (لا يجوز) للمالك أو للإمام صرفها إلا لمن علم أنه من المستحقين ومن جهل حاله فإن ادعى ضعف إسلام أو فقرا أو مسكنة أعطى بلا يمين وبينه أو عيالا أو تلف مال عرف أو أنه عامل أو مؤلف أو مكاتب فلا بد من بينة أو استفاضة أو إخبار من وقع فى القلب صدقه ولو نحو الدائن فى المدين (ولا يجزئ) عنها (صرفها لغيرهم) أى الأصناف الثمانية ويجب تعميمهم إن وجدوا كلهم حتى العامل إن قسم الإمام وإلا فمن عداه أو من وجد منهم وأقله ثلاثة من كل صنف نعم إن انحصروا ووفت بحاجاتهم الناجزة وهى مؤنة يوم وليلة وكسوة فصل وجب استيعابهم إلا العامل فيجوز

كونه واحدا ولا يجوز نقل الزكاة في الأظهر عن محل المؤدى عنه من نفس أو مال وجبت فيه وقيل يجوز
 -خاتمة- ينبغي كثرة التصدق لاسيما في الزمن والمكان الفاضل لأخبار كثيرة شهيرة كخبر كل امرئ في ظل
 صدقته حتى يفصل بين الناس لكن لا يتصدق بما يحتاجه لممونه من قوت يوم وليلة وكسوة فصل أو لدين لا
 يرجو وفاءه من جهة ظاهرة إذ تحرم حينئذ والأفضل الإصرار بها بخلاف الزكاة قال تعالى إن تبدوا الصدقات
 الآية وفي الحديث من السبعة الذين يظلمهم الله في ظل العرش من أخفى صدقته حتى لا تعلم شماله بما
 أنفقته يمينه وإنما كانت أفضل لبعدها عن الرياء وقربها من الإخلاص وفي إظهارها فتن كثيرة ديننا ودنيا قال
 بعضهم كسأني أخى فلان هذا الثوب ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته وقبل بعضهم سرا ما رده جهرا فسأله
 من أعطاه فقال له عصيت الله به في الجهر فلم أكن عوناً لك على المعصية وأطعته به سرا فأعنتك عليه
 واعلم أن السخاء بالمال والإيثار به هو الزهد في الدنيا والراحلة المعجلة قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني إلا
 شاب من بلخ قال لي ما حدّ الزهد قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا قال هكذا كلاب (114/1) بلخ وإنما
 هو عندنا إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا وقال ذو النون هو تفريق المجموع وترك طلب المفقود والإيثار
 بالموجود

-فصل- في الصوم وهو لغة الإمساك ومنه إنى نذرت للرحمن صوما أى سكوتا وشرعا ما يأتى واعلم أنه جنة
 أى وقاية من العذاب لما فيه من قهر النفس ومنعها من شهواتها وتضييق مجارى الشيطان وتلطيف الطبيعة
 البشرية وتقوية جانب الروحانية الى إذا لطفت ألحقت الإنسان بأفق الملائكة وقد ورد إن الجنة تفتح أبوابها
 والنار تغلق أبوابها إذا جاء رمضان وإنه تعالى قال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به فعلى
 الإنسان أن يصوم صومه عما يشينه من نحو الغيبة والنميمة ويعمره بما يزيه من نحو تلاوة واعتكاف
 وينبغى الكف عن كل ما للنفس فيه حظ وشهوة لاسيما الشبع فإنه من الحلال فضلا عن غيره شؤم قال فى
 الأربعين الأصل ودرجاته ثلاث أدناها الاقتصار على الكف عن المفطرات بلا كف الجوارح عن المكاه وهو صوم
 العموم وقناعة بالاسم والثانية أن تضيف كف الجوارح إليه والثالثة أن تضيف إليه صيانة القلب عن الفكر
 والوسواس وتجعله مقصورا على ذكر الله وذلك صوم خصوص الخصوص وهم الكمل ثم للصيام خاتمة بها
 يكمل وهى أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة ولا يستكثر من الحلال بحيث يتدارك ما فاتته ويفضى إلى
 التكاسل عن التهجد وربما لم يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك خسران -يجب صوم شهر رمضان- إجماعا إذ هو
 أحد أركان الإسلام الخمسة مأخوذ من الرمض وهو شدة الحر لأن وضع اسمه على مسماه وافق ذلك وهو
 أفضل الشهور كيلة القدر أفضل الليالى ويوم عرفة أفضل أيام العام ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع بأحد
 أمرين إما باستكمال شعبان ثلاثين يوما أو برؤية عدل شهادة الهلال بعد الغروب وإن كان حديد البصر وشرط
 من يجب عليه إسلام وتكليف وإطاعة له فلا يجب إلا -على كل مسلم- ولو فيما مضى فيشمل المرتد حتى
 يلزمه القضاء إذا أسلم بخلاف أصلى وإن عوقب عليه فى الآخرة ويحرم إطعامه فى نهار رمضان لأنه إعانة
 على معصية -مكلف- لا نحو مجنون وسكران بلا تعدّ وصبى ولكن يجب على وليه أمره به لسبع وضربه عليه
 لعشر إن أطاقه كما مر مطبق لا على من لا يطيقه حسا لكبر أو مرض لا يرجى برؤه أو شرعا كحائض ونفساء
 ومريض يرجى برؤه ومسافر بقيدهما الآتى -ولا يصح- الصوم مطلقا رمضان أو غيره -من- كافر لقدرته على
 الإسلام ولا من -حائض ونفساء- ولو لحظة من النهار لأن من شرطه النقاء منهما كل اليوم ويحرم عليهما
 الإمساك بنيته ولا يجب عليهما تعاطى مفطر -و- لكنهما -يجب عليهما- وكذا كل من أفطر لعذر أو غيره
 -القضاء- لما فاتهما من الصوم الواجب رمضان أو غيره بعد التمكن منه وإلا كان مات عقب موجب القضاء أو
 استمر به العذر إلى الموت أو سافر بعد أول يوم من شوال إلى أن مات فلا فدية عليه لعدم تمكنه منه ولا
 قضاء على مجنون لم يتعدّ بجنونه وصبى وكافر أصلى لكن يسن لهما وتستحب الموالاة فيه والمبادرة بل
 تجب إن أفطر بلا عذر ويجب الإمساك فى رمضان عل نحو تارك النية ليلا ولو سهوا كفى يوم الشك إذا بان
 أنه منه ويجب قضاؤه فورا على المعتمد -ويجوز الفطر- فى التطوع مطلقا وفى الواجب -لمسافر سفر
 قصر- مباحا لا قصيرا أو محرما (115/1) ويأتى جميع ما مر فى القصر فحيث جاز جاز الفطر -وإن لم يشق
 عليه الصوم- فيه لكنه حينئذ أفضل نعم إن طرا السفر بأن فارق العمران أو السور بعد الفجر فلا يجوز الفطر
 بخلاف القصر فإن سافر قبل الفجر جاز ولو بعد النية -و- يجوز -للمريض- وخائف من هلاك ومن غلبة جوع
 أو عطش -وحامل ومرضة يشق عليهم- الصوم -مشقة لا تحتمل- عادة بحيث تبيح التيمم -الفطر- فى
 الواجب ولو مضيقا بل يجب حينئذ عند حج -و- لكن -يجب- إذا أفطروا حينئذ -القضاء- لكل ما أفطروه
 وعمل الحامل والمرضع ولو مريضتين أو مسافرتين إذا أفطرتا خوفا على الولد فقط أن يجهض أو يقلّ اللبن
 فيتضرر بمبيح تيمم مع القضاء والفدية لكل يوم مدّ ولا تتعدّد بتعدّد الأولاد بخلاف ما أفطرتا بنية الترخص
 فى السفر ولو مع الولد أو أطلقتا أو خوفا على أنفسهما ولو مع الولد فلا فدية وكذا يجب المدّ والقضاء على
 من أفطر لإنقاذ حيوان محترم أشرف على الهلاك ومن أخر قضاء رمضان إلى أن جاء رمضان آخر بلا عذر
 ويتكرر هذا بتكرر السنين ويجب المدّ لا القضاء على من لم يقدر على الصوم لهزم أو زمانة أو مرض لا يرجى
 برؤه -و- شروط صحة الصوم سبعة الأول النية و -يجب التبييت- لها فى الفرض ولو نذرا وقضاء من الليل
 أى إيقاعها بين الغروب وطلوع الفجر ولو قبل الفطر من اليوم الماضى ولو لصبى أما النفل فتجزئ فيه قبل

الزوال ولو نذر إتمامه كان قال إن نويت صوم غد فعلى إتمامه فنواه (و) يجب (التعيين) للمنوى (فى النية) كصوم غد عن رمضان أو نذر أو كفارة وإن لم يبين سببها فإن عينه وأخطأ ضرر ولا يجب نية الفرضية كما مر وكمال النية فى رمضان نويت صوم غد عن أداء فرض شهر رمضان هذه السنة بجر رمضان بالكسرة لإضافته لاسم الإشارة فهى واجبة (لكل يوم) إذ كل يوم عبادة مستقلة لتخلل اليومين بما يناقض الصوم كالصلاتين يتخللهما السلام ولو شك بعد الفجر أوقعت قبله أو عند النية أطلع الفجر لم تصح بخلافه بعدها أطلع الفجر عندها أو فيها أو فى التبييت فذكره ولو بعد أيام عند م ر وقبل الغروب عند حج أو فيها بعد الغروب فإنه لا يضر ولو نوى مع الفجر لم يصح وقيل يصح

(فرع) قال فى الفتح المتجه أن ثواب نحو يوم عرفة يحصل بوقوع فرض فيه إن نوى معه التطوع وإلا سقط الطلب عنه وبه يجمع بين العبارات المختلفة اهـ بمعناه (و) الثانى (الإمساك عن الجماع) الموجب للغسل فى فرج ولو لبهيمه أو قبلًا فإنه يفطر مع العلم والتعمد والاختيار بخلاف ما لا يوجب كفى أحد قبلى مشكل ودخل فى كلامه الواطئ والموطوء (و) الثانى عن (الاستمنا) أى إخراج المنى بغير جماع ولو بيد حليلته أو بلمس ما ينقض لمسه كقبلة ومضاجعة بلا حائل فيفطر به مع العلم والتعمد والاختيار لا بلمس محرم وأمرد وإن تكرر إن لم يقصد به الإنزال وإلا أفطر به ولا مع جهل عذر به أو نسيان أو إكراه وفى ب ج إنه لو أكره على الزنا أفطر به لأن الإكراه لا يبيحه بخلاف نحو الأكل (و) الثالث الإمساك عن (الاستقاء) أى طلب القى فيفطر به مع العلم بالتحريم والصوم والتعمد والاختيار وإن لم يعد لجوفه منه شىء لا بقلعه نخامة من دماغه أو باطنه (و) الرابع الإمساك (عن الردة) والعياذ بالله منها جميع النهار فلو ارتد ولو لحظة منه بطل صومه كالصلاة (و) الخامس الإمساك (عن دخول عين) من أعيان الدنيا وإن قلت ولم تؤكل ما يسمى (جوفاً) كباطن أذن وهو ما وراء (116/1) المنطبق وأنف وهو ما وراء القصبة جميعها وإحليل وهو مخرج البول واللين وباطنه ما يظهر عند تحريكه فيفطر بدخولها منفذا مفتوحا مع العلم والتعمد والاختيار والظاهر مخرج الخاء والحاء والباطن مخرج الهمة ولا يضر شرب المسام دهنًا أو كحلا والأكل والشرب ناسيا أو جاهلا وإن كثر ونحو غبار الطريق وإن تعمد فتح فمه له مطلقا عند م ر وعند حج (إلا) إن كثر أو كان نجسا ولو بلغ (ريقه الخالص الطاهر من معدنه) وهو ما تحت لسانه والمراد به جميع الفم لم يضر وإن جمعه وأخرجه على لسانه بخلاف ريق غيره ونجس ولو بدم لثته وإن صفى لكن استظهر فى التحفة العفو عنه لمن ابتلى به بحيث لا يمكنه الاحتراز عنه ولنا وجه بالعفو مطلقا إذا صفى ومختلط بما غير لونه أو طعمه أو ريحه لا بمجاور ولو ابتلع ريقه من نحو سواك أو خيط أخرجه عن الفم ثم رده إليه أو من ظهر شفته أفطر إن علم بالحرمة لا إن جهل إذ هو مما يخفى (و) السادس (أن لا بجن) فى بعض اليوم فيفطر إن جن فيه (ولو لحظة) وبشرب مجنن ليلا (و) السابع (أن لا يغمى عليه) فى جميع اليوم فلا يفطر إلا إن أغمى عليه (كل اليوم) ومثله سكر لم يتعد به وإلا فكالجنون كما فى الكردى (ولا) يجوز ولا (يصح) صوم غير رمضان فيه وإن أبيح له الفطر فيه لنحو سفر لأنه لا يقبل غيره بوجه و (صوم) أحد (العيدين) الفطر والأضحى (و) لا صوم يوم من (أيام التشريق) ولو لمتمتع عن ثلاثته فى الجديد (وكذا النصف الأخير من شعبان ويوم الشك) لا يجوز ولا يصح الصوم فيهما للنهى عنه والمعنى فيه التقوى على صوم رمضان ويوم الشك هو يوم ثلاثى شعبان إذا تحدث اثنان فأكثر برؤية الهلال وإن لم يعلم الرأى أو شهد به من يرد كعبيد وفسقة ظن صدقهم (إلا أن يصله) أى صوم النصف ويوم الشك (بما قبله) أى بصوم ما قبل النصف كان صام الخامس عشر وما بعده فإن فصل ولو بيوم كان صامه أو السادس عشر وأفطر السابع عشر حرم الثامن عشر وما بعده وإلا أن يكون الصوم فيهما لكفارة (أو لقضاء) ولو لنفل يشرع قضاؤه (أو نذر) مستقر فى ذمته كان نذر صوم الخميس مثلا فوافق النصف أو يوم الشك أما لو نذر صوم غد مثلا وعلم أنه منه أو يوم الشك فلا ينعقد (أو ورد) كان اعتاد صوم الدهر أو يوم وفطر يوم أو نحو الاثنين أو السود وتثبت العادة بمرة (ومن أفسد) على نفسه (صوم يوم) تام (من رمضان) يقينا ولو حكما كان طلع الفجر وهو مجامع فاستدام (ولا رخصة له فى فطره) وكان إفساده (بجماع) وحده يائمه به لأجل الصوم ولا شبهة ولو فى دبر ذكر أو امرأة ميتا (فعليه الإثم والقضاء فوراً) وكذا التعزير لغير من جاء مستفتيا تائبا (وكفارة ظهار) وهى عتق رقبة كاملة الرق مؤمنة سليمة من العيوب المخلة بالعمل إخلالا بينا كما يأتى فإن لم يجدها وقت الأداء بأن عسر عليه تحصيلها لحاجته إليها أو إلى ثمنها له أو لممونه باقى العمر الغالب مطعما وملبسا ومسكنا وأثاثا ودينا ولو مؤجلا وخدمة لمنصب ونحوه وغير ذلك مما فى قسم الصدقات صام شهرين متتابعين إن لم يتكلف العتق فإن لم يقدر بأن عسر عليه الصوم أو التتابع لنحو هرم أطعم ستين مسكينا كل واحد مذبذب جزئى فى الفطرة ويكفى وضع الأمداد بينهم ويقول لهم ملكتكم إياها أو خذوها بنية الكفارة وإن لم يقل بالسوية ولهم التفاوت فى الأولى لملكهم إياها بالقبول لا الثانية لأنهم لا يملكونه إلا بالأخذ وتسقط الكفارة بطرو جنون أو موت (117/1) أثناء اليوم ولو بتعد لا مرض أو سفر أو إغماء أو ردة أو إفسار وتكرر بتكرر الأيام ولا تجب على موطوء وكذا واطئ ناس للصوم أو جاهل عذر أو مكره أو فى غير رمضان ولو واجبا أو مفسده بغير جماع أو به وله رخصة فيه كمسافر ومريض جامعا بنية الترخص

(تنبيه) يسن تعجيل الفطر وتأخير السحور لخبر لا تزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور والفطر

بثلاث رطبات فعمرات وتحصل السنة بواحدة فإن لم يوجد فبماء وزمزم أفضل وبعده اللهم لك صمت وبك أمنت وعليك توكلت ورحمتك رجوت وإليك أنبت إلخ ونية صوم الغد خوفا من النسيان أو إعادتها بعد السحور وتفطير الصائم ولو بتمرة أو ماء والعشاء أفضل لخبر من فطر صائما فله أجره ولا ينقص من أجر الصائم شيء والأكل معه والاعتسال قبل الفجر للجنب ويتأكد له ترك نحو الغيبة فقد ورد في حديث الفطر بها وترك الشهوات المباحة لغير بيع كشم ريحان ولمسه ونظره وإنه إذا شم يتذكر أنه صائم أو يقول بلسانه إن لم يظن رياء وترك الحجامه والمضغ لنحو لبان وذوق طعام وقبله وتحرم إن خاف الإنزال وتسبب التوسعة على العيال فيه كما ورد في الحديث والإحسان إلى الأرحام والجيران وإكثار الصدقة والتلاوة والمدارسة بأن يقرأ عليه غيره ما قرأه هو ويكره السواك بعد الزوال للصائم لخبر لخلوف بضم الخاء أى لتغير فم الصائم يوم القيامة أطيب عند الله من رائحة المسك ويحرم الوصال في الصوم كما يأتى سواء الفرض والنفل كان يصوم يومين فأكثر من غير تناول مفطر ليلا

-(تتمة)- يسن الاعتكاف والإكثار منه من كل مسلم عاقل طاهر في مسجد بلبث فوق طمأنينة الصلاة ساكنا أو مترددا والجامع أولى ولا يتعين مسجد غير الثلاثة ونية فإن نذر نوى نحو الفرضية ويجزئها بالخروج ما لم ينو الرجوع إليه حال خروجه فإن قدره بمدة جدد إن خرج بلا عزم على العود ولا يقطعه الخروج لقضاء حاجة ويبطل موجب جنابة يفطر الصائم وجنون وإغماء وحيض وجنابة وردة وسكر فإن نذر تتابعا لزمه ويقطعه سكر وكفر وتعمد جماع وخروج لغير حاجة وأكل وإن أمكن في المسجد وشرب إن تعذر فيه ومرض شق لبثه فيه معه أو خشى تلويثه وإذا شرطه لعارض مباح مقصود غير مناف للاعتكاف صح الشرط ثم إن عين لم يتجاوز ما عين وإلا جاز لكل عارض مباح ولو دنيويا كلقاء الأمير بخلافه لا لعارض كإلا أن يبدو لى أو لمحرم أو لمناف كجماع أو غير مقصود كنزهة فإنه باطل ويتأكد في رمضان سيما العشر الأواخر ففيها ليلة القدر ويندب أن يقول فيها اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني وكتمها وإحيائها ويومها مثلها والله أعلم

-(فصل)- في الحج بفتح الحاء وكسرهما لغة القصد أو كثرته وشرعا قصد الكعبة للأفعال الآتية والعمرة بضم العين لغة الزيارة وشرعا زيارة الكعبة للأفعال الآتية وورد أن الحج المبرور يكفر جميع الذنوب حتى الكبائر والتبغات عند م ر بشرط عدم التمكن من الوفاء وأن الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف عليهم وأنهما ينبغي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وإنما مثلها بالكير النافى لخبث الحديد الذى صحبه من معدنه لأن فى جبله الإنسان القوة الشهواتية والغضبية فيحتاج لرياضة **(118/1)** تزييلها والحج جمع أنواع الرياضة من إنفاق مال وجهد نفس بنحو جوع وعطش وسهر واقتحام مهالك وفراق وطن وأهل وإخوة كما فى شرح المشكاة -(يجب الحج)- على من يأتى إجماعا -(و)- كذا -(العمرة)- فى الأظهر بأصل الشرع ولكن لا مطلقا بل -(فى العمر مرة)- واحدة على التراخى مع العزم على الفعل بعد ثم أن لهما خمس رتب صحة مطلقة وشرطها الإسلام فيصح إحرام ولى عن محجوره أى أن ينوى جعله محرما ولو غائبا عن محل الإحرام قال ب ج بل يسن الإحرام له طلبا لحصول الثواب له أى وللولى كما فى حديث المرأة التى أتت بولدها للنبي ﷺ فقالت هل لهذا حج فقال نعم ولك أجر قال سم لكن إن كان غائبا يكره لأنه ربما فعل محظورا لعدم علمه وتمكن الولي من منعه وإذا نوى جعله محرما لزمه منعه من المحظورات وإحضاره المواقف وفعل ما لا يتأتى منه ويشترط أيضا لها الوقت القابل لما نواه والعلم بالكيفية عند الإحرام وبالأعمال عند فعلها لو بوجه فيهما كما قاله ابن الجمل واقتصرهم على الإسلام قال الكردي مرادهم به من حيث الفاعل وصحة مباشرة وشرطها مع ما مَرَّ التمييز وإن الولي وصحة وقوع عن نذر وشرطها مع ما مَرَّ التكليف وعن فرض الإسلام وشرطها ما مَرَّ الحرية التامة ووجوب وشرطه مع ما مَرَّ الاستطاعة فحينئذ لا يجبان إلا -(على المسلم الحر)- الكامل -(المكلف المستطيع)- لا على كافر أصلى ولا عبدة باستطاعته فى حال كفره وإن خوطب بهما خطاب عقاب أما المرتد فخطاب لزوم فيجبان عليه إذا استطاع وإن افتقر بعد إسلامه فإن مات زمن استطاعته مرتدا لم يحج عنه وقن - وغير مكلف وغير مستطيع وإن كان لو تكلف أجزاءه بل قال فى النصائح إن من تكلف الحج شوقا إلى بيت الله وحرصا على إقامة الفريضة إيمانه أكمل وثوابه أعظم وأجزل لكن بشرط أن لا يضيع بسببه شيئا من الفروض وإلا كان أثما واقعا فى الحرج كمن بنى قصرا وهدم مصرا أمه بمعناه ثم أن الاستطاعة نوعان الأول الاستطاعة بالنفس ويشترط فيها أن يكون مستطيعا من وقت خروج أهل بلده إلى عودهم -(بما يوصله)- إلى مكة -(ويرد -ه إلى وطنه)- من زاد وأوعيته حتى السفرة ومؤنة نفسه وأجرة خفير وشمل كلامه مؤنة مدة الإقامة أى على العادة فتشترط الاستطاعة بها وراحلة لمن بينه وبين مكة مرحلتان فأكثر وإن قد على المشى أو دونهما ولم يطقه وشق نحو محمل لذكر لا يقدر على الراحلة ولغيره مطلقا مع وجود شريك لائق به بشرط أن يكون ما ذكر -(فاضلا عن دينه)- ولو مؤجلا أو لله ككفارة -(و)- عن -(مسكنه وكسوته اللاتقين به و)- عن -(مؤنة من)- تجب -(عليه مؤنته)- من زوجة وقريب ومملوك للخدمة اللاتقة بهم مطعما وملبسا ومسكنا وإعفاف أصل وأجرة طبيب وثمان دواء -(مدة ذهابه)- وإقامته على العادة -(وإيابه)- أى رجوعه لبلده وأن يكون الطريق آمنا ولو بخفير بأجرة مثل بأن يأمن فيه على نفسه وما يحتاجه للسفر لا نحو مال تجارة أمن عليه بالبلد وأن يوجد الزاد والماء والعلف فيما يعتاد حملها منه وأن يخرج نحو محرم مع المرأة ولو عجوزا مكية وأن يعبت على الراحلة بلا مشقة والثانى استطاعة بالغير فيجبان على من

غضب بمعنى أنه يستنيب فوراً إن غضب بعد الوجوب والتمكن وعلى التراخي إن كان قبله أو معه أو بعده ولم يمكنه الأداء إن قدر على الاستنابة بأن وجد أجرة من يحج عنه فاضلة عما يحتاجه مطلقاً وعن مؤنة ممونه يوم (119/1) الاستنابة أو متبرعاً عدلاً غير معضوب ولو أنثى نعم إن كان بينه وبين مكة أقل من مرحلتين لزمه الحج بنفسه لاحتمال المشقة في القرب وإن أباحت التيمم كما في التحفة وقالوا في المغنى والنهاية بعدم اللزوم إذا كثرت

(فرع) - الإجارة إما إجارة عين كاستأجرتك لتحج عني أو عن ميتى بكذا ويشترط فيها أن يكون الأجير قد حجّ عن نفسه قادراً على الشروع في العمل فيستأجر نحو المكي في أشهر الحج وغيره عند خروجه بحيث يصل الميقات في أشهره إما إجارة ذمة كالزمت ذمتك الحج عني أو عن ميتى فتصح ولو في المستقبل بشرط حلول الأجرة وتسليمها في مجلس العقد والأجير في هذه أن يحج بنفسه وبغيره ولو مات الأجير أثناء الحج استحق قسط الأجرة كما استظهره في الفتح باب الجعالة

(تنبيه) - لا فرق عند أكابر الصوفية في اعتبار الزاد واستصحابه بين القوى التوكل وغيره لأن النفس تعلقت به فتسكن عند وجوده وتتشوّش عند فقدّه فلذا كان أثر الأسباب أقوى من التجرد عنها فينبغي فعلها من غير اعتماد عليها لكن لا يكون هذا إلا بعد التجرد عن الأسباب المعتادة وإذا حصل ذلك انتقل الإنسان إلى قوة أخرى لا يؤثر فيها عمل الأسباب كما في اتحاف الناسك (و) - اعلم أن لكل من الحج والعمرة أركاناً وهي ما لا يوجد بدونها ولا تجبر بدم وواجبات وهي ما تجبر بدم وسنن مكملّة وهي ما عدا ذلك فأما (أركان الحج) - فستة الأول (الإحرام) - وهو نية الدخول في النسك أو الدخول في حرمة أمور بنية النسك وهذا هو المراد بقولهم ينعقد الإحرام بالنية إذ لا معنى لأن يقال تنعقد النية بالنية ولا يجب التعرّض للفرض فيه اتفاقاً وينعقد مطلقاً في أشهر الحج كنويت الإحرام ويصرف لما شاء من حج أو عمرة أو هما وإن ضاق الوقت أو فات عند حج ولا يجزيه عمل قبل الصرف نعم لو طاف ثم صرفه حجا وقع عن القدوم ولا يجزيه سعي بعده خلافاً للإيعاب ولو أفسده قبل الصرف فما عينه هو الفاسد أما لو نوى الحج في غير أشهره ولو شكاً فيقع عمرة وسنن قبل الإحرام غسل وتجرّد ذكر عن مخيط وتطيب بدن وأفضله بمسك خلط بماء ورد ويكره تطيب الثوب كما في التحفة ولا يحرم استدامته بعده بخلاف نقله من الثوب أو البدن وردّه أو نزع ثوبه المطيب ثم لبسه فيحرم وتلزمه به الفدية ولبس رداء وإزار أبيضين جديدين إن وجدا وإلا فمفسولين ونعلين جديدين وصلاة ركعتين بسورتى الإخلاص ينوى بهما سنته ويغنى عنهما غيرهما من فرض أو نفل وإن لم ينوها بل ويثاب عند م ر ثم يحرم بعدهما بحيث ينسبان إليه مستقبلاً والأفضل كونه عند ابتداء سير ماش ودابة راكب وتلفظ بالنية فيقول نويت الحج والعمرة أو هما وأحرمت به أو بها أو بهما لله تعالى أو نويت ما ذكر عن فلان وأحرمت به عنه لله تعالى فلو آخر لفظ فلان عن وأحرمت لم يضر على المعتمد إن كان عازماً عند نويت الحج مثلاً أن يأتي به عنه وإلا وقع له والتلبية سرا عقبها مستقبلاً في أول مرة ويجهر الذكر غي غيرها ولو بمسجد والأولى كسر همزة إن ووقفة لطيفة على الملك وعلى لبيك الثانى والثالث وتكريرها ثلاثاً وبعدها الصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه عليه وعليهم الصلاة والسلام وسؤال الجنة والاستعاذة من النار والدعاء بما أحب ديناً ودنيا قال في التحفة والأكمل أن يصلى ويدعو من أراد التلبية مرات عقب كل ثلاث وأصل السنة يحصل (120/1) بهما عقب الكل وقول لبيك إن العيش عيش الآخرة أى العيش الكامل الذى لا يعقبه كدر إذا رأى ما يعجبه أو يكرهه (و) - الثانى (الوقوف ب-) - أى جزء من أرض (عرفة) - ولو على ظهر دابة أو شجرة لا على غصنها الخارج عن هوائها وإن كان أصلها فيها بين زوال يوم التاسع أو العاشر بشرطه ولو ماراً أو نائماً وفجر غده ويسن دخول مكة قبله وكونه من كداء بالفتح والمد والغسل له وكونه من ذى طوى مثلثة الأول وإحرام الإمام يوم السابى ليخطب عند الكعبة خطبة فردة بفتحها بالتلبية إن أحرم وإلا فبالتكبير ويعلمهم فيها ما أمامهم من المناسك ويأمرهم بالغدو إلى منى وأن يصلوا فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصبح يوم عرفة ثم بالغدو بعد الإشراف على ثبير إلى نمرة وبالجوس فيها إلى الزوال ثم إلى المسجد ويخطب بهم خطبتين خفيفتين يحرضهم فيهما على إكثار الذكر والدعاء بعرفة ويجمع بمن يجوز له الجمع بين العصرين تقديماً ويأمر غيرهم بالإتمام ثم إلى عرفة للوقوف والأفضل لذكر موقفه عند الصخرات الكبار المفترشة أسفل جبل الرحمة والركوب وللنساء حاشية الموقف وكون كل متطهراً مستوراً فارغ القلب مستقبلاً مكثراً من التهليل والتسبيح والتكبير والصلاة والسلام عليه والاستغفار والدعاء والتلاوة لاسيما للحشر ولا إله إلا الله وحده لا شريك له إلخ وورد من قرأ الإخلاص ألف مرة يوم عرفة أعطى ما سأل والجمع بين الليل والنهار بها (و) - الثالث (الطواف بالبيت) - أى الكعبة بعد نصف ليلة النحر وواجباته بأنواعه من قدوم وركن ووداع وغيرها ثمانية ستر العورة والطهارة عن الحدث والخبث وجعل البيت عن يساره يقينا للتابع إلا فى أعمى فظنا ماراً لجهة الحجر بكسر الحاء فإن جعله يمينه ومشى أمامه أو القهقرى أو جعله أمامه أو عن يساره ومشى القهقرى لم يصح والابتداء بالحجر الأسود ومحاذاة كله أو بعضه فى أول طوافه عند النية إن وجبت بأن كان لغير نسك بجميع أعلى شقه الأيسر المحاذى لصدره وهو المنكب فيجب فى الابتداء أن لا يتقدم جزء منه على جزء من الحجر مما يلى الباب وكونه سبعا يقينا ولو راكباً فلو ترك خطوة لم يجزه ولو شك فى العدد أخذ بالأقل كالصلاة نعم إن شك بعد الفراغ لم يضر ولو أخبره غيره على خلاف ما اعتمده فإن كان بنقص سنّ

الأخذ به إن لم يؤثر معه ترددًا وإلا وجب وكونه داخل المسجد ولو على سطحه إن كان أعلى من الكعبة وحال بينه وبينها حائل وخارج البيت والشاذروان والحجر بجميع بدنه ومن سننه المشى ولو لغير ذكر ويكره زحف وحبو فيه والحفاء ولو لغير ذكر إلا لعذر كشدة حر فيحرم إن تضرر به تقصير الخطأ واستلام الحجر وتقبيله بلا رفع صوت ووضع جبهته عليه وتكرير كل منها ثلاثاً في كل طوفة والأوتار أكد واستلام اليماني بيده ويباح تقبيل الشاميين وغيرهما من أجزاء البيت ولا يسن لغير ذكر استلام وتقبيل ووضع جبهة إلا بخلوة المطاف عن الأجناب والأذكار الماثورة عنه ﷺ أو عن أحد من الصحابة فإنها أفضل فيه حتى من القرآن وهو أفضل من غير المآثور والمآثور مشهور والرمل في الثلاث الأول من كل طواف بعده سعى مطلوب والاضطباع فيه وفي السعى للذكر والفرب من البيت والمواالة بين الطوفات وركعتان بعده والأفضل فعلهما خلف المقام ففي الكعبة فتحت الميزاب فبقية الحجر فوجه الكعبة فبين اليمانيين فبقية المسجد فدار خديجة فبقية مكة فالحرم ويقتط طلبهما بأي صلاة بعده فرضاً أو نفلاً ثم إن نواهما حصل له **(121/1)** العواب عند حج وعند م ر يحصل مطلقاً **(و)** الرابع **(السعى)** فيما **(بين الصفا والمروة)** وواجباته ثلاثة البداءة في الأوتار بالصفا وهي أفضل عند حج من المروة وفي الأشفاق بالمروة والعقد الذي عليها علامة على أولها وكونه سبعا يقينا ذهابه مرة وعوده أخرى وبعد طواف ركن وهو الأفضل عند م ر للتجانس أو قدوم وهو الأفضل عند حج للاتباع وبراءة الذمة لا غيرهما ومن سننه ارتفاع على الصفا والمروة قدر قامة ولو لغير ذكر عند غير حج والذكر والدعاء والمآثور فيه أفضل حتى من القرآن فيه وهو مشهور والمشى بهيئة أوله وآخره وبعده بين ما قبل الميل الأول بنحو ستة أذرع والثاني والمواالة بينه وبين الطواف والاضطباع فيه **(و)** الخامس إما **(الحلق أو التقصير)** والمراد إزالة ثلاث شعرات من شعر الرأس أو جزء من كل منها حلقاً أو نتفاً أو قصاً أو حرقاً وإن خرج عن حد الرأس ويدخل وقته كالرمي بنصف ليلة النحر ويندب كونه كالرمي والذبح إن كان في يوم النحر وقبل طواف الركن والسعى إن بقي والبداءة بيمين رأس المحلوق ومقدمه واستقباله القبلة والتكبير بعد فراغه وحلق جميعه لذكر والتقصير لغيره لقوله ﷺ اللهم اغفر للمحلقين قالوا وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا وللمقصرين ثم قال وللمقصرين وورد أن للحالق بكل شعرة سقطت من رأسه نورا يوم القيامة والسادس الترتيب في معظم الأركان إذ لا بد من تقديم الإحرام على الكل وتأخير الطواف والحلق عن الوقوف **(و)** هذه الستة **(هي)** أركان العمرة **(إلا الوقوف)** بعرفة فليس من أركانها فحينئذ **(أركان العمرة)** خمسة الإحرام والطواف والسعى والحلق أو التقصير والترتيب لكنه هنا في جميع الأركان كما ذكره بخلافه ثم كما مرّ وتصح كلها مع الحدث والخبث إلا الطواف وهو أفضلها عند م ر والوقوف عند حج ثم السعى ثم الحلق **(و)** علم مما تقرّر أن **(لهذه الأركان)** أي لكل واحد منها واجبات منها **(فروض)** لها أي أركان كالطوفات السبع في الطواف **(و)** منها **(شروط)** لها كالستر والطهارة وكونه في المسجد فيه وقد مرّ كل ذلك فحينئذ **(لا بد)** لكل من تلبس بنسك **(من مراعاتها)** إذ لا يتم بفقد شيء منها ثم ذكر ﷺ ما يحرم على المحرم قال في الزواجر وسم في حاشية التحفة وكلها صفائر إلا الجماع المفسد وقتل الصيد فهما من الكبائر فقال **(وحرّم)** بالإحرام **(على من أحرم)** بحج أو عمرة أو مطلقاً سبعة أشياء وإنما حرمت لحكمة هي أن المحرم من وفد الله الذين دعاهم ليبرهم من وقف مع العبودية من غيره وأفعال النسك أكثرها تعبدى لا يعرفه إلا من خصه الله تعالى بالعناية الإلهية الأول من السبعة **(طيب)** يعني تطيباً في ملبوس وبدن ولو لأخشم بما يكون معظم القصد منه ذلك كزعفران وورد وورس ثم هو كما قاله العلامة الكردي على أربعة أقسام ما اعتيد التطيب به بالتبخّر كعود فيحرم إن وصل عينه لبدنه أو ثوبه وكذا حمل عينه في أحدهما لا شمه أو بوضع الأنف عليه وعكسه كورد وريحان فلا يحرم حمله مطلقاً أو بحمله كمسك وعنبر فيحرم حمله في أحدهما أو إناء مفتوح يجد منه ريحه ولو يسيراً ما لم يكن لمجرد النقل ولم يشده بثوبه وقصر الزمن بحيث لا يعدّ عرفاً متطيباً قطعاً ويحرم أكل ما بقى فيه ريحه أو طعمه لا مجرد لونه فيه واستعاط واكلحال واحتقان بمطيب **(122/1)** أما ما لا يكون معظم القصد منه ذلك كفواكه من تفاح وأترج ودواء من قرنفل وقرفا ومصطكى فلا يحرم التطيب بشيء من نحو ذلك **(و)** الثاني **(دهن)** بفتح أوله **(رأس)** لغير متصلع وإن حلق أو شعرة منه **(و)** دهن **(لحية)** ولو لامرأة وإن حلقت بدهن بضم أوله ولو غير مطيب وألحق شيخ الإسلام باقى شعور الوجه بهما وحج إلا شعر جبهة وخدّ زاد في المنح وأنف والخطيب إلا ما لا يتصل باللحية كحاجب وهذب وما قاله المصنف أقرب نقلاً وما في المنح مدركا كما بينه الكردي قال ومن قلّد من يقول بعدم حرمة دهن الشارب والعنفقة أرجو أن لا بأس عليه لكن ينبغي له الاحتياط طاقته والمعتمد عند متأخري أئمتنا حرمة ذلك **(و)** الثالث **(إزالة ظفر)** صحيح لا مع عضوه بخلاف إزالة منكسر كله أو بعضه إن تأذى بباقيه **(و)** الرابع إزالة **(شعر)** من جميع البدن بأي نوع كان كذلك لا مع جلده أو من باطن عين أو غطاها للضرورة ولا فدية وله غسله بنحو سدر والأولى تركه كاكلحال بما فيه زينة كإئتمد إلا لعذر ولو شك هل نتف مشط بعض شعره حين سرحه أو انتف بنفسه فلا دم **(و)** الخامس **(جماع)** ولو لهيئة في قبل أو دبر ويحرم على غير محرمة تمكين حليل محرم وعلى حلال وطء محرمة إلا لتحليلها بشرطه وقد عدّ في الزواجر إحرامها بغير إذن حليلها بتطوّع وإن لم تخرج من بيتها من الكبائر قياساً على صومها بغير إذنه إذا كان حاضراً بل أولى لطول زمنه واحتياجها في الخروج منه إلى سفر ونوع من التهتك **(و)** كذا **(مقدماته)** كقبلة ونظر ولمس ومعاينة بشهوة ولو بحائل فليتنبه له من

يحج بحليلته فإنه متى وضع يده عليها ولو عند إركابها بشهوة أثم ولزمه دم وإن لم ينزل والشهوة كما فى المصباح اشتياق النفس إلى الشيء (و) السادس (عقد نكاح) بنفسه أو وكيله ولا يصح بخلاف عقد شراء أمة للوطء لأنه تابع للملك (و) السابع (اصطياد) أى تعرض كل (صيد مأكول) أو متولد منه ومن غيره بأن يكون فى أحد أصوله وإن بعد (برى) من طير أو غيره وحشى وإن استأنس لا عكسه كبعير نذ بخلاف غير المأكول والمتولد منه بل يندب ولو لمحرّم ومن بالحرم قتل كل مؤذ طبعاً ويكره قتل ما لا يظهر منه نفع ولا ضرر كسرطان ورخمة أما البحرى وهو ما لا يعيش فى غير البحر والمراد به الماء ولو نحو بئر فى الحرم فلا يحرم التعرض له للآية وكما يحرم التعرض له يحرم التعرض لنحو بيضه ولبنه من سائر أجزائه كشعره وريشه وضمانها بالقيمة مع نقصه إن حصل إذا كان متقومًا كقشر بيض نعام مذر لأن له قيمة بخلاف مذر غيره (و) يحرم (على رجل) أى ذكر مميز واضح عالم عامد مختار بالإحرام (ستر) شىء من (رأسه) وإن قل كالبياض لأعلى الأذن لا للشحمة بما يعدّ ساتراً عرفاً وإن حكى اللون وكان غير محيط كعصابة عريضة بحيث لا تقارب الخيط بخلاف نحو خيط دقيق وتوسد نحو عمامة ووضع يده عليه ما لم يقصد بها الستر وكذا إن قصده كما فى م ر والغرر وعبد الرؤوف ومال إليه فى المنح ولا فرق بين يده ويد غيره (ولبس محيط) بمهملة أعم فى جميع بدنه كله أو بعضه ككيس لحية وله الستر والحلق للحاجة ككثرة قمل أو وسخ وعليه الفدية وله عقد إزار بأن يربط كلا من طرفيه بالآخر وربط (123/1) خيط عليه وعقده وتقلد نحو سيف وشدّ نحو منطقة وإن لم يحتج لذلك ولف عمامة بوسطه بلا عقد وليس خاتم واحتباء بحبوة قال ابن الجمال وإن عرضت حدا كان أخذت ربع الظهر لكن بحيث تسمى فى العرف حبوة

(تنبيه) المراد بالحاجة فى سائر هذا الباب ما فيه مشقة لا يحتمل عادة وإن لم تبج التيمم كما فى الفتح (و) يحرم (عليها) أى المرأة الواضحة بسبب الإحرام (ستر) شىء وإن قل من (وجهها) ولو أمة دون بقية بدنّها فلها ستره ولو بمخيط ودون ما يستر لاحتياط ستر الرأس فى الصلاة إذ لا يمكن استيعاب ستر الواجب إلا به واعتمد م ر والخطيب أنه ليس للأمة ستر هذا لأنه ليس بعورة منها وصححه السيد عمر البصرى واعتمد حج فى جميع كتبه تبعاً للمجموع أنها لها ذلك ووجهه فى الفتح بأن الاعتناء بستر رأسها أكثر لقول جمع أنه عورة منها دون الوجه فى النظر والعكس لم يقبل به أحد ولا يضر ستره بثوب متجاف عنه بنحو خشبة ولو بلا حاجة كستر رأس الرجل بمظلة فإن وقعت فأصابته بغير اختيارها فإن رفعته فوراً فلا شىء أو عمداً أو استدامته فالإثم والفدية (و) يحرم عليها أيضاً (فقال) أى لبسه ولو فى كف وهو شىء يعمل للكف والأصابع يحشى بقطن وله أزرار تزرّ على الساعد من البرد والمراد به هنا ما يشمل الكيس بخلاف ستر الكف بغيره ككم وخرقة لفتها عليه ولو بعقد وتعبيره بقفاز أخصر وأحسن من تعبيرة بغيره بقفازين وإذا علمت ما تقرّر (فمن فعل شيئاً من هذه المحرّمات) عالماً بتحريمه وبالإحرام (فعليه الإثم والكفارة) وهو فى الطيب والدهن واللبس وإزالة الشعر والظفر والجماع غير المفسد ومقدّماته شاة أو ثلاثة أصع لستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام فهو دم تخيير وتقدير وفى الصيد والنبات الآتى مثله ويتخير فيه بين ذبحه ودفعه لفقراء الحرم وبين إعطائهم طعاماً بقيمته أو صومه عن كل مدّ يوماً فهو دم تخيير وتعديل (ويزيد الجماع) إذا كان قبل تحلّى الحج وتحلل العمرة من عالم مختار متعمد ولو صبياً رقيقاً (بالإفساد) للنسك ولو تطوعاً عن غيره (ووجوب القضاء) على مفسده ولو قضاء من قنّ صبى لكن الواجب قضاء المقضى لا القضاء فلو أحرم به عشر مرات وأفسد الجميع لزمه قضاء واحد عن الأول وكفارة لكل واحد وكون القضاء (فوراً) فيحرم بالعمرة عقب النفر من منى وبالحج فى سنته إن أمكن كان زال حصر تحلل به منه بعد الإفساد والوقت باق وإلا فمن قابل (وإتمام الفاسد) بأن يأتى بجميع معتبراته ويتجنب منهيّاته وإلا لزمه دم لكل ما فعله وفيه الدم والدم الواجب فيه دم ترتيب وتعديل فيلزمه بدنة فبقرة فسيع من الغنم فإطعام بقيمة البدنة يتصدّق به على مساكين الحرم فيصام بعدد الأمداد (و) أما الواجبات وهى كل ما يجبر بدم فالذى (يجب) فى كل من النسكين هو (أن يحرم من الميقات) وهو لغير من بمكة الخمسة المواقيت المشهورة ونظمها ابن الضياء فقال

مواقيت أفقى يم-ان	عراق وش-ام والمدينة
ونج-دة	فاع-لم
يلملم قرن ذات ع-رق	حلي-فة مي-قات الن-بى
وجح-فة	المك-رم

والعبرة بالبقاع لا بما بنى بقريها وسمى باسمها فينبغى تحرى آثار القرى القديمة والإحرام من أول الميقات أفضل ويجوز من طرفه الأقرب لمكة اتفاقاً وهذه المواقيت لأهلها ولمن مرّ بها فمن مرّ بميقات غير بلده أحرم منه ويحرم تأخيره إلى ميقاته فإن جاوز أحد هذه المواقيت إلى جهة (124/1) الحرم مريداً النسك ولو فى العام القابل غير محرم ولم ينو العود إليه أو إلى مثله ثم أحرم بعمره مطلقاً أو بحج فى العام الذى أراد النسك فيه ولو غير الأول عند حج عصى وعليه دم إن لم يعد إليه قبل التلبس بنسك ولو مسنونا على صورة الركن طواف قدوم أو وداع مسنون فإن جاوزه غير مريد للنسك ثم عنّ له فميقاته محله ولمن بمكة بالنسبة للعمرة أدنى الحل وأفضله الجعرانة فالتنعيم فالحديبية وبالنسبة للحج نفس مكة هذا فى الميقات المكانى وأما الزمانى فميقات الحج أشهره وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة فلو أحرم به فى غير وقته انعقد عمرة

كما مَرَّ وميقات العمرة الأبد نعم تمتنع على من كان محرماً بها أو بحج أو لم ينفر من منى نفراً صحيحاً وإن لم يكن بها وسقط عنه الرمي والمبيت (و). أما الواجب (فى الحج) فقط فهو (مبيت) الحاج يعنى مروره بشيء من أرض (مزدلفة) بعد نصف ليلة النحر ولو لحظة ونائماً وسقط عمن له عذر كاهل السقاية والرعى (و). المبيت فى (منى) معظم ليالى التشريق الثلاث أو الليلتين لمن أراد النفر الأول ولا يصح إلا إن باثماً أو تركه بعذر وكان نفره بعد الزوال وقبل المغرب وسقط عمن مَرَّ (ورمى جمرة العقبة) وحدها (يوم النحر) بسبع حصيات ويدخل وقته بنصف الليل كما مَرَّ ويبقى إلى آخر أيام التشريق (ورمى الجمرات الثلاث) جمرة العقبة والثنتين قبلها (أيام التشريق) بعد الزوال كل واحدة سبعا وشرط صحته ترتيب الجمرات فيرمى التى تلى مسجد الخيف أولاً ثم الوسطى ثم جمرة العقبة وكون المرمى به حجراً ولو ياقوتاً وأن يسمى رمياً فلا يكفى الوضع وكونه باليد لا بنحو رجل وقوس مع القدرة بها وعدم الصارف فلو قصد به نحو جودة رميه لم يصح وقصد المرمى فلو قصد غيره كرمى نحو حية أو العلم المنسوب فى الجمرة لم يكف إذ المرمى ثلاثة أذرع من كل جانب من الجمرتين ومن قبالة العلم فى جمرة العقبة

(تنبيه) قال ﷺ إن رامى الجمار لا يدرك ماله حتى يوفاه يوم القيامة وقال يغفر له بكل حصة رماها كبيرة من الكبائر وقال إذا رميت الجمار كان لك نورا يوم القيامة قال الحكيم الترمذى حصيات الجمار واصله إلى وجه الشيطان فإنه يطالع لكل حاج من محل ما طلع لآدم ثم لإبراهيم ﷺ فإذا رمى الجمار شذخ رأسه حتى يحتبس وإنما كانت سبعا لأنه اطلع رأسه من سبع أرضين ونفسه موثقة فى سجين وذلك سجنه تحت الأرض السابعة فطل جصاة يختفى فى أرض حتى يبلغ مستقره بالسابعة وهو الأرض السابعة (و) يجب (طواف الوداع) على من أراد مفارقة مكة من حاج وغيره أو منى عقب نفره إلى مسافة قصر مطلقاً أو إلى وطنه أو ما يريد توطئه ويجب بترك الإحرام من الميقات وكذا ما بعده من الواجبات دم كدم التمتع وهو شاة فإن عجز فصيام عشرة أيام ثلاثة فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله فهو دم ترتيب وتقدير (ويحرم صيد) كل من (الحرمين) المكى والمدنى (و) كذا (نباتها على) كل (محرم وحلال وتزيد مكة) يعنى حرماً (بوجوب الفدية) فى صيدها وشجرها على المحرم وغيره كفدية الصيد المتقدمة وأما حرم المدينة فيحرم صيده وشجره لكن بلا ضمان ومثله وج وهو واد بالطائف قال سم على شرح البهجة ولا يبعد كراهة التعرض لصيد بيت المقدس فليراجع ولذلك تتمات وتقاير محلها كتب المناسك ثم اعلم أن هذه الأركان الخمسة التى هى قواعد الإيمان وأركان الإسلام إذا أحكمت وصحت صورها ومعانيها وأقيمت شروطها (125/1) وأركانها كانت لملابسها والمباشر لها والقائم بها ظاهراً وباطناً معارج ومساعد إلى درجات مقام الإحسان وحقائق العرفان فليحرص على ذلك من أراد ذلك ليتبوأ مقعده فى أعلى الجنان كما فى الإحياء والأربعين الأصل والنصائح وغيرها (خاتمة)

تؤكد زيارته ﷺ بل قال بعض الحنفية تقرب من الوجوب وبعد الحج أكد وينبغى أن يقصد الزائر بها التقرب بقصد قبره الشريف والصلاة فى مسجده ﷺ وأن يكثر فى طريقه من الصلاة والسلام عليه ﷺ لاسيما إذا أبصر المدينة وإذا دخل المسجد صلى التحية بالروضة بجانب المنبر وجعل عموده حذو منكبه الأيمن واستقبل العمود الذى بجانب الصندوق وجعل الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه إذ هو موقفه ﷺ قبل تغيير المسجد كما فى الإحياء ثم يأتى القبر الشريف ويقابل جداره متنجساً نحو أربعة أذرع ونصف غاضاً طرفه خاضعاً فارغ القلب مملوءه إجلالاً فيقول بصوت مقتصد السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا خير الخلق أجمعين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن ضاق وقته اقتصر على مقتصد السلام عليك يا رسول الله ثم يتيامن مقدار ذراع فيسلم على الصديق ثم مثله ويسلم على الفاروق ثم يعود لموقفه الأول ويتوسل بالمصطفى لنفسه ويتشفع به إلى ربه ثم يستقبل ويدعو لنفسه ولمن شاء وإذا أوصاه أحد بالسلام فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان أو فلان يسلم عليك وتندب زيارة مشاهد المدينة وإكثار زيارة البقيع ويوم الجمعة أولى ويندب للزائر التصديق قبل الزيارة وبعدها ويحرم الطواف بالقبر الشريف ويكره إلصاق البطن أو الظهر به ومسّه باليد والوقوف من البدع القبيحة المنكرة كبعده منه لو كان حياً وما أطبق عليه الجهلة من القرب منه ومسّه باليد والوقوف من البدع القبيحة المنكرة ولقد أحسن الفضيل بن عياض ﷺ فى قوله اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ومن ظن أن المسح باليد أو غيرها أبلغ فى إصابة البركة فهو غلط إنما البركة فيما وافق الشرع وأقوال العلماء ويستحب الصوم بالمدينة وملازمة الصلاة بالمسجد والصدقة على أهلها كما يسن ذلك بمكة وإذا أراد السفر ودع المسجد بركتين ويدعو بما أحب ثم يأتى القبر ويعيد السلام عليه كما مَرَّ ثم يقول اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ويسر لى العود إلى الحرمين بفضلك وردتاً سالمين غانمين ثم ينصرف تلقاء وجهه ولا يمشى القهقرى فإنه مكروه ويندب بعد توديع البيت بمكة إتيان الملتزم وإلصاق بطنه وصدرة بالبيت وبسط يمينه عليه إلى جهة الباب ويسراه إلى الركن ولا يقبل المقام ولا يستلمه فإنه بدعة ولتكن نيته بالتزامه طلب القرب حبا وشوقاً إلى البيت وربّه ونيته فى التعلق بالاستمرار الإلحاح فى طلب

المغفرة وسؤال الأمان كالتعلق بغياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه وإنه لا ملجأ منه إلا إليه ويدعو فيقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن أمتك حملتني على سخرت لي من خلقك (126/1) حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك إلخ ثم يأتي زمزم فيشرب من مائها متوجها البيت قاعدا ويتضلع منه جهده فهو علم خفي في صورة طبيعية عنصرية قد اندرج فيها تحيا به النفوس تدل به على العبودية المحضة فإن حكمه تعالى في الطبيعة أعظم منه في السموات والأرض لأنهما من عالم الطبيعة عندنا وعن الطبيعة ظهر كل جسم وجسد وجسماني في عالم الأجساد العلوي والسفلي ويقول عند شربه اللهم بلغني عن رسولك أنه قال ماء زمزم لما شرب له وأنا أشربه لكذا ويسميه فافعل ذلك بفضلك ثم يسمى الله تعالى ويشرب ويتنفس ثلاثا ثم يحمد الله ويغسل وجهه وصدره ورأسه وقد شربه جمع لمقاصد فحصلت وشربه الشافعي للرمي وكان يصيب من كل عشرة تسعة وشربه الحاكم لحسن التصنيف فكان أحسن أهل عصره تصنيفا قال الحافظ ابن حجر ولا يحصى كم شربه من الأئمة لأمر فنالوها قال وأنا شربته في بداية طلب الحديث لأن يرزقني الله حالة الذهبي في الحفاظ ثم حججت بعد وأنا أجد في نفسي المزيد على تلك الرتبة فسألته أعلى منها وأرجو أن أنال ذلك قال بعض الأعلام الرغبة في الإكثار من شربها عنوان الغرام وكمال الشوق فإن الطباع تحن إلى مناهل الأحبة وموارد المودة وزمزم منهل إخوان الصفا ومورد أهل البيت ومحل تنزل الرحمت ومهبط البركات فالمتحرق عليها والمتعطش إليها والممتلى منها قد أقام شعار المحبة وأحسن العهد إلى الأحبة فلذلك جعل سيد أهل العرفان التضلع منها آية فارقة بين الكفر والإيمان وأهل الطاعة والعصيان

(فصل) فيما يجب على كل من يتعاطى شيئا من المعاملات (يجب) عينا (على كل مسلم مكلف) ومسلمة كذلك إذا أراد شيئا منها كبيع وشراء وإجارة ونكاح وإعارة وشركة (أن لا يدخل في شيء) منها (حتى يعلم) ويتحقق (ما أحل الله تعالى منه وما حرم) منه وما يشترط لصحته لئلا يقع في عقد فاسد أو محرم وذلك (لأن الله سبحانه) وتعالى (تعبدنا) وأمرنا على لسان النبي ﷺ (بأشياء) فيها كالإيجاب والقبول في نحو البيع (فلا بد من مراعاة) وقبول (ما تعبدا) الله تعالى وأمرنا (به) سواء فيهما له معنى مناسب أم لا لأن حدوده تعالى لا تقابل بما يقتضيه رأى أو عقل إذ من شأن التكليف والتعبد ذلك والعبد العاجز القاصر الفهم والعقل والرأى يتعين عليه الاستسلام لأوامر سيده القوي القادر العليم الحكيم الرحمن الرحيم المنتقم الجبار العزيز القهار ومتى حكم عقله وعارض به أمر سيده انتقم منه وأهلكه بعذابه الشديد إن بطش ربك لشديد إن ربك لبالمرصاد قاله في الزواج فيحرم نحو البيع بلا إيجاب وقبول وإن صدر عن رضا المتعاملين بسبب تركهما ما تعبدهما الله تعالى به وقد ذكر حجة الإسلام الغزالي أنه يجب الامتناع من معاملة من اشتهر بالمعاطاة في معاملته وإن حل للمشتري التصرف بأي وجه في المأخوذ بها وكذا البائع في الثمن قال في الفتح ولا ينعقد بالمعاطاة لكن اختيار الانعقاد بكل ما يتعارف البيع بها فيه كالخبز دون نحو الدواب والأراضي فعلى الأول المقبوض بها كالمقبوض بالبيع الفاسد أي في أحكام الدنيا أما في الآخرة فلا مطالبة بها ويجرى خلافها في سائر العقود وصورتها أن يتفقا على ثمن ومثمن وإن لم يوجد لفظ من أحدهما ويظهر أن ما ثمنه قطعي الاستقرار كالرغيف بدرهم بمحل لا يختلف أهله في ذلك لا يحتاج فيه لاتفاق بل يكفي الأخذ والإعطاء مع سكوتهما وفي الإيعاب لك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لا يعلم أو يظن رضا المأخوذ منه ولو بلا بدل (127/1) أما من علمه أو ظنه فلا يتأتى فيه خلاف المعاطاة لأنهم إذا جوزوا له الأخذ من ماله مجانا مع علم الرضا أو ظنه فلأن يجوز عند بذل العوض أولى لأن المدار على ظن الرضا أو علمه لا على وجود العوض أو عدمه فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذه من باب البيع لتعذره بل من باب ظن الرضا ممن وصل إليه منه وعجيب من الأئمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرته وكأنهم وكلوه إلى كونه معلوما أم ملخصا (وقد أحل الله) ﷻ أشياء وحرأ أشياء فأحل من المعاملات (البيع) والشراء والإجارة ونحوها (وحرأ م الربا) ونحوه من كل ما فيه نهى من الشرع وهو أنواع سيأتي بيانها فقال تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرأ الربا الآية (وقد قيد الشرع) أي صاحبه وهو الشارع (هذا البيع) الذي أحله (المعرف) في الآية الشريفة (بآلة التعريف) وهي آل العهدية (بقيود وشروط وأركان) بينها العلماء ﷻ فحينئذ (لا بد) بضم أوله وشد ثانيه أي لا غنى لكل من يريد تعاطيه (من مراعاتها) أي تلك القيود والشروط والأركان فالأركان ثلاثة عاقد بائع ومشتري ومعقود عليه مئمن ومثمن وصيغة في غير الضمني إيجاب وهو كل ما دل على تملك دلالة ظاهرة كبعتك وملكتك وجعلته لك بكذا وقبول وهو كل ما دل على تملك كاشتريت وتملكت وقبلت وإن تقدم كبعني بكذا فقال بعث أما الضمني وهو ما تضمنه التماس عتق وجوابه كاعتق عبدك عني بألف فيصح بلا صيغة لفظا وإن وجدت تقديرا وإذا أعتقه لزمه العوض وعتق عنه وكأنه قال بعني وأعتقه عني فأجابه بعته وأعتقه عني ويشترط في الملتمس اختيار وعدم حجر وأما القيود فهي بمعنى الشروط وتكون لكل واحد من هذه الأركان الثلاثة فيشترط في الصيغة عدم الفصل بين الإيجاب والقبول بسكوت طويل ولو لمصلحة لا يسير وبلفظ أجنبي عن العقد بأن لم يكن من مصالحه أو مقتضياته أو مستحباته كالبسمة والحمدلة والصلاة والدعاء بالبركة والاستغفار وقول غال أو رخيص والاتفاق في المعنى وإن اختلف اللفظ فإن اختلفا فيه كبعتك بألف فقال اشتريت بمائة أو بألف ومائة أو بألف حال فأجل أو عكسه أو مؤجل لشهر فنقص لم يصح وعدم تعليق

وتوقيت فلا يصح إن مات زيد بعثك هذا نعم لا يضر التعليق بالمشيئة كبعثك أو اشتريت منك إن شئت أو أردت أو رضيت أو أحببت ولا يصح بعثك هذا شهرا أو حياتك أو ألف سنة كما استظهره في الفتح وفي العقاد إطلاق تصرف فلا يصح من صبي ومجنون ومحجور فليس وعدم إكراه بغير حق فيصح من مكروه بحق كأن توجه عليه بيع ماله لوفاء دينه فأكرهه حاكم عليه وإسلام مشتري نحو مصحف ككتب حديث أو علم فيها آثار السلف وعدم حرابة مشتري آلة حرب كسيف فيصح بيعها لذمي في قبضتنا لا حربى وفي المعقود الطهر ولو بالإمكان كمتنجس أمكن غسله لا نجس عين ككلب وخمر مما لا يمكن طهره بالماء وإن أمكن بالاستحالة والانتفاع به شرعا ولو ماء وترابا بمعدنهما فلا يصح بيع ما لا نفع فيه كحبة وعقرب وحيتى برّ وآلة لهو محرمة وإن تمول رضاها والقدرة على التسلم في غير الضمى فلا يصح بيع نحو ضال كآبق ومغصوب لمن لا يقدر على رده والولاية فلا يصح بيع فضولى وإن أجاز المالك وعلم المتعاقدين به عينا وقدرها وصفة فلا يصح بيع غائب لم يره أحدهما أو بعضا منه يدل على باقيه فإن رآه أحدهما ولو قبل العقد فيما لا يغلب تغييره إلى وقت العقد كارض وحديد (128/1) وحيوان صح ولا يصح من الأعمى بيع وإجارة ونحوهما من كل ما يتوقف على الرؤية بخلاف السلم فيصح منه وإن عمى قبل التمييز ويوكل في القبض عنه لأن السلم يعتمد فيه الوصف لا الرؤية هذا ما يجب على متعاطى البيع تعلمه من أركانه وشروطه (فعلى من أراد البيع والشراء أن يتعلم ذلك) فإن تعلمه سلم من الشبهة والربا (وإلا) يتعلمه وقع في الشبهات والمحرمات وهو لا يشعر و (أكل الربا شاء أم أبى) وسار إلى سبيل الشيطان وترك سبيل الرحمن ولا يجب عليه تعلم المسائل الفرعية والدقائق النادرة فعلى من أراد النجاة من هذه الأمور في جميع معاملته أن يجتنب العقود الفاسدة المحرمة بل والمكروهة ويتعلم ذلك ويتفقه فيه ليكون على بصيرة فيما يلابسه فإنه لا بد منه ولا رخصة في تركه قال سيدنا عمر لا بيع في سوقنا ولا يشتري من لم يتفقه فإن لم يتفقه أكل الربا وهو لا يعلم قال في النصائح والحال كما ذكر فعليك في تجارتك بملازمة الإحسان والعدل وسلوك سبيل المسامحة والفضل وترك المشاحة والاستقصاء فإن ذلك أكثر للبركة وأنمى للتجارة وقد قال رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا باع سمحا إذا قضى وقال أفضل المؤمنين رجل سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى سمحا إذا قضى ولا يبيع إلا بإيجاب وقبول وليجتنب الكذب رأسا وقول بكذا وأعطيت عليه كذا ولا أبيع إلا بكذا ولا يتعود الحلف بالله فالدنيا بأسرها أصغر وأحق من أن يحلف بالله عليها مع الصدق فكيف إذا كان مع الكذب وفي الحديث إن الله يبغض البائع الحلاف واليمين منفقة للسلعة ممحقة للبركة والكسب والتجار يحشرون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبرّ وصدق (و) قد (قال رسول الله ﷺ التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء) وفي الدعوة التامة التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين وفي شرح الخطبة الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء زاد في كشف الغمة والصالحين والأحاديث في ذلك كثيرة مختلفة قال المناوى قال الطيبى قوله مع النبيين بعد قوله التاجر الصدوق حكم مرتب على الوصف المناسب من قوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم وذلك أن اسم الإشارة يشعر بأن ما بعده جدير بما قبله لاتصافه بطاعة الله وإنما ناسب الوصف الحكم لأن الصدوق مبالغة في الصدق كالصديق وإنما يستحقه التاجر إذا كثر تعاطيه الصدق وقليل ما هم فينبغى ويتأكد على التاجر والمحترف إصلاح النية فيما يتعاطيانه وأن ينوياً به العفاف وتحصيل الكفاف وكف النفس عن المسئلة والقيام بمن يلزمه القيام به من أهل وولد ورقيق وغيرهم وصلة الرحم والصدقة على المحتاج بما فضل من حاجته وحاجة ممونه فنية المؤمن خير من عمله وقد يبلغ الإنسان بالنية الصالحة ما لا يبلغه بالأعمال وهى متيسرة لكل أحد فإذا نوى ذلك ولو أعطاهم بمعاوضة لم يخل من الثواب وقد ورد في الخبر إن الله يحب المؤمن المحترف ويبغض السبيل الذى لا هو فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة وقد جعل الساعى على نفسه ليكفها عن المسئلة وعلى أهله وأولاده الضعفاء كالمجاهد فى سبيل الله (وما ذاك إلا لأجل ما يلقاه) من التعب فى السعى لذلك و (من مجاهدة نفسه وهواه) على ذلك فإن النفس والهوى يميلان إلى البطالة ولا يشتهيان ذلك فلا بد لكل من أراد ذلك الثواب الجزيل من (129/1) مخالفتها فى كل ما يشتهيانه وتكون لهما لذة فيه (و) من (قهرها على إجراء العقود على ما أمر) به (الله) ﷻ واعلم أن ما ورد من الثواب للتاجر إنما هو لمن فعل ذلك وخالف نفسه وهواه (وإلا) يفعل كذلك بل عامل بلا عقد أو من ليس أهلا له كصبي ومجنون أو غش أو كذب أو حلف فى بيعه وشرائه أو لم يتحرز عن معاملة من ماله أو أكثره حرام أو بخس فى الكيل أو الوزن (فلا يخفى) على من له أدنى إمام بالعلم وأهله (ما توعده الله) تعالى به (من تعدى الحدود) التى حدّها وبينها فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وهى جمع حدّ وهو لغة الحاجز بين الشيئين قال فى شرح الأربعين عند قوله وحدودا فلا تعتدوها أى وجعل لكم زواجر وحواجز مقدرة تحجزكم وتزجركم عما لا يرضاه ويسمى العقاب المقدر من الشارع حداً لكونه يمنع من معاودة مثل ما ترتب عليه أى شأنه ذلك وفى الإحياء عن بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت إلا فلانا ثم أتى زمان يقال فيه لا تعامل إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا كله وكأنه قد كان فإننا لله وإننا إليه راجعون اهـ وتأمل قوله ﷻ ليس القحط أن لا تمطروا إنما القحط أن تمطروا ولا يبارك لكم فيه أى بواسطة القبايح العظيمة التى أنتم عليها فى تجارتكم ومعاملاتكم ولذا سلطت الظلمة على مرتكبيها فأخذوا أموالهم

وهتكوا حرمهم وأذاقوهم العذاب والهوان بل وسلطت عليهم الكفار فتأمروا عليهم واستعبدوهم وغلبوهم بالذهب وأخذ الأموال وإنما حدث في هذه الأزمان المتأخرة لما أحدث التجار هذه الأغشاش والمخادعات والحيل الباطلة على أخذ أموال الناس بأي طريق قدروا عليها ولا يخشون سطوة عقابه ومقته وانتقامه مع أنه عالم بهم ومطلع عليهم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور قال في النصائح وكثيرا ما يختم بالسوء لمن يخدع المسلمين ويغشهم وينقص المكيال ويلبس عليهم في الدين والدنيا ألا وأن العامل بالمعصية تكون ترحا مغموما دائما لا يزال يزداد ترحه وغمه إلى غير نهاية والعامل بالطاعة يكون فرحا مسرورا دائما يزيد فرحه وسروره على ممر الأيام فاختر لنفسك ما دمت في دار الاختيار ما شئت والله أعلم

{تنبيه}- أعلم أن الإنسان إن كان متجرا فلا ينبغي له ترك التجارة والتجرد عنها بل ينبغي له مراعاة شروطها قال في الحكم إرادتك التجريد مع إقامة الله تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله تعالى إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية قال عباد ما معناه ومراده بالأسباب هنا ما يتوصل به إلى غرض ما ينال به من الدنيا وبالتجرد عدم التشاغل بالأسباب فمن أقامه تعالى في الأسباب وأراد التجريد فشهوته خفية لأنه فوت الأدب بعدم وقوفه مع مراد الله وتطلعه إلى مقام رفيع لا يليق به وعلامة إقامة الله إياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وتحصل له ثمرته ويجد عند اشتغاله بها سلامة في دينه وقطعا لطمعه في غيره وحسن نية في صلة رحم أو إعانة فقير إلى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن أقامه تعالى في التجريد وأراد الإِسباب فقد انحطت همته وأساء الأدب ووقف مع شهوته لأن التجريد مقام رفيع أقام الحق فيه خواص عبادته فإذا أقامه مقام الخواص فكيف يرضى بمنزلة أهل الانتقاص وعلامة إقامة الله إياه في التجريد ما ذكر من الدوام ووجدان الثمرة قال في التنوير {130/1} وافهم رحمك الله أن من شأن العدو يأتيك فيما أنت فيه فيحقره عندك لتطلب غيره فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه ويخرجهم عن مختار الله تعالى لهم إلى مختارهم لأنفسهم وما أدخلك الله تعالى فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك فيه إليك وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فمدخل الصدق أن تدخل فيه بالله ومخرج الصدق كذلك والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يتولى إخراجك منه كما تولى إدخالك فيه وليس الشأن أن تترك السبب وإنما الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا مرة فعدت إليه ثم تركني فلم أعد إليه أم باختصار {ثم أن بقية العقود من}- كل ما يحتاج إليه الشخص كالبيع فيما مرّ وذلك نحو {الإجارة}- وهي لغة اسم الأجرة وشرعا تمليك منفعة بعوض وأركانها أربعة صيغة وأجرة ومنفعة وعاقد مكر ومكتر وشرط فيه ما مر في البيع لكن لا يشترط هنا إسلام مكتر مسلم وفي الصيغة ما مر فيه أيضا إلا عدم التأقيت وهي إجارة عين كأكريتك هذا سنة وذمة كأجرتك الموصوف بكذا سنة وفي الأجرة ما مر أيضا في الثمن {والقراض}- وهو لغة القطع وشرعا توكيل مالك ماله بيد آخر ليتجر فيه والربح مشترك وأركانه ستة مالك وعامل ويشترط فيهما ما في الوكيل والموكل واستقلال العامل بالعمل نعم يصح شرط إعانة مملوك المالك له في العمل وعمل ويشترط فيه كونه تجارة وعدم تضيقه كالا تشتر إلا كذا ولا تعامل إلا زيدا وعدم توقيته بمدة كسنة نعم يصح لا تشتر بعد سنة وربح ويشترط فيه كونه لهما ومعلوما كنصف فلا يصح كونه لأحدهما وصيغة ويشترط فيها ما مر في البيع كقارضتك أو عاملتك في كذا على أن الربح بيننا فيقبل العامل لفظا ومال فيشترط فيه كونه نقدا خالصا معلوما جنسا وقدرا وصفة معينة بيد العامل فلا يصح على عرض ولو فلوسا وتبرا وحليا ولا على مغشوش ومجهول وغير معين أو بشرط كونه بيد غير العامل كالمالك {والرهن}- وهو لغة الثبوت وشرعا جعل عين مال وثيقة بدين يستوفى منها عند تعذر وفائه وأركانه أربعة عاقد وشرط فيه اختيار وأهلية تبرع ومرهون وشرط فيه كونه عينا يصح بيعها فلا يصح رهن دين ولو ممن عليه ومرهون به وشرط فيه كونه دينا ولو منفعة فلا يصح بعين معلوما للعاقدين قدرا وصفة ثابتة فلا يصح بما سيثبت بنحو قرض لازما ولو مالا فلا يصح بنجوم كتابة وصيغة وشرط فيها ما مر في البيع ولا يضر فيه شرط مقتضاه كتقدم مرتتهن بالمرهون عند التزام أو مصلحة له كإشهاد أو ما لا غرض فيه كبشرط أن يأكل المرهون الحلو إلا ما يضر أحدهما كأن لا يباع عند المحل {والوكالة}- وهي بفتح الواو وكسرهما لغة التفويض وشرعا تفويض شخص أمره إلى آخر فيما يقبل النيابة ليفعله في حياته وأركانها أربعة موكل وشرط فيه صحة مباشرته الموكل فيه غالبا فيصح توكيل ولي عن نفسه أو موليه في موليه ووكيل وشرط فيه صحة مباشرته التصرف المأذون فيه لنفسه غالبا وتعيينه فلا يصح وكلت أحدهما وموكل فيه وشرط فيه ملك الموكل له حين التوكيل فلا يصح في بيع ما سيملكه وقبوله النيابة فيصح في كل عقد إلا في الإقرار والاتقاط والعبادة نعم يصح في نسك ودفع نحو زكاة وذبح نحو أضحية وكونه معلوما ولو بوجه {131/1} كفى بيع أموالى وعتق أرقائى لا في نحو كل أمورى وصيغة وشرط فيها لفظ يشعر برضاه كوكلتك في كذا أو بع كذا ولا يشترط قبول الوكيل لفظا أما معنى وهو عدم ردها فلا بد منه ولا فور ولا مجلس ويصح توقيتها وتعليق التصرف كوكلتك الآن في كذا ول تبع إلا في رجب لا هي كذا جاء رجب فأنت وكيلى {والوديعة}- وهي لغة ما وضع عند غير مالكة لحفظه وشرعا العقد المقتضى للاحتفاظ وأركانها أربعة وديعة وشرط فيها كونها

محترمة كنفس سقتنى وحبتي برّ بخلاف نحو كلب لا ينفع وآلة لهو ومودع ووديع وشرط فيهما ما مَرّ في الوكيل والموكل فلا يصح إيداع محرم وكافر مصحفا وصيغة وشرط فيها لفظ أو إشارة أخرس مفهمة صريحة كاستودعتك هذا واستحفظتك أو كناية كخذه مع النية ولا يشترط قبول الوديع لفظا بل يكفي القبض ولو على التراخي ويحرم كما يأتي قبولها على من عجز حفظها ويكره لمن قدر عليه وهو أمين لكنه لم يثق بأمانته ولو في المستقبل بأن جوز وقوع الخيانة منه فإن وثق استحَبَ أي إن لم يخف من ضياعها لو تركها عنده وإلا وجب حيث لم يخش ضررا بأجرة لعمله وحرزه وهى ولو بأجرة أمانة وقد تضمن كأن يودع الوديع غيره كولده بلا إذن المالك ولا عذر أي فإنه يصير طريقا فى الضمان والقرار على من تلفت عنده إن لم يجهل (والعارية) وهى اسم لما يعار وللعقد أركانها أربعة مستعير وشرط فيه تعيين وإطلاق تصرف فلا يصح أعرت أحكما وله إنابة من يستوفى له المنفعة ومعيّر وشرط فيه اختيار وصحة تبرّع لأنها تبرع بإباحة المنفعة وملكه المنفعة ومعار وشرط فيه انتفاع به مباح بأن يستفيد المستعير منفعته مع بقاء عينه فلا يعار نحو مطعوم للأكل وصيغة وشرط فيها لفظ يشعر بالإذن فى الانتفاع كأعرتك أو أعرنى مع لفظ الآخر أو فعله ومؤنة رده على المستعير فإن تلف باستعمال غير مأذون فيه ولو بلا تقصير ضمنه (والشركة) وهى لغة الاختلاط وشرعا عقد يقتضى ثبوت الحق فى شىء لاثنتين فأكثر على جهة الشيوع وهى أنواع الصحيح منها شركة العنان بكسر العين وهى الصحيحة وأركانها أربعة عاقد وشرط فيه أهلية توكيل وتوكل فإن كان المتصرف أحدهما اشترط فيه أهلية الوكل وفى الآخر التوكيل ومعقود عليه وشرط فيه كونه مثليا نقدا أو غيره ولو دراهم مغشوشة ولا يشترط تساوى المالين ولا العلم بقدر كل عند العقد إذا أمكنت معرفته بعده بمراجعة نحو حساب وعمل وشرط فيه مصلحة بحال ونقد البلد فلا يبيع بئمن مثل وثم راغب بأزيد ولا نسيئة ولا بغير نقد ولا يسافر به أو يدفعه لمن يعمل فيه متبرعا بلا إذن فى الجميع وصيغة وشرط فيها لفظ صريح أو كناية يشعر بالإذن فى التجارة فلا يكفي أش تركنا لاحتمال الإخبار عن حصول شركة قبل وأما شركة الأبدان كأن يشترك اثنان ليكون كسبهما بيدئهما بينهما أو المفاوضة كأن يشتركا كذلك بيدئهما أو مالهما وعليهما ما يغرم بسبب غصب أو وجوه كأن يشتركا فيما يشتريانه بمؤجل أو حال ليكون الربح بينهما فلا تصح (والمساقاة) وهى معاملة شخص على شجر ليتعهده بنحو سقى والثمرة بينهما وأركانها خمسة عاقد مالك وعامل ويشترط فيه ما مَرّ فى القراض وعلى كل منهما أعمال فعلى المالك ما يقصد به حفظ الأصل ولا يتكرر كبناء الحيطان وحفر النهر وعلى العامل ما يحتاجه الثمر لصلاحه مما يتكرر كسقى وتنقية وإصلاح أجاجين وتلقيح نخل وتنحية حشيش وقضبان مضرة وتعريش جرت به العادة وحفظ (132/1) الثمرة وتجفيفه وجداد ويملك العامل حصته بالظهور وهى لازمة كالإجارة وعمل وشرط فيه عدم شرط ما ليس على أحدهما عليه فلو شرط على العامل بناء الجدر أو على المالك تنقية النهر لم يصح لم يصح وأن يقدر بزمان معلوم يثمر الشجرة فيه غالبا كسنة وثمر وشرط فيه ما مَرّ فى ربح القراض وصيغة وشرط فيها ما مَرّ فى البيع غير عدم التأقيت ومورد وشرط فيه كونه نخلا أو عنباً مرثياً معيناً بيد العامل مغروساً يبدو صلاح ثمره فلا تصح على غيرهما استقلالاً ولا على غير مرثى أو مبهم أو على كونه بيد غير العامل أو على ودى يغرسه ويتعهده والثمرة بينهما ولا تصح المخابرة ولو تبعا وهى معاملة على أرض يبيع بعض ما يخرج منها والبذر من العامل ولا مزارعة استقلالاً وهو كذلك إلا أن البذر من المالك ويصح تبعا للمساقاة كما إذا كان بين الشجر بياض واتحد العقد والعامل وعسر أفراد الشجر بالسقى وإن تفاوتت الجزآن المشروطان من الثمر والزرع (وغيرها) كالقراض والحوالة والصلح والشفعة والوقف والنكاح مما هو مبسوط فى محله فهذه كلها (كذلك لا بد من مراعاة شروطها وأركانها) وقد علمتها بطريق الإجمال وإلا فلكل منها تفاصيل وتفاريح محلها كتب الفقه فيتعين الاعتناء بها كل من أراد التلبس بشىء منها والدخول فيه والتنبه لها وإلا وقع فى الحرام وهو لا يشعر (و) لاسيما (عقد النكاح) فإنه (يحتاج إلى مزيد) اعتناء وتنبه و (احتياط وتثبت) فى شروطه وأركانه (حذرا مما يترتب على فقد ذلك) من المفاسد العظيمة فإن حفظ النسب واجب كما مَرّ أول الكتاب أنه من الكليات الخمس وأركانه وشروطه مبسوبة فى كتب الفقه بل وفى كتب مفردة له مستقلة وقد قال ﷺ اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله

(فصل) فى الربا وما يذكر معه من البيوع المنهى عنها وبيان أنواعه وحكمه (يحرم الربا) بالقصر والمد بجميع أنواعه بل هو من الكبائر كما فى الزواجر فيحرم (فعله وأكله وأخذه) وإطعامه (وكتابته وشهادته) والسعى فيه والإعانة عليه قال الله تعالى الذين يأكلون الربا الآية ثم قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة الآية فتأمل هذه الآيات وما اشتملت عليه من عقوبة أكله إذ معنى قوله تعالى لا يقومون إلخ أى من قبورهم إلا مثل قيام الذى يصصره الشيطان من أجل مسه له فإذا بعث الله الناس خرجوا من قبورهم مسرعين إلا أكلة الربا فإنهم كلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما أن المصروع يحصل له ذلك وسرّ ذلك أنهم لما أكلوا هذا الحرام السحت بوجه المكر والخديعة ومحاربة الله ورسوله ربا فى بطونهم وزاد حتى أثقلها فلذلك عجزوا عن النهوض مع الناس وصاروا كلما أرادوا الإسراع معهم ونهضوا سقطوا على ذلك الوجه القبيح وتخلفوا عنهم ومعلوم أن النار التى تحشرهم إلى الموقف كلما سقطوا وتخلفوا أكلتهم وزاد عذابهم فجمع الله عليهم فى الذهاب إلى الموقف

عذابين عظيمين من ذلك التخبط والسقوط فى ذهابهم ولفح النار وأكلها لهم وسوقها إياهم بعنف حتى يصيروا إلى الموقف فيكونون فيه على ذلك التخبط ليمتازوا ويشتهروا بين أهل الموقف وورد فى الحديث إن أكله يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة فى نهر أحمر مثل الدم وإنه يلقم الحجارة كلما لقم **(133/1)** حجرا سبح به ثم عاد فأغرا فاه فيلقم آخر وهكذا إلى البعث وتلك الحجارة هى نظير المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا فيلقم تلك الحجارة النارية ويعذب بها كما حاز ذلك المال الحرام وابتلعه وقوله تعالى ذلك بأنهم أى أذقناهم ذلك العذاب الشديد بسبب قولهم الفاسد الذى حكموا فيه قياس عقولهم القاصرة حتى قدموه على النص إنما البيع مثل الربا جاعلين الربا أصلا مقيسا عليه حلّ البيع مبالغة فى حله ومحبته والاعتناء بشأنه وغفلوا عن أنه تعالى حدّ لنا حدودا ونهانا عن مجاوزتها فوجب علينا امتثال ذلك ومعنى قوله تعالى يحقّ الله الربا أى مقابلة لفاعليه بنقيض قصدهم فإنهم أثروه تحصيلًا للزيادة غير ملتفتين إلى أن ذلك يغضبه تعالى عليهم فيمحق الزيادة بل والمال من أصله حتى يصير عاقبتهم إلى الفقر المدقع كما هو شأن من يتعاطاه ويفرض أنه مات على غنى يحقه الله من أيدي ورثته فلا يمر عليهم أدنى زمن إلا وقد صاروا بغاية الفقر والهوان والذلّ ومن المحق أيضا ما يترتب عليه من الذم والنقص وسقوط العدالة وزوال الأمانة وحصول اسم الفسق والقسوة والغلظة هذا محق الدنيا وأما محق الآخرة فقال ابن عباس ؓ لا تقبل له صلاة ولا جهاد ولا حج ولا صلة ويموت ويترك ماله لغيره وعليه عقوبته ومن ثم ورد مصيبتان لن يصاب أحد بمثلها أن تترك مالك كله وتعاقب عليه كله فتأمل عفا الله عنا وعنك ما ذكره تعالى فى هذه الآيات من وعيد أكل الربا يظهر لك إن كانت لك بصيرة قبح هذه المعصية ومزيد فحشها وما يترتب من العقوبة عليها سيما محاربته تعالى ومحاربة رسوله اللتين لم تترتبا على شىء من المعاصى إلا معاداة أوليائه تعالى المقاربة لفحش هذه الجناية وقبحها وإذا ظهر لك ذلك رجعت وتبت إليه تعالى عن هذه الفاحشة المهلكة فى الدنيا والآخرة وقد شرح ذلك فى أحاديث كثيرة صحيحة فقد لعن رسول الله أكل الربا وموكله وفى رواية وكاتبه وشاهديه والكبائر سبع أولاهنّ الإشراك بالله وقتل النفس بغير حقها وأكل الربا أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والربا سبعون بابا أدناها مثل الذى يقع على أمه والدرهم يصيبه الرجل من الربا أغظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها فى الإسلام وإذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأنه يأتى أكل الربا يوم القيامة مخبلا أى مجنونا يجرّ شفته ثم قرأ لا يقومون الآية وليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره **(و)** تحرم أيضا **(حيلته)** أى الربا أى الحيلة فيه عند الإمام مالك والإمام أحمد ؓ وقال الشافعى وأبو حنيفة بجوازها وعدهما فى الزواجر من الكبائر عند محرّمها وقال فيها قال بعضهم ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صفة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اصطياد الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حيضانا تقع فيها يوم السبت حتى يأخذونها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله تعالى لا تخفى عليه حيل المحتالين قال أيوب السخيتانى يخادعون الله كما يخادعون آدميا ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم قال الأستاذ فى الدعوة التامة وقد قال كثير بعدم جوازها وأنها لا تفيد إلا المقت والسخط ومنهم من جوزها بالنسبة للدنيا وهو أيضا شديد لمن **(134/1)** تأمله فإن أحكام الدنيا قد تناط بأمر قريب من حيث الظاهر وهو فى الباطن عظيم هائل موجب للمقت كحال المنافق مظهر الإيمان ومضمّر الكفر فتجرى عليه ظاهرا أحكام المؤمنين ويكون فى الآخرة فى أسوأ حال وأشدّ عذاب من مظهرى الكفر لمخادعته علام الغيوب فلا يأمن المحتال لحل ما ذكر أن يكون أسوأ حالا ممن يتعاطاه ظاهرا فلعنّ الله يتجاوز عنه أو يوفقه للتوبة لأنه يرى أنه مذنب وأما المحتال فلا يرى أنه مذنب حتى يتوب فهى من أعظم مكاييد الشيطان فمن يفعل ذلك فهو مغرور مخادع للقوى القاهر والكاتب له والشاهد بذلك شركاؤه إن علما وفى النصائح وإياكم وما يتعاطاه بعض الجهال الأغبياء المغرورين الحمقى من استحلالهم الربا فى زعمهم بحيل ومخادعات ومنازعات يتعاطونها بينهم ويتوهمون أنهم يسلمون بها من إثم الربا ويخلصون بها فى الدنيا من عاره وفى الآخرة من ناره وهيئات هيئات إن الحيلة فى الربا من الربا وأن النذر لا يصح إلا بما يتقرب به إلى الله وقرائن الأحوال من هؤلاء تدل على خلافه وقد قال ؓ لا نذر إلا فيما ابتغى به وجه الله وبتقدير أنه يصح عند بعض علماء الظاهر فهو بالنسبة للدنيا وأما بالنسبة للآخرة فلا ومن تأمل كلام علماء الدين أرباب البصائر وجدّهم مجمعين على ذلك وقد قال حجة الإسلام فيمن يحتال على إسقاط الزكاة بأن ينذر بماله لغيره آخر الحول أنه من الفقه الضارّ ومن قال بحوازه فيعنى قطع المطالبة به فى الدنيا أما إذا رجع إلى أحكم الحاكمين وجبار الجبارين فليس يغنى ذلك عنه شيئا قال الشيخ عبد الله بأسودان بعد أن نقل الجواز والتحريم وبالجملة فالمنقول الأول والمختار الثانى لا سيما فى هذا الزمان الذى قلّ الخير فى أهله وكثر فيهم التوغل فى الباطل واتباع الهوى وإدحاض الحق وحله فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم **(وهو)** أى الربا لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل فى معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير فى البدلين أو أحدهما ثم هو ثلاثة أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين المتفقى الجنس على الآخر وربا اليد وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما عن التفريق فى المجلس أو التأخير فيه

بشروط اتحادهما علة بأن يكون كل منهما مطعوماً أو كل منهما نقداً وإن اختلف الجنس وربا النساء وهو البيع للمطعومين أو للنقدين المتفقى الجنس أو المختلفيه لأجل ولو لحظة فعلم مما تقرر أنه يحرم -بيع أحد النقدين- أي الذهب والفضة ولو غير مضروبين كحلي وتبر -بالآخر نسيئة- أي مؤجلاً ولو بلحظة -أو بغير تقابض- في المجلس -أو بجنسه كذلك- أي نسيئة أو بغير تقابض في المجلس -أو متفاضلاً- أحدهما على الآخر كدرهم فضة بدرهمين فضة -و- كذا يحرم أن تباع -المطعومات بعضها ببعض كذلك- أي بيع أحد المطعومين بالآخر نسيئة أو بلا تقابض أو بجنسه كذلك أو متفاضلاً والمراد بالمطعوم الذي يكون أظهر مقاصده الطعم وإن لم يؤكل إلا نادراً كالبلوط سواء كان تقوياً أو تفكهاً أو تداوياً كالبر والشعير ولا ربا فيما يختص بأكله الجن والبهائم كحشيش ونوى والحاصل كما يفهم من كلام المصنف أنه متى استوى العوضان جنساً وعلة كبر بزر أو ذهب بذهب اشترط فيه ثلاثة شروط التساوي وعلمهما به يقينا عند العقد والتقابض والحلول ومتى اختلفا جنساً واتحدا علة كبر بشعير أو ذهب بفضة اشترط شرطان الحلول والتقابض ومتى اختلفا جنساً وعلة -135/1- كبر بذهب أو ثوب لم يشترط شيء من هذه الثلاثة فالمراد بالعلة هنا إما الطعم أو النقدية فلا ربا في الفلوس وإن راجت وزاد المتولى نوعاً رابعا وهو ربا القرض لكنه في الحقيقة يرجع إلى ربا الفضل لأنه الذي فيه شرط يجزئ نفعاً للمقرض فكأنه أقرضه هذا الشيء بمثله مع زيادة ذلك النفع الذي عاد إليه وكل من الأنواع الأربعة حرام بالإجماع بنص الآية المذكورة والأحاديث المارة وغيرها وكل ما جاء في الربا من الوعيد شامل للأنواع الأربعة ثم بعضها معقول المعنى وبعضها تعبدى وربا النسيئة هو الذي كان مشهوراً في الجاهلية وكذلك الآن هو المشهور بين الناس -ويحرم- أيضاً ولا يصح -بيع- أو رهن أو هبة أو كتابة أو إجارة -ما لم يقبضه- ولو من البائع أو من المشتري نعم محل منع بيع المبيع من البائع أو الثمن من المشتري إذا لم يكن بعين المقابل أو بمثله إن تلف أو كان في الذمة وإلا فهو إقالة بلفظ البيع فيجوز ومحل منع رهنه إذا رهن بالمقابل وكان له حق الحبس وإلا جاز على الأصح ويصح التصرف فيه بنحو إعتاق ووصية وإيلاد وتبدير وتزويج ووقف وقسمة وإباحة للفقراء وهو قبل القبض من ضمان البائع وإن أبراه مشتر فإن تلف بأفة أو أتلفه انفسخ البيع وإتلاف مشتريه بغير حق قبض له وإن جهل أنه البيع -و- يحرم ولا يصح أيضاً بيع نحو -اللحم بالحيوان- ولو من غير جنسه أو غير مأكول كحلم بقر بقر أو إبل أو حمار للنهي عنه وأدخلت لفظة نحو الآلية والطحال والقلب والكبد والرئة والشحم والسنام والجلد المأكول قبل دبه إن كان مما يؤكل قال الزيادي أما بيع نحو بيض الدجاج أو اللبن بالحيوان فجائز على الأصح وهو محمول على حيوان لا بيض فيه ولا لبن وإلا فلا يصح لأنه حينئذ من قاعدة مدّ عجوة إذا كانت من جنسه أم -و- يحرم ولا يصح أيضاً بيع -الدين بالدين- كأن يستبدل عن دينه ديناً آخر أو يكون لهما دينان على ثالث فيبيع أحدهما الآخر دينه بدينه سواء اتحد الجنس أم لا للنهي عن بيع الكالئ بالكالئ وفسر بيع الدين بالدين ولا يجوز استبدال المؤجل عن الحال - ويجوز عكسه وكان صاحب المؤجل عجله أما بيعه لغير من هو عليه بغير دين كان باع لعمرو مائة له على زيد بمائة فصحيح بشرط القبض في المجلس إن اتفقا في علة الربا كدراهم عن دنانير وعكسه فإن لم يتفقا اشترط تعيين له في المجلس فقط -و- يحرم ولا يصح أيضاً -بيع الفضولي- يعني تصرفه فيما لا يملك وليس وكيلاً ولا ولياً وإن أجازته المالك لما مرّ أنه يشترط ولاية العاقد على المعقود عليه نعم إن بان أنه له كان باع مال مورثه ظاناً حياته فبان ميتاً صح -و- بيع -ما لم يرباه- أي المتبايعان أو أحدهما وإن وصف بصفات السلم للفرر وليس الخبر كالعيان وتكفي معاينة عوض كبعثك بهذه الصبرة وهي مجهولة ورؤية قبل العقد كما مرّ -وبيع غير المكلف و- البيع -عليه- لما مرّ أنه يشترط في المتعاقدين إطلاق التصرف فلا يصح من صبي ومجنون ومحجور عليه بسفه ولا عليهم -و- بيع -ما لا منفعة فيه- تقابل بمال كالحشرات وهي صغار دواب الأرض كحبة وعقرب وفأرة وخنفساء وإن ذكر لها منافع في الخواص بخلاف ما ينفع منها كضب لأكله وعلق لامتصاصه الدم وكالسباع التي لا تنفع كأسد وذئب ونمر واقتناء الملوك لها للهيبة ليس من المنافع المعتبرة بخلاف ما ينفع منها كضبع لأكل وفهد لصيد وفيل لقتال لما مرّ من اشتراط المنفعة في المبيع شرعاً ولا يصح بيع -136/1- ما لا قدرة للمشتري على تسلمه -أو لا قدرة- للبائع -على تسليمه- لما مرّ أنه يشترط كون المبيع في غير البيع الضماني مقدوراً على تسلمه فلا يصح بيع نجو ضالّ كآبق ومغصوب وناذ لمن لا يقدر على رده بخلافه للقادر بلا كبير مؤنة أو كلفة ولا بيع جزء معين تنقص بفصله قيمته أو قيمة الباقي للعجز عن تسلمه شرعاً وكذا لا يصح مع فقد شرط من الشروط السابقة كان وقته أو علقه -أو- باع -بلا صيغة- في غير المحقرات على ما مرّ أو بها مع فقد شرط من شروطها كان تخلل كلام أجنبي أو سكوت طويل بين الإيجاب والقبول -و- يحرم ولا يصح أيضاً -بيع- ولا شراء -ما لا يدخل تحت الملك كالحز والأرض الموات- قبل أن تعمر إذ الموات يبلدنا لا يملكه المسلم إلا بالإحياء في كل شيء بحسبه فإذا أحياه ملكه ولو بلا إذن من الإمام وكذا ببلد كفار لم يمنعونا عنه وسيأتى إن شاء الله عن الزواجر أن جعل الحز رقيقاً من الكبائر -وبيع المجهول- كأحد التوبين أو بأحدهما أو بملء ذا البيت براً أو بزنة ذى الحصة ذهباً وهما مجهولان أو بألف دراهم ودنانير نعم لو عين البر كملء ذا البيت من هذا البرّ صح لما مرّ من اشتراط علم المتعاقدين به عينا وقدراً وصفة حذراً من الغرر -و- يحرم ولا يصح أيضاً بيع -النفس- كذا المتنجنس الذي لا يمكن تطهيره بالماء -كالكلب- ودهن متنجنس -و- كذا بيع -كل مسكر- كخمر -و- كل -محزّم- من آلات الملاحى والصور

ولو من ذهب - (كالطنبور) - بضم أوله والمزمار والكوبة وإن تمول رضاضه لأن بذل المال في مقابلته سفه إذ هو غير منتفع به شرعا ولا نظر للنفع المتوقع برضاضه وإنما صح بيع إناء النقد لأنه يحل استعماله لحاجة بخلاف الآلات ويصح بيع النرد إن صلح بيادق للشطرنج وجارية للغناء وكبش للنطح وإن زيد في ثمنها لذلك لأن المقصود أصالة الحيوان - (ويحرم) - بل هو من الكبائر - (بيع الشيء الحلال الطاهر على من يعلم) - أي البائع - (أنه يريد أن يعصى) - الله تعالى - (به) - كبيع العنب أو الزبيب أو نحوهما ممن يعلم أنه يعصره خمرا والأمرد ممن يعلم أنه يفجر به والأمة ممن يحملها على البغاء والخشب ونحوه ممن يتخذة آلة لهو والسلاح للحربيين ليستعينوا به على قتالنا والخمر ممن يعلم أنه يشربها ونحو الحشيشة ممن يعلم أنه سيعملها وعد - هذه السبع في الزواجر من الكبائر قال لأن للوسائل حكم المقاصد والمقاصد في هذه كلها كبائر فلتكن وسائلها كذلك والظن في ذلك كالعلم لكن بالنسبة للتحريم وأما للكبيرة فيتردد النظر فيه وكذا يتردد فيما لو باع السلاح لبغاة ليستعينوا به على قتالنا وفي بيع الديك لمن يهارش به والثور لمن يناطح به وبعضها أقرب إلى الكبيرة من بعض فإن شككت أو توهمت أنه يفعل به المعصية كره ذلك - (ولا يصح بيع المكروه) - وشراؤه بغير حق لعدم الرضا لقوله تعالى إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم وقوله - (إنما البيع عن تراض) - أما بحق كأن توجه عليه بيع ماله لوفاء دين أو شراء مال أسلم فيه فأكرهه حاكم عليه فإنه يصح - (ويحرم بيع المعيب بلا إظهار لعبه) - وقد يفسد به البيع قال في النصائح واحذر كل الحذر من الغش والخداع وكتمان عيوب المبيع فإن ذلك محر - م شديد التحريم وقد يفسد به البيع من أصله وقد مر - (برجل يبيع طعاما فأدخل يده فيه فمست بلا فقال يا صاحب الطعام ما هذا فقال أصابته السماء يعني المطر فقال - هلا جعلته ظاهرا حتى يراه الناس من غشنا فليس منا وفي رواية أنه رأى فيه طعاما ردينا **(137/1)**) فقال هلا بعث هذا على حدته وهذا على حدته من غش المسلمين فليس منهم ويجب على من علم أن به عيبا بيانه لمن يريد شراؤه وهو لا يعلم إن لم يخبره البائع وفي الدعوة التامة ينبغي للتاجر إذا عامله من لا يحسن المعاملة لغباوة ونحوها أن يعامله بتقدير أنه من أعرف الناس بالمعاملة وإلا وقع في بأس وحرص قال - لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وكان بعض السلف يبيع حللا بعضها بألف وبعضها بخمسائة فاتفق أنه قام وأجلس محله ابن أخيه فجاءه أعرابي يطلب حلة فأعطاه واحدة بألف مما قيمته خمسمائة فأخذها ومضى فوجده وسأله بكم أخذتها فقال بألف فقال له قيمتها خمسمائة فإما أن تردّها أو تأخذ مما قيمته بألف فقال إني قد رضيت فقال له أنا لا أرضى فرجع معه وأعطاه خمسمائة وفي الزواجر أن أبا هريرة - (نظر لبائع لبن فإذا هو يخلطه بماء فقال له كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء منه وروى أن رجلا كان يبيع الخمرة في سفينة له ومعه قرد في السفينة وكان يخلطها بالماء فأخذ القرد الكيس أي الذي يضع فيه الدنانير وصعد به الذروة وفتح الكيس فجعل يأخذ دينارا فيلقيه في السفينة ودينارا في البحر حتى جعله نصفين أي فعل ذلك عقابا لصاحبه لما خلط وغش وأدرك بعض من اشترى ناقة من داره فقال له اشتريت قال نعم قال بين لك ما فيها قال وما فيها إنها السفينة ظاهرة الصحة قال أردت بها سفرا أو أردت بها لحما قال أردت بها الحج قال ارتجعها فقال صاحبها ما أردت إلى هذا أصلحك الله تفسد على قال إني سمعت رسول الله - يقول لا يحل لأحد يبيع شيئا إلا بين ما فيه ولا يحل لمن علم ذلك إلا بينه وفي رواية من باع عيبا لم يبينه لم يزل في مقت الله أو لم تزل الملائكة تلعه وروى المؤمنون بعضهم لبعض نصحة وأدون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم والفجرة بعضهم لبعض غششة متخالون وإن قربت منازلهم وأبدانهم وضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها أشياء لو اطلع عليها من يريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل فيجب عليه أن يعلمه به ليدخل في أخذه على بصيرة ويجب على أجنبي علم أن بالسلعة عيبا أن يخبر به مريد أخذها وإن لم يسأله عنه كما يجب عليه إذا رأى إنسانا يخطب امرأة ويعلم بها أو به عيبا أو رأى إنسانا يريد أن يخالط آخر لمعاملة أو صداقة أو قراءة نحو علم وعلم أن بأحدهما عيبا أن يخبر به وإن لم يستتر فيه كل ذلك أداء للنصيحة المتأكد وجوبها لخاصة المسلمين وعامتهم وهذا حاصل جواب سؤال ذكره في الزواجر والفتاوى اتفق الشافعية على أنه متى جهل وزن الظرف وبيع مع مضره كل رطل من الجملة بكذا فالبيع باطل للغرر وكذا لو جهل وزن المظروف وحده أو لم تكن للظرف قيمة لاشتراط العقد على بذل مال في مقابلة ما ليس بمال فمن فعل ذلك فقد خان الله ورسوله وخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم الآية إلا إن صدرت عن تراض والتراضي لا يحصل إلا إذا لم يكن هناك غش وتدليس وإلا فذلك شديد التحريم موجب للمقت من الله ورسوله فعلى من أراد رضا الله ورسوله وسلامة دينه ودنياه أن يتحرز عن ذلك ويبين وزن الظرف على التحرير والصدق فحينئذ يجوز له بيعه مع مضره بثمان واحد ولا حرج عليه في ذلك وإنما النار الموقدة والقبiche المهلكة في الدنيا والآخرة بسبب ذلك التدليس وأما ما يذكر عن بعض العطارين أنه يقرب الزعفران إلى الماء ليكسبه مائية فيثقل وأنه يضع أشياء كالزباد ويبيعه على أنه زياد وعن بعض **(138/1)** البزازين أنه يرفى الثياب رفيا خفيفا أو يقصرها بعد ذهاب قوتها ويبيعه وبعض الصاغة من أنه يضع مع النقد نحاسا ويبيعه ونحو ذلك مما لا يحكى نظيره عن الكفار فضلا عن المؤمنين بل المحكى عن الكفار لعنهم الله أنهم يتحرزون في بيعاتهم فذلك كله شديد التحريم يوجب فسق صاحبه وغشه وخيائته وأكله أموال الناس بالباطل ومخادعته الله ورسوله وما يخادع إلا نفسه إذ عقاب كل ذلك عليه وكثرة ذلك تدل على فساد الزمان والأموال والمعاملات وقرب

الساعة ونزع البركات من المتاجر والزراعات بل ومن الأراضي والزروعات وتأمل قوله ﷺ ليس القحط أن لا تمطروا وإنما القحط أن تمطروا ولا يبارك لكم فيه أي بواسطة تلك القبائح التي أنتم عليها في تجاراتكم ولذلك سلب الله عليهم الظلمة فأخذوا أموالهم وهتكوا حريمهم بل والكفار فأسروهم واستبعدوهم فاذا قوهم العذاب والهوان إذ لم يتسلطوا عليهم إلا في هذه الأزمنة المتأخرة لما أحدثوا ذلك ولم يراقبوه تعالى المطلع عليهم مع أنه عليهم بالمرصاد يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولو تأمل فاعل ذلك في القرآن والسنة لربما انزجر عن كله أو بعضه وليتأمل قوله ﷺ من غشنا فليس منا فإن الغالب أنه ﷺ لا يقول ليس منا إلا في شيء قبيح جدا يؤدي بصاحبه إلى أمر خطير ويخشى منه الكفر وليتأمل الغاش أيضا قوله ﷺ لا يحل لأحد بيع شيئا إلا بين ما فيه وقوله من باع عيبا لم يبيعه لم يزل في مقت الله أو لم تزل الملائكة تلغنه والأحاديث في الغش والتحذير منه كثيرة فمن تأملها ووفقه الله لفهمها والعمل بها انكف عن الغش وعلم عظيم قبحه وأن أكثر ما في السؤال من جملة الغش المحرم وأن من علم أن بسلعته عيبا وجب عليه وجوبا متأكدا بيانه للمشتري وكذا على من علم به كجار وصاحب وكثير لا يهتدون لذلك يمر الشخص منهم فيرى رجلا غر - يريد شراء شيء فيه عيب لا يعلمه فيسكت عن نصحه حتى يغشه البائع ويأخذ ماله بالباطل وما درى أنه شريكه في الإثم والحرمة والكبيرة والفسق المترتب عليه ذلك الوعيد الشديد وسيأتي في بيان المكر والخديعة من يردع الغاشين لأن الغش من حيز المكر والخديعة قال تعالى ولا يحق المكر السوء إلا بأهله هذا والمرجو ممن سمع ما ورد في ذلك وفي قلبه إيمان وخشية من الله تعالى وعقابه وسطوته أن يتقى الله ويرجع عن سائر صور الغش المذكورة وغيرها ويعلم أن الدنيا فانية وأن الحساب واقع على النقيير والفتيل والقطمير وأن العمل الصالح ينفع الذرية وقد جاء في قوله تعالى وكان أبوهما صالحا إنه كان الجد السابح لأم فنفع الله به ذينك اليتيمين وأن العمل السوء يؤثر في الذرية قال تعالى وليخش الذين تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً فمن تأمل هذه الآية خشى على ذريته من أعماله السيئة وانكف عنها حتى لا يحصل لهم نظيرها والله الموفق للصواب وبه الحول والقوة وإليه المرجع والمآب - (ولا تصح قسمة تركة ميت) - بالتشديد والتخفيف وهي ما يخلفه من حق كخيار وحد قذف أو اختصاص أو مال كخمر تخلل بعد موته ودية أخذت من قاتله لدخولها في ملكه وكذا ما وقع بشبكة نصبها في حياته على ما قاله الزركشي ونظر فيه في التحفة بانتقالها بعد الموت للورثة فالواقع بها من زوائد التركة وهي ملكهم قال فيها إلا أن يجاب بأن سبب الملك نصبه الشبكة لا هي وإذا استند الملك لفعله يكون (139/1) تركة وعبر في النهاية بقوله وما نظر فيه إلخ رد بأن سبب إلى آخره أي فما يقع في تلك الشبكة يتسلط عليه الغرماء - (و) - لا يصح - (بيع شيء منها ما لم تؤد ديونه) - المتعلقة بالعين كالزكاة الواجبة في العين وإن كانت من غير الجنس ثم مؤن تجهيزه من نحو كفن وحنوط وماء - (و) - أجره غسل ثم الديون المرسلة ثم تنفذ - (وصاياه) - وما ألحق بها - (و) - ما لم - (تخرج) - منها - (أجرة حجه) - الواجب - (وعمرته) - كذلك - (إن كانا عليه) - كان مات وقد استقرا في ذمته فلا يصح تصرف الورثة في شيء منها حتى يخرج ذلك قبل وحتى يفرغ الحاج عنه من جميع أعمال الحج وفيه كلام في التحفة وغيرها فليراجع - (إلا أن يبيع شيئا) - منها لضرورة كأن خيف تلفه إن لم يبادر ببيعه أو - (لقضاء) - شيء من - (هذه الأشياء) - المذكورة واعلم أن الدين لا يمنع الإرث على الأصح - (ف) - تنقل - (التركة) - إلى ملك الوارث لكنها تكون - (كمرهون بذلك) - رهنا جعليا - (وكرقيق جنى) - جناية توجب تعلق مال برقبته - (ولو) - كانت تلك الجناية - (بأخذ دنانق) - بفتح النون وكسرهما ويقال فيه دنانق وهو سدس درهم من مال إنسان أتلفه من غير تسليط له عليه من مالكة فإن صاحب المال يتعلق بأقل الأمرين من قيمته وماله - (ولا يصح) - لسيده - (بيعه) - أي الرقيق الجاني المذكور - (حتى يؤدي ما) - تعلق - (برقبته أو يأذن الغريم) - وهو ذو المال له - (في بيعه) - فيصح حينئذ أما لو تعلق برقبته قصاص كان قتل عمدا ولم يعف عنه على مال أو بذمته كأن اقترض مالا أو اشتري شيئا في ذمته بغير إذن سيده وأتلفه فيجوز التصرف في رقبته ببيع وغيره لأن البيع إنما يرد على الرقبة ولا تعلق لرب الدين بها ويبقى المتعلق بذمته إلى أن يعف ويمكن مستحق القصاص متى شاء قبل البيع أو بعده فيرجع المشتري على البائع بما دفعه إن جهل ذلك واستمر جهله إلى أن قتل فإن علم به قبل البيع أو بعده ولم يفسخ حالا فلا رجوع ويلزمه تجهيزه أفاده سم على التحفة فعلم أن المنافع الحادثة من التركة بعد الموت وقبل وفاء الدين ككسب الرقيق وولده ملك للوارث لا يتعلق بها حق الغرماء بخلاف الحادثة قبل الموت وإن لم تبرز كحمل أو ثمر لم يؤبر فإنها تركة وفهم من قوله كمرهون أنها ليست مرهونة حقيقة أي رهنا جعليا إذ لا عقد ولا عاقد وإلا فهي مرهونة شرعا فلا يجوز تصرف الوارث فيها قطعا بلا إذن من الغريم كالمرهون كما مر ومع ذلك لو أنى الوارث قدرها انفكت ولو بقي من الدين شيء بخلاف نظيره في الرهن الجعلى ولو وفى بعض الورثة حصته من الدين انفك نصيبه فإن رهنها فمات فعلى وارثه تأدية جميع الدين أو تسليمها للبيع وليس لأحدهم فداء حصته منها بدفع ما يخصه فالجعلى أشد تعلقا من الشرعى ولو زاد الدين على التركة وطلبها الوارث بالقيمة والغريم يبيعها رجاء زيادتها أجيب الوارث أي في الشرعى - (ويحرم) - على كل مسلم مكلف - (أن يفتر رغبة المشتري) - من غيره كأن يخرج له أرخص مما يريد شراءه - (أو) - يبيع بحضرته مثل المبيع بأرخص أو يعرض عليه ليشتريه وكذا يحرم عليه أن يفتر رغبة - (البائع) - أيضا كأن يرغبه في استرداده ليشتريه منه بأغلى أو يطلبه من المشتري بزيادة ربح بحضرة البائع ولكن كل منهما لا يحرم إلا إذا كان - (بعد

استقرار الثمن}- بأن يكونا قد صرحا بالرضا به وإن فحش نقص الثمن عن القيمة ومن الأول أن يأمر المشتري بفسخ البيع -{لينيع عليه}- مثله بأرخص -{أو}- خبرا منه بمثل ثمنه أو أقل ومن الثاني أن يأمر البائع -{140/1}- بالفسخ -{ليشتره منه}- بأكثر من ثمنه لخبر الصحيحين لا يبيع بعضكم على بيع بعض وفي معناه الشراء على الشراء قال سم على شرح لهجة ومثل البيع في جميع ما تقرر الإجارة والعارية أخذا من قول ابن عبد السلام لا يختص ذلك بالبيع والشراء بل من أنعم بإسكان حانوته على شخص لم يجز لغيره طلبه من مالكة والمعنى فيه الإيذاء -{و}- تحريم ذلك إن وقع -{بعد العقد}- وقبل لزومه -{في مدة الخيار}- للمجلس أو الشرط -{أشد}- منه قبله وبعد التراضي لأن الإيذاء هنا أكثر ولو أذن من لحقه الضرر من غير خوف ولا حياء ولم يكن نحو ولي محجور أو وكيل فلا تحريم

-{تنبيه}- عد ذلك في الزواجر من الكبائر قال لأن فيه إضرارا عظيما بالغير ولا شك أن إضرار الغير الذي لا يحتمل عادة يكون كبيرة وأيضا فهو من المكر والخدع وسيأتي أن ذلك كبيرة وما في الروضة من أنه صغيرة فيه نظر كما قاله الأذرعى إذ لا يتأتى إلا على تعريف الكبيرة بما فيه حد لا على أنها ما فيه وعيد شديد فإن الأوفق به كونه كبيرة والأوجه الموافق لإطلاقهم والحديث أنه لا يجوز ذلك وإن رأى المشتري في الأولى أو البائع في الثانية مغبونا خلافا لابن كج كما قاله في الزواجر أيضا -{و}- يحرم الاحتكار بل في الزواجر أنه من الكبائر وما في الروضة من أنه صغيرة فيه نظر قال لا يحتكر إلا خاطئ قال أهل اللغة الخاطئ بالهمز العاصي الآثم وقال لا من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقال الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وقال لا من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس ثم معنى الاحتكار المحرم عندنا هو -{أن يشتري}- الإنسان -{الطعام}- يعنى القوت حتى نحو التمر والزبيب من كل مجزئ في الفطرة وكذا قوت البهائم قال في الزواجر وألحق الغزالي بالقوت كل ما يعين عليه كاللحم والفواكه -{وقت الغلاء والحاجة}- إليه قال في الفتح ويظهر ضبط ذلك بالعرف -{ليحبسه ويبيعه بأغلى}- من ذلك عند اشتداد حاجة أهل محله أو غيرهم إليه وإن لم يشتره بقصد ذلك أما احتكار طعام غير قوت أو قوت لم يشتره كغلة ضيعته أو اشتراه وقت الرخص أو الغلاء لنفسه وعياله أو لبيعه لا بأكثر أو به وهو جاهل بالنهى فلا يحرم لكن لا يخلو عن كراهة شديدة كما في النصائح نعم إن اشتدت ضرورة الناس إليه لزمه البيع فإن أبى أجبره القاضي عليه وعند عدم الاشتداد الأولى له أن يبيع ما فوق كفاية سنة لنفسه وعياله وله إذا خاف جائحة في زرع السنة الثانية إمساك كفايتها ولا كراهة ولا احتكار في غير القوت ونحوه نعم صرح القاضي بأنه يكره إمساك الثياب أى احتكارا قاله في الزواجر وفي الإيعاب قال الزركشى والتخصيص بالاقوات فيه نظر وينبغى جريانه في الثياب المحتاج إليها لستر عورة ودفع حر وبرد وصرح القاضي في الثياب بالكراهة وينبغى تنزيله على التحريم وبحث الجزم بأن احتكار الملح كالقوت أم وقال السبكي عنه أنه في وقت الضرورة يحرم احتكار ما في الناس ضرورة إليه وهو غنية عنه قال في النصائح وقد كان السلف الصالح يكرهون البيع والشراء في الأظعمة لما في ذلك من التعرض لكراهة السعة والرخاء وحب القحط والغلاء وقد قال لا من احتكر طعاما أربعين يوما ثم تصدق به لم يكن له كفارة وفي الحديث إن الحاكرين وقتلة النفوس يحشرون يوم القيامة معا -{و}- يحرم -{141/1}- النجش بل في الزواجر أنه كبيرة لما فيه من الإضرار العظيم بالغير ولا شك أن إضراره الذي لا يحتمل عادة كبيرة كما مرت الإشارة لذلك وأيضا فهو من المكر والخداع وسيأتي أنهما من الكبائر وهو -{أن يزيد في ثمن سلعة}- بكسر السين المهملة لا لرغبة فيها بل -{ليغتر غيره}- ويخدعه قال في الفتح ولو كانت الزيادة في مال محجور عليه ولو عند نقص القيمة على الأوجه ومدح السلعة يرغب غيره فيها بكذب كالنجش أم -{و}- يحرم على نحو البائع -{أن يفرق بين الجارية}- يعنى الأمة وإن رضيت لأن للولد حقا أيضا قال في الفتح أو أبت أن كانت مجنونة فيما يظهر فيهما -{و}- بين -{ولدها قبل}- حصول -{التمييز}- له ومنه مجنون قبل إفاقته ولو بإقالة ورد بعيب لا بنحو وصية وعتق ووقف وعذه في الزواجر من الكبائر لقوله لا من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وقوله لا لعن رسول الله من فرق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخيه وفي رواية ملعون من فرق لكن فيهما انقطاع وبفرض أنه لم يصح إلا الأول ففيه وعيد شديد إذ التفريق بين الإنسان وأحبته ذلك اليوم أمر يشق على النفس جدا ولا يقال من وجه الوعيد فيه وقد قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآيات فإن ظاهرها أن هذا واقع لكل أحد فكيف يفهم منه الوعيد لأننا نقول سياق الحديث نص في أنه وعيد فهو على حد قوله لا من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة جزاء وفاقا فما في الآية يكون في الموقف وما في الحديث يكون في الجنة وكما أخذ من حديث الحرير أنه كبيرة كما مر كذلك أخذنا من خبر التفريق أنه كبيرة بجامع أن في كل منهما الجزاء على العمل بنظيره ويبطل ذلك التصرف أيضا والأب والجد والجدة للأب أو الأم وإن بعدا كالأم عند فقدها ويجوز بيع الولد مع الأب أو الجدة وكذا إن ميز بأن صار يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجد وحده ولا يتقيد بسن فقد يحصل في نحو الخمس وقد يتأخر عن السبع ويكره التفريق ولو بعد البلوغ وكذا إذا كان أحدهما حرا ويحرم بالسفر أيضا بين الأمة وولدها الغير المميز وبين الزوجة وولدها بخلاف المطلقة وله نحو بيع ولد البهيمة إذا استغنى عن اللبن أو لم يستغن لكن اشتراه للذبح فإن لم يستغن ولا قصد الذبح حرم وبطل نحو البيع قاله في الزواجر وفي سم على الغرر أن الأوجه بطلان

بيعه للذبح ونظر في قول الصحة ولو علم أنه يذبحه والله أعلم (و)- يحرم عليه (أن يغش أو يخون في الكيل والوزن والذرع والعدّ أو يكذب)- في شيء منها وقد عدّ في الزواجر بخس نحو الكيل والوزن أو الذرع من الكبائر قال تعالى ويل أي شدة عذاب أو واد في جهنم من شر أوديتها للمطففين أي الذين يزيّدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل أو الوزن فلذا فسرهم بأنهم الذين إذا اكتالوا على الناس أي منهم لأنفسهم يستوفون حقوقهم منهم ولم يذكر الوزن هنا اكتفاء عنه بالكيل إذ كل منهما يستعمل مكان الآخر غالبا وإذا كالوهم أو وزنوهم أي اكتالوا أو وزنوا لهم من أموال أنفسهم يخسرون أي ينقصون ألا يظن أولئك الذين يفعلون ذلك أنهم مبعوثون ليوم عظيم أي هوله وعذابه يوم يقوم الناس لرب العالمين أي من قبورهم حفاة عراة غرلا ثم يحشرون على صفات مختلفة بحسب أعمالهم إلى أن يقفوا بين يدي ربهم ليحاسبهم على ما سلف منها إن خيرا فخير وإن شرا فشر قال (142/1)- السدي سبب نزولها أنه ﷺ لما دخل لمدينة وجد بها رجلا له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وعن ابن عباس لما قدم ﷺ المدينة كانوا من أخبث كيلا فأنزل الله ﷻ ويل للمطففين فأحسنوا المكيال بعد ذلك وورد في حديث ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين أي جمع سنة وهي العام المقحط الذي لا تثبت الأرض فيه شيئا وقع المطر أو لا وشدة المؤنة وجور السلطان وفي رواية إلا نقص الله عنهم الرزق

(تنبيه)- عدّ ما ذكر من الكبائر هو صرحوا به وهو ظاهر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ولهذا اشتد الوعيد عليه كما علمته من هذه الأحاديث وأيضا فإنما سمي مطففا لأنه لا يكاد يأخذ إلا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة مع ما فيه من إنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلية ومن ثم عوقب بالويل الذي لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حرّه نعوذ بالله منه وقد شدّد الله عقوبة قوم شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام على بخسهم المكيال والميزان وعن مالك بن دينار ﷺ دخلت على جاري وقد نزل به الموت فجعل يقول جبليين من نار جبليين من نار فقلت له ما تقول فقال كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر فقامت وضربت أحدهما بالآخر فقال كلما ضربت ازداد الأمر عظما وشدة فمات في مرضه وقال بعض السلف أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ولقن مريض نزل به الموت الشهادة فلم ينطق بها فلما أفاق سئل عن ذلك فقال إن لسان الميزان على لساني يمعنى من النطق بها فقيّل له أكنت تزن ناقصا فقال لا والله ولكني كنت أقف مدة لا أعتبر صنجة ميزاني فإذا كان هذا حال من لا يعتبر الصنجة فكيف حال من يزن ناقصا وكان ابن عمر ﷺ يمر بالبائع ويقول له اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف أذانهم وكالكيايين والوزانيين فما مرّ التاجر إذا شدّ يده في الذرع وقت البيع وأرخاها وقت الشراء وهذا من تطفيف فسقة البزازين والتجار وما أحسن قوله الويل ثم الويل لمن يبيع بحبة ينقصها جنة عرضها السموات والأرض ويشتري بحبة يزيدها واديا في جهنم يذيب جبال الدنيا وما فيها قال في النصائح فليتق التاجر ربه في كل شيء لا سيما الكيل والوزن فإن الخطر فيهما عظيم فلا بد له من العدل وهو أن يأخذ ويعطى على حد سواء وإن أرجح قليلا إذا أعطى ونقص قليلا إذا أخذ كان أفضل وأحوط وقد كان بعض السلف الصالح يفعلوه ويقول لا أشتري الويل من الله بحبة أم بمعناه (و)- يحرم إجماعا على كل مكلف (أن يبيع)- شخصا (عطبا)- بضمّتين أي قطنا كما في القاموس (أو غيره من)- سائر (البضايع)- أو يؤجره ملكه (ويقرض)- ذلك البائع أو المؤجر (المشتري)- أو المستأجر منه ذلك القطن أو الملك (معه)- أي البيع أو الاستئجار (فوقه)- أي ذلك المبيع أو الملك (دراهم)- أو دنائير أو غيرهما لكن لا مطلقا بل إذا شرط أن يجر له نفعا بسبب ذلك كأن (يزيد في ثمن تلك البضاعة)- أو في أجرة ذلك الملك (لأجل)- ذلك (القرض)- الذي أقرضه إياه فإن لم يشترط ذلك كره عندنا وحرم عند كثير من العلماء قاله السبكي كما في التحفة ولا يجوز أيضا قرض نقد أو غيره إن اقترن بشرط ردّ صحيح عن مكسر أو ردّ زيادة على القدر المقرض أو ردّ جيد عن ردى أو غير ذلك من كل شرط جرّ نفعا للمقرض كرده ببلد آخر أو رهنه بدين آخر فإن فعل فسد العقد لأن كل قرض جرّ (143/1)- نفعا فهو ربا كما مرّ قال في الزواجر ومن الكبائر القرض الذي يجرّ نفعا للمقرض لأنه في الحقيقة ربا كما مرّ في بابه فجميع ما مرّ في الربا من الوعيد الشديد يشمل فاعل ذلك فاعلمه أم بمعناه وقال ابن عمر ﷺ لرجل سأله إني أسلفت رجلا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته ذلك الربا السلف على ثلاثة أوجه ما تريد به وجه الله وما تريد به وجه صاحبك وما تريد به أخذ خبيث بطيب فذلك الربا فقال له الرجل فكيف تأمرني فقال بشق الصحيفة فإن أعطاك أفضل منه طيبة به نفسه فذلك شكر شكره لك ولك أجر ما أنظرته أي لأن القرض شرع للرفق بالمحتاج فلا يليق به أن يشاب بطلب جرّ نفع بل اللائق أن يتعلق به كل نفع أخروى ليحصل به الثواب كاملا في الآخرة وقد نقل الإمام الشعراى عن شقيق البلخى أن الإمام أبا حنيفة ﷺ كان لا يجلس في ظل جدار غريمه ويقول إن عنده لي قرضا وكل قرض جرّ نفعا فهو ربا وجلوسى في ظل داره انتفاع به فهو من دقيق ورعه ﷺ وأرضاه

(تنبيه)- القرض مندوب إليه فهو من السنن الأكيدة للآيات الكثيرة والأخبار الشهيرة كخبر مسلم من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه وصح من أقرض الله مرتين كان له مثل أجر أحد لو تصدّق به وفي خبر في سنده من ضعفه الأكثر أن ﷺ رأى ليلة الإسراء مكتوبا على باب الجنة إن درهم الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وأن جبريل علل ذلك بأن القرض إنما يقع في يد

محتاج بخلاف الصدقة وروى البيهقي قرض الشيء خير من صدقته قال في التحفة وجزم بعضهم أخذاً من الخبرين الأخيرين بأنه أفضل من الصدقة مطلقاً غير صحيح لأن الأول المصرح بأفضليتها صحيح دونهما فوجب تقديمه عند التعارض على أنه يمكن حملهما على أنه أفضل من حيث الابتداء لما فيه من صون ماء وجهه من لا يعتاد السؤال عنه وحمل الأول على أنها أفضل من حيث الانتهاء لما فيها من عدم ردّ المقابل قال الشيخ عبد الرؤوف في حاشية الفتح وهذا الحمل مبنى على أن المتصدق عليه تعرض للسؤال أما إذا لم يتعرض له بل أعطى بغير سؤال فهي أفضل ابتداء وانتهاء وفي الإمداد وجه ذكر الثمانية عشر أن درهم القرض فيه تنفيس كربة وانتصار لقضاء حاجته ففيه عبادتان فكان الدرهم بمنزلة درهمين وهما بعشرين حسنة فالتضعيف ثمانية عشر وهو الباقي فقط إذ المقبوض يستردّ ولذا لو أبرأه منه كان له عشرون ثواب الأصل والمضاعفة اهـ بمعناه قال في التحفة ومحل ندبه إن لم يكن المقرض مضطراً وإلا وجب وإن لم يعلم بحاله وعلى من أخفى غناه وأظهر فاقته عند القرض قال سم ينبغي ما لم يعلم المقرض حاله اهـ ولو علم أن المقرض إنما يقرضه لنحو صلاحه وهو باطناً بخلافه حرم الاقتراض أيضاً ويندب لمن اقترض لنفسه إذا ردّ القرض من ماله أن يرد أحسن مما اقترضه قدراً وصفة ولا يكره للمقرض قبوله ولو في ربوئى ومثله كل مدين لخبر خياركم أحسنكم قضاء ولو عرف المستقرض برد الزيادة كره إقراضه على الأوجه إن قصد ذلك ويمك الزائد تبعاً فهو هبة يمتنع الرجوع فيه كما أفتى به ابن عجيل

(144/1) - (فائدة) - قال في الإحياء كان بعض السلف لا يحب أن يقضى ماله عند غريمه لخبر من أقرض ديناً إلى أجل فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة اهـ بمعناه واختلف فيما لو نذر مقرض مالا معيناً لمقرضه ما دام دينه في ذمته فليل لا يصح لأنه حينئذ غير قربة بل يتوصل به إلى ربا النسيئة وقيل يصح لأنه في مقابلة حدوث نعمة ربح القرض إن اتجر به أو فيه اندفاع نقمة المطالبة إن احتاج لبقائه لإعساره أو لارتفاقه والندب ردّ الزيادة على ما اقترضه فإذا التزمها بنذر انعقد ولزمته فهو حينئذ مكافأة إحسان لا وصلة للربا ذكره في التحفة (و) - يحرم على المكلف أيضاً (أن يقرض الحائك أو غيره من) - نحو (الأجراء) - والعمال (أو يستخدمه بأقل من أجره المثل) - لذلك العمل (لأجل ذلك القرض) - الذي أقرضه إياه (ويسمون ذلك الرابطة) - لأنه يجر نفعاً للمقرض (و) - كذلك يحرم على المكلف (أن يقرض) - نحو (الحراثين) - وينظرهم (إلى وقت الحصاد) - لزرعهم ويشترط عليهم أنهم يحصدون ذلك الزرع (ثم يبيعون عليه) - أى على ذلك المقرض (طعامهم) - الذي حصده أو غيره (بأرفع من السعر) - الذي في البلد حينئذ (ولو) - كان ذلك الارتفاع الذي شرطه زائداً عن سعر البلد (قليلاً) - كأن يقول لهم أقرضكم هذه المائة إلى وقت الحصاد بشرط أن تبيعوا منى الحب مثلاً بأزيد من السعر في ذلك الوقت بكيلة مثلاً فإذا جاء الوقت والسعر خمسة بدرهم فيأخذ ستة به (ويسمون ذلك المقضى) - وذلك لأنه يجر - نفعاً للمقرض وقد علمت أن كل ما كان كذلك فهو حرام قال سم على التحفة وشمل قولهم جر - نفعاً للمقرض ما لو كان فيه نفع أيضاً للمقرض فيفسد العقد به م ر بخلاف ما كان فيه نفع للمقرض وحده فلا يفسد به العقد على كلام فيه فليراجع (وكذا) - يحرم على المكلف (جملة من معاملات أهل) - هذا (الزمان) - قبيحة مستبشعة (و) - كلها أو (أكثرها خارجة عن قانون الشرع) - لفقدائها كثيراً من الشروط والأركان وذلك نحو الكيل واللحمة وهما عقدان من حيل الربا وصورتها أن يشتري المتوصل إلى أخذ دين من طالب زيادة متاعاً بعشرة مثلاً مؤجلة ثم يرده عليه بثمانية حالة وينقده الثمانية لتبقى في ذمته عشرة إلى الأجل المعروف بينهما وليس من غرض المشتري والبائع إلا التوصل لأخذ الزيادة وهو الربا المحرم في الباطل إذ للوسائل حكم المقاصد كما مر وهذا وإن كان في الظاهر بيعاً جائزاً مع الكراهة عند أبي حنيفة والشافعي ☐ إلا أن كثيراً من أهل العلم بالله شددوا في النكير على متعاطيه وقد سئل سيدنا الحبيب عبد الله الحداد عن مثل هذه المعاملات فأجاب بأن لا نقول بشيء منها ولا نراه ولا يحل إلا ما كان على وجه شرعى جلى كالسلم والقرض ونحوهما هذا ما نراه وندين به الله فتدبر كلام هذا الإمام ☐ (ومن كلامه) -

فانتـ به يـ راقـد

المقـل

ليـس ديـن الله

بالـحـيل

(فعلى مرید رضا ربه) - ☐ (وسلامة دينه ودينه أن يتعلم ما يحل و) - ما (يحرم) - عليه (من) - سائر المعاملات المحتاج إليها وغيرها كما مرّ لكن ينبغي له أن يكون تعلمه من شيخ (عالم) - بأحكام الله (ورع) - عن كل ما حذر ☐ عنه ونهاه (ناصح) - الله ورسوله وللمسلمين في كل ما ينفعه في دنياه وأخراه (شفيق على دينه) - خائف من ربه أخذ للعلم عن المشايخ لا أخذ له من الكتب ففي مختصر الفتاوى لابن قاضي أنه ليس لمن قرأ كتاباً أو كتباً ولم يتأهل للإفتاء **(145/1)** - أن يفتى إلا فيما علمه علماً جازماً من مذهبه كوجوب نية الوضوء أو نقله من مفت آخر أو من كتاب موثوق به أو أخذه عن شيخ أو صار فيه ملكة نفسانية وليس لغير الأهل الإفتاء بما ليس مسطوراً وإن وجد له نظيراً والمتبحر هو من أحاط بأصول إمامه في كل باب بحيث يمكنه أن يقيس ما لم ينص عليه إمامه وهذه مرتبة أصحاب الوجوه وقد انقطعت من نحو أربعمئة سنة اهـ باختصار قال سيدنا الإمام الحبيب حامد بن عمر باعلوى التريمي نفعنا الله به وبعلومه إنما قلت البركات وعمت البليات

فى هذه الأوقات بسبب هذه المعاملات القبيحة التى يتعاطاه من لا خلاق له الموسوسة بالكيل واللحمة فإنها من الحرام السحت القبيح والربا الصريح التى لا شبهة فى حرمتها أم وأقسام الشبهات كثيرة والورع الكف عن سائرهما فإنه من المهم المتأكد إلا ما كان على سبيل وسوسة أو وهم لا مستند له كأن يقول أموال الناس كلها شبهات فإنه مجرد وسوسة وتنطع وقد قال ﷺ هلك المتنطعون ثلاثاً

﴿تنبية﴾ قوله ﷺ ناصح وصف من أوصاف الكمال لمن اتصف بالنصيحة لكافة المسلمين التى هى الدين كله كما فى الحديث إذ النصح الخلوص والتصفية عن الممازج وكلما ازداد الإيمان قوة وكمالاً وتوفرت دواعه زادت النصيحة بحسب الرحمة والشفقة كما ينقل عن الخلفاء الأربعة من المبالغة فى النصيحة والرحمة ورعاية الأصلح للأمة والقيام بحقوقها مما هو مشروع عنهم ﷺ وكذا الأمل فالأمل ممن اقتدى بهم واهتدى بهديهم روى عن بعض العارفين أنه قال أود أن الله يعظم جنتى ويملا بها جهنم ولا يدخلها مؤمن وذلك لغاية نصحه وحبه لله تعالى ورسوله وعليها يترتب سر الشفاعة فى الآخرة ويجب على كل مسلم تحرى الحلال وتوقى الحرام ﴿فإن طلب الحلال﴾ والتجنب عن الحرام ﴿فريضة على كل مسلم﴾ ومسلمة كما قال ﷺ وقد مر بسط الكلام فى ذلك قبيل فصل الصلاة وقد أطل فيه الكلام حجة الإسلام فى كتاب الحلال والحرام فمن أراد شفاء العليل فعليه به والله أعلم

﴿فصل﴾ فى النفقات ﴿تجب على﴾ الفرع الحر ولو مبعوضاً وأنى ﴿الموسر﴾ بفاضل عن مؤنه ومؤن زوجة وخدامها وأم ولد فى يومه وليته التى تليه عشاء وغداء لا عن دين وبيع فيها ما يباع فى الدين من عقار وغيره ﴿نفقة﴾ أى مؤنة ﴿أصوله﴾ المعصومين الأحرار ولو مبعوضين بالنسبة للبعض الحر لا مكاتبين وإن علوا وكانوا أناثاً غير وارثات ومنها نحو دواء وأجرة طبيب وإنما تجب فى حق ﴿المعسرين﴾ منهم عما يكفيهم ﴿وإن قدروا على الكسب﴾ غير المكتسبين فى الأظهر فلا يكلفونه لتأكد حرمتهم مع كبر سنهم ﴿و﴾ كما تجب على الفرع كذلك تجب على الأصل الحر ولو مبعوضاً وأنى الموسر بما مر ﴿نفقة﴾ أى مؤنة ﴿فروع﴾ المعصومين الأحرار ولو مبعوضين وأنثاً كذلك لكن لا تجب عليه إلا ﴿إذا أعسروا﴾ عما يكفيهم ﴿وعجزوا عن الكسب لصغر أو زمانة﴾ أو جنون أو عمى أو مرض لعجزهم عن كفاية أنفسهم ومن ثم لو أطاق صغير الكسب أو تعلمه ولاق به جاز للولى أن يحمله عليه وينفق عليه منه فإن امتنع أو هرب لزم الولي إنفاقه فإن قدروا على كسب حلال ولاق بهم كلفوه وإلا فلا وبحث الرافعى وجوبها لفرع كبير لم تجر عاداته بالكسب أو شغله عنه اشتغال بالعلم وهى الكفاية فيجب أن يعطيه كسوة وسكنى تليق به وقوتا وأدماً يليق بسنه كمؤنة الرضاع حولين وبرغبته وزهادته ﴿146/1﴾ بحيث يتمكن معه من التردد كالعادة ويدفع عنه ألم الجوع لا المبالغة فى الشبع وإشباعه واجب كما فى الآيات وغيرها وتسقط مؤنة القريب بفواتها وإن تعدى المنفق بالمنع فلا تصير ديناً إلا بفرض قاض أو إذنه فى اقتراض لغية المنفق أو منعه ﴿ويجب على الزوج نفقة الزوجة﴾ الممكنة ولو أمة وكافرة ومريضة وهى مدا طعام لكل يوم على موسر حر كله ومد على معسر ومنه كسوب وإن قدر زمن كسبه على مال واسع ومكاتب وإن أيسر وكذا مبعوض على المعتمد كما فى التحفة وعلى متوسط مد ونصفه ويعتبر اليسار وغيره بطلوع الفجر لكل يوم ويجب عليه طحنه وعجنه وخبزه وأدم غالب البلد ويختلف بالفصول ويقدره القاضى باجتهاده ويفاوت بين موسر وغيره ويجب لها كسوة تكفيها وآلة تنظيف لا كحل وخضاب ككل ما يزين به وإخدامها بحرة أو أمة ﴿و﴾ يجب عليه أيضاً ﴿مهرها﴾ بالعقد ويسن تسميته فيه وعدم نقصه عن عشرة دراهم خالصة وزيادته على خمسمائة وكل ما يصح مبيعاً صح صداقاً ﴿و﴾ يجب ﴿عليه﴾ أيضاً ﴿لها﴾ أى الزوجة ولو ذمية وأمة ﴿متمعة﴾ بضم أولها وكسره لغة اسم للتمتع كالمتاع وهو ما يتمتع به من الحوائج وشراً مال يدفع لمفارقة أو لسيدها لكن لا مطلقاً بل ﴿إن طلقها﴾ قبل وطء ولم يجب لها شطر المهر بأن فوّضت ولم يفرض لها شىء صحيح بخلاف متوفى عنها ومن وجب لها الشطر بتسمية أو فرض فى مفوضة نعم لو زوج أمته بعبده لم يجب شطر ولا متمعة وكذا لو طلقها بعده بائناً مطلقاً أو رجعيًا وانقضت عدتها على الأوجه كما فى التحفة ومثل الطلاق فرقة لا بسببها سواء كانت من جهة الزوج كإسلامه وردته ولعانه أم من أجنبى كوطء بعضه زوجته بشبهة وإرضاع أمه لها كما صوره فى التحفة ويستحب أن تكون المتمعة ثلاثين درهماً وأن لا تبلغ نصف مهر المثل والواجب مما يتراضيان عليه أقل مجزئ متمول كما فى التحفة فإن تنازعا قدره القاضى باجتهاده معتبراً حالهما ﴿و﴾ يجب ﴿على مالك العبيد﴾ يعنى الأرقاء ﴿والبهائم﴾ كسوتهم و ﴿نفقتهم﴾ وأن لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ﴿و﴾ أن ﴿لا يضرهم بغير حق﴾ قال ﷺ للمملوك نفقته وكسوته وأن لا يكلف أى من الخدمة ما يغلبه وقال ﷺ هم إخوانكم ملككم الله إياهم ولو شاء لملكهم إياكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله وفى الموطأ وشرحه للزرقانى قال رسول الله ﷺ للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف أى بلا إسراف ولا تقتير على اللائق بأمناله ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق أى لا يكلفه إلا جنس ما يقدر عليه والنفى بمعنى النهى وفيه الحث على الإحسان إلى الممالك والرفق بهم وألحق بهم من فى معناهم من أجير ونحوه أم وقال رجل لرسول الله ﷺ كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال سبعين مرة وكان لميمون بن مهران جارية فاستعجلها بالطعام لضيف كان عنده فجاءت مسرعة فعمرت وأراقته على رأسه فقال أحرقتينى فقالت أرجع لقوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك

فقلت زد فإن الله قال والله يحب المحسنين فقال أنت حرة لوجه الله وفي الموطأ وشرحه كان عمر ؓ يذهب إلى العوالي أي القرى المجتمعة حول المدينة من جهة قباء كل يوم سبت فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه وقال عثمان ؓ (147/1) وهو يخطب لا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها أي زنت ولا تكلفوا الصغير الكسب فإنه إذا لم يجد سرق وعقوا أي بكسر أوله وشد ثانيه أي تنزهوا عن ذلك إذا عفكم الله أي أغناكم عن ذلك بما فتحه عليكم ووسعه من الرزق وعليكم من المطاعم بما طلب منها أي حلّاه وفي كشف الغمة وكان ؓ يقول كفى بالمرء إثماً أن يحبس عن من يملك قوته وإذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فأرفعوا أيديكم ومن لطم مملوكاً أو ضربه فكفارته عتقه وكان ابن عمر ؓ إذا ضرب عبداً اعتقه ولو لم يكن له غيره وكان يقول لمن رآه يضرب مملوكاً اعلم يا هذا أن إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ولا تضربوا إماءكم على كسر إناثكم فإن لها أجلاً كآجالكم ولا تستخدموا الأرقاء بالليل فإنما لكم النهار ولهم الليل وإذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلس معه فليناوله لقمة أو لقمتين قال أنس ؓ وكانت عامة وصية رسول الله ﷺ حتى حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه الشريف الصلاة وما ملكت أيمانكم وكان ؓ يقول لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولا يقول المملوك ربّي وربتي وليقل المالك فتاى وفتاتى وليقل المملوك سيدى وسيدتى فإنكم المملوكون والرب الله ﷻ بهمعناه والحاصل أن جملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه ما لا يطيق الدوام عليه أو إلا بمشقة شديدة ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ويعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه في معاصيه وجنائته على حق الله وتقصيره في طاعة مولاه مع أن قدرته تعالى فوق قدرته على ذلك المملوك وقد كان عون بن عبد الله يقول لعبده إذا عصاه ما أشبهك بمولاه فإنه يعصى مولاه وأغضبه يوماً فقال له إنما تريد أن أضربك اذهب فانت حرّ (تنبيه) يحرم على المملوك الإباق عن سيده ففي الحديث إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة وفي رواية فقد كفر حتى يرجع إليه وإنه إذا مات في إباقه دخل النار وإن كان قتل في سبيل الله وفي رواية فقد برئت منه الذمة وأتى رجل إليه ؓ فقال إن لى مملوكين يكذبونى ويخونونى ويعصون وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم فقال ؓ إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصّ لهم منك للفصل فجعل الرجل يبكى فقال له ؓ أما تقرأ قوله تعالى ونضع الموازين القسط إلى وكفى بنا حاسبين فقال الرجل لا أجد لى ولهم خيراً من مفارقتهم أشهدكم أنهم أحرار وإذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين قال الزرقاني في شرح الموطأ أي لقيامه بالحقين وانكساره بالرق قال الكرمانى وليس الأجران متساويين لأن طاعة الله أوجب من طاعة المخلوق ورده الولي العراقي بأن طاعة المخلوق هنا من طاعة الله تعالى وأطال في ذلك فليراجع ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لى أجران فذهب أحدهما وورد أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد والعبد المملوك إذا أحسن عبادة ربه ونصح لسيده والضعيف المتعفف ذو العيال وأما البهائم من الدواب وكل ذى روح فقد ورد في الإحسان إليها أحاديث كثيرة فمن ذلك ما من امرئ مسلم ينقى لفرسه ثم يعلفه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة وإياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإنما سخرها الله (148/1) لكم لتبلغوا إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وفي رواية اركبوا هذه الدواب ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راجبها وأكثر ذكراً لله منه واتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة وقرصت نملة نبيا فأمر بقرية نمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله تعالى فهلا كانت نملة واحدة وبينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها وشرب ثم خرج فوجد كلباً يلهث ويأكل العرى من العطش فقال لقد بلغه من العطش مثل ما بلغنى فنزل البئر وملاً خفه ماء وأمسكه بفيه حتى رقى فسقاها فشكر الله تعالى فغفر له فعلى الإنسان أن يرفق بها ولا يضربها لغير حاجة فإنه منهى عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل وتتأذى به الدابة فإن أهل الورع لا ينامون عليها إلا غفوة وقال أبو الدرداء ليعير له عند الموت أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحملك فوق طاقتك وفي اتحاف الناسك وينبغى الشفقة على الدابة بتخفيف الجسم عليها بذكر الله فإنه مجرب للخفة عليها إذ الروح تشاق لحضرة الرب من جهة العلو فتصعد بجسمها ولا يبقى على الدابة من البدن إلا مجرد المماسسة كما جربناه ويكره ضرب وجهها ولا يجوز إلا بقدر الحاجة ويحرم وسملها للعن فاعله في الحديث وينبغى عدم سبها وشتمها فقد أجمع أهل الكشف على أن الدواب تعرف الأمور وإنما هى عاجزة عن النطق وإنما سميت بهائم لانبهاهم أمرها على غالب الناس لا لانبهاهم الأمور عليها كما يعرف ذلك من رقى حجابها وغلبت روحانيته اهـ ملخصاً (ويجب على الزوجة طاعة الزوج فى) جميع ما يأمرها به ويطلبه منها من (نفسها) وغيرها (إلا فيما لا يحل) لها فعله أو قوله إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ﷻ وذلك بأن تنزل نفسها منزلة المملوك قال ؓ أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وقال ؓ إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها وسئل ؓ عن حق الزوج على المرأة فقال لو كان من قرنه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره وقال ؓ لو أمرت أحداً يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها فعليها مسرته (وأن لا تصوم) وهو حاضر إلا ياذنه بل فى الزواجر صومها وهو حاضر بغير رضاه من الكبائر لقوله ﷻ ولا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا ياذنه ولا تأذن فى بيته إلا ياذنه زاد أحمد إلا رمضان وفى رواية لا تصم المرأة وزوجها شاهد

يوما من غير شهر رمضان إلا ياذنه وفي رواية ومن حق الزوج على الزوجة أن لا تصوم تطوعا إلا ياذنه وفي خبر غريب أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثا من الكبائر قال وعذبة كبيرة وإن لم أره لكنه صريح هذا الحديث وعلى تسليم أنه غير حجة فيؤخذ كونه كبيرة من أمر آخر يشير إليه الحديث الأول وهو إيذاؤه بالتسبب إلى منع حقه المقدم على الصوم وغيره ولا نظر إلى أنه يمكنه شرعا أن يطأها والإثم عليها إن كان فرضا لأن الغالب على الإنسان أن يهاب إبطال العبادة كما صرحوا به وإذا هابها فيمتنع من وطئها وإن احتاج إليه فيتضرر الضرر الشديد غالبا ولا شك أن إضرار الغير الشديد بمنعه لحقه أو التسبب فيما يمنعه منه كبيرة فاتجه ما ذكرته والحديث عاضد فقط أم باختصار (149/1) - (و) - أن - (لا تخرج من بيته) - لغير ضرورة شرعية كاستفتاء لم يكفها إياه أو خشية كأن خشيت فجرة أو نحو انهزام منزلها - (إلا ياذنه) - ورضاه وفي الزواجر خروجها بغير إذنه ورضاه لغير ذلك كبيرة قال ﷺ إذا خرجت المرأة من بيت زوجها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب وورد أربع من النساء في الجنة وأربع في النار وذكر من اللاتي في الجنة امرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه وامرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنن إليهم ولم تتزوج خشية أن يضيعوا ومن اللاتي في النار امرأة بذية اللسان على زوجها إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر أذته بلسانها وامرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة قال ﷺ اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وذلك بسبب قلة طاعتهم لله ورسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن والتبرج لبس أفخر الثياب والتجمل عند الخروج لتفتن الناس بنفسها ولذا قال ﷺ المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون المرأة من الله إذا كانت في بيتها وورد المرأة عورة فاحبسوهن في البيوت فإن المرأة إذا خرجت الطريق قال لها أهلها أين تريدن قالت أعود مريضا أشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج ذراعها وما التمسست المرأة وجه الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها وإذا اضطرت للخروج لنحو زيارة أو حمام خرجت ياذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة وثياب بذلة وتغض طرفها في مشيتها ولا تنظر يمينا ولا شمالا وإلا كانت عاصية وماتت متبرجة فرأها بعض أهلها في النوم وقد عرضت على الله في ثياب رقاق فهبت ريح فكشفها فأعرض الله عنها وقال خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا وورد أن امرأة سافر زوجها وقال لها لا تنزلي من العلو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى مريضا فاستأذنته ﷺ في النزول فقال لها أطيعي زوجك ثم مات أبوها فاستأذنته فقال أطيعي زوجك فبعد أن دفن أبوها أرسل إليها إن الله غفر لأبيك بطاعتك زوجك فعلم أنه يجب عليها أن تتحرى رضا زوجها وتتجنب سخطه ما أمكن ومن ذلك أن لا تمنعه من تمتع مباح بخلاف غيره كوطء في نحو حيض قبل الغسل ولو بعد الانقطاع ينبغي أن تعرف أنها كمملوكة له فلا تتصرف في ماله إلا ياذنه بل قيل وفي ماله لأنها كمحجورة له ويلزمها أن تقدم حقوقه على حقوق أقاربها بل وحقوق نفسها في بعض الصور وأن تكون مستعدة لتمتع به بما تقدر عليه من أسباب النظافة ولا تفتخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح فيه وعن الأصمعي دخلت بادية فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها كيف ترضينه لنفسك فقالت لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي قال بعض العلماء ويجب عليها دوام الحياء منه وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عبد قدومه وخروجه وعرض نفسها عليه عند النوم وترك الخيانة عند غيبته في فراشه أو ماله وطيب الرائحة له وتعهده الفم بالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته وتركها في غيبته وإكرام أهله وأقاربه ورؤية القليل (150/1) - منه كثيرا وطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها لقوله ﷺ أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وأنه يستغفر للمطبعة وزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها قال في الإحياء والقول الجامع في آدابها بلا تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها غير مكثرة الصعود والاطلاع والكلام للجيران والدخول عليهم إلا لموجب حافظة بعلمها في حضرته وغيبته طالبة مسرته في كل أمر لا تخرج إلا ياذنه وإذا خرجت ياذنه مختفية في هيئة رثة وموضع خال غير شارع وسوق غير متعرفة لصديق بعلمها متكررة على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها غير مستفهمة ولا معاودة في الكلام لمن استأذن على الباب وليس بعلمها حاضرا قانعة منه بما رزقه الله مقدمة حقه على حق نفسها متنظفة مستورة للتمتع بها مشفقة على أولادها حافظة للسرة قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعتهم أم بمعناه وإذا أمرت ببذل تمام الطاعة والاسترضاء له فهو مأمور أيضا بالإحسان إليها بإيصال حقها نفقة ومؤنة وكسوة برضا وطيب نفس ولين قول وبالصبر على سوء خلقها وقد جاء في الحديث الأمر بالوصية بهن وأنهن عوان أخذن بأمانة الله جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة في دخولها تحت حكم الرجل وقهره بالأسير وورد خيركم خيركم لأهله وفي رواية الطفكم بأهله وكان شديد اللطف بالنساء وورد أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب ﷺ على بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وجاء رجل لعمر ﷺ يشكو إليه امرأته فوقف ببابه فإذا امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت فرجع قائلا إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حال فخرج له فرأه موليا فناداه ما حاجتك فأخبره بما أراد

وما سمع وما قال فقال عمر ؓ يا أخى إني أحتملها لحقوقها على إنها طبخة لطعامى خبزة لخبزى غسالة لعيابى مرضعة لأولادى وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فقال الرجل وكذا زوجتى قال فاحتملها يا أخى فإنها مدة يسيرة وجاء لبعض الصالحين أخ صالح يزوره فطرق الباب فقالت له زوجته من فقال فلان يريد فلانا فقالت له ذهب يحتطب لا رده الله وبالغت فى شتمه فإذا هو قد أقبل ومعه أسد عليه حزمة الحطب فسلم عليه ورحب به وأنزل الحطب عن الأسد وقال له اذهب ثم أدخله وهى تسبه ولا يجيبها فأطعمه ثم ودعه وانصرف على غاية التعجب من صبره ثم جاء العام الثانى قدق الباب فقالت امرأة من فقال فلان يريد زيارة زوجك فقالت مرحبا وبالغت فى الثناء عليه وأمرته بانتظاره فلما جاء والحطب على ظهره أدخله وأطعمه وهى تبالغ فى الثناء عليهما فلما أراد الانصراف سأله عن ذلك فقال له كنت صابرا على شؤم تلك فسخر الله لى الأسد يحمل الحطب بصبرى عليها ثم تزوجت هذه الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمله على ظهري لأجل راحتى مع هذه الصالحة قال الشعرانى فى تنبيه المغترين ومن أخلاقهم صبرهم على أذى زوجاتهم وشهودهم أن كل ما بدا منهم من المخالفات بسبب معاملتهم فلما خالفوه خالفهم وهى قاعدة أكثرية ليخرج الأنبياء (151/1) لعصمتهم قال أيوب بن خلف من لم يصبر على أذى زوجته كيف يدعى أن له درجة عليها وكان حاتم الأصم فى بيته كدابة مربوطة إن قدم له شئ أكل وإلا سكت أمه بمعناه والله أعلم

تم - الجزء الأول

ويليه

الجزء الثانى

وأوله فصل فى طاعات القلب وما يجب استعماله فيه



إسعاد الرفيق

وبغية الصديق

شرح علامة زمانه ومفتى أوانه

الشيخ محمد بن سالم بن سعيد بابصيل الشافعى

حل به

متن سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق

تأليف

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بن
محمد بن هاشم باعلوى
غفر الله لهما وللمسلمين آمين



الجزء الثانى

الحرمين

للطباعة والنشر والتوزيع
سنقفورة - جدة

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
نَحْنُكُمْ اللَّهُ



(2/2) - {فصل فى طاعات القلب وما يجب استعماله فيه} - اعلم أولا أن القلب كالراعى للجوارح فانبعائها للطاعة أو ضدها من تلقائه ولا تحصل منها حركة أو سكون إلا وقد وقعت فيه إرادته والإقبال إليه بعد إرادته تعالى فتقوم به وتنشط لفعله إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال ﷺ ألا وإن فى الجسد إلخ وكما قال

وإذا حلّت الهـداية نشطت فى العبـادة
قلـبا الأعضاء

قال فى منهاج العابدين فعليك بإصلاحه وحفظه وحسن النظر فيه فإنه أعظم الأعضاء خطرا وأكثرها أشرا وأدقها أمرا وأشقها إصلاحا وهو موضع نظر الرب فى عجا مما يهتم بوجهه الذى هو نظر الخلق فيغسله وينظفه ولا يهتم بقلبه الذى هو موضع نظر الرب بل يتركه ملطخا بأقذار لو اطلع عليها مخلوق هجره وتبرا منه مع أنه ﷺ قد قال إن الله لا ينظر إلى صوركم أبشاركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وهو ملك مطلع وخزانة لكل جوهر نفيس ومعنى شريف كالعقل ومعرفة الله تعالى التى بها سبب السعادة فى الدارين وغيره تبع وخدم له فحينئذ {من الواجبات القلبية الإيمان بالله} ﷺ {و} {الإيمان} {بما جاء} به سيدنا محمد ﷺ {عن الله} تعالى {والإيمان برسول الله} محمد بن عبد الله ﷺ {وبما جاء عن رسول الله} ﷺ {والتصديق} بذلك كله وهو قبول القلب وإنعائه لما علم من الدين بالضرورة وكل أحد تصديقه وطاعته على قدر إيمانه ألا ترى لقوله ﷺ لما أخبر أن رجلا ركب بقرة فالتفت إليه وقالت لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث وقالوا يا رسول الله أبقرة تكلمت إني مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر ثم التصديق يطلق على أصل الإيمان بأن يكون الشخص مؤمنا معتقدا ما يجب اعتقاده فى الله ورسوله وعلى الصديقية التى هى أعلى درجات اليقين بأن يعلم العبد حقيقة الإيمان بالبرهان أو يتوالى عليه حتى يغلب حكمه على قلبه **(3/2)** وعلى هذا حمل شيخ الإسلام فى شرح الرسالة قول سهل ﷺ اليقين شعبة من الإيمان وهو دون التصديق قال بعضهم أول المقامات أى درجات الإيمان المعرفة بالله بالنظر والفكر ثم اليقين لأنه مستغن عنهما بوضوح المطلوب ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة أى الإقرار

باللسان شكرا ثم الطاعة فالإيمان اسم جامع لهذا كله فأشار هذا القائل بذلك إلى أن أول الواجبات هو المعرفة بالله ﷻ والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب وما يتوقف عليه ثم إذا توالى الأدلة على القلب وحصل بها البيان صار يتوالى الأنوار الحاصلة منها وحصول الاستبصار كالمستغنى عن تأمل البرهان هو حال اليقين ثم تصديق الحق فيما أخبر به عند إصفائه لإجابة الداعي له فيما يخبر به عنه من أفعاله سبحانه في المستقبل لأن التصديق لا يكون إلا في الأخبار لا الإنشائي ثم الإخلاص ثم إظهار الإجابة بجميل الشهادة ثم أداء الطاعة والتجنب لما زجر عنه - من الرسالة وشرحها لشيخ الإسلام باختصار وقد مر الكلام على الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما - (و-) منها - (اليقين-) وهو مقام فوق الإيمان وهو الطمأنينة التي حكاها الله ﷻ عن نبيه إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم بقوله أو لم تؤمن قال بلى الآية وفي الرسالة وشرحها هو أي اليقين راجع إلى توالى العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب كالعلم الضروري وسببه النظر في مخلوقاته تعالى الدالة على وجوده وكمال صفاته وهو ممدوح ومطلوب قال تعالى والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون وروى تعلموا اليقين فإني أتعلمه قال عبد الله الأنطاكي إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب ملأه نورا أي فيصير به على بصيرة من الأمور حتى يصير المعلوم به مشاهدا بارتفاع الحجب وامتناع العلائق الطبيعية ونفى عنه كل ريب أي تردد فيمتلئ القلب بذلك النور شكرا ومن الله خوفا

يحكى أن جعفرًا الحداد جلس عند بركة ماء في بادية ستة عشرة يوما لا يأكل ولا يشرب فقيل له في ذلك فقال أنتظر ماذا يغلب على من العلم أو اليقين فأكون معه يعني فإن غلب الأول شربت أو الثاني صبرت لأنه تعالى قادر أن يرويه بلا ماء أو يرسل له وليا أو ملكا يسقيه وأقاولهم فيه كثيرة وكل يتكلم على حسب مقامه وحاله فيه فمنهم من قال هو قلة الاهتمام بنحو الطعم لغد ومنهم من قال زيادة الإيمان وتحققه أو شعبة من الإيمان دون التصديق كما مر وقيل العلم المستودع في القلوب أي أنه غير مكتسب فيحتمل أن المراد يشبه الضروري لأنه بتوالى العلم كما مر ويحتمل وهو الظاهر أن المراد لا يسمى موقنا إلا إن ارتفعت درجته عن العلوم الكسبية والضرورية العاديين بأن ألهم غرائب العلوم واطلع على أسرار الملك والملوك فيكون من أعلى درجات الموقنين وقيل المكاشفة ولذا قال عامر بن قيس لو كشف عني الغطاء أي أحوال الآخرة ما ازددت يقينا ليقيني بها فعبّر عن حاله الذي هو عليها من غلبة أحوال الآخرة على قلبه باليقين قال الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء وما بالعطش أفضل منهم يقينا أي فلا ملازمة بين خارق العادة وقوة اليقين فقد تسعون قوة اليقين بلا سبب وقد يكون خارق العادة لتقويته وقد يستوى اثنان فيه ويجرى الله خارق العادة لأحدهما لطفًا به ولقى إبراهيم الخواص غلاما كأنه سبيكة فضة في مفازة فقال له إلى أين (4/2) يا غلام فقال إلى مكة فقال بلا زاد وراحلة فقال يا ضعيف اليقين القادر على حفظ السماء والأرض لا يقدر أن يوصلني بلا ذلك قال ذلك لقوة يقينه وإن كانت السنة حمل الزاد ولا يدل على ضعف اليقين مطلقا لأن الأنبياء والأئمة حملوه لكن بلا اعتماد عليه بل على الرب ﷻ فلما دخل مكة رآه في الطواف وهو يقول

ي-ا-ع-ين س-حى ❧ ي-ا-نفس م-وتى
أب-دا كم-دا

ولا ت-حى أح-دا ❧ إلا الخل-يل الصم-دا

فلما رآه قال يا شيخ أنت على ذلك الضعف من اليقين وقال بعضهم إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة أي لما وعد عليه من الثواب والرخاء مصيبة أي لما يلزمه فيه من الشكر وخوف الحساب وقال الوراق اليقين ثلاثة أوجه يقين خير أي وهو العلم الحاصل عن إخبار الأنبياء بما غاب عنا أو علم اليقين لحصوله من الخبر يقين دلالة وهو ما حصل بنظر واستدلال أو عين اليقين لاطلاع العبد من نفسه على مدلوله بوضوح الدليل ويقين مشاهدة وهو العلم الذي يخلقه الله تعالى في قلوب أنبيائه وأوليائه أو حق اليقين لأن الحق ينشئه في قلوب المتقين بلا سبب وغلبته على قلوبهم وقال ذو النون ثلاثة من أعلام اليقين قلة مخالطة الناس في العشرة وترك المدح لهم في العطية ولا ينافيه طلب الدعاء لهم وشكرهم لأنهما يحصلان بنحو جزاك الله خيرا أو أكرمك الله والمدح ذكر المحاسن المقترن غالبا بدخول العجب على الممدوح والتنزه عن ذمهم عند منعهم العطية إذ المانع حقيقة هو الله ولا يليق الذم بغير الفاعل فذمه هنا يخشى منه ذم الفاعل حقيقة وبالجمل من تيقن أن الله هو الرازق في سائر الأحوال حصلت منه هذه الثلاثة

(فائدة-) علم اليقين للعلماء وعينه للخواص وحقه للأنبياء وحقه اختص بها سيدنا محمد ﷺ وفي الزبور يا داود التقى رأس العباد واليقين والورع جناحان لها - (و-) منها - (الإخلاص-) لله تعالى في جميع الأفعال والأقوال والأعمال قلت أو كبرت - (وهو-) كما ورد في خبر - (العمل لله-) ❧ - (وحده-) ومناسبة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين والكمال منه كما في الرسالة وشرحها أفراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إليه تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح منهم أو معنى من سائر المعاني سوى التقرب إليه تعالى كأن يريد بعبادته ثواب الآخرة أو إكرامه في الدنيا وسلامته من آفات أو استعانتة على أمور دينه كمن يراه والده ليدعو له بالخير أو شيخه ليعينه على مقاصده الدينية فليس ذلك من الإخلاص الكامل ولا مطلقه إلا فيما يريد به ثواب الآخرة أو الإكرام في الدنيا والسلامة من آفات فلا يخرج عن حد الإخلاص ومراتبه ثلاث عليا وهي أن يعمل لله وحده امتثالا لأمره وقيامًا بحق

عبوديته ووسطى وهى أن يعمل لثواب الآخرة ودنيا وهى أن يعمل للإكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتهما وما عدا ذلك رياء وإن تفاوتت أفراده ويصح أن يقال الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة الأشخاص وهو قريب مما قبله وورد أنه ﷺ أخبر عن جبريل عنه تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته ﴿5/2﴾ من أحببت من عبادى ولا يحصل ذلك إلا لمن بعد عن الأغيار فى معاملة الجبار ليحصل بينه وبينه السر أى المعاملة الخفية وقد قيل من لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصرّ أى على شغل قلبه بغير ربه فلم يتب عنه وسبب الإخلاص علم العبد باحتياجه إليه فى العمل النافع له فى دينه ودنياه وثمرته السلامة من العقاب والعتاب ونيل الدرجات فى المآب وهو ممدوح مطلوب وكم من آيات وأخبار وردت فيه قال تعالى ألا لله الدين الخالص وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال ذو النون الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص والمداومة عليه فمن أخلص فى مقام وصدق فى سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله تعالى إلى ما هو فوقه وقال السنوسى متى شهدوا فى إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم لإخلاص فحق المخلص أن لا يرى إخلاصه ولا يسكن إليه فإن خالف لم يكمل إخلاصه بل سماه بعضهم رياء وقال ذو النون ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال بأن لا تنظر لنفعها وضرها لتنسى مدح الخلق وذهمهم عليها ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة بأن لا يخطر لك جزاء على عملك دنيوى وأخروى وقيل رياء العارفين أفضل من إخلاص المريرين أى لأن غاية المبتدئ أن يخلص عمله من الرياء المبطل له فيكون مخلصا ثم يدخله العجب لكونه أضافه لنفسه وقد سلم عمله من الرياء والعجب وتسكن إليه نفسه وتعتمد عليه فيكون نقصا والعارف يرى نفسه محلا لجريان طاعته بشروط كمالها ويكون مشغولا بإفراد ربه بعمله الشريف عن سكون نفسه لعمله فإذا شكنت نفسه لعمله عدّه رياء لكونه خطر بباله فى عمله غيره تعالى فإذا كان هذا رياء العارف فإين هو من إخلاص المرير الذى تخلصت أعماله من الرياء المحرّم خاصة بينه وبين ما عدّه العارفون رياء درجات وقال الفضيل ترك العمل من أجل الناس رياء أى من حيث يتوهم أنهم ينسبونه بعمله للرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم إليه بالإخلاص فيكون مرأيا بتركه ليحبه لدوام نسبته للإخلاص لا للرياء والعمل من أجلهم شرك لكونه أشرك فيه غيره والإخلاص أن يعافيك الله منهما وعن مكحول ما أخلص عبد أى فى جميع أفعاله فط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فلا ينطق إلا بما حققه قلبه وأحكمه وهذا معنى الحكمة وهو وضع الشئ موضعه فإذا وزن حوائجه بالعلم وأوقعها لله وحده كان مخلصا فى جميع أعماله فإذا داوم على ذلك أربعين يوما كان على أتم الوجوه وأحسنها وقيل أعزّ شئ فى الدنيا الإخلاص لأنه على خلاف ما تهواه النفس وإذا أخلص العبد فى عمله انقطعت عند كثرته الوسوس والرياء لبعد القلب بالإخلاص عن ذلك وأقلّ الصدق استواء السر والعلانية والصادق من صدق فى أقواله والصادق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله قال الجنيد وحقيقة الصدق أن تصدق فى موطن لا ينجيك فيه إلا الكذب

﴿خاتمة﴾ قال فى الزواجر هذه آيات وأحاديث دالة على مدح الإخلاص وثواب المخلصين وما أعدّ لهم أردنا ذكرها لتكون باعثة للخلق على تحرى الإخلاص ومباعدة الرياء إذ الأشياء ﴿6/2﴾ لا تعرف كمالا إلا بأضدادها فمن ذلك قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله الآية وقوله إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله أخرج الطبرانى نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا نارا فى قلبه نور والترمذى أفضل العمل النية الصادقة وابن أبى الدنيا والحاكم أخلص دينك يكفك القليل من العمل والدارقطنى أخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له وابن عدى والديلمى اعمل لوجه واحد أى لله وحده يكفك الوجوه كلها والنسائى إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالسا وابتغى به وجهه وابن المبارك طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء وابن جرير والذى نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا إلا ألبسه الله رداء عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وسئل بعض الأئمة من المخلص فقال الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته والله أعلم ﴿و﴾ منها ﴿الندم﴾ أى التحزن والتحسر ﴿على﴾ ما صدر منه من ﴿المعاصى﴾ الصغائر والكبائر وعلى ما فاتته من الخيرات والأوقات فى البطولات وفى الخبر إن الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة إذا أحب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة تجلب له الحزن وإذا أبغض الله عبدا جعل فى قلبه مزمارا يجلب له الفرح وروى أنه ﷺ كان متواصل الإحزان دائم الفكر أى فيما يحصل به الصواب وقال بشر الحافى الحزن ملك أى مثل ملك إذا سكن فى موضع لم يرض أن يسأله أحد أى لأن الحزن إذا نزل فى القلب عمره وغمره حتى لا يسع فيه ذكر لغير ما هو محزون عليه وقيل القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب وقال داود الطائى كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب فى كل وقت قليل والحزن بكل وجه فضيلة وإن كان دنيويا إذ هو على فوات النعيم واللذات المباحة مع الصبر محمود وكان الحسن البصرى لا يرى إلا كأنه حديث عهد بمصيبة وقيل أكثر ما يجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات الهم والحزن أى ما أو جباه بسبب البلايا التى أصابته مع الصبر وقيل على كل شئ زكاة وزكاة العقل أى القلب طول الحزن أى فيكون طهرة له من سائر خواطر الدنيا لامتلأه به من خواطر الآخرة ثم هو قبض يرد على القلب لفوات محبوب أو توقع مؤلم وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا ﴿و﴾ منها ﴿التوكل على الله﴾ فى كل الأمور أى الاعتماد عليه تعالى وقطع

النظر عن الأسباب مع تهيئتها ولذا قال ﷻ أعقل وتوكل وقيل هو وكول الأمر كله إلى ماله والتعويل على وكالته عملا بقوله فاتخذ وكيفا وقيل هو ترك الكسب وإخلاء اليد من المال ورد بأن هذا تأكل لا تؤكل كما في شرح الرسالة القشيرية وفي شرح العينية إن معناه اعتماد القلب على الله وحده وتبريه من حول نفسه وقوتها وتعلقه به تعالى في كل حال مع القيام بالخدمة والأدب له تعالى والعمل بموجب السنة والاتباع المحمدي فهو مقام شريف لا يصح إلا ممن زهد في الدنيا وأيقن بالتوحيد لله والقدرة وسعة العلم والرحمة له ﷻ ولذا قال الداراني لى من كل مقام نصيب إلا التوكل فإنى ما شملت منه رائحة هذا مع رسوخ قدمه فى مقامات الدين ثم قال وعلوم التوكل وأحواله بحار متلاطمة كيف وأصله علم التوحيد الذى قد طاح فيه كم من جهيد فريد اهـ وقد ورد فيه آيات وأخبار كثيرة قال تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قال شيخ الإسلام ومقتضى هذا (7/2) أن التوكل من لوازم الإيمان فينتفى بانتفائه إذ الإيمان هو التوحيد ومن اعتمد على غير الله لم يوحده بالحقيقة وإن وحده باللسان وقال سهل بن عبد الله علامة المتوكل ثلاث لا يسأل عند حاجته غيره تعالى إلا عند الضرورة لأن السؤال ذل ولا يرد شيئا أعطيه أعطيه بلا سؤال لخبر ما أتاك من غير مسئلة فخذها فإنما هو رزق رزقه الله ولا يحبس ما حصل بيده خوفا من تغير المقسوم له لمنافاته التوكل وأول مقام فى التوكل أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء إذ من وثق بكريم واعتمد عليه سكنت نفسه له وكان معه كذلك لا حركة ولا حياة واستراح قلبه من هم التقدير والاختيار والتدبير إلا بما أمره به ربه ونهاه عنه والتوكل حاله ﷻ والكسب سنته فمن بقى على حاله ﷻ بأن وصل إليه فلا يتركن سنته قال شيخ الإسلام وليس المراد أن التوكل ينافى الكسب وأنه ليس من سنته بل المراد بحاله أن يكون السائق لقلب العبد فى تحصيل مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث أن السائق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور فى تحصيل مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث أن سنة الله ورسوله جرت به كما هو العادة فى ربط الأسباب مع اعتقاد أن الفاعل هو الله ﷻ قيل للمتوكل ثلاث درجات توكل ثم تسليم ثم تفويض فالتوكل يسكن لوعده بقوله وما من دابة الآية والمسلم يكفى بعلمه بحاله والمفوض يرضى بحكمه أى بكل ما يجريه عليه فالتوكل بداية وهو صفة العوام والتسليم واسطة وهو صفة الخواص والتفويض نهاية وهو صفة خواص الخواص والأول اعتماد والثانى راحة ورقاد والثالث رضا بجريان الأحكام وشكا رجل إلى الشبلى كثرة العيال وضيق الحال وهو موقن بأن الله هو الرزاق لكنه قلق فغفل حين امتحن فشكا إليه ليجد منه راحة بالدعاء وغيره فقال له اطرده منهم من ليس رزقه على الله فنبهه ورده لأصل إيمانه وذكره بما يفرغ قلبه من هم نفسه وغيره وقال سهل من طعن فى الحركة أى الكسب طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل وقال إن المقدر يحصل بفعل الله وغيره فقد طعن فى الإيمان وكان إبراهيم الخواص يدقق فى التوكل حتى قال للخضر لما لقيه وسأله الصحبة أخشى أن يفسد على توكل بسكوني إليك ومع ذلك لا يفارق إبرة وخيوطا وركوة ومقراضا فليل له فى ذلك فقال أنه لا ينقص التوكل لأن له تعالى علينا فرائض من صلاة وغيرها وربما تخرق الثوب فلم يكن معه ما يخيطه به فتبدو عورته فتفسد صلاته واعلم أنه تعالى يعتنى بمن توكل عليه ويقضى حوائجه وهو لا يشعر وفاء بقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية وأعظم فوائده سلامة المتوكل من نزغات الشيطان فإنه تعالى قال لعدوه بعد قوله واستغفر من استطعت الآية إن عبادى أى خواص المعتمدين على ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيفا وأنه تعالى إنما ضمن الكفاية للمحتاج وأن المتوكل يكون وثوقه بما فى يد الله أوثق مما فى يده حكى أن رجلا فى سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكل الله به ملكا وقال له إن أكله فارزقه غيره وإلا فلا تعطه غيره فمات ولم يأكله وبقي عنده ففى هذا تنبيه ودلالة على التحذير من الحرص على الحاصل وأقبح الحرص حرص العبد على شىء حتى لا ينتفع به لنفسه فضلا عن غيره وأقوالهم فى ذلك كثيرة ذكر منها جملة فى الرسالة وشرحها وغيرهما (و) منها (المراقبة لله) ﷻ فى جميع الحركات والسكنات واللحظات والخطرات وهى لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحا دوام النظر بالقلب (8/2) إليه تعالى وترقب ما يبدو من أفعاله وأحكامه ويعبر عنه باستشعارك نظر الله إليك فى حركاتك وسكناتك وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه وثمرتها حسن الأدب والسلامة من شديد الحساب والتحلّى بحلية الأولياء ذوى الألباب وهى ممدوحة ومطلوبة قال تعالى وكان الله على كل شىء رقيبا إن الله كان عليكم رقيبا أى فراقبه وقال ﷻ فى حديث جبريل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فأشار بقوله فإن لم تكن إلخ إلى حالة المراقبة من العبد لأن ابتداءها علم العبد باطلاع الرب ﷻ عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وقيل أشار بقوله أن تعبد الله كأنك تراه لا بقوله فإن لم تكن فإن فى الحديث مراقبتين مراقبة العبد للحق فى القول الأول وعكسه فى القول الثانى ومراقبة العبد للحق أصل كل خير وبركة ولا يكاد يصل إلى المراقبة إلا بعد فراغ المحاسبة لنفسه وهى التثبت قبل الفعل ليزنه بميزان الشرع فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن ما بينه وبين الله تعالى مع مراعاة القلب وحفظ الأنفاس راقب الله تعالى فى عموم أحواله فيعلم أنه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم حاله ويرى فعله ويسمع قوله ومن تغافل عن ذلك فهو بمعزل عن بداية الوصلة به تعالى فكيف عن حقائق المراقبة له فمن لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة والمراد بالكشف والمشاهدة قلة الغفلة وارتفاع الحال

ويكونان بإحكام ذلك قيل من راقب الله تعالى في خواطره الواردة على قلبه عصمه الله في جوارحه لأن أول عامل من الإنسان قلبه والخواطر تدعو عمل القلب والجوارح فتارة تكون شيطانية وتارة نفسانية وتارة بواسطة ملك وتارة بلا واسطة بأن تخلق في قلب العبد فمن ثبت عند خواطره وعلم حكم ما دعت إليه ووزنه بالشرع وقبل ما ينبغي ونفى ما لا ينبغي سلم في عقود قلبه وأفعال جوارحه وقال ابن عمر ؓ لعبد يرضى غنما تباع منها فقال العبد ليست لي فقال قل لصاحبها أكله الذئب فقال العبد وأين الله فاشتره والغنم من سيده وأعتقه ووهبها له قال الجنيد من تحقق أي ثبت في المراقبة خاف على قوة حظه من ربه لأنها على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب أو لزيادة الثواب أو ليرتفع عنه الحجاب أو ليكون من الأحاب إذا وصل لهذا الحال الشريف راقب ربه وأدام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التي يفوت بسببها حظه من مولاه فمراقبته له بهذا التقدير خوفاً من فوات حظه منه أفضل المراقبات وكان بعض المشايخ بخص بعض تلامذته بإقبال أكثر من غيره فسل عن ذلك فقال لهم ليأخذ كل منكم طيراً وليذبحه حيث لا يراه أحد فذبح كل منهم طيره إلا ذاك فرجع به حياً فقال لم أجد موضعاً لا يراني أحد فيه فقال الشيخ بهذا أخصه وفيه دلالة على أن مقام المراقبة أفضل المقامات وإن ارتفعت مقامات العابدين وقوى اجتهادهم لشغلهم بصلاح القلوب والأحوال والمراقب قد غلب على قلبه نظره إليه وقال ذو النون المراقبة إيتار ما أمر الله تعالى في تعظيم ما عظم وتصغير ما صغر ولا يتم ذلك إلا باستشعار نظر الله في حركاته وسكناته قال الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته وقيل المراقبة تورث المحاسبة فاذا ذكر نظر الله إليك وإطلاعه عليك وعلامة المراقب ما حكى أن أبا محمد الجريدي جاور بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الحائط وأن أبا بكر الكتاني جاور بها ثلاثين سنة تحت ميزاب الكعبة ليلاً ونهاراً شتاءً وصيفاً وقال المحاسبى حقيقة المراقبة مراقبة الله في (9/2) الطاعة بالفعل وفي المعصية بالترك ومراقبته تعالى أشد تعباً من مكايده فيام الليل وصيام النهار وإنفاق المال في سبيل الله بل ومن جميع العبادات البدنية وقال ذو النون تعلمت من الهزّ خصلتين حسن السؤال وحسن المراقبة ومثل المراقب مثل من له ضيعة وله خصماء فيها وكل يريد إخراجها منها فإن عجز عن إقامة حجته كان سبباً لخروجه منها وهو لا يجد بداً منها لما فيها من كفاية مؤنة فهو أبداً متيقظ من سقط الكلام لأن كلا يجتهد في الخصام فالؤمن صاحب المثل والضيعة الإيمان والخصماء جميع الجوارح وكلها تريد إخراجها من إيمانه الذي يرجو به الثواب (و) منها (الرضا عن الله) بما قدره وقضاه من خير وشرّ ونفع وضرّ وهو مصدر رضى يقال رضى به وعنه وعليه وكلها بمعنى وهو لغة المراقبة والقبول للأمر بسهولة واصطلاحاً ترك الاختيار وقيل الوقوف الصادق بحيث لا يلتمس العبد تقدماً ولا تأخراً ولا يستزيد مزيداً ولا يستبدل حالاً وقيل غير ذلك وأقوالهم فيه مختلفة بقدر أحوالهم وكل يتكلم على قدر حاله ونصيبه منه وسببه التفكير في تفاصيل منته تعالى وخصه به من غير عمل منه وثمرته عدم الاعتراض على شيء من المقدور والسلامة من كراهيته فلا يتمنى أنه لم يقع ولا زواله بعد وقوعه وهذا لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات إذ الدعاء بالممكن لا يمنع الرضا بالحاصل وإن زال ضمناً فإنه غير مقصود قال ؓ قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدابير وأحكمت الصنع فمن رضى فله الرضا منى حتى يلقاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلقاني وقال تعالى من لم يصبر على بلائى ويشكر لنعمائى ويرض بقضائى فليطلب ربا سوائى وقال تعالى وطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يده وويل لمن خلقته للشر ويسرته على يده وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وأحى لداود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد

واختلف هل الرضا من الأحوال وليس من كسب العبد بل نازلة تحل في القلب أو من المقامات وهو نهاية التوكل فيؤول لما يتوصل إليه بالكسب ويمكن الجمع بأن بدايته مكتسبة وهى من المقامات ونهايته ليست مكتسبة وهى من الأحوال كالنوازل الضرورية من رعشة ورعدة وغيرها واعلم أن الواجب على العبد أن يرضى بما أمر بالرضا به إذ ليس كل مقضى يجوز أو يجب الرضا به فليس بين الرضا بالقضاء وبغض المعاصى والكفر تناف فالرضا به من حيث كون ذلك قضاء الله وبغضه من حيث أن لصاحبه كسباً فيه وأنه لا يكاد العبد يرضى عن الله حتى يرضى الله عنه إذ لو لم يرض عنه ما خلق له الرضا بقضائه قال تعالى رضى الله عنهم وضوا عنه فقدم رضاه قال النخشبى من كان للدنيا فى قلبه مقدار لا ينال الرضا أى لأن من أحبها حباً شديداً تألم بفقدانها فيكره زوالها والراضى لا بد أن يرضى بكل ما يجريه الله تعالى وافق غرضاً أو لا قال ؓ ذاق طعم الإيمان من رضى الله ربا أى فلا ينال المقام العالى من إيمان ورضا ومحبة وغيرها إلا لم يبق فى قلبه ربوبية لغيره تعالى فكل من أحب شيئاً من الدنيا حباً شديداً حتى تعلق به قلبه من جاز أن يسمى ربا له وسيدا قال ؓ تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة قيل للجنيد ما تقول فيمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مصّ نواة يلتذ بها فقال المكاتب رقّ ما بقى عليه درهم وإذا نظر العبد فى أفعاله تعالى ونعمه ورضى بما اختاره له ذاق طعم الإيمان ووجد (10/2) لذته وكتب عمر إلى أبى موسى ؓ الخير كله فى الرضا فإن استعطت أن ترضى وإلا فاصبر وفى كل منهما خير وبات عتبة الغلام يقول إن تعذبني فأنا لك محب وإن ترحنى فأنا لك محب وهو معنى الرضا إذ المحب راض بكل ما يرد من محبوبه ولو مؤلماً حكى أن رجلاً غضب على عبده فاستشفع العبد بإنسان إليه فعفا عنه فبكى العبد فقال له الشفيع لم تبكى وقد عفا عنك فقال السيد إنه يطلب الرضا ولا

سبيل إليه أى ولا يلزم من العفو الرضا وهو إسباغ النعم عليه وما تعودته منه قبل من لطف وكرم قال بعضهم فتح على باب من البسط فزلت زلة فحجت كذا كذا سنة فلم سنة فلم أواخذ إلا بسلب ما كنت فيه من الإكرام والإنعام

(تنبيه) قال فى الأربعين الأصل ما معناه وجملة الرضا بالقضاء التوصل إلى المحبوب بمباشرة الأسباب فترك الأسباب من مخالفة المحبوب والرضا فليس منه أن لا يمد العطشان يده للماء البارد زاعما أنه راض بالعطش الذى قضاه الله تعالى فليس من الرضا الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى (و) منها (حسن الظن بالله) (وبخلق الله) قال خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بالمسلمين وقال سفيان الثوري فى قوله تعالى وأحسنوا إن الله يحب المحسنين أى أحسنوا الظن بالله إن الله يحب المحسنين الظن به وقال رأيت رجلا من أمتى قاعدا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فكنت رعدته ومضى على الصراط ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ما قدمت به على الله قال قدمت بذنوب كثيرة محاها حسن الظن بالله ومما يدل على حسن ظن محمود الوارق بربه قوله

م-أزلت أغرق فى الإساءة	وين-الى العفو
دائبا	والغفران
ل-م تنتقصنى إذا أسأت	ح-تى كان إس-أأتى
وزدتنى	إحس-ان
تولى الجميل على القبيح	يرض-يك م-نى الزور
وقد ترى	والبه-تان
وكان-نى بالذن-ب أتم-س	إذ ل-م يض-رنى عن-دك
الرض-ا	العصي-ان

ويقال لما توفى أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمى رآه بعض الصالحين فى المنام فقال ما فعل الله بك فقال غفر لى قلت بماذا قال بقولى

ي-ا ن-واس-ى	وت-ع-زى
ت-ذك-ر	وت-ص-بر
س-اءك ال-ده-ر	وال-ذى س-رك أك-ثر
ب-ش-ىء	ه-م من ذن-بك أك-بر
ي-ا ك-ب-ير ال-ذن-ب	غ-ر-ع-فو الله
عفو-ال-	ي-ص-غ-ر
أك-بر الأشي-اء فى	
أص-	

وقد قيل فى قوله تعالى تعم المولى ونعم النصير نعم الوافى بظنون العباد فمن ظن به الغفران غفر له ومن ظن به الرحمة رحمه ومن ظن به إدخال الجنة أدخله فهو عند ظن العبد به فليظن به ما شاء كما جاء الحديث بذلك

(حكى) أن بعضهم قال ليلة يبكى ويتضرع ويقول إلى ما أكثر عصياني وخطئى وأكثر حلمك على فنودى فى السحر يا هذا إن الذى يعمل الرجاء من الصبح إلى المغرب يجيئه (11/2) صبي بعد ذلك فيكسره بحجر فيتلاشى ما فعل ومعصيتك كالزجاج وعفوى كالحجر فيجىء ويكسر زجاجة ذنبك وسمع إبراهيم بن أدهم مغنيا يقول

كل ذن-ب ل-ك	ر س-وى الإع-راض
م-غ-فو	ع-نى

فزعق زعقة حتى غشى عليه فسئل لما أفاق فقال سمعت من السماء عبدى كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عنى كل ذنب لك مغفور سوى أن تبدل بى ربا غيرى وقال سيدى الحبيب أبو بكر السكران بأعلى ما نلت ما نلت إلا بحسن الظن فى الصالحين وجميع المسلمين وقال سيدى الحبيب أبو بكر بن عبد الله العيدروسى بأعلى ما خسر صاحب حسن الظن وإن أخطأ فإنه غير غير ملوم حسن الظن الكنز الأكبر والاسم الأعظم احذروا سوء الظن فإنه دليل على الشقاء ويخشى منه سوء الخاتمة وعليكم بزيارة الأولياء والتعرف بهم فهم الوسائط إلى الله تعالى وقال والده سيدى الحبيب عبد الله الملقب بالعيدروس ترك الغيبة مملكة وترك النميمة سلطة وحسن الظن ولاية وهو معنى قول الجنيد نفع الله به التصديق بعلمنا ولاية أى لأن التصديق لا يحصل إلا من صاحب حسن الظن وفى رسالة العلم لشيخنا متعنا الله بحياته والمسلمين وعن الإمام الشافعى من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس وقال الديرينى من أحب أن الوجود كله يمهده بالخير فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم فإن المدد مع الخلق كالماء وهو إنما يجرى فى المواضع المنخفضة وفى العهود أخذ علينا العهد العام من رسول الله أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر وإن لم يعملوا بعلمهم ونقوم بواجب

حقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى فمن أخلّ بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله فإن العلماء نواب الله ورسوله وذلك كفر وقد كفر بعضهم من قال عميمة عالم بالتصغير وروى الطبراني ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ذو الشبيه المسلم وذو العلم والإمام المقسط أى العادل اـ قال الخطيب البغدادي كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه بجرح فهو عدل فكيف بمن ظهرت عدالته وحسن هديه ودلالته من غير ثبوت ما يقتضى خلاف ذلك فهذا الذى نعتقد ولايته وقال السيد السهمودي كنت مع شيخى شرف الدين المناوى ؕ فمررنا بقوم فوقع فى نفسى من بعضهم شىء وجال ذلك فى نفسى فكاشفنى الشيخ عنه وقال جميع هؤلاء أعتقد ولايتهم لأنى ما علمت من أحد منهم تقصيرا فى شىء من حقوق الله أو حقوق عباده وما أحسن قول من قال

إلـهى لا تـعـذبـنى	مـقـرّبـالذى قـد كان
فـأنى	مـنى
ومـالى حيـلة إلا	وعـفـوك إن عفوت
رجـأنى	وحسـن ظنى
فـكم مـن زلـة لى	وأنـت عـلى ذو فضـل
والخـطايا	ومـن
إذا فـكرت فى نـدمى	عضضت أناـملى وقرعـت
علـيها	سـنى
يـظن النـاس بى خـيرا	لشر النـاس إن لـم تـعـف
وأنى	عـنى
أجـن لزهرـة الـدنـيا	وأفـنى العـمر فىـها
جنـونا	بالتـمـنى

(و)ـ منها (تعظيم شعائر الله)ـ ؕ قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب قال فى روح البيان الشعائر جمع شعيرة وهى العلامة من الإشعار وهو (12/2)ـ الأعلام والشعور العلم قال الجنيد ومن تعظيم شعائر الله تعالى التوكل والتفويض التسليم فإنها من شعائر الحق فى أسرار أوليائه فإذا عظمه وعظم حرمة زين الله ظاهره بفنون الآداب ومنها القرآن والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأمر بالقيام به والنهى بالكف عنه والعهد بوفائه ولو لدمى وفى روح البيان فى سورة الأنبياء حكى أن عثمان الغازى جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعايته كلام الله تعالى وذلك أنه كان من أسخياء زمانه يبذل النعم للمتريدين إليه فتقل ذلك على أهل بلده وأنكروا عليه فذهب يشتكى منهم إلى رجل بقرية أخرى فنزل بيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا هو كلام الله فقال ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلا إليه فلم يزل إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله الرجل فقال له أنا معطيك ثم قال له إن الله عظمك وأعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط رأسها بمنديل وقال ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة وفتح بعناية الله بلجك وأذن له السلطان علاء الدين فى الظاهر أيضا ففى هذه الحكاية فوائد منها أن السلطنة اختصاص إلهى كالنبوة ومنها أن السخاء مفتاح باب المراد ومنها أن المراجعة عند الحيرة إلى الله لها تأثير عظيم ومنها أن رعاية كلام الله تعالى سبب للسلطة مطلقا صورية أو معنوية إذ هو الذكر المبارك ومنها أن ترك الرعاية سبب لزوال قوتها بل لزوال نفسها كما وقع فى هذه الأعصار فإن الترقى الذى كان فى زمان السلاطين المتقدمين آل إلى التنازل وقد عزل السلطان محمد الرابع فى زماننا بسبب الترك المذكور فهذا هو زوال السلطنة نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء آخرتنا ومن تعظيم الشعائر القيام برد المظالم وترك أخذ شىء من مال له أمان بغير حق وتعظيم العلماء والأولياء وأهل البيت ومحبتهم والقيام بحقوقهم وإن وقعت منهم هفوة أو زلة بل وكل من يقول لا إله إلا الله إذ الولى كما قال القشيري وغيره لا يكون معصوما بل محفوظا فلا يصِرَ على الذنوب وإن حصلت منه هفوة أو هفوات وقد سئل الجنيد العارف يزنى فأطرق رأسه ثم رفع وقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فمعنى قول من قال من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع اعتراض بالإصرار على الذنوب فالحاصل أنهم محفوظون وإن حصلت منهم هفوة تداركهم الله بالإنبابة والتوبة سريعا فلا يصرون على الذنوب (و)ـ منها (الشكر على نعم الله)ـ ؕ التى لا يحصيها عد ولا يحدها حد وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الشاكر أو غيره ويقال هو الثناء على المنعم بإنعامه ويكون بالقلب واللسان والأركان قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم أى توفيقا ونعما وفى عيون المجالس للحدادى معنى الآية لئن شكرتم نعمتى عليكم بالتوحيد والرزق وصحة الجسم لأزيدنكم نعيم العقبي أو لئن شكرتم التصديق لأزيدنكم التوفيق أو لئن شكرتم المعرفة لأزيدنكم المغفرة أو لئن شكرتم البداية لأزيدنكم النهاية أو لئن شكرتم نعمة الطاعة أنها مثتى لأزيدنكم من طاعتى وخدمتى وقال اعملوا آل داود شكرا وقال أن اشكر لى ولوالديك وقال كانوا من رزق ربكم واشكروا له وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ويحتمل أن حقيقته (13/2)ـ الثناء على المحسن بذكر إحسانه فشكر العبد ثناؤه على الله بذكر إحسانه إليه وشكر الحق للعبد ثناؤه عليه

بذكر طاعته والشكر من حيث هو ثلاثة أقسام لساني وهو اعترافه بالنعمة وبدني وهو اتصافه بالوفاء والخدمة وقلبي وهو اعتكافه على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة وحقيقته لا تحصل عند الإمكان إلا بالثلاثة قيل الشاكر على الموجود والشكور من يشكر على المفقود وقال أبو القاسم والشكر أن لا يستعان بنعمة من نعم الله على معصيته ولما بشر إدريس ؑ بالمغفرة سأل الحياة فقيل له في ذلك فقال لا شكره فيها فإني كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط له الملك جناحه وحمله إلى السماء الرابعة أو السادسة أو الجنة فلما عزم على هذا الشكر سخر له الملك يحمله إلى مقام شريف كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا فهو مقيم به وقيل مَرَّ بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فأنطقه الله سمعته تعالى يقول وقودها الناس والحجارة فبكيت خوفا فدعا الله أن يجيره منها فأوحى إليه أني قد أجرته فأعلمه ثم مَرَّ عليه فوجده كذلك فتعجب فأنطقه الله كنت أبكى حزنا وخوفا والآن أبكى شكرا وسرورا وحكى أن شيئا قال لعجوز كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عمي وهي كذلك فاتفق أنها زوجت مني قليلة الزفاف قال كل منا لصاحبه تعال نحى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا ولم يتفرغ أحدا لصاحبه ودمنا على ذلك نحو سبعين أو ثمانين سنة فهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم وأعظم النعم بعد نعمة الإيجاد نعمة الإسلام كما قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد

وح-ب-ور	✕	نح-ن في روح
واس-تراح-ة	✕	وراح-ة
ن-ع-م-ة ح-ل-ت	✕	ن-ع-م-ة الإس-لام
بس-اح-ة		أكبر

فيجب على العبد الشكر على جميع النعم الظاهرة والباطنة قال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وذلك بأن يصرف ما من الله به عليه من كل قواه فيما خلق لأجله ويعترف بأنه عبد مقصر عاجز عن القيام بحق الربوبية وأنه لو بلغ من معرفة قدر نعم الله عليه وصرف عمره في شكرها ما بلغ واجتهد ما اجتهد وشمر في الطاعات أي تشمير ما وفي بشكر إذن الله له في طاعته أو إقداره عليها وجعله لها أهلا قال سيدى الحبيب عبد الرحمن بالفقيه في بعض شروح قصائده وقد جاء في الحديث الحمد لله الذي أذن لي بذكره وإذا قدر العبد أنه يشكر الله تعالى في جميع ما أنعم به عليه ووفق للشكر احتاج شكره ذلك لشكر آخر وهلم جرا والله در القائل وهو الإمام اليافعى

كذلك شكر الشكر يحتاج	✕	وشاكرها يحت-اج شكرا
للشكر		لشكره-ا

ولمحمود الوراق

ع-لى له في مث-لها يج-ب	✕	إذا كان شك-رى نعمة الله
الش-كر	✕	نعمة
وإن طال-ت الأي-ام واتصل-	✕	فك-يف بل-وغ الش-كر إلا
العمر-		بفضله
وإن مس بالض-راء يعقب-ها	✕	إذا مس بالس-راء ع-م
الأجر-		سروره-ا

ولا يتصور الشكر إلا من مؤمن عارف وقد أوحى الله لداود ؑ إذا عرفت النعم منى رضيت منك بذلك شكرا وفى الأربعين الأصل قال تعالى وقليل من عبادى الشكور (14/2) وقال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وكان ؑ بكى في تهجده فقالت عائشة ؓ وما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا واعلم أن الشكر من المقامات العالية فهو أعلى من الصبر والخوف والزهد لأنه مقصود في نفسه ولذا لا ينقطع في الجنة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأركانه ثلاثة الأول العلم بالنعمة والمنعم وإنها من الله والواسطة مسخر له الثانى الفرح بالمنعم به مع هيئة الخضوع والإجلال للمنعم الحقيقى والثالث العمل بأن يستعمل نعم الله تعالى في محابه وهذا لا يقوم به إلا من عرف حكمة الله في جميع خلقه

(خاتمة) قال في عيون المجالس إن من فضيلة الشكر أنه عدل بنصف الإيمان لقوله ؑ الإيمان نصفان فنصف في الصبر ونصف في الشكر ومنها أنه تعالى رفع العذاب عن الشاكرين فقال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وأمنتهم قال الطوسى كأنه يقول ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وتخلقتم بخلقى وأنا شاكر عليم فالشاكر تخلق بخلقى والشاكر لا يعاقب الشاكر لأن من تخلق بخلق من أخلاقى فحرام على أن أعذبه وأحرقه ومنها أن الشاكرين أول من يدخل الجنة وغير ذلك (و-) منها (الصبر-) وهو حبس النفس وقهرها على كربه تتحملة أو لذيذ تفارقه وهو قسمان صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس له كسب والأول قسمان الأول الصبر (على أداء ما أوجب الله-) ؑ أو ندب إليه (و-) الثانى (الصبر عما حرّم الله-) تعالى أو كرهه (و-) أما الثانى أعنى ما ليس بمكسب للعبد فهو الصبر (على-) مقاساة (ما-) يتصل بك بما (ابتلاك الله-) ؑ (به-) بحكمه وعدله كمرض وسقم وموت نحو ولد وفقد مال وتسلط أشرار بأن تترك الشكوى لمخلوق وتكل الأمر لعالم الغيوب كما قال

صبرت ولم أطلع هواك على
 صبرى
 وأخفيت ما بى منك عن موضع
 إلى دمع-تى سرا فتج-رى ولا
 صباب-تى
 أدرى

قال ذو النون الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البليات بنزول الآلام والأسقام وإظهار الغنى مع حلول الفقر به فى جميع الحالات وقال ابن عطاء هو الفناء فى البلوى بلا إظهار شكوى وقيل هو القيام مع البلاء بحسن الصحبة كالإقامة مع العافية واعلم أن الصبر هو الإيمان كله ومدار قطب الإسلام بأسره لأنه لما سئل عن الإيمان قال الصبر وقد ذكر فى الكتاب العزيز نيفا وسبعين مرة ويطلق معناه على الشكر وعكسه مثل أن يصاب فيصبر ويرى أن هذه المصيبة نعمة من الله تعالى باطنة فيشكر عليها ويصبر فقد اجتمع له فى ذلك الصبر والشكر وفى الأربعين الأصل الصبر نصف الإيمان وأقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم ييال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار والصبر كنز من كنوز الجنة وحقيقته ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى ولا يتصور إلا فى الإنسان لأن له جنتين حزب الله وهو العقل ودواعيه وحز الشيطان وهو الشهوة ودواعيها والحاجة إليه داعية فى جميع الأحوال إذ ما يلقاه الإنسان فى الدنيا إما أن يوافقه أو لا فإن وافقه كالصحة والجاه فما أحوجه له فله إن لم يضبط نفسه طغى واتبع الهوى وإن خالفه **(15/2)** كالطاعة احتاج له أول العمل بالإخلاص وحالته بالدوام على الأدب وبعده بترك إفشائه والمعاصى والصبر عليها بترك المكافاة وتارة يجب وتارة يستحب قال بعض الصحابة ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى وكموت الأعزة وهو عليه من أعلى المقامات قال ابن عباس **﴿** الصبر فى القرآن على ثلاثة مقامات صبر على أداء الفرائض وله ثلثمائة درجة وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة وصبر على مصيبة الله عند الصدمة الأولى وله تسعمائة درجة **﴾** وقد قال **﴿** إن الله **﴾** قال إذا وجهت عبدا من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال **﴿** انتظار الفرج بالصبر عبادة فقد عرفت أنك لا تستغنى عنه فى جميع أحوالك وبه يظهر أنه شطر الإيمان والشطر الآخر فيما يتعلق بالأعمال وهو الشكر وقد قال **﴿** الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهذا بالنظر إلى الأعمال والتعبير بالإيمان عنها اء باختصار يحكى أن أبا الحسن رأى امرأة فى الطواف قد أضاء حسن وجهها فقال والله ما رأيت قط نضارة وحسنا مثل هذه وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعته فقالت له والله إنى لوثيقة بالحزان مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركنى فيها أحد ذبح زوجى شاة ضحينا بها ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى يدي طفل يرضع فقمتم لأصنع لهم طعاما إذ قال إبنى الكبير للصغير ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة فأضجعه وذبحه وهرب فأكله الذئب فطلبه أبوه وأدركه العطش فمات فوضعت الطفل وخرجت أنظر ما فعل أبوه فمدب الطفل لبرمة على النار فالقى يده فيها وصبها على نفسه وهى تغلى فانثر لحمه عن عظمه فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فرمت بنفسها فوافقت أجلها فأفردنى الدهر من بينهم فقال لها وكيف صبرك على ذلك فقالت ما من أحد ميز الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجا متفاوتا فأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة وأما الجزع فصاحبه غير معوض ثم أعرضت وهى تقول

صبرت وكان الصبر خير
 مع-ول
 صبرت على ما لو تحم-ل
 بعض-ه
 ملكت دموع العين حتى
 رددته-ا
 ومل جزع يجدى على-
 فاج-زع
 جبال شرورى أصبحت
 تتص-دع
 إلى ناظرى فالعين فى القلب
 تدمع

وما أحسن قوله

لا تياس-ن وإن طال-ت
 مطالب-كا
 أخلق بذى الصبر أن يخطى
 بحاج-ته
 إذا استعنت بص-بر أن ترى
 فرج-ا
 وم-دمن القرع للأبواب أن
 يلج-ا

وقوله

إنى وج-دت وفى الأي-ام
 تجرب-ة
 وق-ل من ج-د فى شىء
 يطالب-ه
 للص-بر عاقبة محم-ودة
 الأثر
 واستصحب الصبر إلا فاز
 بالظ-فر

وكم ورد فى الصبر من آيات وأحاديث وآثار كثيرة عجيبة كقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فبين **﴿** ثواب الطاعات كلها على لسان نبيه فلما انتهى إلى الصبر قال إنما يوفى الخ وقوله وجعلناهم أئمة يهدون لما صبروا فجعلهم أئمة لصبرهم **(16/2)** وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام

عليكم بما صبرتم أى طاعة الله فنعم عقبى الدار الجنة وقوله ﴿ إن فى الجنة منازل لا ينالها العبد بأعماله ليس لها علاقة من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يا رسول الله كيف يدخلها أهلها قال يدخلها أهلها شبه الطير قيل لمن تكون تلك المنازل قال لأصحاب البلايا والغموم والهموم والأمراض وروى أن يوسف لما قرأ كتاب أبيه ﴿ كتب له فى جوابه

تـظـفـر كـما
ظـفـروا

اصـبـر كـما
صـبـروا

﴿ولبعضهم﴾

لا بـدأ ن يقـبل أو

الدهـر لا يبـقى عـلى

يـدبـرا

حـالـة

فـاصـبر إن الـدهـر لـن

فإن تـلـقـاك

يـصـبرا

بـمـكـروهـه

والكلام فيه كثير شهير وأقوالهم فيه لا تكاد تحصر والله أعلم ﴿و﴾ منها ﴿الثقة بالرزق﴾ من الله ﴿ قال تعالى وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها فاتى بلفظة على حملا للمكلف على الثقة به تعالى فى شأن الرزق والإعراض عن إتعاب النفس فى طلبه كما قال

أتعبت نغـسـك حتى شـقـك

يا طالب الرزق فى الآفاق

التعب

مجتهـدا

فاقعد فرزقك لا يأتى به

تسعى لرزق كـفـاك الله

الطلب

بغىـته

له الولائـد والأوراق

كم من ضعيف ضعيف العقل

والذهـب

تعرفه

بادى الخصاصة لم يعرف له

ومن حسيـب له عـقـل

سبب

بزيـنـه

ف الله يرزق لا عـقـل ولا

فاسـترزق الله ممـا فى

حسـب

خزائـنه

قال فى روح البيان اتفقوا على أن أربعة لا يقبل التغير أصلا العمر والرزق والأجل والسادة أو الشقاوة فعلى العاقل إن لا يهتم برزقه ويتوكل على الله فإنه حسبه روى أن موسى ﴿ لما أمر بالذهاب إلى فرعون تعلق قلبه بأهله قائلا من يقوم يأمرهم فأمره الله تعالى أن يضرب صخرة بعصاه فضربها فانشقت عن صخرة فضربها فانشقت على أخرى فضربها فخرجت منها دودة فى فمها شئ يجرى مجرى الغذاء فسمعها تقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولا ينسانى وعن أنس خرجت مع رسول الله ﴿ إلى مفازة فى حاجة فرأينا طيرا يلحن بصوت فقال ﴿ أتدرى ما يقول هذا الطير يا أنس قلت الله ورسوله أعلم بذلك قال إنه يقول يا رب أذهبت بصرى وخلقتنى أعمى فارزقنى فإنى جائع فجاء طير آخر وهو الجراد فدخل فى فمه فابتلعه ثم رفع صوته وجعل يلحن فقال ﴿ أتدرى ما يقول قلت الله ورسوله أعلم قال إنه يقول الحمد لله الذى لم ينس من ذكره قيل وكان مكتوبا على سيف الحسن ﴿ الرزق مقسوم والحريص محروم والبخيل مذموم والحاسد مغموم وفى الحديث من جاع واحتاج وكتمه عن الناس وأفضى به إلى الله تعالى كان حقا عليه أن يفتح له رزق سنة وحقيقة التوكل فى الرزق وغيره عند المشايخ الانقطاع عن الأسباب بالكلية ثقة بـالله تعالى وهذا لأهل الخصوص وأما أهل العموم فلا بد لهم من التسبب اهـ وقال تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون الآية فأقسم ﴿ بأن ذلك حق حملا لعباده على التوثق بذلك فال فى عيون المجالس ﴿17/2﴾ يقال إن بعض الصوفية ضاقت يده فنازعته امرأته فى الخروج لطلب رزق لهم فبات مهموما فرأى فى النوم أن قيل له اذهب لمحل كذا واحفر فيه فإنك تجد فيه نحيين مملوءين أحدهما دراهم والآخر دنائير فأصبح فحدث بذلك فأخذ فأسا وذهب إلى ذلك المحل فتذكر قوله تعالى وفى السماء الآية وقال رزقى فى السماء وأطلبه فى الأرض وتركه ورجع فقالت له لم رجعت فقال تذكرت وفى السماء رزقكم ثم رأى ذلك ثلاث ليال كذلك فحدثت المرأة جارتها بذلك فأخبرت زوجها فذهب وحفر فوجد نحيين أحدهما حيات والآخر عقارب فأخذهما ونوى أن يرمى بهما فى أثناء الليل إلى بيت جاره فلما كان جوف الليل يرمى بهما فسمعت المرأة الوجبة فصعدت السطح فرأته مملوءا دراهم ودنائير بقدرته تعالى فأخبرت زوجها بذلك فقال لها ألم يقل الله تعالى وفى السماء رزقكم وضاق الحسن بن على ضيقة شديدة وكان عطاؤه من معاوية كل سنة مائة ألف درهم فحبسها عنه فدعا بدواة ليكتب إليه ثم أمسك فرأه ﴿ يقول له كيف أنت فقال بخير يا أبت وحدثه بذلك فقال له دعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مئلك تذكره نفسك فقال كيف أصنع قال قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا بعدك اللهم ما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه أملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسئلتى ولم يجر على لسانى مما أعطيته الأولين والآخرين من اليقين فاخصنى به يا رب العالمين قال فما أحت يهن أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف درهم وخمسمائة ألف درهم فقلت الحمد لله الذى

لا ينسى من ذكره ولا يخيب من رجاه ومن دعاه ولا يقطعه فرأيته ﷺ فقال كيف أنت قلت بخير فحدثته حديثي فقال هكذا من رجا الخالق ولا يرجو المخلوق امه وقال ﷺ إن روح القدس أي جبريل نثت في روعي بضم أوله أي أي تفل في قلبي والمراد ألقى الوحي فيه من غير أن أسمعته وأراه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله أي ثقوا بضمائه وأجملوا في الطلب أي اطلبوا الرزق بطريق حلال بلا حرص ولا تهافت على الحرام ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته ودخل جماعة على الجنيد فقالوا أين تطلب الرزق فقال إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه منه قالوا فنسأل الله ذلك فقال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة شك في أنه تعالى ضامن للرزق قال شيخ الإسلام وهو كلام بالغ في تعليم التوكل سواء وجدت الأسباب أم لا لأن الرزق عند أهل الحق ما ينتفع به العبد لا ما يملكه بل ولا كل ما يأكله فإنه قد يأكل شيئا ثم يقذفه من جوفه ويكون رزق غيره فلا قدرة له على معرفة رزقه فإنه لا يعرف ما الذي ينتفع به ثم قالوا له ما الحيلة قال ترك الحيلة والاعتماد بالقلوب على الله والاشتغال بما أمرتم به قال الحداد في عيون المجالس واعلم أن الرزق على ثلاثة أوجه رزق مقسوم مفروغ منه وهو ما جاء في خبر ابن مسعود إن أحدكم يجمع الخ ويكون من الحلال إذا صبر ولم يهتك ستره ومن الحرام إذا لم يصبر ورزق مضمون وهو من الحلال ورزق موعود وهو متعلق بشرط التقوى إذا اتقى كان رزقه كذا كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فالمتقى تجمع له الثلاثة يدل عليه خبر إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم قد علموا أرزاقهم على قدر درجاتهم

(18/2)- (خاتمة)- في أمور ورد الحديث بأنها جالبة للرزق فمنها الإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ومن الاستغفار وورد أنه من قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كل يوم مائة مرة لم يصبه فقر أبدا ومن قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ومن دعائه ﷺ بعد العصر الله إني أسألك رزقا طيبا وعلمنا نافعا وعملا متقبلا ومنها غسل اليدين عند حضور الغداء ورفعها وكتابه قوله تعالى ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون بعد صلاة الجمعة وجعلها في بيته أو حانوته وغير ذلك مما هو مبسوط في الرسالة المسماة بحصول الرفق في أصول الرزق (و)- منها (اتهام النفس)- الأمانة بالسوء المتبعة للشهوات المائلة إلى الهوى المجانبة للحق والهدى فيما تأمر به وتنهى عنه وعداوتها (وعدم الرضا عنها)- أي النفس وهي لطيفة ربانية خلقها الله ﷻ قبل الأجساد بألفي عام إذ هي الروح فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الله أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرته لبعدها عنه فلذا احتاجت لمذكر قال تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعده نفسا فلا يصح لعادل الرضا عنها ولا موالاتها كيف وقد قال تعالى حاكيا عن سيدنا يوسف ﷺ وما أبرئ نفسي الآية قال في روح البيان أي لا أنزهها عن السوء ولا أشهد لها بالبراءة لكلية قاله تواضعا لله تعالى وهضما لنفسه الكريمة لا تزكية لها وعجبا بحاله في الأمانة والمراد لا أنزهها من حيث هي ولا أسند إليها فضيلة بمقتضى طبعها بل بتوفيق الله تعالى فإن جميع النفوس أمانة بالقبايح والمعاصي لاستلذاذها بها ومن هنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلا وأجل قدرا عنده تعالى كان أبصر بعيوب نفسه ومن كان أبصر بها كان أعظم اتهاما لنفسه وأقل إعجابا إلا ما رحم ربي من النفوس التي عصمها ومن جملة نفسها نفسى ونفوس الأنبياء والملائكة فالنفوس من حيث هي كالبهائم قال في التأويلات النجمية خلقت النفس على جبلة الأمانة بالسوء طبعها حين خلقت إلى طبعها وبديل صفاتها فيبدل الأمانية بالمأمورية وشريرتها بالخيرية فإذا تنفس صبح الهداية في ليلة البشرية وأضاء أفق سماء القلب صارت النفس لوامة تلوم نفسها على سوء فعلها وندمت على ما صدر منها فتتوب إليه تعالى فإن الندم توبة وإذا طلعت شمس العناية من أفق الهداية صارت النفس الملهمة لتنورها بأنوار شمس العناية فآلهما نورها فجورها وتقواها وإذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية وأشرقت الأرض بنور ربها صارت النفس المطمئنة بجذبة أرجعى إلى ربك راضية مرضية فليجتهد العبد مع نفسه حتى يصل إلى الاطمئنان فيتخلص من كيدها امه قال تعالى وأما من خاف مقام ربه الآية وقال ﷺ أعدى الأعداء نفسك التي بين جنبيك وقال محمد بن واسع ﷺ من مقت نفسه في ذات الله أمنه الله من مقتته وقال الجنيد الأمانة هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهواء المتنعة بأنواع الأسواء وقال جعفر من لم يتهم نفسه على الدوام ولم يخالفها في جميع الأحوال ويجبرها على مكروها في سائر الأيام كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها قال الجنيد أرقت ليلة فقممت إلى وردى فلم أجد ما كنت أجد من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أقدر **(19/2)-** فقعدت فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت فإذا رجل ملتف بعباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي رفع رأسه وقال تأخرت إلى الساعة قلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلى قلبك فقلت ما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواءها قلت إذا خالفت هواها صار داءها دواءها فأقبل على نفسه وقال اسمعى فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلى أن سمعته من الجنيد وانصرف ولم أعرفه قال شيخ الإسلام ولها أي النفس أربعة أنواع الأمانة بالسوء قال تعالى إن النفس لأمانة بالسوء وهي نفس الكافر واللؤامة قال تعالى ولا أقسم بالنفس اللؤامة وهي نفس عصاة المؤمنين والملهمة قال تعالى ونفس وما سواها فآلهما فجورها وتقواها وهي نفس عامة المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا والمطمئنة قال تعالى يا أيها النفس المطمئنة الآية وهي نفس الأنبياء والأولياء

والصديقين وقيل غير ذلك واللوامة إذا أطاعت المطمئنة لامت ذاتها في الدنيا وإن أطاعت الأمانة لامت ذاتها في الآخرة أمـ بمعناه وفي شرح البردة للخربوطي إن الصوفية قالوا إن النفس ست الأول الأمانة وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمّر للذات والشهوات الحسية وتجذب القلب لجهة السفلية فهي مأوى الشرور ومنيع الأخلاق الذميمة لأنها مبدأ الكبر ونحوه وهي نفس الكفار والشياطين والفاسقين والثانية اللوامة وهي التي تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصى أخرى ثم تندم فتلوم نفسها وهي منبع الندامة لأنها مبدأ الهوس والعثرة والحرص وهي نفس العامة والثالثة المطمئنة وهي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة وهي نفس المتعلمين العاملين والرابعة الملهمة وهي التي ألهمها العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر وهي نفس الأولياء الكرام والخامسة المرضية وهي التي رضيت بتلك عن الله كما قال تعالى وضوا عنه ويترك فيها الكرامات ويعرف فيها الله تعالى وهي نفس العارفين والسادسة الصالحة وهي التي مقام الأسرار بين الله وبينها وهي نفس الأنبياء والمرسلين (و) منها (بغض الشيطان) اللعين وعداوته واجتناب تسويله وتبسيطه ودعوته إلى الشر والضلال والغفلة والنسيان والمكر والخديعة والانهماك في المعاصي والبطالة ومن وسائله الموصلة له إلى القلب الشيع وأكل الحرام وترك الذكر والتكاسل عن الطاعات ومما ينفره ويقهره الذكر والأذان وهو اسم لك خبيث متمرّد من الجن من شاط احترق أو شطن بعد لبعده عن الخير فالمراد به هنا الجنس إبليس وأعوانه وذا زاد في الخبث والتمرد تسمى عفريتاً وهي أعدى الأعداء قال تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً فليتخذ الإنسان عدواً في جميع أحواله ويحذره جهده فقد قيل إنه يفتح للإنسان تسعا وتسعين باباً من الخير ليوقعه في باب من الشر وإنما قدم المصنف النفس على الشيطان لأنها أضرم منه فتنتها أعظم إذ هي عدو في صورة صديق والإنسان لا يتنبه لمكايد الصديق وأيضاً هي عدو من داخل بخلافه فإنه من خارج وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة الكبرى أو العظمى لأنها أعظم حجاب بين الشخص وربّه وقد سئل المشايخ الصوفية عن الإسلام فقالوا هو ذبح النفس بسيوف المخالفة أي لأنها إذا اعتادت للذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة ولذا سميت هذه الأمور سيوفاً وذبحها قهرها ونقلها عن هواها وقال (20/2) سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى فهي رأس العبادة وأول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع أبيك وقد أقسم أنه له لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم أنه ليغوينك فينبغي ويتأكد على كل عاقل مستبرئ لدينه أن يحذرهما قال صاحب البردة

حب الرضاع وإن تظلمه	والنفس كالطفل إن تهمله
ينفطم	شب على
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم	فاصرف هواها وحـ اذر أن توليـه
وإن هي استحلت المرعى فلا تسـم	وراعها وهي في الأعمـال سائمـة
من حيث لم يدر أن السم في الدسم	كم حسـنت لذة للمرء قاتلـة
فرب مخصـة شرّ من التخمـم	واخش الدسائس من جوع ومن شيع
من المحارم والزم حمـية النـدم	واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت
وإن هما محضاك النصـح فاتهـم	وخالف النفس والشيطان واعصمهما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكـم	ولا تطع منهما خصما ولا حكمـا

قال العلامة الشيخ إبراهيم البيجوري والحاصل أن للنفس حظاً في المعصية ظاهراً جلياً وفي الطاعة باطناً خفياً

(فائدة) من قسا قلبه وكرر قوله كم حسنت والبيت بعده ليلة الجمعة عند السحر فإنه لا يصبح إلا وقد رأى رقة في قلبه وكسراً في نفسه ونهوض أعضائه في العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه أمـ بمعناه وفي روح البيان عن بحر العلوم للسمرقندي أنه ورد في الحديث إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال الحمام قال فاجعل لي مجلساً قال الأسواق قال فاجعل لي طعاماً قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرباً قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذناً قال المزامير قال اجعل لي رسلاً قال الكهنة قال اجعل لي مصايد قال النساء وعن ابن عباس أن إبليس إذا مرت عليه الدهور وهرم عاد ابن ثلاثين سنة وذلك قوله تعالى فإنك من المنتظرين ويقال إن الخضر يجدده الله تعالى في بدنه في كل مائة وعشرين سنة فيعود شاباً وروى عن كعب الأحرار أنه قال لما حضر آدم الموت قال يا رب يشمت بي

عدوى فأجابه الحق يا آدم إنك سترد إلى الجنة ويؤخر اللعين إلى النظرة ليزوق ألم الموت بعد الأولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال حسبى وهو أنه تعالى يقول له عقب النفخة قد خلقت فيك قوة أهل السموات السبع والأرضين السبع وأنى البستك اليوم أثواب السخط والغضب كلها فأنزل بغضى وسطوتى على رجيمى فأذقه الموت وأحمل عليه مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا قد ملئوا غيظا وغضبا مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وأنزع روحه المتن بسبعين ألف كلاب فينزل بصورة لو رآه أهل السموات والأرضين بها لماتوا بغتة من هولها ويقول له قف يا خبيث لأذيقك الموت فيهرب إلى المشرق فإذا ملك الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو كذلك فيغوص البحار فلا تقبله ﴿21/2﴾ فلا يزال يهرب ثم يقوم وسط الدنيا عند قبر آدم ﷺ ويتمرغ فى التراب من المشرق إلى المغرب حتى إذا كان فى الموضع الذى أهبط فيه آدم ﷺ وقد نصبت الزبانية له الكلايب وصارت الأرض كالجمرة احتوشه الزبانية وطعنوا بالكلايب وبقي فى النزاع إلى حيث شاء الله وقيل لآدم وحواء ﷺ اطلعا على عدوكما فينظرانه ويقولان ربنا أتممت علينا نعمتك والله أعلم أم بمعنائه ﴿و﴾ منها ﴿بغض الدنيا﴾ الدنيا التى لم تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ومن هوانها عند الله تعالى أن وبخ أولى الرغبات فيها وذم أهل الحرص عليها فقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له الآلة وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة الآية ففى بعضها الراحة العاجلة والآجلة والعز والإكرام فى الدنيا والأخرى قال ﷺ الزهادة فى الدنيا تريح القلب والبدن وقال ﷺ إذا أحب الله عبدا زوى عنه الدنيا وقال السرى إن الله تعالى سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياؤه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم وقال الحسن البصرى أصول الشر ثلاثة وفروعه ستة فالأصول الحسد والحرص وحب الدنيا والفروع حب الرياسة والفخر والعناء والشبع والنوم والراحة وأصل الستة حب الدنيا ومن أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ولا يفتح عبد على نفسه بابا من الدنيا إلا سدّ عليه عشرة من أبواب الآخرة وقال محمد بن واسع من زهد فى الدنيا فهو ملك فى الدنيا والآخرة وقال مالك بن دينار القلب إذا غلبه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة وفى بعض الكتب إن الله تعالى قال أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه وقال عبد الواحد بن زيد ما من عبد أعطى الدينار فابتغى إليه ثانيا إلا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب بعدا وبعد الأنس وحشة وكان العورى يقول لو أن عبدا عبد الله تعالى بجميع المأمورات إلا أنه يحب الدنيا إلا نودى عليه يوم القيامة على رؤوس أهل الجمع ألا إن هذا فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل وإنى لأعرف محبة الرجل للدنيا بتملقه لأهلها وقال الشافعى ﷺ من غلبته شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضى القنوع زال عنه الخضوع لأهلها وقال الفضيل ﷺ إذا أحب الله عبدا أكثر همه وغمه فإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه ولو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على لا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا قرب منها وقال الجنيد لا تصفو القلوب لعلم الآخرة إلا إذا تجردت عن الدنيا وما رأيت أحدا عظمتها فقرت عينه فيها أبدا وكان بشر يتمثل بهذين البيتين

مكرم الدنيا	✖	مستذل فى
مهان	✖	القيامة
والذى هان	✖	فلله ثم
عليه		الإكرام

وقال الحسن البصرى مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب يستقلّ ماله ولا يستقلّ عمله ومن كلام سيدى الحبيب محمد جمل الليل قلت مرة أين الناس أين الناس فهتف بى هاتف راحوا فى الكاس راحوا فى الكاس والكاس حب الدنيا ولله در ﴿22/2﴾ سيدنا الحبيب عبد الله الحداد فى قوله

وازهّد بقلبك فى الدار التى	✖	طوائفا فأروها غايّة
فتنت	✖	العجب
تنافسوها وأعطوها	✖	مع القلوب فى الله من
قوالبهم	✖	عجب
وهى التى صغرت قدرا وما	✖	عند الإله جناحا فالحرى ص
وزنت	✖	غيبى
وخذ بلاغك من دنياك	✖	سعى المجد إلى مولاك
واسع به	✖	واحتسب
واعلم بأن الذى يبْتَاع	✖	بأجل من نعيم دائم
عاجله		يخب

والكلام فى ذمها من الآيات والأحاديث والنظم والنثر كثير جدا ويكفى فيه قوله ﷺ حب الدنيا رأس كل خطيئة وقد أجمع أهل الملل على ذم حبها حتى روى أن بعض أهل الكتاب جروا راهبا من الكنيسة فقيل لهم فى ذلك فقالوا إنا وجدنا فى طرف ثوبه درهما مربوطا فالشر كله فى حبها وامتزاجه بطينة الأذى كامتزاج الأرواح بالأجساد قال ﷺ لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب ويتوب الله

على من تاب نسال الله التوبة علينا وعلى جميع المسلمين والأمانة على الإسلام سالمين من فتنها مبغضين لها بمنه وكرمه قال في النصائح ثم اعلم أن الدنيا عبارة عن كل ما على وجه الأرض من المشتبهات واللذات وأصناف الأمتعة التي تشتهيها النفوس وتميل إليها وتحرص عليها وقد جمع الله أصولها في قوله زين للناس حب الشهوات الآية فمن أحب ذلك واشتد حرصه عليه وليس له غرض فيه إلا مجرد التمتع والتلذذ صار من جملة محبيها فإن أفرط حتى لم يبال من أين يأخذ من حل أو حرام واشتغل بسببه عما فرضه الله عليه وقع فيما حرم الله عليه من معصيته وتحقق في حقه الوعيد الوارد في المحبين لها بلا شك وصار أمره في نهاية الخطر إلا أن يتداركه الله بالتوبة قبل مماته وخروجه من هذه الدار اهـ بمعناه (و) منها (بغض أهل المعاصي) من حيث المعصية التي هي قذر ورجس وندس لأنه لم يبال إلا أعداءه الأشقياء المطرودين والمبغضين الذين حقت عليهم الكلمة وتخلفت عنهم العناية وأما غيرهم فقد عصم منها الأنبياء والرسل وحفظ الأولياء والأصفياء ثم أولئك منهم من وفق للتوبة فلحق بأهل الطاعات إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومنهم من أصر على شيء من الكبائر وينبغي للشخص أن لا يزدري أهل المعاصي بل يرحمهم ويشفق عليهم من العذاب وقد قال الإمام الشعراني في تنبيه المغترين ومن أخلاقهم رحمة العصاة وعدم إزدرائهم وفداؤهم بأنفسهم حتى أن أحدهم يؤد أن جلده يقرض بالمقاريض ولا يعصى أحد ربه ويرون كثرة الشفقة عليهم من أفضل الدعاء لهم وقد كان مطرف بن عبد الله يقول من لم يجد في نفسه رحمة للعصاة فليدع لهم بالتوبة والمغفرة فإن من أخلاق الملائكة الاستغفار لمن في الأرض اهـ بمعناه وقد مر أن سيدي معروفا لما قيل له ادع عليهم قال اللهم كما فرحتهم في الدنيا وفرحهم في الآخرة وقد ورد في رحمة العصاة أحاديث وأثار كثيرة كقوله إذا رأيتم أخاكم قد أصاب حدا فلا تلعنوه ولا تعينوا الشيطان عليه ولكن قولوا اللهم ارحمه اللهم تب (23/2) عليه قال السمرقندي فعليك أن تقتدى بمن قبلك فإن الله تعالى قد مدح أصحاب النبي بالتراحم فقال رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين جميعا وعلى أهل الذمة وقد رأى عمر شيخا من أهل الكتاب سأل على أبواب الناس فقال ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت غنيا ثم ضيعناك اليوم فأمر أن بأن يجري عليه قوته من بيت المال وقد روى عنه أنه قال بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة إلا برحمة القلوب وسلامة الصدور وأربع من حق المسلمين عليك إعانة محسنهم والاستغفار لمذنبهم والدعاء لمؤدبهم والمحبة لنائبهم وروى أنه تعالى قال لموسى برحمتك على خلقى اصطفتك وأكرمتك بالنبوة وروى أنه تعالى قال لا يرحم من لا يرحم وعنه من لا يرحم الناس لا يرحمه الله وقال شقيق الزاهد إذا ذكرت رجل السوء فلم تهتم له ترحما فانت أسوأ منه وعن عيسى لا تنظروا إلى عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا إليها كأنكم عبيد وارحموا صاحب البلاء واحمدوا صاحب العافية (و) منها (محبة الله) (و) محبة (كلامه و) محبة (رسوله) سيدنا محمد (و) وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويحصل ذلك باتباع أوامر الشرع واجتناب نواهيه قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممن سواهما الحديث وقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله قال الأستاذ في النصائح ومعنى الحب لله تعالى ميل وتعلق وتأله يجده العبد في قلبه لذلك الجناب الأقدس الرفيع مصحوبا بنهاية التقديس والتزيه وغاية التعظيم والهبة له تعالى التي لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يمازجه شيء من أوهام التكيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال وإنما نبهنا على ذلك لأن بعض العامة يسبق إلى أذهانهم إذا سمعوا بأحوال أهل الله وسأوس وأوهام عظيمة الخطر شديدة الضرر ثم من صدق في محبته تعالى دعاه ذلك إلى إيماره على ما سواه وعلى الجد والتشمير في طاعته وسلوك سبيل قربه ورضاه ومن أعظم ما يدل على محبته تعالى اتباع رسوله لقوله تعالى قل إن كنتم الآية (و) منها محبة (الصحابة والآل والأنصار) والعلماء (و) سائر (الصالحين) من المسلمين والمسلمات قال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبى وقال المرء مع من أحب وقال من أحب قوما فهو منهم قال بشر بن الحرث رأيته فقال يا بشر أتدرى لم رفعك الله تعالى من بين أقرانك قلت لا قال باتباعك لستنى وخدمتك الصالحين ونصحك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هذا الذي بلغك منازل الأبرار وقال الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه قال في الزواجر أى احذروا الله احذروا الله أى عقابه وعذابه كيحذركم الله نفسه وكما تقول لمن أشرف على نار النار النار أى احذرها فتأمل عظم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم محبة (24/2) له وبغضهم بغضا له وناهيك بذلك جلالة لهم وشرفا فحبهم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه ولذا كان حب الأنصار كما يأتى من الإيمان وبغضهم من النفاق لسابقتهم وبذلهم الأنفس والأموال في محبته ونصرته وإنما يعرف فضل الصحابة من تدبر سيرهم معه وبعده فجزاهم الله خير الجزاء وأفضله وأكملة وفى المشرع عنه أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه وقال إن الله فطم ابنتى فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار ولله در الإمام محمد بن إدريس الشافعى حيث قال

يا أهل بيت رسول الله

فرض من الله فى القرآن

حـكم

الرقي

10

إسعـ

كفاكم من عظيم القدر أن-كم ☒ من لم يصل عليكم لا صلاة له

وكون الصلاة عليهم في الصلاة واجبة هو قول عند الإمام أحمد ☒ ونقل عن الشافعي أيضا وعن أبي إسحق المروزي وغيره فنقل الإجماع على عدم وجوبها مردود وقال ☒ من علامة الإيمان حب الأنصار ومن علامة النفاق بغض الأنصار ولا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر قال بعض الحنابلة والمراد بهم من نصر الله ورسوله ودينه وهم باقون إلى يوم القيامة ومعاداتهم من أكبر الكبائر اهـ قال في الزواجر ودعواه ذلك إن كانت لدليل خارجي فواضحة وإلا فال إنما هي للعهد الذهني ولا معهود لهذا الوصف غير الأوس والخزرج والصالحون كما مر جمع صالح وهو القائم بحقوق الله وعباده سمي بذلك لأن أحواله صلحت عند الله واستحق رضاه وثنائه فشمّل الملائكة ولذا أخبر المصطفى بأن المصلى إذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض وما أحسن قوله

أحب الصالحين ولس-ت
من-هم
وأكره من بضاع-ته
المع-اصى
☒
☒
لعل-ي أن-ال به-م
شفاع-ة
☒
☒
وإن لنا س-واء في
البضاع-ة

وقال بعضهم إذا ذكر الصالحون في مجلس نزلت الرحمة وخلق الله منها سحابة لا تمطر إلا في أرض الكفر وكل من شرب من مائها أسلم وفي رواية من أصابه ماؤها وكان معروف يقول عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فقليل له فعند ذكر الله ماذا ينزل فأغمر عليه ثم أفاق فقال الطمأنينة قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال الإمام الغزالي معنى نزول الرحمة نزول سببها إذ هي دخول الجنة وسببها انبعاث القلوب للاقتداء بهم والاستنكاف مما هو ملابسه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدؤه الرغبة ومبدؤها المعاصي ومبدؤها سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب قال سيدي علي وفا من أراد أن يكون في حفظ من الفسقة فليخدم الصالحين

(25/2)- (خاتمة)- قال في الزواجر ما معناه والأحاديث في ذلك كثيرة قد استوفيتها وما يتعلق بها في كتاب حافل لم يصنف في هذا الباب مثله فيما أظن ولذا سميته الصواعق الحارقة لإخوان ذوى الابتداع والضلال والزندقة فاطلبه إن شئت لترى ما فيه من محاسن الصحابة وثناء أهل البيت عليهم لاسيما الشيخان ومن افتضاح الشيعة والرافضة في كذبهم وتفوتلهم وافتراءهم عليهم بما هم بريئون منه رضوان الله عليهم أجمعين ثم قال وفضائلهم ومناقبهم أكثر من أن تذكر وأجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضلهم العشرة وأفضل العشرة أبو بكر فعمر فعثمان فعلى ويحكى عن الرجل الصالح عمر بن الرعبي أنه كان مجاورا بالمدينة فخرج يوم عاشوراء إلى قبة العباس التي يجتمع ذلك اليوم فيها الإمامية فوقف على بابها وسألهم شيئا بمحبة أبي بكر فخرج له شيخ ومضى به لداره وأغلقها عليه وسلط عليه عبيدين كتفاه وأوجعاه ضربا ثم قطعاه لسانه ثم قال له اخرج لطلب من سألت في محبته ليرد عليك لسانك فخرج إلى الحجرة الشريفة وبكى من شدة الوجع والالم وقال في نفسه يا رسول الله إنك تعلم ما أصابني في محبة أبي بكر فإن كان صاحبك حقا فأحب أن يرجع لسانى وبات في الحجرة قلقا من شدة الألم فأخذته سنة من النوم فنام فرأى في نومه أن لسانه قد عاد كما كان فانتبه فإذا هو كذلك فقال الحمد لله الذى ردّ على لسانى وازداد محبة فى أبى بكر ☒ فلما كان العام الثانى فى يوم عاشوراء عاد إلى القبة وسأل فخرج له شاب ومضى به لداره وأكرمه ثم فتح الله بيتا وجعل يبكى فقلت له ما السبب فقال كان أبى من كبار الإمامية فجاءنا رجل يسأل بمحبة أبى بكر ففعل كذا وكذا ثم مسخ قردا فأدخلناه هذا البيت وأظهرنا موته وهو هذا القرد فقال له أنا ذلك الرجل وقص عليه القصة فقبل رجله وأعطاه ثوبا ودينارا ينبغى لكل شخص أن يتخلى عن كل وصف ذميم ويتحلى بكل وصف حميد وأهل العلم لاسيما أهل البيت منهم أحق بذلك (و)- قد (قال سيدنا)- وولى نعمتنا إمام الأئمة فى زمانه وقُدوة العارفين فى مكانه شيخ الإسلام على الإطلاق الموفود إليه من جميع الآفاق صاحب المقام العالى والشرف المتعالى الجامع للفضائل والفواضل الحبيب النقاد القائم بالنصح لطريق الحق والإرشاد ذى الفيض والإمداد الأستاذ الأعظم الحبيب (عبد الله بن علوى)- بن محمد (الحداد)- باعلوى (رضى الله)- تعالى (عنه)- وأرضاه وجعل الجنة مقيله وسكناه (ونفعنا به)- فى الدنيا والأخرى (فى كتابه النصائح الدينية)- والوصايا الإيمانية وما أحسنه من كتاب بل وجميع كتبه لم يصنع على منوالها وقد أوصى بها جملة من الأكابر نظما ونثرا فمن ذلك قول سيدنا الحبيب أحمد بن سميط طيب الله ثراه

إله الورى سهل على كل من-
قرا
وأصلح له كل الش-ؤون
وج-د له
وج-د له فى كل ح-ين
☒
☒
☒
تصاني-ف ح-داد الورى ما
تع-سرا
بعافية كبرى وأحسن- له
الق-رى
وفضلا وأنعشه متى ما

{ما}- أى لفظ هذا {معناه}- وهو قوله {وهذه أوصاف يحب أن يتحلى بها و}- أن {يتصف بها كل مؤمن}- ومؤمنة {وهى}- أى الأوصاف المشار إليها {قوله}- ﴿26/2﴾ {قبل هذا}- أى قبل قوله وهذه أوصاف {بقليل}- أى بنحو صفحة فى الكلام على العالم العامل ما لفظه ثم اعلم رحمك الله أن للعالم العامل بعلمه المعدود عند الله ورسوله من علماء الآخرة علامات وأمارات تفرق بينه وبين العالم المخلط المعدود عند الله ورسوله من علماء اللسان المتبعين الهوى المؤثرين للدنيا على العقبى فمن علامات العالم المعدود من علماء الآخرة {أن يكون خاشعاً}- فى أمور دينه كصلاته بل وسائر أحواله أى منقاداً فيها للحق قابلاً له من أى قائل كان ولما كان الخشوع أخص من التواضع إذ هو لا يكون إلا فيما بين العبد والرب فلا يقال خشع لربيد بخلاف تواضع له قال ﴿ونفعنا به {متواضعاً}- أى مستسلماً للحق تاركاً الاعتراض على الحكم واعلم أن كلا من الخشوع والتواضع عزيز جداً إلا على الموفق قال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع فى العبادة وقيل من خشع قلبه لم يقر به الشيطان أى بل يفز منه كما كان يفز من عمر ﴿وقيل ومن علامات الخاشع أنه إذا غضب أو خولف أو ردّ عليه فى شيء لم يتغير عن حاله بل يستقبله بالقبول وعن الترمذى الخاشع من خمدت نيران شهواته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم فى قلبه فماتت بذلك شهواته وحيى قلبه فخشعت جوارحه وأقوالهم فيه كهيمة واتفقوا على أن محله القلب وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره أى لأنه حينئذ لم يعرف قدر نفسه فربما يظهر منه كبر على الناس ينزل به قدره عندهم بخلاف من اتضع عندها فإنه يرتفع لخبر من تواضع لله رفعه الله قال أبو سليمان الداراني لو اجتمع الناس على أن يضعوني عن قدرى كاتضاعى عند نفسى لما قدروا عليه قال شيخ الإسلام وإنما قاله ﴿ليقتدى به لا رياء ولكمال تواضع عمر بن عبد العزيز أنه كان يسجد على التراب تذلاً ورجاء لقبول عمله وكان عنده ضيف ذات ليلة وهو يكتب فكاد السراج ينطفئ فاستأذنه الضيف فى إصلاحه فأبى وفى تنبيه الغلام فأبى ثم قام وجعل فيه دهنًا فقال بنفسك فقال فمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ولما تواضع الجودى وترفع غيره من الجبال جعله تعالى قراراً للسفينة {فائدة}- التواضع للأغنياء لدنياهم مذموم وعليه يحمل قول ابن المبارك التكبر على الأغنياء تواضع وإلا فالتكبر مذموم على الأغنياء وغيرهم والتواضع محمود كذلك كما قاله شيخ الإسلام وسيأتى إن شاء الله بسط كلام فى التواضع ومنها أن يكون {خائفاً}- أى فزع القلب من مكروه يناله أو محبوب يفوته {وجلا مشفقاً}- بمعنى خائفاً أو مرتعداً {من خشية الله تعالى}- أى من عظمتها ﴿والخوف منه تعالى هو أن يخاف عقابه وقد فرض الله على عباده أن يخافوه فقال وخافون إن كنتم مؤمنين وعنه ﴿من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله خاف كل شيء وعن أبى حفص الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه الخير والشر ومن علم أن لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى لم يخف غيره من سبع و نار وغيرهما كما وقع للخليل ﴿فمن لم يخف غيره أمن من كل مخوف وإن خاف من بعض المخلوقات فإنما يخاف أن يسلطه الله عليه ويكون خوفه من البعوضة أن يسلطها الله عليه أشد من خوفه من الهرة ومن الهرة أشد من الفيل والأسد ومن خافه تعالى خافه كل شيء كما مر لأن عامة الخوف منه تعالى على باطن الخائف من آثار مشاهدة الجلال ومن تجلى عليه الجلال كساه ملابس الهيبة فهابه كل شيء فالخائف تارة يخاف المخلوقات وتارة يأمنها والثانى ﴿27/2﴾ أعلى وعن سليمان الداراني أنه ينبغي أن يكون الغالب على القلب الخوف لأنه إذا غلب الرجاء فسد القلب قال شيخ الإسلام ومع ذلك فإذا استقامت أحوال العبد كان الكمال فى استوائهما فى قلبه وهو الذى أوصى به أبو بكر أوعمر ﴿بقوله ليكون العبد راغباً راهباً لا يتألى على الله ولا يقنط من رحمته ويدل عليه قول عمر ﴿لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً لرجوت أن يكون أنا ولو نادى إنكم داخلون الجنة إلا رجلاً لخشيت أن يكون أنا قال بعضهم هذا فى غير حالة الاحتضار وإلا فالأولى غلبة الرجاء وحسن الظن وقال الغزالي إن غلب داء القنوط على العبد فالرجاء أفضل أو داء الأمن من المكر فالخوف أفضل {تنبيه}- استعمال الخشية فى العظمة مجاز كما حكى عن الإمام أبى حنيفة ﴿أنه قال فى قراءة عمر بن عبد العزيز إنما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة ونصب العلماء أن الخشية مستعار للتعظيم لا على حقيقتها لاستحالتها عليه تعالى وفى روح البيان فى الكلام على قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون مرتعدون والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه قال ابن الشيخ الخشية والإشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما أن المنظور فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الإشفاق جانب المخشى عليه وهو الاعتناء بشأنه وعدم الأمن من أن يصيبه مكروه ثم أن الإشفاق يتعدى بمن وعلى فإن عدى بمن كان معنى الخوف فيه أظهر أو بعلى كان معنى الاعتناء فيه أظهر وعنه ﴿أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطاً كالحلس من خشية الله وأن إسرافيل له جناح بالشرق وجناح بالمغرب والعرش على جناحه وأنه ليتضاءل الأحيان حتى يعود مثل الوضع قال فى القاموس وهو بالسكون ويحرك طائر أصغر من العصفور اهـ بمعناه ومنها أن يكون {زاهداً فى الدنيا}- أى معرضاً بقلبه عنها والزهد فيها رأس كل طاعة كما أن ضده وهو حبها رأس كل خطيئة ولو لم يكن فيه إلا البعد عنها التى هى ملعونة لله تعالى لكفى بذلك فضلاً وشرفاً كما قاله شيخ الإسلام قال ﴿إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً فى الدنيا ومنطقاً أى فيها بالمواعظ فابتربوا منه فإنه يلحق الحكمة وقد اختلفوا فى الزهد وحده وكل تكلم على حسب وقته وحاله قيل ومن

صدق في زهده في الدنيا أتته وهي راغمة لأنه لا رغبة له فيها وما قدره الله له آتية رغما أو لأنه تعالى يمتحن بها أوليائه كما قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وأحسن العمل فيها الزهد قال بعضهم الله يعطى الزاهد فوق ما يريد والراغب دون ما يريد والمستقيم وفق ما يريد وقال الإمام أحمد ترك الحرام زهد العوام وترك فضول الحلال بالقلب وهذ الخواص وترك ما يشغل عن الرب بالقلب زهد العارفين وعن الفضيل جعل الله الشر كله في بيت ومفتاحه حب الدنيا والخير كله في بيت ومفتاحه الزهد فيها وأن يكون {قانعاً} يعنى {راضياً باليسير منها} أى الدنيا وإنما أول قانعا براضيا لأن القناعة معناها الرضا باليسير من العطاء فهو على طريق التجريد وفى شرح رسالة القشيري أنها الاكتفاء بما نتدفع به الحاجة من مأكّل وملبس واعلم أنه لا شيء أعز من القناعة قال ❧ القناعة كنز لا يفنى وقد فسر بعض المفسرين الحياة الطيبة فى (28/2) قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة بها وقال ❧ عز من قنع وذل من طمع ولا بن حجر العسقلاني

أمـت مطامـعى ولزمت	✕	فطاب الأنس لى ونمـا
بيـتى	✕	السـرور
وأذبـنى ألزمـان فمـا	✕	أسـار الجيـش أم ركب
أبـالى	✕	الأمـير
وأنسـى والمجالـس لى	✕	فدريـدا لا أزار ولا
لـتابى		أزور

وكم ورد فى فضل القناعة من آيات وأخبار وآثار {تنبيه} قنع كرضى وزنا ومعنى وكسأل وزنا ومعنى ومضارعهما وأمرهما بالفتح والمراد هنا الأول والقنوع كالقعود يأتى بالمعنيين فمن الأول قولهم خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع وقوله وقالوا قد زهيت فقلـت

ومعنى زهيت تكبرت ومن الثانى قوله

لمـال المـرء يصلحـه	✕	مفـاخره أعـف من
فيعـيى		القنـوع

يعنى أن عمل الشخص فى مال نفسه حتى يتعب ظهره أعف له من سؤال الناس وقد اجتمع المعنيان فى قوله والعبد حـزـن إن

العبد حـزـن إن	✕	والحـزـن عبـد إن
قنـوع	✕	قنـوع
فاقنع ولا تقنع فما	✕	شئ يشـين سـوى
		الطمـع

ومنها أن يكون {منفقا للفاضل عن حاجته} وحاجة ممونه {مما فى يده} من الدنيا وقد مدح الله المنفقين بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فإن احتاجه من تجب نفقته حرم عليه إنفاقه على غيره أو احتاجه هو وقدر على الصبر فله فيه ثواب عظيم ومنها أن يكون {ناصحا لعباد الله تعالى} لاسيما من استشاره فى أموره فينصحه بما يعرف أنه الأصلح له فى دينه ودنياه قال ❧ الدين النصيحة لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ومنها أن يكون {مشفقا} أى خائفا {عليهم} أى على أهل المعاصى منهم من عقاب الله أو معتنيا عاطفا على جميع المسلمين {رحيما بهم} فى جميع أمورهم لاسيما أهل المعاصى منهم وقد رود الراحمون يرحمهم الرحمن أرحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء ومنها أن يكون {آمرا بالمعروف} و {ناهيا عن المنكر} بشروطه ورتبه المتقدمة ومنها أن يكون {مسارعا فى} جميع ما يرى أن المسارعة فيه من {الخيرات} الأخروية الموصلة إلى الجنة ونعيمها قولا وفعلًا وحالا قال تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ومنها أن يكون {ملازما} فى جميع أوقاته {للعبادات} المفروضة والمندوبة القلبية والفعلية والقولية المالية والبدنية حسبما يطيق وأن يكون دالا على الخير. إذ الدال على الخير كفاعله كما قاله ❧ وتقدم أن له مثل أجره لا ينقص من أجر الفاعل شيئا وأن العلامة السحيمى قال ظاهر الحديث أن للدال ثوابا كثواب الفاعل إن حصل ما دل عليه وإلا فله ثواب الدلالة وأن يكون {داعيا} العباد باللفظ {إلى} طريق {الهدى} والنجاة قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى (29/2) هى أحسن والهدى ما جاء به النبى ❧ قال السمرقند وفى هذه الآية تنبيه على أن المدعو ثلاث فرق فإن المدعو بالحكمة الخواص وبالموعظة العوام وبالمجادلة أهل الجدل وهم طائفة أهل كياسة تميزوا بها عن العوام ولكنها ناقصة مدنسة بصفات رديئة من خبث وعناد وتعصب ولجاج وتقليد ضال تمنعهم عن إدراك الحق فإن الكياسة الناقصة شر من البلاهة فليستعمل الداعى كلا مع من يناسبه فإنه لو استعمل الحكمة مع العوام لم يفد إذ هم لم يفهموها لسوء بلادتهم والحكمة الخوف والرجاء والموعظة الحسنة الرفق والمداراة ولين الكلام والتعريض فى الخلوة وقيل المراد بالحكمة البصيرة على رعاية الحال من لين ورفق وتشديد وتعريض وبالموعظة الحسنة الموعظة المشتملة عليها وعلى الترغيب والترهيب

وجلب القلوب إلى المحبوب وسلب النفوس عن القبح وغيره مما يليق بها وبالجمله فالمراد بها الجامعة لجوامع الكلم وبقوله وجادلهم المجادلة الحسنة الحقانية التي تكون برفق ولين وصفح وعفو وسمح وكلام بقدر العقول ونظر في عواقب الأمور ومنها أن يكون ﴿ذا﴾ أي صاحب ﴿سمت﴾ أي طريقة وهيئة أهل الخير كما في القاموس ﴿وتؤدة﴾ بالبدال المهملة التاني في الأمور حتى يتبين حسنهما من قبحهما كما في الزواجر وهي بضم الأول وفتح الثاني أو سكونه كما في القاموس ﴿و﴾ ذا ﴿وقار﴾ بفتح الواو أي رزانة كما في القسطلاني وقال في موضع آخر الوقار في الهيبة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات ﴿و﴾ ذا ﴿سكينة﴾ وهي أمانة أي حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأمنها مما تكرهه وقال القسطلاني هي التاني في الحركات واجتناب العبث أو الكلمتان بمعنى واحد والثاني تأكيد للأول وقد كتب الإمام مالك ﷺ إلى الرشيد إذا علمت علما فليكن عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره وعن بعض السلف حقّ على العالم أن يتواضع في سرّه وعلايته ويحترس من نفسه ويقف عما أشكل عليه وعن الإمام مالك ﷺ حقّ عليه إذا خلا بنفسه أن يضع التراب على رأسه تواضعا ولا خوفا من الله وعدم القيام بحقوق العلم ﴿و﴾ منها أن يكون ﴿حسن الأخلاق﴾ جمع خلق بضمين أو ضم فسكون وهو بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندي وقيل غير ذلك وهو ممدوح ومطلوب وقد قال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانا فقال أحسنهم خلقا بأن يتخلى عن الأخلاق الذميمة كالشره والرياء والعجب ويتحلى بالحميدة كالورع والزهد والتوكل والرضا فيصل به إلى أفضل المناقب إذ أفضل مناقب العبد حسن الخلق فينبغي لكل شخص أن يحسن خلقه حتى مع البهائم كما قال الفضيل لو أن العبد أحسن الإنسان كله وكان له دجاجة أساء إليها لم يكن من المحسنين أي الكاملين ومن جملة حسن الخلق أن يكون ﴿واسع الصدر لين الجانب﴾ أي مسهله ﴿مخفوض الجناح للمؤمنين﴾ أي متواضعا لهم فخفض الجناح كناية عن التواضع والانحطاط وذلك لأن الطائر إذا أريد أن ينحط خفض جناحه وكسره وقد قال تعالى لنبيه ﷺ واخفض جناحك أي تواضع للمؤمنين أي لمن معك من فقرائهم فإن تواضعك لهم أطيب لقلوبهم ومنها أن يتحلى عن كل وصف ذميم بأن ﴿لا﴾ يكون ﴿متكبرا ولا متجبرا﴾ على أحد من المسلمين إذ هما من صفات المتكبر والجبار ﷺ وقد قال ﴿30/2﴾ تعالى من شاركني فيهما فصمته كما ورد في الحديث ومن علامات المتكبر حب التصدّر في الأشياء والاستنكاف من الاتعاظ والتعنيف عند الوعظ كما يأتي ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿طامعا في﴾ ما بأيدي ﴿الناس ولا حريصا على الدنيا﴾ الدنية ﴿ولا مؤثرا﴾ مقدما ﴿لها﴾ أي للذاتها ﴿على﴾ الدار ﴿الآخرة﴾ وثوابها ﴿ولا جامعا للمال﴾ الزائد على قدر الحاجة والضرورة بأن يقلل منه بقدر الإمكان فإن ما يحتاجه منه لا يعدّ من الجمع المذموم بل من القناعة ومن آداب العلم صونه والقيام بحقه فلا يدنس به بأطماع الدنيا وأقذارها ﴿ولا مانعا له﴾ أي المال عمن يستحقه يبيع وغيره فلا يمنع أحدا من مستحقه ﴿عن حقه﴾ منه سواء كان واجبا التسليم له أو مندوبا وسيأتي الكلام على منع الزكاة ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿فضا ولا غليظا﴾ قلبه قال تعالى ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا أي تفرقوا من حولك والآيات فيه كثيرة معلومة وقال ﷺ إن الله ﷻ رقيق يحب الرفق في الأمر كله يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وقال ﷻ إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال ﷻ من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وغير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿مماريا ولا مجادلا﴾ على باطل قال ﷻ من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة بفتح الراء والباء ما حولها ومن تركه وهو محق بنى له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بنى له بيت في أعلاها ومحله في المحق إذا كان لا يفيد أو كان القصد منه القهر والغلبة وحظ النفس فلا ينافيه آية وجادلهم بالتي هي أحسن قال في روح البيان ومن خواص المجادلة الحسنة أن يكون المراد منها إظهار الحق وبيان الصدق لمن خالف الحق والصدق بكماله الإعراض عن جميع الأغراض والأعراض وتامم الترحم للمخالفين المعاندين الضالين عن سبيل الحق والصدق الغافلين السائرين إلى سبيل الباطل والكذب

﴿تنبيه﴾ الجدال مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المغالبة والمراء بمعناه ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿مخاصما﴾ لمن يأمره أو يرشده بل ولا لمن يؤذيه أو تحصل منه زلة فقد قال ﷻ ما أؤذى أحد ما أؤذى أحد ما أؤذى في الله وقال بعثت بمدارة الناس رأس العقل المدارة وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿قاسيا﴾ في أمور دنياه بل يكون سخيا جوادا قال ﷻ السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل أي لأن الأول سريع الانقياد إلى ما يؤمر به وينهى عنه والمراد السخي بالمال وغيره من جاه ونحوه من سائر ما يطلب منه شرعا والبخيل بذلك كما قاله شيخ الإسلام ﴿و﴾ أن ﴿لا﴾ يكون ﴿سيء الأخلاق ولا ضيق الصدر﴾ لأن سوء الخلق مما يكثر الهم وقد سئل ذو النون عن أكثر الناس هما فقال أسوأهم خلقا قال شيخ الإسلام لأن ما ساء خلقه عدم الصبر على ما ابتلى به وساءت معاملته لمن يعامله فلا يزال في همّ وكرب مما يخالف غرضه فسوء الخلق يرجع ضرره على صاحبه في دينه ﴿31/2﴾ ودنياه وبعبكسه حسن الخلق وقال ﷻ إذا غضب الرجل وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه وإلا فليضطجع لينكسر غضبه كما ينكسر بالماء إذا توشأ لأن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار ومنشأ الغضب الحسد والكبر والأنفة فيقابل ذلك بالتواضع فينكسر الغضب تارة بالماء وتارة بالجلوس من قيام وتارة

بالاضطجاع من جلوس قال في الزواجر ومَرَّ في أحاديث الغضب ما يدل على أنه تعالى خلقه من نار وعرزه في الإنسان وعجته بطينته فمهما قصد في غرض من أغراضه اشتعلت فيه تلك النار إلى أن يغلى منها دم قلبه ثم ينتشر في بقية عروق بدنه فترتفع إلى أعاليه كما يرتفع الماء المغلى فينصب الدم بعد انبساطه في الوجه ويحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم هذا إن استشعر القدرة على من غضب عليه وإلا فإن غضب ممن فوقه ونُس من الانتقام منه انقبض دمه من ظاهر جلده إلى جوف قلبه وصار خوفاً فيصر لونه أو من مساويه وشك في القدرة عليه تردد دمه بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب فعلم أن قوة الغضب محلها القلب وأن معناها غليان دمه لطلب الانتقام وأنها إنما تتوجه عند ثورانها لدفع مؤذ قبل وقوعه أو التشفى والانتقام بعده فالانتقام لذتها ومشتهاها ثم إن التفريط فيها بانعدامها وضعفها مذموم جداً لانعدام الحمية والغيرة حينئذ ومن لا غيرة له لا دين له ولا مروءة ولا يتأهل بشيء من أنواع الكمال بوجه من الوجوه لأنه بالنساء بل بحشرات الحيوانات أشبه وهذا معنى قول الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وأطال في ذلك (و) أن (لا) يكون (مداهناً) أي موارياً في الأمور مخفياً للحق قال القرطبي المداهنة المصانعة وقيل داهنت بمعنى وارتيت وأدهنت بمعنى غششت والمراد أن لا يكون مصانعا بالدين لتسلم له الدنيا كما هو حقيقة المداهنة وأما العكس فمحمود مطلوب إذ هي المداراة وقد قال (و) أمرني الله بمدارة الناس كما أمني بإقامة الفرائض (و) أن (لا) يكون (مخادعاً ولا غاشياً) لأحد من عباد الله وقد عد في الزواجر الخداع والغش من الكبائر (و) أن (لا) يكون (مقدماً للأغنياء على الفقراء) لأجل فقرهم وغناهم بل ينبغي أن يقدم الفقراء لئلا تنكسر قلوبهم كما كان يفعل بعض العارفين فكان لا يلتفت لغنى إذا حضر فقير عنده كيف وقد قال (و) يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام وورد لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة قال شيخ الإسلام وفيه دلالة على شرف الفقراء ومحبتهم لهم ومن أحب من أحبته الله كان شريكاً له في محبة الله وبهذا الاعتبار كان حب المساكين مفتاح الجنة لأنهم فيها وحبهم سبب لدخولها معهم والفقراء جلساؤه يوم القيامة (و) أن (لا) يكون (متردداً على السلاطين) وغيرهم من أرباب الرياسة والدنيا إلا لحاجة أو ضرورة أو مصلحة دينية راجحة على المفسدة إذا كانت نيته حسنة صالحة وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض السلف من المشي والتردد إليهم كالزهري والشافعي وغيرهما لا على أنهم قصدوا بذلك فضول الأغراض الدنيوية قاله السهمودي (و) أن (لا) يكون (ساكتاً) إذا دخل (على) السلاطين ونحوهم ورأى عندهم منكراً عن (الإنكار) له (عليهم) بل وفي كل ما يعلمه مخالفاً للشرع من أمورهم لأنه يجب (مع القدرة) الإنكار عليهم (32/2) وإلا فيجوز كما مرَّ قال (و) خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى الإمام أمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وإذا خافت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها الإيمان (و) أن (لا) يكون (محباً للجاه والمال والولايات) على الأوقاف والأيتام والجيوش ونحو ذلك من كل ما فيه منزلة ورياسة وحظوظ فانية (و) الواجب عليه أن (يكون لها كارهاً لذلك كله) وأنه (لا يدخل في شيء منه ولا يلبسها إلا من حاجة أو ضرورة) إليه أو اقتضته مصلحة دينية مع صلاح النية وحسن الطوية (انتهى) أي تم وبلغ النهاية في الكمال (كلامه) أي كلام سيدنا عبد الله الحداد في النصائح وما أحسنه من ناصح (رضى الله تعالى عنه) وأرضاه (ونفعنا به) في الدنيا والآخرة آمين ثم قال بعد قوله أو ضرورة وبالجملة فيكون متصفاً بجميع ما بحثه عليه العلم ويأمره بالأخلاق المحدودة والأعمال الصالحة مجاناً لكل ما ينهيه عنه من الأخلاق المذمومة وهذه الأوصاف يجب أن يتحلى ويتصف بها كل مؤمن غير أن العالم أولى بها وأحق لأنه علم به يهتدى ويقتدى فإن ضلَّ وغوى وأثر الدنيا كان عليه إثم وأثم من تبعه وإن استقام والتقى كان له أجره وأجر من اتبعه على ذلك أم بمعناه

(تنبيه) الترضى كالترحم مسنون على كل خير ولو غير صحابي خلافاً لمن خص الترضى بالصحابي كما في التحفة قبيل باب زكاة النبات قال السيد عمر وهل المراد بالخير ظاهره وهو من تميز بعلم أو صلاح أو نحوه أو كل مسلم لأن المسلم الفاسق أحوج إلى طلب الرضا منه (و) من غيره ينبغي أن يراجع ويحرم أم

(فصل) في ذكر شيء من معاصي القلب وقد مرَّ أنه كالراعى لبقيّة الجوارح فانبعاثها للطاعة أو ضدها من تلقائه ولا يحصل منها حركة أو سكون إلا به (و) قد علمت جملة من طاعاته فحينئذ (من معاصي القلب الرياء بأعمال البر) كالصلاة والصوم وغيرهما من سائر الطاعات (وهو) مأخوذ من الرؤية وحده المذموم (العمل لأجل) طلب المنزلة والتعظيم عند (الناس) بعمل الآخرة قال في الزواجر ويكون إما بإظهار نحول وصفرة وتشعث وخفض صوت ليظن أنه شديد الاجتهاد في العبادة وحزنه وقلة أكله وعدم مبالاته بنفسه ليظن أنه مشغول عن نفسه بما هو أهم وما درى أنه حينئذ أقبح من مكاس وقاطع طريق إذ هما معترفان بخلافه فإنه مغرور في الدين وإما بإظهار زى الصلاح كإطراق رأس في المشي وإبقاء أثر السجود ولبس الصوف ليظن أنه عالم أو صوفي مع أنه مفلس عن حقيقة العلم أو التصوف بباطنه وما درى أن كل ما وصل إليه لأجل هذا التلبيس حرام عليه قبوله بل هو مفسق لآكل أموال الناس بالباطل وإما بالوعظ وإظهار حفظ السنن ونحوها إذ هو بالقول كثير لا تنحصر أنواعه وإما بنحو تطويل أركان نحو الصلاة وإظهار التشعشع وربما أنه لشدة حرصه على أحكام الرياء وإتقانه يتألف ذلك بفعله في خلواته ليكون له خلقاً في الملأ لا للخوف منه

تعالى وإما بالأصحاب والزوار كان يطلب من نحو عالم أو أمير أن يزوره ويأتي إليه إيهاما لرفعته وتبرك الأكاير به وكان يذكر أنه لقي شيوخا كثيرين افتخارا بهم وترفعوا على غيره فهذه مجامع أبوابه الحامل إيثارها على طلب نحو الجاه والمنزلة واشتهار الصيت حتى تنطلق الألسنة بالثناء عليه ويجلب الحكام من سائر الأفاق إليه **(33/2)** ثم هو ثلاثة أقسام كما ذكره حجة الإسلام الأول ما يحرم ولا تنعقد به الأعمال وهو أن يكون الباعث على فعل نحو الصلاة مجرد الرياء بأن لا ينهضه إليه إلا ذلك القصد ويقارن التحرم الثاني ما لا يحبط الأعمال وهو أن يردَّ خاطره في أثناءها بأن يكون لو فرض أنه ليس في الصلاة لأنشأها **(و)** لكن هذا **(يحبط ثوابها)** إن ختمها وهو مستصحب له فإن رجع عنه أثناءها حصل له الثواب إن تاب وندم الثالث أن يردَّ بعد الفراغ منها بحيث يعقد نحو الصلاة مثلا ويستمر فيها حتى يختمها على الإخلاص ثم تظهر منه رغبة الإظهار والتحدث بها فيفعل ذلك وهذا مخوف فإن تاب وندم رجع له الأجر وسقط عنه الإثم وفي التحفة في باب الوضوء إن قصد العبادة يثاب عليه بقدره وإن انضم إليه غيره مما عدا الرياء ونحوه مساويا أو راجحا وفي باب الصلاة عن الحلبي كل عمل لم يعمل بمجرد التقرب به إليه تعالى لم يثب عليه وإن سقط بالفرض منه الوجوب ومراده السالم من الرياء **ام** قال في الزواجر والحاصل أن المتجه ترجيحه أنه متى كان المصاحب لقصد العبادة رياء مباحا لم يسقط الثواب من أصله بل يثاب على قدر قصد العبادة وإن ضعف أو محرما سقط من أصله كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة ولا يعكر عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره لأن تقصيره بقصد المحرم أوجب سقوط قصد الأجر فلم يبق له ذرة من خير وأطال في ذلك ثم قال إنه درجات متقاربة في القبح فأقبحها الرياء في الإيمان وهو شأن المنافقين المرادين بقوله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الآن قليل نعم كثر من هو مثلهم في القبح كالمعتقدين للبدع المكفرة ويليهم المرءون بأصول العبادات الواجبة كأن يعتاد تركها في الخلوة ويفعلها في الملا خوف المذمة وهذا أيضا عظيم عند الله لأنه يدل على غاية الجهل ويليهم المرءون بالنوافل كأن يعتاد تركها في الخلوة فقط خوف الانتقاص بعدم فعلها في الملا ويليهم المرءون بأوصاف العبادة كتحسينها وإطالة أركانها وإظهار التخشع فيها واستكمال سائر مكملاتها في الملا والاقتصار في الخلوة على أدنى الواجبات لخوف وإيثار ما مرَّ فهذا محذور أيضا لأن فيه كالذي قبله تقديم المخلوق على الخالق فدلَّت قرائن حاله على أنه ما بعثه على ذلك إلا نظر الخلق ورجاء محمديتهم وللمرائي لأجله درجات أيضا فأقبحها أن يقصد التمكن من معصيته كمن يظهر الورع والزهد ليولي المناصب وتودع عنده الودائع أو تفوض إليه تفرقة الصدقة وقصده الخيانة في ذلك وكمن يعظ أو يعلم أو يتعلم للظفر بامرأة أو غلام فهؤلاء أقبح المرائين عنده تعالى لأنهم جعلوا طاعته سلما إلى معصيته ووصلة لفسقهم وسوء عاقبته ويليها من يتهم بمعصية أو خيانة فيظهر الطاعة والصدقة قصدا لتلك التهمة ويليها أن يقصد نيل حظ مباح من نحو مال أو نكاح من حظوظ الدنيا ويليها أن يقصد بإظهار عبادته وورعه وخشوعه أن لا يحتقر وينظر إليه بعين النقص أو أن لا يعدَّ من جملة الصالحين وفي الخلوة لا يفعل شيئا من ذلك ومن ذلك أن يترك إظهار المفطر في يوم يسنَّ صومه خشية أن يظن به أنه لا اعتناء له بالنوافل فهذه أصول درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين قال الغزالي وجميعهم تحت مقتته تعالى وغضبه واعلم أن الرياء هو الشرك الأصغر وقد شهد بتحريمه الكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فمنه قوله تعالى فويل للمصلين الآية وأما السنة فمنها قوله تعالى **﴿**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء وقوله الشرك أخفى في أمتي من ديبب النمل **(34/2)** على الصفا في الليلة الظلماء والصفا الحجر الأملس وفي هذا تزلُّ أقدام فحول العلماء فضلا عن العباد الجهال بأفات النفوس وغوائل القلوب وبيانه أن الرياء إما جليّ وهو ما يحمل على العمل ويبعث عليه وإما خفيّ وهو ما لا يحمل عليه لكنه يخفف بمشقة كمن يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه لكن إذا اطلع عليه أحد نشط له وخفَّ عليه ومع ذلك ما عمل إلا له تعالى ولرجاء ثوابه وعلامة ذلك أن يتهدد وإن لم يطلع عليه أحد وأخفى منه لا يحمل على تسهيل وتخفيف ومع ذلك عنده رياء كامن في قلبه ككفون النار في الحجر لا يمكن أن يطلع عليه إلا بعلامات أجلاها أن يسره اطلاع الناس على طاعته ويروح قلبه شدتها فهذا السرور يدل على رياء خفيّ وحينئذ يحمله على تكلف سبب الاطلاع عليه ولو بالتعريض ونحوه كإظهار نحول وخفض صوت ويبس شفة وغلبة نعاس وأخفى من ذلك أن يختفى بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسره ولكن يحب أن يبدأ بالسلام والتعظيم وأن يوسع في المكان ونحو ذلك ومتى قصر أحد في ذلك ثقل على قلبه لعظمة طاعته التي أخفاها عند نفسه فكان نفسه تطلب أن يحترم في مقابلتها بحيث لو فرض أنه لم يفعلها لم تطلب ذلك ومهما لم يكن وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يخل عن شوب خفى منه أخفى من ديبب النمل قال الغزالي وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون وعن علي كرم الله وجهه إن الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخس عليكم السعر ألم تكونوا تبدءون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم ومن ثم لم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى ويحرصون على إخفاء أعمالهم الصالحة أعظم مما يحرصون على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن يخلص عملهم فيجازون عليه يوم القيامة لعلمهم أنه تعالى لا يقبل إلا الخالص وأنه لا ينفع ما ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وكل من وجد في نفسه فرقا بين اطلاع صغير أو كبير على عبادته فعنده شوب من الرياء ومنها يقول الله **﴿**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل لى عملا أشرك

فيه غيرى فأنا منه برئ ونصيبى لشريكى وعن قتادة إذا رأى العبد قال الله تعالى انظروا إلى عبدى كيف يستهزئ بى ومنها من سمع الله به ومن رأى رأى الله به وإن فى جهنم لواديا تستعيز جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمئة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين الحديث وأشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرا ولا خير فيه إن الله حرّم الجنة على كل مرآة وريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمئة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة وأما الإجماع فواضح لتطابق كلمة الأئمة على ذمه وتحريمه وعظم إثمهم وقد قال عمر رضي الله عنه لمن رآه يطأ رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبته ليس الخشوع فى الرقاب وإنما هو فى القلوب وأبو أمامة لمن رآه يبكى فى سجوده فى المسجد أنت أنت لو كان فى بيتك وعلى للمرائى ثلاث علامات يكسل وحده وينشط مع الناس ويزيد فى العمل إذا أثنوا عليه وينقص إذا ذمّ وعن إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أراد أن يشتهر وعن بعض الحكماء مثل من يعمل رياء كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق يشتري فإذا فتحه بين يدي البائع افتضح فلم يحصل به منفعة غير قول الناس فلان ملأ كيسه ولا يعطى به شيئا فكذا ذو الرياء قال تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أى أعمال الرياء يبطل ثوابها **(35/2)** لأنها صارت كالهباء المنثور أى الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس واعلم أنه إذا أطلق على لسان حملة الشرع فالمراد به المذموم المارّ فى كلام المصنف والمعنى فى تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيا للعن أن فيه استهزاء بالحق تعالى كما مرّ عن قتادة ويوضحه أن أحد خدام الملك القائمين بخدمته لو كان قصده بوقوفه ملاحاة أمة أو أمرد كان ذلك عند كل من له أدنى مسكة من عقل استهزاء به وأى استحقار واستهزاء يزيد على قصدك بعبادة الربّ عبدا مثلك لا يضرّك ولا ينفعك فإن فعلك ذلك ينبئ عن اعتقادك فيه أنه أقدر على تحصيل أغراضك من مولاك فرفعته على المولى القوى القادر وفيه تلبيس وهو حرام فإنك لو قضيت دين شخص لتخيل له أو لغيره أنك متبرّع فيعتقد سخاوتك أثمت به للتلبيس

(تنبيه) الفرق بينه وبين الشرك الأكبر يتضح بمثال هو أن المصلى ليقال له صالح مثلا يكون رياؤه سببا للعمل لكنه أثناءه تارة يقصد تعظيم الله تعالى وتارة لا وفى كل منهما لم يصدر منه كفر بخلاف الأكبر فإنه لا يحصل إلا لو قصد بنحو سجوده مثلا تعظيم غيره تعالى فعلم أن المرائى ما جاءه الشرك إلا بواسطة أنه عظم قدر الخلق عنده حتى حمله على السجود فكانه عظمهم به وهو عين الشرك الخفى ولا يفعله وقدم عليه إلا مخادع مغرور ممقوت فعلى العاقل أن يشمر كل مرفق عن مساعد الجدّ فى إزالته بالمجاهدة وتحمل المشاق والمكابدة لقوة الشهوة إذ لا ينفعك أحد عن الاحتياج لذلك إلا من رزق قلبا سليما نقيّا خالسا عن شوائب ملاحظة الأغراض والمخلوقين ومستغرقا فى شهود ربّ العالمين وقليل ما هم وإلا فغالبا الخلق إنما طبع عليه إذ الصبى يخلق ضعيف العقل ممتد العين للخلق كثير الطمع فيهم فيرى بعضهم يتضع لبعض فيغلب عليه حبّ التواضع بالضرورة ويترسخ ذلك فى نفسه فإذا كمل عقله ووفق لاتباع الحق رأى ذلك مرضا مهلكا فاحتاج إلى دواء يزيله يقطع عروقه باستئصال أصوله من حب لذة المحمدة والجاه والطمع فيما فى أيدي الناس وذلك الدواء النافع هو أن يعرض عن كل ذلك لما فيه من المضرة وفوات صلاح القلب وحرمان التوفيق فى الحال والمنزلة الرفيعة فى المال والعقاب العظيم والمقت الشديد والخزى الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخلائق ويقال للمرائى يا فاجر يا غادريأ مرائى أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت قلوب العباد واستهزأت بالله تعالى وطاعته وتحببت إلى المأل بالتبغض إلى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله ولو لم يكن فى الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكفى فى شؤمه وضرره فقد يحتاج الإنسان فى الآخرة إلى عبادة ترجح بها كفة حسناته وإلا ذهب به إلى النار ومن طلب رضا الخلق فى سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم عليه على أن رضاهم غاية لا تدرك وكل ما أرضى قوما أغضب آخرين ثم أى غرض له فى مدحهم وإيثاره على ذمّ الله وغضبه مع أن مدحهم لا يفيد نفعاً ولا يدفع عنه ضرراً وإنما ذاك منه تعالى وحده فهو المستحق لأن يقصد وحده إذ هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء فلا رازق ولا معطى سواه ولا يخلو الطامع فى الخلق من الذلّ أو المنة والمهانة فكيف يترك ما عنده تعالى برّاء كاذب ووهم فاسد على أنهم لو اطلعوا عليه لطرده ومقتوه وأحرموه فمن نظر لذلك بعين البصيرة فرت رغبته فى الخلق وأقبل عليه تعالى بالصدق فهذا دواء علمى وثم دواء عملى وهو أن يتعوّد إخفاء العبادة كإخفاء الفواحش **(36/2)** ليقنع قلبه بعلمه تعالى وإطلاعه ولا تنازعه نفسه بطلب علم غيره ويتكلف الإخفاء وإن شق عليه ابتداء لكن من صبر عليه مدة سقط عنه ثقله وأمدّه الله تعالى فيه من فضله بما يكون سببا لرقيه إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة وقرع باب الكريم ومن الله تعالى الهداية والفتح إنه لا يضيع أجر المحسنين وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ومنها العجب بالعمل **(كالعجب بطاعة الله)** من صلاة وغيرها **(وهو شهود)** فاعل **(العبادة)** لها كونها **(صادرة من النفس)** حال كونه **(غائبا عن المنة)** التى من الله تعالى عليه حتى تقوى لها فاعتقد كمال نفسه وفرح بذلك الكمال ونسى الكبير المتعالى وما خاف عليها من الزوال وفى الزواج أنه استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله تعالى فإن انضمّ لذلك توقّعه جزاء عليها لاعتقاده أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان سمي مدلا فالإدلال أخص من العجب وأنه من الكبائر المهلكة كما صرح به القرطبي وغيره لقوله لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب

وأن العجب يحبط عمل سبعين سنة ولو كان العجب رجلا لكان رجل سوء وبينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل أى ممشط رأسه مختال فى مشيه إذ خسف الله به فهو يتجلجل أى يغوص فى الأرض إلى يوم القيامة وقد ذمه ﷺ بقوله ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم وبقوله وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقد يعجب الإنسان بعمله وهو مصيب فيه أو مخطئ وعن ابن عباس الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب أى لأن القانط آيس مع نفع الأعمال ومن لازمه تركها والمعجب يرى أنه ظفر بمراذه فلا يحتاج إليها ولذا قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ومن تزكيتها اعتقاد أنها بارة وهو معنى العجب وعن مطرف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا واعلم أن له آفات كثيرة كنولد الكبر منه فأفات الكبر آفات له وكظنه أنه لا يؤاخذ بالذنوب فلا يتدارك فرطتها واستعظام عبادته ومنه على الله بها فيعمى عن تفقد آفاتها فيضيع سعيه أو أكثره إذ العمل ما لم ينتق لا ينفع وإنما يحمل على تنقيته منها الخوف والمعجب غرته نفسه وأجب برأيه وعقله وعمله حتى استبد بذلك ولم تطمئن نفسه أن يرجع لغيره فى علم أو عمل فلا يسمع نصحا ولا وغظا لنظره غيره بعين الاحتقار فعلم أنه إنما يكون بوصف كمال فى حد ذاته لكن ما دام صاحبه خائفا من سلبه فهو غير معجب به وكذا لو فرح به من حيث أنه نعمة من الله بخلافه من حيث أنه كمال متصف به مع قطعه النظر عن نسبته إلى الله فإنه العجب واعلم أن الفرق بينه وبين الكبر أن الكبر إما باطن وهو خلق فى النفس واسم الكبر بذا أحق وإما ظاهر وهو أعمال تصدر من الجوارح وهى ثمرات ذلك الخلق وعند ظهورها يقال تكبر وعند عدمها يقال فى نفسه كبر فالأصل هو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فهو يستدعى متكبرا عليه وبه والعجب لا يستدعى غير المعجب به حتى لو فرص انفراده دائما مكن أن يقع منه ومجرد استعظام الشيء لا يقتضى التكبر إلا إن كان ثم من يرى أنه فوqe

(تنبيه) كل علة علاجها إنما يكون بضدها وعلة العجب الجهل المحض وشفافها النظر إلى ما لا ينكره أحد وهو أنه تعالى هو المقدر لك على نحو العلم والعمل والمنعم عليك بالتوفيق لحيازته ويجعلك ذا نسب أو مال أو جاه وكيف يعجب الشخص بما ليس إليه ولا منه وكونه محالا له (37/2) لا يجد به شيئا لأن المحل لا مدخل له فى الإيجاد والتحصيل وكونه سببا فيه تزول ملاحظته له إذا تأمل أن الأسباب لا تأثير لها وإنما التأثير لموجودها فينبغى أن لا يكون إعجابه إلا بما أسداه إليه الحق وأجراه عليه وآثره به دون غيره من مزايا جوده وكرمه مع عدم سابقة استحقاق منه لذلك فإن قال لو لا علم فى من صفات محمودة ما أثرنى بذلك قيل له وتلك الصفات أيضا من خلقه قال السمرقندى ومن أراد أن يكسر العجب فعليه بأن يرى التوفيق منه تعالى فيشتغل حينئذ بالشكر ولا يعجب بنفسه وأن ينظر لنعمائه عليه فيشتغل بالشكر عليها ويستقل عمله فلا يعجب به وأن يخاف عدم قبوله فيشتغل به ولا يعجب بنفسه وأن ينظر فى ذنوبه ويخاف أن ترجح سيئاته بحسناته وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدرى ما يخرج من كتابه يوم القيامة قال فى الزواجر وكيف يسوغ لمن انطوى عنه علم خاتمته أن يعجب بأى نوع من أنواعه فلا أعبد من إبليس وبلعام ولا أقرب ولا أشفق من أبى طالب على نبينا ﷺ ولا أشرف من الجنة ومكة وقد علمت ما وقع لأولئك من خاتمة السوء والعياذ بالله تعالى وما وقع لآدم فى الجنة ولكفار مكة فيها فاحذر العجب والغرور بنسب أو علم أو محل أو غير ذلك هذا كله إن كنت تعجب بحق فكيف وكثيرا ما يقع بباطل قال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرأه حسنا الآية وقد أخبر ﷺ أن هذا يغلب على آخر هذه الأمة إذ جميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بأرائهم الفاسدة وبذلك هلكت الأمم السابقة لما افترقوا فرقا وأعجب كل برأيه كل حزب لما لديهم فرحون فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون أى أن ذلك كان مقوتا واستدرجا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين قال فى روح البيان فى سورة الحج وفى الخبر إن الله تعالى قال للنبي ﷺ قل للقوى لا تعجبك قوتك إن أعجبتك قوتك فادفع الموت عن نفسك وقل للعالم لا يعجبك علمك فإن أعجبك علمك فأخبرنى متى أجلك وقل للغنى لا يعجبك مالك وغناك فإن أعجبك فأطعم خلقى غداء فالإنسان عاجز والله على كل شىء قدير ومنه النعمة إلى الصغير والكبير انتهى (و) منها (الشك فى الله) ﷺ وهو رأس المهلكات وأساس الموبقات فمن آخر حديث رواه خيثمة بن عبد الله ﷺ أنه قال وإن الله بعدله وقسطه جعل الروح بفتح الراء والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط والشكوك كثيرة وكلها شيطانية فقد قال ﷺ إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم أى لأنه يورد الشكوك على قلب ابن آدم فيخبطه فى إيمانه ويخبطه عن طاعة ربه وورد أنه يأتى للإنسان فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ الإنسان منه أو يقل آمنت بالله ورسوله قال فى النصائح ويجب على الإنسان أن يزكى قلبه ويطهره من رذيلة الشك فى الله ورسوله والدار الآخرة فإن ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة فى الآخرة المضرة والضرر العظيم لا سيما عند الموت وقد تؤدى والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة وهذا قد يبتلى به بعض الناس ولا يجوز لمن وجد فى نفسه شيئا منه أن يضمه فى قلبه فيلقى الله شاكا بل يجب عليه أن يجتهد فى إزالته ونفيه عنه بكل ما يمكنه وأنفعه سؤال العلماء بالله تعالى أهل اليقين والخشية والزهد فإن لم يجد أحدا منهم فلينظر كتبهم (38/2) فى التوحيد واليقين وليس المراد بالشك ما يجده الإنسان من الخواطر والوساوس فى أمور أصول الإيمان مما يعلم بطلانه ويجد قلبه مصمما على خلافه ونفسه كارهة له ونافرة عنه فإن هذا يكفى الإنسان فيه كراهته والإعراض عنه (و) منها (الآمن

من مكر الله-) بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة قال تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وفي الحديث إذا رأيت الله يعطى العبد مما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبجلون أي آيسون من النجاة ومن كل خير شديد والحسرة والخزي والحزن لاغترارهم برادف النعم عليهم في مقابلتهم لها بمزيد الإعراض والإدبار ولذا قال الحسن من وسع عليه فلم ير أنه مكر به فلا عقل له وفي الأثر لما مكر إبليس بكى جبريل وميكائيل فقال لهما ما يبكيكما قال يا رب ما يأمن مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى ولذا كان يكثر من يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي رواية قلوبنا فقيل له أتخاف علينا فقال إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء أي بين مظهر إرادتي الخير والشر فهو يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الإوصاف وقالت له عائشة إنك تكثر من هذا الدعاء فهل تخشى قال وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا الآية واعلم أن مما يحذر من الأمان منه استحضار قوله m إن أحكم لي عمل بعمل أهل الجنة الحديث وتأمل ما قصه تعالى علينا في قصة بلعام عالم بني إسرائيل حيث آمن من المكر ففنع بالفاني فأطاع هواه وقيل ما بذل له ليدعو على موسى فادلع لسانه على صدره يلهث كالكلب وسلب وكذلك برصيصة العابد مات بعد عبادته التي لا تطاق على الكفر وكان ابن السقاء ببغداد من مشاهيرها فضلا وذكاء وقع مع بعض الأولياء أنه أنكر عليه فدعا عليه فانتقل به الحال إلى القسطنطينية فهوى امرأة فتنصر لأجلها ثم مرض فألقي على الطريق يسأل فمر به بعض من يعرفه فسأله عن حاله فحكى له فتنته وأنه نصراني والآن يريد أن يستحضر حرفا واحدا من القرآن فلم يقدر ولم يمز بخاطره ثم مر عليه بعد قليل فرآه محتضرا ووجهه للقبلة وكلما وجهه التففت للمشرق حتى خرجت روحه وكان بمصر مؤذن عليه سيما الصلاح فرأى نصرانية من المنارة فافتتن بها فذهب إليها فامتنعت أن تجيبه لريبة فقال النكاح فقالت أنت مسلم ولا يرضى أبى فقال إنه يتنصر فقالت الآن يجيبك فتنصر ووعدوه أن يدخلوه عليها ففي أثناء اليوم رقى السطح فزلق ومات فلا هو فاز بدينه ولا بها فنعوذ بالله من مكره ونعوذ به منه وبمعافاته من عقوبته وبرضاه من سخطه ومن ثم قال العلماء إذا كانت الهداية إليه مصروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والإرادة غير معلومة ولا مغالبة فلا تعجب بإيمانك وصلاتك وجميع قربك فإنها من محض فضل ربك وجوده فربما سلبها عنك فوقع في هوة الندم حيث لا ينفع الندم

(39/2)- (تنبيه)- أطبقوا على أن الأمان من مكر الله كبيرة لما علمت من الوعيد الشديد الذي فيه بل جاء تسميته أكبر الكبائر كما صرح به ابن مسعود واعلم أن حقيقته مستحيلة عليه تعالى وأما قوله تعالى ومكروا ومكر الله فهو من باب المقابلة على حدّ وجزاء سيئة سيئة مثلها تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قيل ومعنى المقابلة أنه لا يجوز أن يوصف به إلا لأجل ما ذكر معه من لفظ آخر مستند لمن يليق به وردّ بأنه جاء وصفه به بلا مقابلة في قوله أفأمنوا مكر الله على أن المكر ربما يصح اتصافه تعالى به إذ هو لغة الستر يقال مكر الليل أي ستر بظلمته ما هو فيه ويطلق على الاحتيال والخداع والخبث وبهذا الاعتبار عبر عنه بعض اللغويين بأنه السعى بالفساد وبعضهم بأنه صرف الغير عما يقصد بحيلة وهذا الأخير إما محمود بأن يتحیل في أن يصرفه للخير وعليه يحمل قوله تعالى والله خير الماكرين وإما مذموم بأن يتحیل به في أن يصرفه للشرّ ومنه ولا يحق المكر السيء إلا بأهله قاله في الزواج (و)- منها (القنوط من رحمة الله)- وهو أبغ من اليأس للترقى إليه في قوله تعالى وإن مسه الشرّ فيؤس قنوط كما قاله أبو زرعة أي لأن صاحب اليأس لا يحوز وقوع شيء من أنواع الرحمة له مع إسلامه وهو حينئذ كبيرة باتفاق فإن انضم لهذا اليأس حالة أشد منه في التصميم على عدم وقوع الرحمة له فهي القنوط فإن انضم إليه أنه يشددّ عذابه كالكفار فهو سوء الظنّ بالله وهذا هو المراد من قوله m أكبر الكبائر سوء الظنّ بالله وقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا ينافيه إطباق أئمتنا على أن إحسان الظنّ بالله تعالى مندوب للمريض واختلفوا في الصحيح فقيل الأولى تغليب خوفه على رجائه والراجح أن الأولى استواءهما وقال الغزالي إن أمن القنوط فالرجاء أولى أو أمن المكر فالخوف أولى لأن كلامهم في شخص يجوز وقوع الرحمة له والعذاب قاله في الزواج وكيف يسوغ للمسلم اليأس والقنوط وقد قال تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وقال ورحمتي وسعت كل شيء وقال رسوله m إن لله مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجنّ والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الطير والوحوش على أولادها وآخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وقال m قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض أي بضم أوله وكسره قريب مثلها خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأيتك بقرابها مغفرة وورد أول ما يقوله تعالى للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم

—إسع—

المعجزة فالموحدة كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتين قوم يقتخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل أي فقير متكبر وقال سيدنا سليمان ؕ يوما للجن والإنس والطير والبهايم أخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لونا كان في قلب صاحبكم مقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعتة وفي الحديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين فقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها ومن فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها وقال أنت حرام على كل متكبر وقال الأحنف عجا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال (42/2) الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرد بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات والأرض وسئل سليمان عن السيئة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر ونظر الحسن إلى أمير يمشي متبخترا فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عظمه مصعر خده ينظر في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها فسمعه فجاءه معتذرا فقال لا تعتذر إلىّ وتب إلى ربك أما سمعت قوله ولا تمش في الأرض مرحا ويتعين على كل إنسان الخلاص من ورطته إذ هو من المهلكات ولا يخلو أحد من شيء منه فإذا زلته فرض عين ولا تمكن بمجرد التمني بل بالمعالجة باستعمال أدويته النافعة في إزالته من أصله بأن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يتأمل أن بدايته من أذل الأشياء وأحقرها وهو التراب ثم المنيّ ووسطه من عدم التأهل لاكتساب العلوم والمعارف وحياسة المناصب ونهايته الزوال والفناء والعود إلى مثل بدايته ثم إعادته إلى ذلك الموقف الأكبر ثم إلى الجنة أو النار ومن أظهر ما أشار لكل ذلك قوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره إلى آخر السورة وقوله تعالى هل أتى على الإنسان الآيات فمن تأمل ذلك نظائرهم علم أنه أذل وأحق من كل ذليل وحقير ولا يليق إلا الذل والتواضع بأن يعرف ربه ليعلم أنه لا تليق العظمة إلا له بخلاف نفسه فإنه لا يليق به الفرح لحظة فكيف البطر والخيلاء ولو ظهر له آخر أمره والعياذ بـالله لربما اختار أن يكون بهيمة ولو كلبا سيما إن كان في علمه تعالى أنه من أهل النار فمن هذا حاله وعاقبته كيف يتكبر ويرى نفسه شيئا وأى عبد لم يذنب ذنبا يستحق به العقوبة إلا أن يعفو عنه الكريم بفضلته فمن تأمل ذلك حقيقة التأمل زال عنه النظر لعلمه وعمله ونحوهما وتواضع لله وفرّ إليه من كل شيء وعلم أنه أحقر وأذل شيء كيف وهو يجوز أن يكون عند الله شقيا ومما يظهر التكبر الكامن في النفس ويعلم به من سؤلت له نفسه أنها متنزهة عنه أن يناظر في مسألة مع بعض أقرانه ويظهر الحق على يد صاحبه فإن اطمأن لقبوله وأعلن بشكره وفصله إذ ظهر له الحق على يديه وكان كذلك مع كل مناظر ظهرت القرائن على براءته من الكبر وإن اختل شرط من ذلك فهو كامن فيه فعليه علاجه بالتفكير فيما مرّ ونحوه إلى أن تنقطع عروقه من نفسه وبأن يقدم أقرانه على نفسه في المجالس ونحوها لكن على وجه لا يظن به فيه أنه أظهر تواضعا وإلا كان يترك صفهم ويجلس مع النعال كان ذلك عين الكبر وبأن يجيب دعوة الفقير ويحادثه ويجالسهم ويمرّ في الأسواق لحاجته وحاجة الفقراء والمنقطعين وبأن يحمل حاجته وحاجة غيره فإن ذلك براءة من الكبر كما في الحديث ويستوى ذلك عنده في الخلا ويحضرة الملأ وإلا فهو متكبر أو مرأى وكل ذلك من أمراض القلوب وعللها المهلكة إن لم يتدارك وقد أهمل الناس طبها واشتغلوا بطب الأجساد مع أنه لا سلامة في الآخرة إلا بسلامتها إلا من أتى بقلب سليم أى من الشرك أو مما سوى الله والله ولىّ التوفيق والهداية (و) منها (الحقد) على عباد الله تعالى (وهو) ما ينشأ عن كتمان الغضب بسبب العجز عن التشفى حالا فيرجع للباطن ويحتقن فيه فيتمكن به بغض من يحقد عليه وحسده و (إضرار العداوة) له في قلبه دائما فيتمنى زوال نعمته ويغفم بها ويفرح بمصيبته ويشمت ببلية ويطلق لسانه فيه بما لا يحل ويؤذيه ويمنعه حقه من صلة وردّ مظلمة وكل ذلك شديد التحريم و (إذا) صار طبيعة للشخص ولم يقدر على دفعه و (عمل بمقتضاه ولم يكرهه) حرم عليه من حيث إنه (43/2) تعاظى سببه إذ هو مكلف بعدم تعاظى سبب المحرم وعدم العمل بمقتضاه وكراهيته ومثله في ذلك العجب والكبر والحسد كما قاله العلامة السحيمي ثم هو من الكبائر لقوله m المؤمن ليس بحقود وإن الله يطلع على عبادته في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه وفي حديث فيغفر للمؤمنين ويملى للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه وورد تعرض الأعمال في كل جمعة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا بينه وبين أخيه شحناء فيقال أتركوا هذين حتى يفيا أي يصطلحا كما في حديث آخر وروى ينزل الله أى أمره ورحمته إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل مؤمن إلا العاق والمشاحن وفي حديث إلا رجل مشرك أو مشاحن وكل ما ورد في ذم الغضب يشمله كالحسد إذ هما من نتائجه (و) منها (الحسد وهو) لغة وشرا (كراهية) بتخفيف الياء وتشديدها (النعمة على لمسلم) دينية كانت أو دنيوية وتمنى زوالها عنه (واستئصالها) له سواء أراد انتقالها إليه أم لغيره أم لم يرد انتقالها لأحد وهذا أقبح وأشر ويقال لصاحبه أخس الأخساء لأنه باع آخرته بدنياه غيره و (إذا) صار كذلك و (لم يكرهه أو) كرهه ولكنه (عمل بمقتضاه) حرم

أيضاً من حيث تعاطى السبب كما مرّ وخرج به الغبطة فإنها تمنى مثل نعمة الغير من غير زوالها عنه وتكون واجبة إن كانت تلك النعمة واجبة كالإيمان والصلاة المكتوبة والزكاة فيجب أن يحب أن يكون مثل القائم بذلك وإلا كان راضياً بالمعصية والرضا بها حرام ومندوبة إن كانت مندوبة كالجدّ في العلم والتأليف والتدريس والموت في نحو مكة والمدينة وإنفاق المال ومباحة إن كانت مباحة كالنكاح وتسمى منافسة ومنه وفي ذلك أي الرحيق وهو شراب أهل الجنة فليتنافس المتنافسون أي فليرغب الراغبون قال في الزواجر نعم المنافسة في المباحات تنقص من الفضل وتناقض الزهد والرضا والتوكل وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير إثم نعم ينبغي التنبيه لدقيقة هي أن من آيس من أن ينال نعمة الغير فبالضرورة أنه يعتقد أنه ناقص عن صاحبها فيجب مساواته ولا تحصل حينئذ إلا بزوالها عنه فإن كان بحيث لو قدر على إزالتها عنه أزالها فهو حسود حسداً مذموماً وإن كان عنده تقوى تمنعه عن إزالتها مع قدرته عليها وعن محبة زوالها عنه فلا إثم عليه لأن هذا أمر جبلي لا ينفك عنه ولعله المعنى في خبر كل ابن آدم حسود وبعيد ممن يريد مساواة غيره في النعمة فيعجز عنها سيما الأقران أن ينفك عن الميل إلى زوالها فهذا الحدّ من المنافسة يشبه الحسد المحرم فينبغي الاحتياط التام فإنه متى صفا لمحبة نفسه ومال لزوال تلك النعمة عنه فهو مرتكب للحسد الحرام ولا يتخلص عنه إلا إن قوى إيمانه ورسخ قدمه في التقوى ومهما حركه خوف نقصه عن غيره جرّه إلى الحسد المحذور وإلى ميل الطبع إلى زوال نعمة الغير حتى ينزل لمساواته وهذا لا رخصة فيه بوجه سواء كان في مقاصد الدين أم الدنيا قال الغزالي ولكن ذلك يعفى عنه ما لم يعمل به إن شاء الله وتكون كراهته له كفارة له ويطلق الحسد على المنافسة مجازاً ومنه حديث لا حسد إلا في اثنتين أي خصلتين رجل أي خصلة رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته أي إهلاكه في الخير ورجل أي خصلة رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس وأحسن ما قيل في الحكمة أنها العلم النافع ثم إن الحسد من الكبائر إذ هو أصل لكل خطيئة كما قال m (44/2) ثلاث هنّ أصل كل خطيئة فاتقوهنّ واحذروهنّ وقد بينها m مع علتها بقوله إياكم والكبر فإن إبليس حملة الكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص أي على اتباع الشهوات فإن آدم حملة الحرص على أن أكل من الشجرة وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما وهو قابيل صاحبه وهو هابيل حسداً ولا يكاد ينجو منه أحد لخبر ثلاث لا ينجو منهن أحد الطيرة والظنّ السوء والحسد قيل والمراد بما بطن في قوله تعالى إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الحسد والمشهور أنه معاصي القلب من حسد وعجب وحقد وسوء ظنّ وغيرها كما قاله شيخ الإسلام وقد ختم الله ﷻ السورة التي جعلها تعويذاً بذكر الحسد فقال ومن شرّ حاسد إذا حسد وقال m الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وهو كناية عن عدم القبول كما قاله الطيبي فلا يرد على أهل السنة إن الحسنات لا تمحى والحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل وليس مني ذو حسد ولا نميّة ولا كهانة ولا أنا منه وكل ابن آدم حسود بعض الناس في الحسد أفضل من بعض ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد ولا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا واعلم أن كل ذي نعمة محسود قال m استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ولنعم الله أعداء قليل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وورد أنه تعالى قال الحاسد عدوّ لنعمتي مسخّط لقضائي أي غير راض بقسمتي التي قسمتها بين عبادي قال بعض السلف أول خطيئة عصي الله بها الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له فحملة الحسد على المعصية وكان بعض الصالحين يجلس بجانب ملك ينصحه ويدخل عليه بلا استئذان ويقول له أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيك إساءته فحسده وزير الملك وعمل له حيلة لقتله فسعى به إلى الملك فقال إنه يزعم أنك أبخر وأماره ذلك أنه إذا قرب منك وضع يده على أنفه فقال الملك حتى أنظره فخرج ودعاه من منزله وأطعمه ثوماً فخرج إلى الملك وقال له مثل قوله كعادته فقال له الملك ادن مني فدنا ووضع يده على فيه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه صدق فلان وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله إذا أتاك حامل الكتاب فاذهب وأسلخه وأحش جلده تبنا وابعث به إلى فأخذ الكتاب فقال خط الملك لي بصلة وخرج فلقه الوزير وقال له ما تقول فيمن يريحك من تعب السفر ويعطيك ألفي دينار فقال له افعل ما رأيت فأخذ الكتاب وأعطاه ألفي دينار وذهب إلى العامل بالكتاب فأخبره العامل بما فيه فقال له إن الكتاب ليس لي الله في أمري حتى أراجع الملك فقال العامل ليس في الكتاب مراجعة ففعل به ما في الكتاب ثم عاد الرجل إلى الملك فقال له ما كان يقوله كعادته فعجب الملك وسأله فقال له لقيني فلان وأخذه مني فقال الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر فقال له لا قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمني فلان ثوماً فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفت المسيء إساءته ثم خلع عليه واتخذته وزيراً فتأمل رحمك الله شؤم الحسد وما جرّ إليه تعلم سرّ قوله m لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك وقال ابن سيرين ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف (45/2) أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد للموت ذكراً إلا قلّ فرحه وقلّ حسده وقال معاوية ﷺ كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها وقال أعرابي ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن ﷺ يا ابن آدم لا تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلا تحسد من أكرمه الله تعالى وإن

كان بغير ذلك فلا تحسد من مصيره إلى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عن النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة وهوانا ونكالا ومن ثمرات الحسد وقبحه الاعتراض على الله فيما فعله وحب إزالة فضله عن من هو أهل له كما قيل

ألا قل لمن بات لي	✖	أتدري على من أسأت
حاسدا		الأدب
أسأت على الله في	✖	لأنك لم ترض لي ما
فعل		وهب

فصاحبه مذموم دنيا وأخرى معذب في الدنيا فضلا عن الآخرة لأنه منغص العيش أبد الآباد وكلما جدد الله نعمة على من يحسده زاد تعبته وحزنه ومن علامته أن لا تطاوعه نفسه بالتواضع لمن أضمر له الحسد ولا يقبل له نصحا ولا يحب أن ينتفع به أحد ولا أن يكثر أتباعه وأشباعه قال أئمة الدين الخبائث كلها تتولد منه أعاذنا الله منه ومما يورث الحسد النظر لمن فوقه في حال وخلق ومن الحكمة الحسود لا يسود أي لا تحصل له سيادة لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يعود عليه فيهما ضرر الحسد وهو ألم الهم والحزن في الدنيا وألم العقوبة في الآخرة

(تنبيه) قال في الزواج قد علمت قريبا معنى الحسد فلا حسد إلا على نعمة بأن تكرهها للغير وتحب زوالها عنه وهو حرام وفسوق بكل حال نعم إن تمنى زوال نعمة فاجر من حيث إنها آلة فساد وإيذائه الخلق ولو صلح حاله لم يتمن زوالها عنه فلا حرمة لأنه لم يتمن زوالها من حيث كونها نعمة بل من حيث كونها آلة الفساد والإيذاء ويدل على تحريمه وأنه فسوق وكبيرة ما مر من الأخبار ومن آفاته أن فيه ستخفا بقضاء الله إذ أنعم على الغير بما لا مضرة عليك فيه وشماتة بأخيك المسلم قال تعالى إن تمسكم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وذ كخير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله واعلم أن الحسد من أمراض القلوب العظيمة وأمراض القلوب لا تداوى إلا بالعلم والعمل فالعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضر دنيا ودينا ولا يضر المحسود دنيا ولا ديننا إذ لا تزول نعمة بحسد قط وإلا لم يبق لله نعمة على أحد حتى الإيمان لأن الكفار يحبون زواله عن أهله بل المحسود منتفع بحسبك له ديننا لأنه مظلوم من جهتك سيما إن أبرزت حسدك إلى الخارج بالغبية وهتك السر وغيرهما من أنواع الإيذاء فهذه هدايا تهدي إليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيامة مفلسا محروما من النعم كما حرمت منها في الدنيا ودنيا لسلامته من غمك وحزنك وغيرهما مما يأتي ومتى انكشف غشاء بصيرتك ورين قلبك وتأملت ذلك ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك أعرضت عن الحسد أصلا ورأسا حذرا (46/2) من أنك به قد وقعت في ورطة عظيمة هي أنه قد سخط قضاء الله وكرهت قسمة الله وعدله وهذه جناية على الدين وكيف لا وقد فارقت بذلك الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين في حبه ووصول الخير لعباد الله وشاركت إبليس والشياطين في محبتهم للمؤمنين بالبلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسناته كما تأكل النار الحطب هذا مع ما ينضم لذلك من ضررك الديوى بتوالى الهم والغم عليك كلما رأيت محسودك يتزايد في النعم وأنت تتناقص فيها فإن هذا من جملة آفات حسدك فانت دائما في غاية الحزن والغم وضيق الصدر وتشعب القلب كما تشتهي لأعدائك وكما يشتهون لك فلو فرض أنك لم تؤمن ببعث ولا حساب لكان من الحزم ترك الحسد حتى تسلم من هذه العقوبات الدنيوية الناجزة قبل العقوبات الأخروية فظهر أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فيهما وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا حلا ومالا وأما العمل النافع لذلك المرض فهو أن تكلف نفسك أن تفعل بالمحسود ضد ما اقتضاه حسدك فتعوضه بالذم المدح وبالتكبر عليه التواضع له وبمنع إدخال رفق عليه زيادة الإرفاق به وهكذا فهذا يضعف داء الحسد وكلما زدت من ذلك زاد تناقص الحسد إلى أن ينعدم فافهم تسلم وامتلئ تغنم والله الموفق وإليه ترجع الأمور وفي الرسالة القشيرية وشرحها إن في بعض الكتب الحاسد عدو نعمتي لأنه يكرهها على غيره وقال الأصمعي رأيت أعرابيا عمره مائة وعشرون سنة فقلت له ما طول عمرك فقال ترك الحسد وفي بعض الآثار إن في السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له قف فأنا ملك الحسد اضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد قيل ومن علامات الحاسد التملق لمحسوده إذا حضر والغيبة له إذا غاب والشماتة به إذا أصابته مصيبة وأوحى الله تعالى إلى سليمان m أوصيك بسبعة أشياء لا تغتابن صالح عبادي عبادي ولا تحسدن أحدا من عبادي فقال سليمان m حسبى أى يكفينى هذان فى الزجر فلا تذكر لى البقية ولعله ذكرها فى وقت آخر وأنشدوا

كل العداوة قد ترجى	✖	إلا عداوة من عاداك من
إماتتها		حسد

ولا بن المعتز

قل للحسود إذا تنفس	✖	يا ظالم ما وكانه
طعنة		مظلوم

وأنشدوا

طـويت أتاح لها لسـان	✕	وإذا أراد الله نشر
حسـود		فضـيلة
وقال الإمام أبو حنيفة ✕ تعالى بعد أن رماه بعض حساده بالزنا ونجاه الله تعالى من ذلك هذين البيتين		إن يحسـدونى فأنى غـير
قبلى من الناس أهل الفضل قد	✕	لائمـهم
حسدوا		فـدام لى ولهـم مـا بى
ومـات أكثرهم غيـظا بما	✕	ومـا بهـم
يجـدوا		

{و}- منها {المنّ بالصدقة}- من المتصدق على المتصدق بها عليه وهو أن يعدّد نعمته على أخذها أو يذكرها لمن لا يحب الأخذ اطلاقه عليه وقيل أن يرى أن لنفسه مزية على المتصدق عليه بإحسانه إليه ولذلك لا ينبغي أن يطلب منه دعاء ولا يطعم فيه لأنه ربما كان فى مقابلة إحسانه فيسقط أجره وأصل المنّ القطع ولذلك يطلق على النعمة لأن المنعم يقطع من ماله قطعة للمنعم {47/2}- عليه والمنة النعمة أو النعمة الثقيلة ومنه وصفه تعالى بالمانان أى المنعم ومنه وإن لك لأجرا غير ممنون أى مقطوع وتسمية الموت منونا لأنه يقطع الحياة وإنما كان المنّ مما {يحبط}- الصدقة {ويبطل ثوابها}- لقوله ✕ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله الآيات وقد جاء عنه m إياكم والمنّ بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر ثم تلا يا أيها الذين آمنوا الآية فيشترط لنيل الثواب الذى أعدّه ✕ للمنفقين أن يسلم إنفاقه من المنّ كما بينه ✕ بقوله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله الآية قال البلقينى وقد يكون هذا الشرط يعنى عدم المنّ والأذى معتبرا أيضا فيمن ينفق على نفسه كمن ينفق على نفسه فى الجهاد مع النبى ✕ والمؤمنين ولا يؤذى أحدا من المؤمنين مثل أن يقول لو لم أحضر لما تمّ هذا الأمر ويقول لغيره أنت ضعيف لا منفعة بك فى الجهاد اهـ والأذى فى الآية المراد به التعيير أو الشتم وقيل المنّ ذكر الصدقة والأذى إظهارها وقيل المنّ أن يتكبر على المتصدق عليه والأذى أن يوبخه بالمسئلة ويقهره قال الغزالي وعندى أن المنّ أصلا فى القلب ويتفرع منه على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إلى الفقير ومنعما عليه وحقه العكس بأن يرى الفقير منعما عليه بقبوله حق الله منه واعلم أن المنّ من الكبائر كما فى الزواج لقوله m ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم وقرأها ثلاثا فقليل له خابوا وخسروا من هم فقال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وفى رواية المنان لا يعطى شيئا إلا منه وفى الحديث أربعة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بقدر ولا يدخل الجنة منان وفى رواية وثلاثة لا يحجبون عن النار عاق ومنان ومدمن الخمر قال فيها وهو ظاهر من هذه الأحاديث للوعيد الشديد المذكور فيها

{تنبيه}- إنما كان المنّ من صفاته تعالى العلية ومن صفاتنا المذمومة لأنه منه تعالى إفضال وتذكير بما يجب على الخلق من أداء واجب شكره ومنا تعيير وتكدير إذ أخذ الصدقة مثلا منكسر القلب لأجل حاجته إلى غيره معترف له باليد العليا فإذا أضاف المعطى إلى ذلك إظهار إنعامه تعديدا عليه أو ترفعا أو طلبا لمقابلته عليه بخدمة أو شكر زاد ذلك فى مضرة الأخذ وانكسار قلبه وإلحاق العار به والنقص به وهذه قبائح عظيمة على أن فيه أيضا النظر إلى أن له ملكا وفضلا وغفلة عن أنه تعالى هو الملك الحقيقى وهو الذى يسر الإعطاء وأقدر عليه فوجب النظر إلى جناب الحق والقيام بشكره على ذلك والإعراض عما يؤدى إلى منازعة الحق فى فضله وجوده إذ لا يمنّ إلا من غفل عن أن الله تعالى هو المعطى والمفضل وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه كان أبوه يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك نثقل عليه أى لكونه يتكلف لك قياما ونحوه لأجل إحسانك إليه فكيف سلامك عنه وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر أحسنت إليك وفعلت وفعلت فقال له اسكت فلا خير فى المعروف إذا أحصى ومما أنشد للإمام الشافعى ✕

لا تحمـلن مـن الأنـا	✕	م علـيك منـه
واخـتر لنفسـك		واصـبر فإن الصـبر
حظـها	✕	جنـة
مـنن الرجـال على	✕	ب أشـد مـن وقـع
القـلو		الأسنـه

{48/2}- ولبعضهم

وصاحـب سلفـت منـه	✕	أبطى عليـه مكافأتى
إلى		فعـادانى
لما تيقـن أن الدهـر	✕	أبدى النـدامـة ممـا كان
حـاربنى		أولانى
أفسدت بالمنّ ما قدمت من	✕	ليـس الكـريم إذا أعـطى
حسن		بمنـان

{و}- منها {الإصرار}- أى الإدمان {على}- صغيرة أو صفائر من {الذنب}- بحيث تغلب معاصيه طاعته وهو من

الكبائر المهلكة لمنافاته الإيمان ومعاندة الله تعالى بفعل المنهى عنه وترك الأمور به ولا يصر على معصية إلا شقى بعيد عن الله ممقوت قال تعالى فى وصف التوابين والهاربين إلى الله تعالى من شؤم الذنوب ولا يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون وفسر القاضيان الماوردى والطبرى الإصرار فى قوله تعالى ولم يصروا بأن لم يعزموا على العود ويوافقه قول ابن الصلاح الإصرار التلبس بضد التوبة باستمرار العزم على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به فى حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة وليس لزمان ذلك وعدده حصر وقال ابن عبد السلام الإصرار أن تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقله مبالاته بدينه إشعارا ارتكاب الكبيرة بذلك قال وكذلك إذا اجتمعت صفائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر إـ قال فى الزواج وإنما يحتاج لمعرفة ضابط الإصرار على الضعيف أن مطلق الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة أما على المعتمد السابق فالمدار على غلبة الطاعات أو المعاصى ويؤخذ من ضبط البلقينى لها بالعرف أنه لا نظر إلى مضاعفة الطاعات وإنما يقابل أفراد الطاعات بأفراد المعاصى من غير نظر إلى المضاعفة وتردد بعضهم فيما لو استوت معاصيه وطاعته والذي يتجه سلب العدالة إـ

(تنبيه) قال جمع محققون منهم الإمام ليس فى الذنوب صفائر وقال ابن عطاء الله لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار أى لأن التوبة تحقق الكبائر والإصرار على الصغيرة كبيرة وورد أن العبد إذا أذنب ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء فإن جلاها بالتوبة والاستغفار وإلا نكت فيه أخرى حتى يسود ذلك هو الطبع والران ومال من شقى بالطبع الخلود فى النيران والصحيح أن فى الذنوب الصفائر والكبائر وقد عدّ منهما جملة فى اتحاف النبيل وبلغ فى الزواج الكبائر نحو من أربعمئة وخمسين ونقل عن سعيد بن جبير أنه عدّها إلى سبعمئة والله أعلم

(تنبيه) آخر قال فى اتحاف الناسك قال بعض العارفين الذنب من الأمر بمنزلة الذنب من الرأس والعبد أصله الطاعة إذ هو ممتثل للتكوين لما قيل له كن ثم عرضت له المخالفة المسماة ذنبا فأشبهه الذنب فى التأخر وانتفى بالأصل لأنه عرض والعرض لا بقاء له وإن كان له حكم حال وجوده ثم إنه فيه عفو الله ومغفرته وطرده أى الانتقام والمواخذة كما أن ذنب الدابة ستر عورته وطرده الباب عنها بتحريكها قال والذى نفس محمد بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتكم لغفر لكم وفى رواية لولا تخطئون لجاء الله بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم فهذا منه تعطف بعباده وتعترف بسعة رحمته قال شارح المشكاة وليس هذا الحديث واردا لتسليّة المنهمكين فى الذنوب (49/2) وقلة الاحتفال منهم بمواقعة الذنوب كما قد يتوهم بل مورده بيان أنه تعالى قد يعفو عن المذنبين ويحسن التجاوز عنهم ليطمعوا فى التوبة والاستغفار والمعنى المراد منه أنه تعالى كما أحب أن يحسن إلى المحسن أحب أن يتجاوز عن المسيء وقد دل عليه غير واحد من أسمائه تعالى كالغفار إـ مع زيادة من شرح الخطبة واختصار

(خاتمة) روى أن المهاجر هو من هاجر الذنوب والخطايا وإن البر لا يبلى والذنوب لا تنسى والديان لا يفنى وكن كما شئت كما تدين تدان أى إنك إن عملت خيرا تجد ثوابه أو شرا تجد عقابه قيل قبلت توبة آدم بخمس ولم تقبل توبة إبليس بخمس فأدم أقر بالذنب وندم عليه ولام نفسه وأسرع فى التوبة ولم يقنط من رحمة الله وإبليس عكس وعن إبراهيم بن أدهم لأن أدخل النار وقد أطعت الله أحب إلى من أن أدخل الجنة وقد عصيته ومعناه لو دخل الجنة وقد عصى فالحياء منه تعالى باق ينغص عليه الجنة ولو دخل النار وقد أطاع لم يكن له حياء فيرجى خروجه منها وعن بعضهم أذنبت ذنبا وأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة وهو أنه أخذ طينة من جدار جاره فغسل بها يده وعنه أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند الناس وعكسه والمعنى أن ما كان أعظم عند المذنب خاف منه فيغفر له وما كان صغيرا عنده لم يبال به فيدوم عليه وأعظم الذنب عنده تعالى ما أصر عليه صاحبه وعن عوام بن حوشب أربع بعد الذنب شر من الذنب الاستغفار والاعتذار والاستبشار والإصرار وللذنوب عشرة عيوب سخط الخالق وتقريب العدو والتباعد عن الجنة والقرب إلى النار وجفاء من هو أحب إليه وهو نفسه وتنجيسها به وقد خلقت طاهرة وأذى الحفظة وإحزان النبى ﷺ فى قبره وإشهادة على نفسه الأرض والليل والنهار وأذيتهم وإحزانهم وخيانتهم جميع الخلق من آدمى وغيره إذ يقل المطر بالذنب وقال حكيم إياك والذنب فإنه شؤم فيصير شؤمه حجر المنجنيق فيضرب على حائط الطاعة فيكسر الحائط ويدخل ريح الهوى ويطفئ سراج المعرفة وفى الإنجيل من يزرع الذنب يحصد الندامة قال بعض العلماء كل شغلة يعمل بالطاعة ولكن الكريم من يترك المعصية قال السمرقندى وفى القرآن دليل على أن ترك الذنب أفضل من فعل الطاعة وذلك أنه تعالى شرط فى الحسنه المجيء بها إلى الآخرة وفى ترك الذنوب لم يشترط شيئا سوى الترك فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقال ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى إـ (و) منها (سوء الظن بـ الله) تعالى (و) كذا (بعباد الله) المسلمين وهو شديد القبح لا سيما فى حقه ﷺ قال لا يمت أحدكم إلا وهو محسن الظن بربه وأنه تعالى يقول إنا عند ظن عبدي بى فليظن بى ما شاء وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباده قال فى النصائح ومعنى سوء الظن بالمسلمين أن يظن بهم سوء فى أقوالهم وأفعالهم التى ظاهرها الخير ويظن بهم خلاف ما يظهرون من ذلك هذا غايته ومنه أيضا ينزل أفعالهم وأقوالهم المحتملة الخير والشر على الشر مع إمكان تنزيلها على الخير ولكنه دون الأول وعكسه حسن (50/2) الظن بهم وفى الزواج ومنها أى الكبائر سوء الظن بالمسلمين قال

تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر على غيره بمجرد الظن حملة الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه وكل هذه مهلكات ويتعين الاحتراز والتورع عن تهمة الأعداء والأشرار فإنهم لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر وكل من رأيته ساء الظن بالناس طالبا لإظهار معائبهم فاعلم أن ذلك الخبث باطنه وسوء طويته فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة صدره والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه فهذه من بعض مداخل الشيطان إلى القلب إذ ليس في الأذى صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان وبها يستعين على إضلاله وإغوائه فالجأ إلى الله وفرّ إليه من مكائده لعل الله ينجيك منها برحمته واتخذ الذكر سميرا وتذكير الآخرة معينا وظهيرا وأدم ذلك تحفظ إن شاء الله من ذلك (و) منها (التكذيب) بالقضاء و (بالقدر) بتحريك الدال وتسكينها من قدرت أحطت بمقداره وآل فيه عوض عن المضاف إليه أي بتقدير الله تعالى الأمور وإحاطته بها وهو لغة التقدير والحكم والتعظيم واصطلاحا عند الأشاعرة إيجاد الله الأشياء على مقدار مخصوص كيباض قوى أو مشرب بحمرة طبق ما سبق به علمه تعالى وذلك لأنه يجب التصديق الجازم به كالقضاء وهو الفعل مع زيادة الأحكام والرضا بهما وقد ورد عن عائشة مرفوعا القدر سرّ الله فلا تفشوا سرّ الله ۞ وفي رواية فلا تتكلفوا علمه أي إن الله لم يطلع على حكمته إيجاد الأشياء وإعدامها إلا بعض خواصه من الأولياء لقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء أي لا يعلم الخلق إلا بما أراد فيجب عليهم الكتمان على اطلاعوا عليه حتى يظهر للخاص والعام لأن كل إنسان كشف له عن عاقبة أمره لم يصح تكليفه قال الشافعي

ومـا شـئت إن لـم تشـأ	ومـا شـئت كان وإن لـم
لـم يكن	أشـأ
عـلى العـلم يجـرى الفـتى	خلـقـت العـباد عـلى مـا
والمسن	أردت
وذا قـد أعـنت وذا لـم	عـلى ذا مـنـت وهـذا
تـعـن	خـذلـت
ومـنـهم قـبـيح ومـنـهم	فـمـنـهم شـقى ومـنـهم
حسـن	سـعيد

قال ۞ لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بأربعة يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره ولا يجوز الاحتجاج به على صدور الذنب إلا لدفع التعبير كما ورد عن سيدنا آدم ۞ أنه قال لسيدنا موسى ۞ أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وروى أن إبليس أتى عيسى ۞ وهو يصلى بجبل فقال أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء الله وقدره قال نعم قال فألق نفسك من الجبل فانظر أتعيش أم لا قال أما علمت أنه تعالى قال لا يفتنننى عبادى فأنما أفعل ما شئت إن العبد لا يبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده قال طاوس فخصمه عيسى (و) منها (الفرح بالمعصية) والرضا بها سواء صدرت (منه أو) صدرت (من غيره) من خلق الله لأن الرضا بالمعصية معصية بل هو من الكبائر كما فى الزواج ولا يقال إن الرضا بالقضاء يستلزم الرضا بها لأن القضاء الذى يجب الإيمان به والرضا به إنما هو بالمعنى المصدري بمعنى أنا نرضى بخلق الله المعصية ولا نعترض (51/2) عليه فى خلقها فلا ينافى أنه يجب علينا بغض ذاتها وكراهتها قال حجة الإسلام كمن كان له عدوان أحدهما عدو للآخر فإنه يكره موته لكونه عدو ويكرهه ويحبه لكونه عدو هو وليس المراد به المقضى كما ورد بمعناه فى خبر اللهم إنى أعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء أى المقضى لأنه لا يجب الرضا به إلا إذا كان واجبا كالإيمان وإلا ندب أو أبيع أو كره أو حرم فالمقضى عليه بمعصية من كفر أو غيره يحرم عليه الرضا بها من حيث الكسب ويجب عليه من حيث أنها خلقه ۞ قال تعالى (من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليخذلها سوائى) (و) منها (الغدر) بأحد من خلق الله ۞ (ولو) كان (بكافر) أمته الإمام أو غيره من كل مسلم مكلف مختار بكل لفظ يفيد مقصوده صريح كاجزتك أو أمنتك أو لا بأس أو خوف أو فزع عليك أو كناية كانت على ما تحب وبكتابة ورسالة بلفظ صريح أو كناية ولو زادت المدة على أربعة أشهر لأنه إذا بطل أمانه وجب تبليغه المأمّن كما استظهره فى التحفة قال ثم رأيتهم صرحوا به وذلك لقوله ۞ ينصب لكل غادر لواء معرف به يوم القيامة وأن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال ألا هذه غدره فلان بن فلان وفى ابن ماجه ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة وأخرج الخرائطى لواء الغادر يوم القيامة عند إسته وأبو داود لن يهلك الناس حتى يغدروا من أنفسهم (و) منها (المكر) والخديعة بأحد من المسلمين وهما من الكبائر كما فى الزواج لقوله ۞ المكر والخديعة فى النار كما أخرجه الترمذى وأخرج أيضا ملعون من ضارّ مؤمنا أو مكر به وأبو داود من خبى زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا وأبو نعيم من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار والرافعى ليس منا من غش مسلما أو ضره أو ماكره (و) منها (بغض) أحد من (الصحابه و) بعض أحد من (الآل) أى آله ۞ بل (و) كذا من سائر المسلمين لا سيما التابعين منهم و (الصالحين) والعلماء ۞ أجمعين لحديث الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن أذاهم فقد أذانى ومن أذانى فقد

أذى الله ومن أذى الله أوشك أن يأخذه وحديث إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي إخوانا وأصحابا وأصهارا وسيجئ قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا خلفهم ولا تصلوا معهم ولحديث من أبغضنا أهل البيت حشره الله يهوديا وإن شهد أن لا إله إلا الله وحديث من أبغض أهل بيتي حرم شفاعتي وحديث إن رجلا صنف أي جمع قدميه بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار وحديث الله أرزق من أبغضني وأبغض أهل بيتي ككرة الأموال والعيال والمراد أنه إذا كثر ماله كثر حسابه عليه وإذا كثر عياله كثر شياطينه وحديث لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى ولا يبغضنا إلا منافق شقى وفي آخر لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار وفي آخر لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد أي طرد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار قال بعض العلماء الإعلاك لا يعد مؤمنا من لم يجد رسول (52/2) الله ﷺ وذريته أحب إليه وأعز عليه من أهله وولده والناس أجمعين وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس الله روحه من كانت عنده كراهة لأحد من العلماء فقد خالف أمر الله بطاعة أولى الأمر منا إذ هم العلماء وإياك ومعاداة الأولياء والعلماء والنظر إلى مساويهم فربما جرك ذلك إلى القدح في علماء الإسلام ومن قدح فيهم فقد سخط من رفعه الله وهي جرأة عظيمة ومن أبغض عالما فقد أبغض من أحبه رسول الله ﷺ فيكون عدوه ﷺ وم أعظم مكائد اللعين أنه يبغض الناس في العلماء لأنهم إذا أبغضوهم لم يصغوا للعلم منهم فيضلوا ويضلوا وقد أخذ علينا العهد العام منه ﷺ أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر وإن لم يعملوا بعلمهم ونقوم بواجب حقهم ونكل أمرهم إليه ﷺ فمن أخل بواجب حقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ﷺ وهو كفر وروى ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ذو الشيبة وذو العلم والإمام المقسط أي العادل والكلام في ذلك كثير وشهير وقد بسطه واستوفاه شيخ الإسلام ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لإخوان ذوى الابتداع والضلال والزندقة فاطلبه إن شئت لترى ما فيه من محاسن الصحابة وأهل البيت وافتضاح الشيعة والروافض في كذبهم وافتراءهم عليهم بما هم بريئون منه رضوان الله عليهم أجمعين قال في الزواجر وقد قال الشعبي ﷺ وهو من أكابر التابعين الرافضة يهود هؤلاء هذه الأمة لأنهم يبغضون الإسلام مثلهم إذ لم يدخلوه رغبة ولا رهبة بل مقتا لأهله وبغيا عليهم فلو كانوا دواب لكانوا حميرا ولو كانوا طيرا لكانوا رخما ثم بسط وجه كونهم كاليهود بل وأخس بما تنبغى مراجعته وفقنا الله لمحبتهم واتباع السنة ومجانبة الضلالة والبدعة وهذان لاقتفاء آثار نبيه وسنته صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحابه إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم (و) منها (البخل بما أوجب الله) ﷺ على المكلف إخراج ما سيأتى الكلام فيه وليس قاصرا على الزكاة قال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال تعالى ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه الآية وحكى عن جماعة أنهم دخلوا على رجل فوجدوه حزينا كثير البكاء على أخ مات له فعزوه وقالوا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه فقال بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقالوا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويته عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره فإذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم وقد كنت أصلى قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله فإذا القبر يلمع عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فشفقت عليه ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبتة فاحترقت أصابعي ويدي فأراهم يده فإذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى عليه وأحزن قالوا له فما كان يعمل قال كان لا يؤدى الزكاة من ماله فقالوا له هذا تصديق قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وقال ﷺ وإن الله يبغض البخيل في حياته السخى عند موته وخصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخيل وسوء الخلق وصلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل ولا يدخل الجنة بخيل والبخل والمتصدق كمثلي رجلين عليهما جنتان أي أجن بمعنى ستر والمراد درعان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما فأما (53/2) المنفق فلا ينفق إلا سبغت على جلده حتى تجن أي تستر بنائه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع ومعناه أنها بالإنفاق تطول حتى تستر بنان يديه ورجليه وبعدمه تلزق كل حلقة مكانها فلا تتسع فكفى ﷺ بالجنة عن نعم الله تعالى ورزقه فالمنفق كلما أنفق اتسعت عليه النعم وسبغت عليه حتى تستر جميعه ستر كاملا والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه حرصه وشحه وخوف نقص ماله فهو يمنعه يطلب يطلب أن تزيد نعمه وماله وهى لا تزداد إلا ضيقا ولا تستر شيئا يروم ستره وقال ﷺ إن السيد لا يكون بخيلا وقال ﷺ إياكم والبخل فإن البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم فسفكوا دماءهم قال ﷺ خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال وقال لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن وقال ﷺ يا ابن آدم كنت بخيلا ما دمت حيا فلما حضرتك الوفاة عمدت إلى مالك تبذره فلا تجمع خصلتين إساءة في الحياة الدنيا وإساءة عند الموت انظر إلى قرابتك الذين يحرمون ولا يورثون فأوص لهم بمعروف (و) منها (الشح) وهو البخل بما فى يد الغير وهو وصف ذميم لقوله ﷺ اتقوا الشح فإنه أهلك من قبلكم حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وأخرج الحاكم إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا والخطيب الشحيح لا يدخل الجنة وطعام السخى دواء وطعام الشحيح داء وأبو يعلى ما محق الإسلام محق الشح شىء وبرئ من الشح من أدنى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النأبة الطبرانى ثلاثة من كن فيه وقى شح

نفسه وذكر نحوه وورد إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا والخطيب يقولون أو يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل والحاكم وغيره لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا (و) منها (الحرص) على المال والدنيا قال ﷺ كما في مسلم وغيره يهرم ابن آدم وتشب معه خصلتان الحرص على المال والحرص على العمر قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب العيش والمال وقال ﷺ أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل وقال ﷺ إن الله ليغضب للسائل الصدوق كما يغضب لنفسه وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة في ذم ذلك واعلم أن الحرص من أسباب البخل وهو من الصفات الذميمة الوخيمة التي جبل عليها الإنسان كالطمع وقلة القناعة حكى أن أعرابيا عاتب أخاه فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب بطلبك من لا تقوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل شعر وأحسن من قاله

أراك يزيـدك إلا ثـراء	عـلى الدنـيا كـأنـك لا
حـرصـاً	تـمـوت
فهل لك غايـة إن صـرت	إـليـها قلـت حـسـبى قـد
يـومـاً	رـضيـت
	ولاخر
(54/2) ومن ينفق الساعات في	مخافة فقر فالذى فعل
جمع ماله	الفقر

وقد بسط الكلام وأطال في بيان ذلك حجة الإسلام ﷺ ونفعنا به آمين (تنبيه) قال في الزواجر البخل شرعا منع الزكاة وألحق بها كل واجب فمن منع ذلك كان بخيلا وعوقب بما مر في الأحاديث قال الغزالي وحده قوم بأنه منع الواجب فمن أتى ما يجب عليه غير بخيل وهذا غير كاف إذ من يرد اللحم والخبز إلى قصاب أو خباز لنقص حبة يعد بخيلا اتفاقا وكذا من يضايق عياله في تمر أو لقمة أكلوها من ماله بعد أن سلم ما فرض القاضى لهم لهم ومن بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يشاركه فأخفاه عنه عد بخيلا وقال آخرون البخيل الذى يستصعب العطية وهو قاصر فإنه إن أريد أنه يستصعب كل عطية ورد عليه أن كثيرا من البخلاء لا يستصعب نحو الحبة أو الكثير فقط لم يقدر ذلك فى البخل وكذلك اختلف فى الجواد فقيل هو عطاء بلا من وإسعاف على غير روبة وقيل عطاء من غير مسئلة وقيل السرور بالسائل والفرح بعطاء ما أمكن وقيل عطاء على رؤية أنه وماله لله وهذا كله غير محيط بحقيقة البخل والجود والحق أن الإمساك حيث وجب البذل بخل والبذل حيث وجب الإمساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وهو الذى ينبغى أن يعبر عنه بالجود والسخاء فإنه ﷺ لم يؤمر إلا بالسخاء وقد قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما أى بالغل محسورا أى بالبسط وقال تعالى والذين إذا أنفقوا الآية فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين القبض والبسط وكماله أن لا يكون ناظرا بقلبه إلى ما أعطاه بوجه بل ينبغى أن لا يعلق من المال إلا بصرفه فيما يحمد صرفه إليه ثم الواجب بذله فيه إما شرعا أو مروءة وعادة فالسخرى من لا يمنعها والبخل عكسه لكن مانع الواجب الشرعى كزكاة ونفقة عيال أبخل وأقبح من مانع واجب المروءة كالمضايقة والاستقصاء فى المحقرات واستقباح هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فيستقبح من ذى المال ومع الجار والأهل والصديق ما لا يستقبح مع أصدادهم وللبخل درجة ثالثة وهى ما لو كثر ماله وهو قائم بواجبى الشرع والمروءة ثم أمسك عن الإنفاق منه فى وجوه القربات ليكون عدة له على النوائب وإيثارا لهذا الغرض الفانى على ما أعد الله له لو أنفق من الثواب الباقى والدرجات العلية والمراتب المرضية فهذا بخيل أى بخيل لكن عند الأكياس دون عامة الخلق لأنهم يرون إمساكه للنوائب مهما على أنهم ربما استقبحوا منه حرمانه لفقره بجواره وإن كان يؤدى الزكاة ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وشدة حاجة الفقير وصلاحه ثم هو بأداء دينك الواجبين يبرأ من البخل ولا يثبت له الجود مالم يبذل زيادة عليها لنيل الفضيلة لا لطمع فى ثناء أو خدمة أو مكافأة ويكون بحسب ما اتسعت له نفسه من قليل البذل وكثيره ويتعين على كل من أراد البراءة لدينه وعرضه التنصل عن داء البخل حذرا مما فيه من المهلكات ولا يتم ذلك إلا بمعرفة سببه وعلاجه فسببه حب المال إما لحب الشهوات التى لا وصول إليها إلا به مع طول الأمل إذ من علم أنه يموت بعد يوم لا يبقى عنده من آثار البخل شىء البتة وإما لحب ذات المال ولذا ترى من يتيقن أن معه ما يزيد على كفايته لو عاش العمر الطبيعى وأنفق نفقة الملوك ولا وارث له ومع ذلك هو من البخل بمكان فكفزه تحت الأرض عالما بأنه يموت بل ربما عند موته يبتلعه ومرض مثل هذا عسر علاجه بل محال بخلاف (55/2) الأول فحب الشهوات يعالج بالقناعة بالستر وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الأقربان وطول تعبه فى جمع المال وضياعه بعدهم فى أقبح المعاصى وأقرب زمن ويعالج الالتفات إلى الولد باستحضاره الخبر السابق أن شر الناس من ترك ورثته فى خير وقدم على الله بشر وبأن الله خلق للولد رزقا لا يزيد ولا ينقص وكم ممن لا يخلف أبوه فلسا صار غنيا ومن خلف له القناطير المقنطرة صار فقيرا فى

أسرع وقت وبأن يتأمل فى أحوال البخلاء وأنهم على مدرجة المقت والبعد من كل خير ولذلك تجد النفوس تنفر عنهم بالطبع وتستقبحهم حتى أن بعض البخلاء قد يستقبح البخل من غيره كثيرا ويستثقل كل بخيل من أصحابه ويغفل عن أنه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس كما أن البخلاء عنده كذلك ويتأمل فى المنافع التى قصد لها المال فلا يحفظ منه إلا ما يحتاجه وما زاد ينبغى له أن يدخر ثوابه وبره عند الله بإخراجه فى مرضاته ومن أمعن تأمله فى هذه الأدوية انصقل فكره وانشرح قلبه فيجانب البخل بسائر أنواعه أو بعضها بحسب كمال استعدادة ونقصه وينبغى له حينئذ أن يجيب أول خاطر الإنفاق فإن الشيطان ربما زين للنفس الرجوع عنه ولذا خطر لبعض الأكابر التصديق بغوبه وهو فى الخلاء فخرج فوراً وتصديق به ثم رجع فسئل فقال خشيت أن الشيطان يعنى عنان عزمى ولا تزول صفته إلا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق إلا بالسفر عن محل المعشوق وللمال فوائد دينية ودنيوية لأنه تعالى سماه خيراً وامتن به على عباده فالدنيوية ظاهرة ومن الدينية أمهات العبادات كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة إذ لا يتفرغ للدين إلا من كفى ذلك وما لا يتوصل للعبادة إلا به عبادة بخلاف ما زاد على الحاجة فإنه من حظوظ الدنيا ومنها ما يصرفه من صدقة أو هدايا أو ضيافات ونحوها من كل ما فيه فضيلة ويكتسب به أصدقاء وصفة سخاء أو وقاية عرض من نحو شاعر أو أجرة من يقوم بأشغاله إذ لو باشرها فأتت عليه الأخروية من علم وعمل وذكر وفكر أو فى خير عام كبناء مسجد ورباط وقنطرة أو سقاية بالطرق أو دور للمرضى وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهذه من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلية بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متتالية وناهيك بذلك خيراً فهذه جملة فوائد المال فى الدين سوى ما فيه من الحظوظ العاجلة كالعز وكثرة الخدم والأصدقاء وتعظيم الناس له وغير ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية وكذلك للمال آفات كثيرة دينية ودنيوية فمن الدينية أنه يجزى إلى المعاصى للتمكن به منها إذ من العصمة أن لا تجد ومتى استشعرت النفس القدرة على معصية انبعثت داعيتها إليها فلا تستقر حتى ترتكبها ويجزى أيضاً ابتداء إلى التمتع بالمباحات حتى تصير إلهاً له لا يقدر على تركها حتى لو لم يتوصل إليها إلا يسعى أو كسب حرام لاقتصره تحصيلاً لمآلوفاته إذ من كثر ماله كثر احتياجه إلى معاشرته الناس وربما أسخطهم وأورث العداوة والحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وغير ذلك من المعاصى والأخلاق والأحوال السيئة الموجبة للمقت واللعن ويجزى أيضاً إلى ما لا ينفك عنه أحد من ذوى الأموال وهو الاشتغال بإصلاح ماله عن ذكر الله ومرضاته وكل ما يشغل عن الله فهو شؤم وخسران مبين وهذا هو الداء العضال فإن أصل العبادات وسرها ذكر الله تعالى والتفكير فى جلاله وذلك يستدعى قلباً فارغاً ومحال فراغه مع ما تعلق به من إصلاح المال والاعتناء بتحصيله ودفع مضاره وذلك بحر لا ساحل له فهذه جمل (56/2) الآفات الدينية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال فى الدنيا قبل الآخرة من الخوف والحزن والهم والغم الدائم والتعب فى دفع الخسار وتجشم المصاعب والمشاق فى حفظ الأموال وكسبها فإذن تريق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى وجوه الخير وما عدا ذلك سموم وآفات وإذا تقرر ذلك فالمال ليس بخير محض ولا شر محض بل هو سبب للأميرين جميعاً يمتدح تارة لا محالة ويذم أخرى لكن من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد ذلك ولما مالت الطباع إلى الشهوات القاطعة عن الهدى وكان المال آلة فيها عظم الخطر فيما يزيد على الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا ﷺ اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال اللهم أحيى مسكيناً وأميتى مسكيناً وقال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شبك فلا انتقش (و) منها (الاستهانة بما عظم الله) (والتصغير لما عظم الله) (من طاعة) وإن قلت فربما كان فيها رضاه (أو معصية) وإن صغرت فربما كان فيها غضبه وكانت سبباً للانتقام كما مر وعن الفضيل (و) وبقدر ما يعظم الذنب عندك يصغر عند الله وعكسه وروى عنه (و) أنه قال أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند الناس وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند الناس وأكبرها يعنى ما كان أعظم عند المذنب وخاف منه كان أصغر عند الله فيغفر له وما كان صغيراً فى عين المذنب كان عظيماً عند الله تعالى لأنه حينئذ يدوم عليه لرؤيته إياه صغيراً كما روى أربع بعد الذنب شر من الذنب الاستصغار والاعتزاز والاستبشار والإصرار وقال (يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً ويقال مثل الذنوب الصغار كمثل من جمع خشبته صغيرة يوقد منها ناراً باجتماعها وفى مقال الناصحين ورد فى الحديث إن الله أخفى أربعاً فى أربع أخفى رضاه فى طاعته فلا تتهاون بشيء منها فلعل فيه رضاه وأخفى غضبه فى معصيته فلا تحقرن شيئاً منها فلعل فيه سخطه وأخفى سره فى خلقه فلا تحقرن منهم أحداً فلعل السر فيه وأخفى الموت فى وقته فاستعد له فلعله يأتى فيه أهـ وفى الزواجر عن ابن مسعود إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار وعن بعض السلف أنه قال أذنبت ذنباً فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة قيل وما هو قال أخذت طينة من حائط جارى ليغسل بها ضيف عندي يده وقال سليمان بن عبد الجبار أذنبت ذنباً فاحتقرته فأتيت فى منامى فقيل لى لا تحقرن من الذنوب شيئاً وإن كان صغيراً إن الصغير عندك اليوم كبير غداً عند الله قال المزنى من فعل الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى (أو) شيء من (قرآن) أو من أمره أو نهييه أو وعده أو وعيده (أو) بشيء من (علم) شرعى وآلته (أو جنة أو نار) فكل ذلك من المعاصى الموبقات والخبائث المهلكات بل بعضها إذا قصد به الاستهزاء

يجز إلى الكفر والعياذ بالله من ذلك كما تقدم أول الكتاب فانظر إلى إبليس لما أمر بالسجود كيف أبعده الله من رحمته لاستصغاره ما عظم الله حيث قال أسجد لمن خلقت طينا وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقد قال الله تعالى منوها بتعظيم ما عظمه ومن يعظم حرمان الله ومن يعظم شعائر الله والله أعلم

(فصل) في بعض معاصي الجوارح السبعة وهي اليد والبطن واللسان والرجل والفرج (57/2) والأذن والعين واعلم أنها رعيته وأنت مسئول عنها وأنها شاهدة عليك يوم القيامة بلسان فصيح يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية فلا ينبغي لمن له أدنى عقل أن يستعملها إلا فيما يرضى الله تعالى فإنه لم يخلقها إلا للاستعانة بها على أمر المعاش والمعاد ولمعرفة ملاذ النعمة التي أنعم بها على خلقه لا للعصيان ومخالفة الأمر بها (و) سيأتي كل واحد منها في فصل فحينئذ (من معاصي البطن أكل الربا) بالمد والقصر وقد مر الكلام عليها (و) منها أكل ما يدخل على الشخص بسبب (المكس) وهو ما ترتبه الظلمة من السلاطين في أموال الناس بقوانين ابتدعوها وقد عد في الزواج جباية المكوس والدخول في شيء من توابعها كالكتابة عليها إلا بقصد حفظ حقوق الناس إلى أن ترد عليهم إن تيسر من الكبائر قال فيها وهو داخل في آية إنما السبيل على الذين يظلمون الآية والمكاس بسائر أنواعه من جاني المكس وكاتبه وشاهده ووازنه وكائله وغيرها من أكبر أنواع الظلمة بل هو منهم فلهم يأخذون ما لا يستحقون ويدفعون لغير مستحقه ولذا لا يدخل صاحب المكس الجنة كما يأتي لأن لحمه نبت من حرام ولتقلده بمظالم العباد ومن أين له يوم القيامة أن يؤدي ما أخذ من الناس فيأخذون من حسناته إن كانت قال لا يدخل صاحب مكس الجنة قال البغوي هو من يأخذ من التجار إذا مرّوا عليه شيئا باسم الزكاة قال المنذرى والآن يأخذون مكسا آخر ليس باسمها بل هو حرام سحت يأكلون في بطونهم نارا حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد قال البلقينى يطلق المكاس على من أحدث المكس وعلى من يجرى على طريقته الرديئة والظاهر أن المراد به في خبر لقد تابت أي المرأة التي طهرت نفسها بالرجم توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له الذي ذنبه عظيم ويؤخذ من الحديث أن من أحدث المكس تقبل توبته وأن من استن شيئا إنما يكون عليه وزره إذا لم يتب ام وعنه إن الله يدنو من خلقه أي برحمته فيغفر لمن يستغفر إلا لبغى بفرجها أو عشار

(تنبيه) عد ذلك كبيرة ظاهر وبه صرح جماعة والأحاديث لا تحصى واعلم أن بعض فسقة التجار يظن أن ما يؤخذ منه بالمكس يحسب عنه زكاته إذا نواها به وهو ظن باطل لا مستند له عندنا لكن محبته للمال أعمته عن إبطار الحق وأصمته عن سماع ما ينفعه في دينه ولم يدرك أنه إنما هو من تسويل الشيطان له أنه يؤخذ من ماله قهرا وظلما فكيف مع ذلك يخرج الزكاة وقد جعل بعض العلماء المكاسين لصوصا وقطاع طريق بل أشد وأقبح ولو أخذ منك قاطع طريق مالا فنويت به الزكاة فلا يقع أيضا عنها ولقد شنع العلماء على بعض الجهال الزاعمين أن الدفع إلى المكاس بنيتها يكفى وأطال في رد ما قاله وأن قائله جاهل سفيه لا يعول عليه فتأمله واعمل به تغتم والله أعلم (و) منها أكل شيء مما يدخل عليه بسبب (الغصب) وهو الاستيلاء على حق الغير ظلما أو تعديا وقد غلظ الشرع في حكم رده في الدنيا بأنه إذا نقص وجب رده مع أرش نقصه وأجرة مثله إن كانت له أجرة وإن تلف وجب رد مثله إن كان مثليا أو متقوما بأقصى القيم من حين الغصب إلى التلف وغرم أجرته ولا يبرأ من إثم الغصب إلا بالتوبة فإن لم يرده في الدنيا طوبى له في الآخرة وهو من الكبائر لقوله لا يحل لأحد أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه وإنما قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم واعتبر البغوي في كونه (58/2) كبيرة أن يكون المغموص ربع دينار وقيل درهما وقال الحليمي إن كان تأفها فصغيرة وإلا بأن كان صاحبه لا يستغنى عنه فكبيرة وقال ابن عبد السلام أجمعوا على أن غصب الحبة وسرقتها كبيرة ويوافقه قول القرطبي أجمع أهل السنة على أن من أكل مالا حراما ولو ما يصدق عليه اسم الأكل فسق وكان ابن عبد السلام لم يعتمد كلام البغوي وغيره لضعف مدركه ولأنه لا مستند له إذ الأحاديث الواردة في وعيد الغاصب مطلقة فتناول القليل والكثير فلا يجوز تخصيصها إلا بدليل سمعي فالمعتمد أنه لا فرق في كونه كبيرة بين القليل وغيره نعم التأف جدا الذي تقضى العادة بالمسامحة به كزببية يمكن أن يقال إن غصبه صغيرة لكن الإجماع السابق عن ابن عبد السلام يرد ذلك لأن أموال الناس وحقوقهم وإن قلت لا يسامح فيها بشيء نعم غصب نحو كلب لا يكون كبيرة كما جزم به بعضهم وهو محتمل والله أعلم (و) منها أكل ما يؤخذ بنحو (السرقة) وهي أخذ المال خفية من حرز مثله وقد شدد الشارع في حكمها في الدنيا بما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى (و) كذا أكل (كل مأخوذ بمعاملة حرمها الشرع) مما مر بيانه وأنه من أكل أموال الناس بالباطل وقد ورد في الحديث أن دم المسلم وعرضه وماله حرام وأن من استحل ما يأخذه كبعض الجهلة الطعام كفر وخرج من دائرة الإسلام والعياذ بالله من ذلك فليجتنب العاقل كل ذلك وغيره من المحرمات ولعظم خطر ارتكاب المنهيات قال إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عنه فاجتنبوه أي حيث قال في الثاني فاجتنبوه ولم يقل فاجتنبوا منه ما استطعتم ولا يحصل الاجتناب عنها إلا بالتقوى كما قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخدعه ولا يكذبه التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات أي إن خشية الله التي يجتنب بها العبد المنهيات ويطلب بها الرضا في القلب الذي هو محل الإيمان واعلم أن بعض

الجهلة قد يظن أن الحرام والظلم إنما يتصور بنور الغضب وقطع الطريق والسرقة مع أن المأخوذ بنحو الغش والخداع أشد ظلما وأقبح تعديا والله أعلم - (و) منها - (شرب الخمر) - وكذا المسكر من غيرها ولو قطرة قال في الزواجر شرب الخمر مطلقا والمسكر من غيرها ولو قطرة إن كان شافعيًا وعصر أحدهما واعتصاره ببقيدته الآتي وحمله وطلب حمله لنحو شربه وسقيه وطلب سقيه وبيعه وشراؤه وطلب أحدهما وأكل ثمنه وإمساك أحدهما ببقيدته الآتي كل واحد منها من الكبائر قال تعالى يستلونك عن الخمر والميسر الآية أي يستلونك عن حكمهما والخمر هو المعتصر من العنب إذا علا وقذف بالزبد وتطلق مجازًا بل حقيقة بناء على ما يأتي من الأحاديث المصرحة بذلك على الأصح أن اللغة تثبت بالقياس على ما غلا وقذف بالزبد من غير العنب وسميت بذلك لكونها تخمر العقل أي تستره ومنه خمار المرأة لما يستر وجهها والخمر من يكتم شهادته أو لأنها تغطي حتى تشتد ومنه خمروا أنيتكم أو لأنها تخالط العقل ومنه خامره داء أو لأنها تترك حتى تدرك ومنه اختمر العجين أي بلغ إدراكه أقوال متقاربة وعليها فهي مصدر مراد به اسم الفاعل أو المفعول ويدل لعمومها لعصير العنب وغيره حديث نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل وحديث ألا إن الخمر قد حرمت وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة (59/2) والشعير والخمر ما خامر العقل وحديث إن من العنب خمرا وإن من التمر خمرا وإن من العسل خمرا قال الخطابي وتخصيص الخمر بهذه الخمسة لأنها المعهودة في ذلك وإلا فكل ما في معناها كذلك وفي حديث ما أسكر كثيره فقليله حرام وفي حديث إن الخمر مسلبة للعقل مذهبة للمال واعلم أن شرب ما يسكر بالفعل من خمر وغيره حرام وفسق بالإجماع وكذا قليل عصير عنب أو رطب إذا اشتد وغلا بلا عمل للنار فيه يحرم ويحد شاربه ويفسق بل ويكفر إن استحلّه وأما شرب قليل لا يسكر من ذلك أصلا فأكثر العلماء على تحريمه وأن جميع أحكام الخمر تثبت له وأطالوا في رد خلاف ذلك وتزييفه قالوا ونزل في تحريم الخمر أربع آيات بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل الآية وكان المسلمون يشربونها فقال عمر ومعاذ وغيرهما أفئتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل قوله تعالى فيهما إثم كبير ومنافع للناس فقال ﷺ إن الله يقدم أي يقدم مقدمة في تحريم الخمر فمن كان عنده شيء منها فليبعه فتركها قوم وشربها آخرون إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف ﷺ طعاما فدعا ناسا من الصحابة وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت المغرب فتدم بعضهم ليصلى بهم فقرا قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا إلى آخرها بحذف لا فأنزل الله لا تقربوا الصلاة الآية فحرمها قوم قائلين لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وتكرها آخرون في أوقات الصلاة فيشرب أحدهم بعد العشاء ويصبح صباحا وبعد الصبح فيصحو الظهر حتى إنه ذات يوم اجتمع جماعة وفيهم سعد بن أبي وقاص وأكلوا رأس بعير وشربوها وافتخروا وتناشدوا الأشعار فأنشد بعضهم قصيدة فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه فانطلق سعد لرسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصار فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر الآيات فلما سمع عمر فهل أنتم منتهون قال انتهينا يا رب والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أنه تعالى علم أنهم ألفوها وأنهم لو منعوا دفعة لشق عليهم واعلم أن من إثم الخمر الكبير إزالة العقل الذي هو أشرف صفات الإنسان وقد قيل للعباس بن مرداس مالك لا تشرب الخمر فقال ما أنا بأخذ جهلى بيدي فأدخله ولا أرضى أن أصبح سيد قوم فأمسى سفيهم وإزالة العقل محصلة للخبائث كلها وقد قال ﷺ اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث وقد سلبها الله ﷺ لما حرمها منافعها كلها وصارت ضررا صرفا وموتا حتفا أعادنا الله من معاصيه بمنه وكرمه وجاءت السنة بالتحديد العظيم في شربها وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها وبالترغيب العظيم في ترك ذلك والتوبة منه فمن ذلك قوله ﷺ لعن الله الخمر وشاربها وساقبها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها ومن زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه ومن شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة قال البغوي وفي قوله حرمها وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شراب أهل الجنة خمر لا يصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخلها لا يحرم شربها لكن ورد في حديث لا يشربها وإن دخل الجنة وورد أن من مات مدمنا لها سقاه الله من نهر يجرى من فروج الزواني يتأذى من ريحه أهل النار وفي رواية من طينة الخبال وهي عرق أهل النار وإن مات أي من غير توبة لقي الله كعابد وثن وعنه ﷺ (60/2) إن ملكا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين شربها أو قتل نفس أو زنا أو أكل لحم خنزير أو قتله فأختار شربها فلما شرب فعل كل ذلك وغير ذلك من الأحاديث الواردة في ذمها وفيما ذكر كفاية لمن وفقه الله تعالى قال في النصائح فاحذروا رحمكم الله هذا الشراب الخبيث الذي حرمه الله وجعل سخطه ومقته حظ شاربه في الدنيا والآخرة ومن ابتلى به فليتب منه قبل أن تحل به العقوبة أو يموت فيصير إلى النار وسخط الجبار نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية من جميع البليات ومن تاب تاب الله عليه قال في الزواجر - (تنبيه) - عذ ما مز من الكبائر ظاهر من الأحاديث أما شربها ولو قطرة فكبيرة بالإجماع ويلحق به شرب المسكر من غيرها وفي إلحاق غير المسكر خلاف والأصح إلحاقه إن كان شافعيًا وما اقتضاه كلام الروياني من أن شرب غيرها إنما يكون كبيرة إذا أسكر مردود بأن القدر الغير المسكر منه داخل تحت الخمر عند الشافعية وفيه الحد وهو من علامات أن المحدود عليه كبيرة وأطال في بيان ذلك ثم قال والحاصل أن تعمد شرب القليل من الخمر أو النبيذ مع علم التحريم كبيرة وكذا بيعها

وشراؤها لغير حاجة كتداو أو قصد تخلل وكذا عصرها واعتصارها ونحوها مما مر إن قصد به شربها أو الإعانة عليه بخلاف نحو إمساكها لقصد تحليل أو تخلل

(خاتمة)- ورد في الحديث لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم ولا تسلموا عليهم وأن شاربها يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مدلى لسانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من رآه قال بعض العلماء وإنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شاربها فاسق ملعون لعنه الله ورسوله فإن اشتراها أو عصرها كان ملعوناً مرتين وإن سقاها لغيره فثلاثاً فإن تاب تاب الله عليه ولا يحل التداوى بها فعن أم سلمة ؓ قالت قال ﷺ لم يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها وورد أن من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء كل حرف من تلك فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم قالوا بل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة وإنه ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر لا جزاك الله خيراً فأنت الذي أوردتني هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وأن من شرب الخمر في الدنيا سقاها الله من سم الأسود شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام وأن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر شربة من نهر الخبال فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لا احترقت السموات من حرها نعوذ بالله منها وعن ابن مسعود أن شاربها يحول في القبر عن القبلة وعن الفضيل أنه لقن بعض تلامذته عند موته الشهادة فلم ينطق لسانه بها فكررها (61/2) عليه فقال لا أقولها وأنا برىء منها ثم مات فرآه بعد مدة في منامه يسحب إلى النار فقال بمن انتزعت منك المعرفة فقال كانت بي علة فقال لي بض الأطباء اشرب قى كل سنة قدج خمر وإلا بقيت بك فكنت أفعل ذلك للتداوى فهذا حال من شربها للتداوى فكيف بغيره نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ورأى بعض الصالحين ولده بعد موته شائبا وقد دفنه شابا فقال ما شبيبك فقال لما دفنتني دفن بجانبى رجل كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت النار لقدمه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدتها (وحد شاربها)- الذى وردت به السنة عنه ؓ (أربعون جلدة للحر)- ولا قتل بها وأما حديث إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم فقال المنذرى ؓ إنه منسوخ وإن جاء فى غير ما وجه صحيح والله أعلم (ونصفها)- أى الأربعين وهو عشرون (لرقيق و)- تجوز (للإمام الزيادة)- على الأربعين والعشرين بحسب رأيه إلى ما يبلغ به حد القذف وهو ثمانون لكن هذه الزيادة لا تسمى حدا بل (تعزيرا)- لما ورد عن عمر ؓ أنه بلغ حد الشرب إلى ثمانين وقال إنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى (ومنها أكل)- كل (مسكر)- طاهر كالحشيشة والبنج ويسمى الشيكرا بفتح المعجمة وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب قال فى الزواجر فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووى فى بعضها وغيره فى بقيتها ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل لا مع شدة المطربة لأنها من خصوصيات المسكر المانع وبما تقرر فى معنى الإسكار فى هذه علم أنه لا ينافى أنها تسمى مخدرة وإذا ثبت أنها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر فكل ما جاء فى وعيد شاربها يأتى فى مستعمل شئ من هذه المذكورات لاشتراكها فى إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى ورسله المتميز به الإنسان عن الحيوانات والوسيلة على إثبات الكمالات على النقائص فكان فى تعاطى ما يزيله وعيد الخمر وقد ألفت كتابا سميت به تحذير الثقات عن استعمال الكفتة والقات لما اختلف أهل اليمن فيه وطلبوا منى إبانة الحق وإن لم أجزم بتحريمها فيه واستطردت ذكر بقية المسكرات والمخدرات الجامدة وما ذكر فى الجوزة أنها مسكرة صرح به شيخ الإسلام ابن دقيق العيد ونقله عنه المتأخرون من الشافعية والمالكية واعتمدوه وكذا ابن تيمية من الحنابلة وتبعوه عليه ويلزم الحنفية القول بإسكارها لأنهم قائلون بأن البنج مسكر وقد قال ابن دقيق العيد إنها مثله قال محمد بن زكريا إمام وقته فى الطب ويتولد من الحشيشة أفكار كبيرة رديئة وقد ذكر بعض العلماء فى مضارها نحو من مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية منها أنها تورث الفكرة الرديئة وتجفف الرطوبة وتعرض البدن لحدوث الأمراض وتورث النسيان وتصدع الرأس وتقطع النسل والمنى وتجففه وتورث الفجأة واختلال العقل وفساده والدق والسل والاستسقاء ونسيان الذكر وإفشاء السر وإنشاء الشرّ وذهاب الحياء وكثرة المراء وعدم المروءة وكشف العورة وعدم الغيرة وإتلاف الكيس ومجالسة إبليس وترك الصلاة وتورث الجذام والبرص وتوالى الأسقام والرعدة وتنن الفم وفساد الأسنان وسقوط شعر الأجفان واحتراق الدم وصفرة الأسنان والبخر وثقب الكبد وغشاء العين والفشل والكسل وتجعل الأسد كالجمل (62/2) وتعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع وإن كلم لا يسمع تجعل الفصيح أبكم والصحيح أبلم وتذهب الفطنة وتحدث البطنة وتورث العلة والبعد عن الجنة ومن قبائحها أنها تنسى الشهادتين عند الموت بل قيل إن هذا أدنى قبائحها وهذه القبائح كلها موجودة فى الأفيون ونحوه مما سبق ويزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخا للخلقة كما هو مشاهد من أحوال أكله وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد منهم تلك القبائح التى هى مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخس حالة

وأرث هيئة وأقذر وصف وأفزع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى خوارم المروءات وهو أزم الكمالات وفواحش الضلالات ثم مع هذه العظام التي يشاهدها يجب أن يندرج في زميرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الجائرة متعاميا عما في وجوههم من الغضب وما يعترئها من الفترة أولئك يخشى عليهم أن يكونوا من الكفرة الفجرة فمن اتضحت لهم فيه هذه المثالب وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعاييب ثم نحا حوهم وحذا حذوهم فهو المفتون المغبون الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون لأنه لعنه الله إذا أحلّ عبدا في هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذ شيئا إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل أضلّ سبيلا ومن أهل النار فبئس ما رضىه لنفسه مبيتا ومقيلا وأف لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة وفقنا الله لطاعته وحمانا عن مخالفته آمين واعلم أنه إنما لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة لأنها لم تحدث إلا في آخر المائة السادسة وأول السابعة وبالعقل الذهبي وجعلها كالخمر في النجاسة والحد قال وهي أخبت من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاح حتى يصير في متعاطيها تخنث أي أبنة ونحوها وديانة وقيادة وفساد في المزاح والعقل والخمر أخبت من جهة أنها تقضى إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة قال وتوقف بعض المتأخرين في الحد بها ورأى إن فيها تعزيرا لأنها كالبنج تغير العقل من غير طرب وليس كذلك بل فيها ذلك كالخمر ولكونها جامدة تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال فقليل نجسة وهو الصحيح وقيل لا وقيل يفرق بين جامدها ومائعها وبكل حال فهي داخلة فيما حرّم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا ومعنى كما قال ﴿ كل مسكر حرام وقد قيل فيها شعر

ق-ل-لم-ن يأكل الحش-يشة	عش-ت في أكله-أ بأق-ح
جه-لا	عيش-ه
قيم-ة الم-رء ع-ق-له	ي-أ أخ-أ الجه-ل بع-ت-ه
فلم-أ اذا	بحشي-شه
{ومما قيل فيها أيضا}	
ي-أ م-ن غدا أكل الحشيش	وغ-دا ف-لاح ع-واره
شعاره	وخم-أاره
أعرضت عن سنن الهدى	لم-أ اعترض-ت لما أش-يع
بزخارف	ض-راره
العقل-ين-ه هي أن تم-يل إلى	والش-رع ي-أمر أن
اله-وى	تب-عد داره
فم-ن ارت-دى برداء زه-رة	في-ها ب-دا لل-ن اظ-رين
شه-وة	خس-أاره
اقصر وت-ب ع-ن شرها	م-ن شره-أ فه-و الط-ويل
متع-وذا	ع-أاره

(63/2) {و} منها أكل {كل نجس} كالدّم المسفوح ولحم الخنزير والميتة وما ألحق بها في غير مخصصة قال في الزواجر وهي من الكبائر قال تعالى حرمت عليكم الميتة الآية وقال تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما الآية وخرج بالمسفوح الطحال والكبد وكون ما ذكر كبيرة ظاهر الآيتين لأنه تعالى سماه فسقا إذ قوله تعالى ذلكم فسق يرجع للجميع كما صرح به الأصولية قاضية برجوعه لكل فلا وجه لتخصيصه ببعض لكنهم لم يصرحوا بالدّم وقد علمت قيام الدليل عليه وينبغي أن يلحق به كل نجاسة غير معفو عنها تعديا ثم رأيت التصريح بها {و} منها أكل كل {مستقذر} وكل مضر وهما من الكبائر كما في الزواجر قال ويستدل له بأن المستقذر كالمخاط والمنى ملحق بالنجاسة في تلطيخ نحو المصحف به فلا يعد في إلحاقه به هنا وأما أكل المضرّ فالحكم فيها ظاهر لأن تناول المضرّ مفسد للبدن أو العقل وذلك عظيم الإثم والوزر كما أن إضرار الغير الذي لا يحتمل كبيرة فكذا إضرار النفس بل هذا أولى لأن حفظ النفس أهم من حفظ الغير {فرع} ذكر أصحابنا أنه يحرم أكل طاهر مضرّ بالبدن كالطين والسمّ كالأفيون لا القليل من ذلك لحاجة التداوى مع غلبة السلامة أو بالعقل كنبات مسكر غير مضطرب وله التداوى به وإن أسكر إن تعين قان قال له طبيبان عدلان لا ينفع علتك غيره ولو شك في نبات هل هو سمّ أو غيره أو في نحو لبن هل هو مأكول أو غيره حرم عليه تناوله ولو وقع ذباب في طبيخ وتهرى فيه حل أكله أو نحو طائر أو جزء آدمى لم يحل وإن تهرى ولو وجد نجاسة في طعام طرا عليه الجمود وشك هل وقعت فيه مائعا أو جامدا حل تناوله لأن الأصل طهارته مع أنه يحتمل أن وقوعها فيه جامدا فينزعها وما حولها فقط وإن غلب على ظنه أنها وقعت فيه مائعا ولو عم الحرام أرضا ولم يبق فيها حلال وتوقع معرفة أربابه جاز تناول قدر الحاجة منه دون التعم ولا يتوقف على الضرورة

{خاتمة} قال الشيخ عبد الله بأسودان ﴿ وكل ما ذكر في الحشيشة من الخبائث والعلل يظهر على من يستعمل التنباك وربما لو أدرك الشيخ ابن حجر حدوته لقضى بها عليه إذ لم يحدث إلا بعد القرن العاشر ونقل عن

سيدنا القطب الحداد نفعا الله به أنه قال في تاريخ سنة ظهوره بغى أى ألف واثنا عشر وأنه جزم بحرمة ❧ فعلى العاقل أن يترك شربه وانتشاقه إذ هو مثل شربه فى الحكم والذم بل هو أقبح وأخزى إذ به يصعد النفس إلى الدماغ فيكون أبلغ فى إثارة ما فيه من خواصه فهو سعو ط الشيطان الرجيم نعوذ بالله منه واعلم أن أهل العلم اختلفوا فى حكمه شربا وسعو طافقيل بالحرمة لأنه يخر العقل ويفتر البدن ويورث أمراضا مزمنة وذهب إليه أكثر الصوفية قال سيدى الحسين بن أبى بكر ❧ من لم يتب منه قبل موته بأربعين يوما خشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله ووافقه عليه ابن علان وقيل بالكراهة لما فيه من التن وقيل بالإباحة لأنها الأصل حتى يتحقق الضرر هذا وقد كثر فى هذه الأزمان الانهماك فيه والارتباك فى موارد الوخيمة والاجتماع بسببه مع السفلة فى مجالس السوء (64/2) ومبارك الهلكة التى تجمع الخبائث والرذائل من غيبة ونميمة وفحش ومزاح وسخرية وصحة ذى الفسق والفجور وقد بسط الكلام الشيخ عبد الله فى كتابه المسمى بالدخائر الفاخرة بما يتعين الوقوف عليه (و) منها (أكل مال اليتيم) يعنى إتلافه بأكل أو غيره وإنما خص الأكل تبعا للآية وسيأتى حكمة تخصيصه فيها وهو من الكبائر كما فى الزواجر قال تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى الآية قال قتادة نزلت فى رجل ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وخرج بظلمة أكله بحق كأكل الولى بشروطه المقررة فى كتب الفقه قال تعالى فمن كان غنيا الآية والمراد بالمعروف قدر الحاجة أو أن يأخذه قرضا أو بقدر أجرة عمله أو إن اضطر فإن أيسر قضاءه وإلا فهو فى حل أقوال أربعة الصحيح منها أن الولى إذا لم يتبرع بالنظر له فإن كان غنيا لم يأخذ شيئا أو فقيرا فإن كان وصيا وشغله عن كسبه النظر فى مال محجوره فله الأخذ منه ولو بلا قاض أقل الأمرين من أجرة بقدر عمله فى ذلك ومؤنته اللائقة به عرفا ولا يجوز له أخذ أكثر من الأقل أما القاضى فلا يأخذ شيئا مطلقا وأما الأب والجد والأم الوصية فلهم الكفاية إذ تجب نفقتهم فى مال الولد ولو تضجر الأب أو الجد من النظر فى مال ولده نصب له القاضى قايما أو نصبه القاضى وقدر له أجرة من مال الولد حيث لا متبرع وليس له مطالبة القاضى بتقدير أجرة له ولو فقيرا وللولى أن يخلط طعامه بطعام اليتيم وأن يضيف من المخلوط لكن يشترط أن يكون له فى ذلك مصلحة كأن يكون أوفر عليه مما لو أكل وحده وأن تكون الضيافة مما زاد على قدر ما يخص اليتيم كما هو ظاهر والمراد بالأكل فى الآية سائر أنواع الإتلاف فإن ضرر اليتيم لا يختلف بكون إتلاف ماله بأكل أو غيره وإنما خص الأكل بالذكر لأن عامة أموالهم ذلك الوقت الأنعام وهى يؤكل لحمها ويشرب لبنها أو لكونه هو المقصود من التصرفات ولشدة الوعيد الذى تضمنته الآية قال ابن دقيق العيد أكل مال اليتيم مجرب لسوء الخاتمة والعياذ بالله ومن ثم لما نزلت تخرج الصحابة ❧ وامتنعوا من مخالطة اليتامى حتى نزل قوله تعالى وإن تخالطوهم فأخوانكم ورعم أن هذه الآية ناسخة لتلك وهم فاحش لأن تلك فى منع أكلها ظلما وهذا لم ينسخ فالعلامة على سوء الخاتمة وتأبيد العذاب هى التى على وجه الظلم وإلا كانت من أعظم البرّ وجاء فى التشديد والظلم فى أموال اليتامى أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية فمنها قوله ❧ اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هنّ قال الشرب بآلله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث وأربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق للوالدين وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ❧ أنه قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

(تنبيه) عد أكل مال اليتيم من الكبائر هو ما اتفقوا عليه لما ذكر وظاهر كلامهم أنه لا فرق بين أكل قلبه وكثيره ولو حبة وهو كذلك خلافا لمن زعم أن أخذ التافه من مال اليتيم صغيرة (و) منها أكل مال المسجد أو غيرهم (الأوقاف) إذا كان ذلك (على غير شرط (65/2) الواقف) وهو من الكبائر قال فى الزواجر وذكرى لهذا من الكبائر ظاهر وإن لم يصرحوا به لأن مخالفته يترتب عليها أكل أموال الناس بالباطل وهو كبيرة فينبغى الاحتراز عنه وغايته التوقى عن توليها رأسا إيسارا للسلامة وبعدا عن مواضع الخطر والملازمة (و) منها أكل (المأخوذ) من الغير (بوجه الحياء) بالمدّ تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب منه ويذم أى بوجه هو الحياء فالإضافة بيانية وهو من أكل أموال الناس بالباطل

(فصل ومن معاصى العين النظر) بها من الذكر (إلى) شىء من جميع بدن أحد من (النساء الأجنبية) مع القصد بخلاف النظر فجأة ثم الغضّ أو لنحو معاملة كبيع وشراء ليرجع بالعهد ويطالب بالثمن مثلا أو لشهادة تحملا أو أداء لها أو عليها كنظر فرج لشهادة بزنا أو ولادة أو نحو ذلك وتعمره للشهادة جائز وإن تيسر النساء أو المحارم والفرق بينها وبين نحو القصد أن النساء ناقصات لا تقبل شهادتهن والمحارم قد لا يشهدون كما فى التحفة (وكذا) من معاصى العين (نظرهن) أى النساء (إليهم) أى شىء من بدن أحد من الرجال الأجانب كذلك فى الأصح لخبر أم سلمة ❧ كنت عند رسول الله ❧ وعنده ميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه بعد الأمر بالحجاب فقال ❧ احتجبا عنه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى فقال ❧ أفعميا وإن أنتما أستما تبصرانه قال فى التحفة وليس فى خبر عائشة أنها نظرت إلى وجوه الحبشة وأبدانهم وإنما نظرت إلى لعنهم وحرابهم ولا يلزم منه تعمد نظر البدن وإن وقع بلا قصد صرفته حالا أو أن ذلك قبل نزول آية الحجاب أو كانت عائشة حينئذ لم تبلغ مبلغ النساء قال الجلال البلقينى وما اقتضاه كلام المتن من حرمة نظرها لوجهه وبدنه بلا شهوة

لم يقل به أحد من الأصحاب وورد بأن استدلالهم بما مر في قصة ابن أم مكتوم والجواب من حديث عائشة صريح في أنه لا فرق ويردّه أيضا قول ابن عبد السلام جازما به جزم المذهب يجب على سدّ طاقة تشرف المرأة منها على الرجال لم تنته بنهيه أي وقد علم منها تعمد النظر إليهم ومر ندب نظره إليها عند الخطبة كهي إليه وقيل وصححه الرافعي يجوز نظر المرأة إلى بدن أجنبي سوى السرة والركبة ما بينهما إن لم تخف فتنة ولا نظرت بشهوة {و} منها {نظر العورات} ولو مع اتحاد الجنس جمع عورة وهي لغة النقص وشرعا ما يجب ستره والمراد به هنا السرة والركبة وما بينهما قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية ثم قال قل للمؤمنات الآية قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا المرأة إلى المرأة في ثوب واحد وسئل الشبلي عن قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فقال أبصار الرؤوس عن المحرمات وأبصار القلوب عن الخطرات وإليه يشير حديث زنا العين بالنظر وزنا القلب بالفكر إذا تقرر ذلك {فيحرم نظر الرجل} البالغ ولو شيئا ومختئا أي متشبها بالنساء {إلى شيء من بدن المرأة} ولو نحو شعر وسن {الأجنبية} ولو أمة {غير الحليلة} له أي نكاح أو ملك ولو كانت قبيحة الصورة أو عجوزا لا تشتته وورد أنه يعذر في النظرة الأولى ففي حديث يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس المرجوم لأنها تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى الزنا والمحتاط من {66/2} حسم المادة قال الغزالي أول العشق السالب للعقل نظرة تقع بغير قصد إلى صورة ثم لا تزال تقوى وتسترسل حتى تصير عشقا وقد تقتل العاشق إذا عف فإن وقع في الزنا هلك في دينه وبهلاكه يكون هلاك الأبد فإذا ترك النظر سلم من الفكر فيسلم من الزنا قال العين تزني والقلب يصدق ذلك أو يكذبه وقال ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء أما الحليلة فلا يحرم على حليلها في الحياة ولا عليها نظر شيء من بدنها أو بدنه حتى الفرج لكن مع الكراهة فيه لو حالة الجماع ونظر باطنه أشد لأنها محل الاستمتاع وهو كذلك وللخبر الصحيح أحفظ عورتك إلا من زوجتك أو أمتك وقيل يحرم نظر الفرج لخبر إذا جامع أحدكم زوجته أو أمته فلا ينظر إلى فرجها فإنه يورث العمى أي في الناظر أو الولد أو القلب وقول الدارمي لا يحل نظر حلقة الدبر قطعا لأنه ليس محل استمتاع ضعيف وخرج بالنظر المس فيحل ولو للفرج بلا خلاف وبالحياة ما بعد الموت فهو كالمحرم وبحليلة الزوجة المعتدة عن وطء شبهة ونحو الأمة المجوسية فلا يحل له نظر ما عدا ما بين السرة والركبة

{تنبيه} ما يحرم نظره من الرجل أو المرأة متصلا يحرم نظره منفصلا كقلامه يد أو رجل قتعجب مواراتها وكذا الدم قال في التحفة وما قيل ما لا يتميز بشكله كشعر ينبغى حل نظره غفلة عما في الروضة فإنه نقله فيها احتمالا عن الإمام ثم ضعفه {و} إذا تقرر ذلك فحينئذ {يحرم عليها} أي المرأة {كشف شيء من} جميع {بدنها بحضرة من يحرم نظره إليها} من الرجال الأجانب {و} كذا {يحرم عليه} أي الرجل {وعليها} أي المرأة {كشف شيء مما بين السرة والركبة} له أو لها وكذا كشفهما منه أو منها {بحضرة} شخص {مطلع على العورات} يحرم عليه نظر ذلك {ولو} كان ذلك الكشف واقعا {مع} حضور ذي {جنس} للمكشوف كأن صدر من رجل بحضرة رجل أو من امرأة بحضرة امرأة {و} لو كان أيضا مع حضور ذي {محرمية} كأن صدر من امرأة بحضرة أبيها أو أمها أو أخيها أو من رجل كذلك بأن يكون بحضرة مطلع {غير حليل} لها أو حليلة له أما بحضرتة وحده فلا يحرم كما مر ويأتي {ويحرم عليها} أي الرجل والمرأة {كشف} شيء من {السواتين} أي القبل والدبر سميا بذلك لأن كشفهما يسوء صاحبهما ولو كان ذلك الكشف {في الخلوة} إذا كان {لغير حاجة} من نحو حرّ وبرد ومرض {إلا لحليل} لها أو حليلة له {و} قد تقدم أن عورة الرجل مع محارمه والرجال والمرأة مع محارمها والنساء السرة والركبة وما بينهما فحينئذ {حل} لكل منهما {مع المحرمية أو مع} اتحاد {الجنسية} وإن لم تكن محرمية {أو} مع {الصغر} منهما أو من أحدهما لكن المعتبر الصغر {الذي لا يشتهى} معه المنظور إليه عند ذوى الطباع السليمة {نظر} جميع بدن الآخر {ما عدا ما بين السرة والركبة} وكذا هما {إذا كان} ذلك النظر منه أو منها {بغير شهوة} لعمل الناس عليه في الأعصار والأمصار ومن ثم قيل حكاية الخلاف فيه أي فضلا عن الإشارة لقوته تكاد أن تكون خرقا للإجماع وعلم مما تقرر أنه لا يجوز نظر السرة والركبة وما بينهما لغير الحليل والحليلة وهو كذلك {إلا} أنه يستثنى من ذلك {صبي أو صبية} غير مميزين بأن كان كل منهما {دون سن التمييز فيحل نظره} جميع بدنه {ما عدا فرج الأنثى} فيحرم نظره {لغير} نحو {أمها} اتفاقا وما في الروضة من حله ضعيف أما لها زمن الإرضاع والتربية فيجوز نظره ومسه {67/2} للضرورة ومثل الأم من يتولى ذلك وأما الذكر فيحل نظر فرجه ما لم يميز ولو لغير نحو أمه والفرق أن فرجها أفحش وقيل يحرم أيضا ويدل له أن محمد بن عياض قال رفعت إلى رسول الله في صغرى وعلى خرقه وقد كشفت عورتى فقال غطوا عورته فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير {فائدة} روى أنه كان يفرج بين رجلين الحسن ويقبل ذكره قال في التحفة ولا حجة في نحو هذا الحديث نفيا ولا إثباتا خلافا لمن توهمه

{تنبيه} عدّ في الزواجر نظر الأجنبية بشهوة وخوف فتنة ولمسها كذلك وكذا الخلوة بها بأن لم يكن معهما محرم لأحدهما يحتشم ولا امرأة كذلك ولا زوج لتلك الأجنبية مع الكبائر لقوله كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك له لا محالة العينان زناهما النظر والأذان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش

والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقوله ﷺ لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط أو بنحو إبرة أو مسلة أي بكسر أوله وفتح ثالثة من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له وقوله ﷺ إياكم والخلوة بالنساء والذي نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين أو حماة أي طين أسود منتن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له ثم قال وعدة هذه هو ما جرى عليه غير واحد وجرى الشيخان على أنه مقدمة الزنا ليست كبيرة ويمكن حمل هذا على ما إذا انتفت الشهوة وخوف الفتنة والأول على ما إذا وجدا كما قيدت به ذلك قال في التحفة والأصح أن نظر العبد العدل إلى سيدته المتصفة بالعدالة ونظر الممسوح الذي لم يبق فيه ميل إلى النساء أصلا كالنظر من المحرم لمحرمه وفي الزواج وليس الشيخ الفانى والمريض والعنين والخصى والمجبوب كذلك فيحرم على كل من هؤلاء نظرها وعليها نظره مطلقا كالفحل وعلى ولي المراهق والمراهقة منعهما مما يمنع منه البالغ والبالغة وعلى النساء الاحتجاب منه كما يجب على المسلمة أن تحتجب من الذمية لئلا تصفها إلى فاسق أو كافر تفتتن به ومثلها في ذلك الفاسقة بزنا أو سحاق فيجب على العفيفة الاحتجاب منها لئلا تجرأ إلى مثل قبائحها أم قال في التحفة والمراهق من قارب الاحتلام أي باعتبار غالب سنه وهو قريب خمس عشرة سنة لا تسع ويحتمل خلافه أم.

{خاتمة}- من أقبح المحرمات وأشد المحظورات اختلاط الرجال والنساء في المجموعات لما يترتب على ذلك من المفساد والفتن القبيحة قال سيدنا الحداد في بعض مكاتباته لبعض الأمراء وما ذكرتم من اجتماع النساء متزيينات بمحل قريب من محل رجال يجتمعون فيه منسوب لسيدنا عمر المحضار فإن خيفت فتنة بنحو سماع صوت فهو من المنكرات التي يجب النهي عنها على ولاة الأمر ويحسن من غيرهم إذا خاف على نفسه أن لا يحضروهم لقوله ﷺ لما وصف الفتنة عليك بحاسة نفسك ودع عنك أمر العامة وهذا الزمان وأهله قد سار إلى فساد عظيم وفتن هائلة {68/2} وإعراض عن الله والدار الآخرة لا يمكن الاحتراز عنها أم بمعناه قال في التحفة ويحرم أيضا نظر شيء من بدن أمرد وهو من لم يبلغ أوان طلوع اللحية غالبا ويظهر ضبط ابتدائه بحيث لو كان صغيرة لاشتبهت ولو بلا شهوة وخوف فتنة لأنه مظنة الفتنة كالمرأة بل قيل إنه أعظم إذ لا يحل بحال وإنما لم يؤمروا بالاحتجاب للمشقة في ترك التعلم والسبب واكتفاء بوجوب الغض عنهم إلا لحاجة تعليمه ما يجب تعليمه كالفاتحة وما يتعين من الصنائع وقد بالغ السلف في التنفير منهم وسموهم الأئتان لاستقذارهم شرعا ووقع نظر بعضهم على أمرد فأعجبه فأخبر أستاذه فقال ستري غبه فنسى القرآن بعد عشرين سنة وشرط الحرمة مع أمن الفتنة وانتفاء الشهوة عدم المحرمية من الناظر بنسب أو رضاع أو مصاهرة والسيادة وأن يكون المنظور جميلا بحسب طبع الناظر لأن الحسن يختلف باختلاف الطباع وخرج بالنظر المس فيحرم وإن حل النظر كما جزم به بعضهم وتحرم الخلوة به وقال في الزواج إن نظره ومسه والخلوة به مع الشهوة وخوف الفتنة من الكبائر والأصح حرمتها مع المرأة ولو بلا شهوة وفتنة حسما للمادة ثم قال وقد حرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبي ﷺ قال ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما وفي المرد من يفوق النساء لحسنه فالفتنة به أعظم ولأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقاول السلف في التنفير منه والتحذير من رؤيته أكثر من أن تحصر وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال أخرجوه عنا فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل أمرد سبعة عشر شيطانا وجاء رجل إلى الإمام أحمد بأمرد حسن فقال له من هذا فقال ابن أختي فقال لا تجئ به إلينا مرة أخرى ولا تمش معه بطريق لئلا يظن بك من لا يعرفك سوءا أعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه إنه جواد كريم رءوف رحيم وبالجملة فالنظر بريد الزنا كما قاله بعضهم وما أحسن قوله

كل الحوادث مبداها من	ومعظم النار من مستصغر
النظر	الشر
والمراء ما دام ذا عين	في أعين العين موقوف
يقبل بها	على الخطر
يسر نأظره ما ضر	لا مرحباً بسرور عـاد
خاطر	بالضرر

{و}- منها النظر شزرا إلى المسلم فإنه {يحرم النظر بالاستحقار}- أو الاستخفاف {إلى}- أي {مسلم}- كان من المسلمين صغيرا أو كبيرا قال ﷺ لا تحاسدوا الحديث وقال في آخره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه قال القرطبي في تفسير قوله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق والسخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه وقد تكون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلامه إذا تخطب فيه أو غلطه أو على صنعته أو قبح صورته وقد عد في الزواج الاستهزاء والسخرية بالمسلم من الكبائر {و}- منها {النظر في بيت الغير بغير إذنه أو}- النظر {في شيء أخفاه كذلك}- أي بغير إذنه وقد عد في الزواج الإطلاع من نحو ثقب ضيق في دار غيره بغير إذنه على حرمة من الكبائر لقوله ﷺ ثلاث لا يحل لأخيه أن

يفعلهن لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن (69/2) فعل فقد خانهم ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأنن فإن فعل فقد دخل أي صار كالذي دخل بيت غيره بلا إذنه ولا يصلى وهو حقن حتى يخفف وروى أن رجلا اطلع على رسول الله ﷺ في حجرته فقال النبي له لو علمت أنك تنظر لطعنت بها أي بمدارة كانت معه عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر وقال ﷺ من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتقوا عينه وقال ﷺ أيما رجل كشف سترا فأدخل بصره قيل أن يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه ولو أن رجلا فقا عينه لهدرت ولو أن رجلا مز على باب لا ستر له فرأى عورة أهله فلا خطيئة إنما الخطيئة على أهل المنزل وقال ﷺ من دخلت عينه قبل أن يستأنن ويسلم فلا إذن له وقد عصى ربه

(تنبيه) ما ذكر في هذه الأحاديث من أنه يجوز لصاحب المنزل أن يفتق عين ذلك الناظر ولو أنى ومراهقا جائز عندنا بشرط أن يكون الناظر قاصدا نظرا محرما من كوة ضيقة أو شق باب مردود أو سطح غير ذلك المنزل كسطح مسجد ومنارة وصاحب الدار مكشوف العورة ولو غير السوءة أو بها حرمة كزوجة ومحرم وأمة وأمرد يحرم نظره ولو مستورات إذ قد ينكشفن ولا يجب أن ينذره قبل الرمي خلافا للإمام وأن يكون الرمي حال النظر ينحو حصة من كل خفيف يقصد بمثله العين وإن أعماها فإن لم يمكن رمي عينه أو لم يندفع بخفيف استغاث عليه فإن لم يندفع ضربه بنحو سلاح مما يردعه وأن لا يكون للناظر محرم مستتر ولو غير ساكنة أو زوجة أو أمة ولو مكشوفة وغير ساكنة كما استوجهه في الفتح وإلا لم يجز لشبهة النظر حينئذ بخلاف محرم مكشوفة ما بين السرة والركبة لحرمة النظر حينئذ وأن لا يكون له فيه متاع وخرج بالعين غيرها وبالمنازل نحو مسجد وللمنظورة ومحارمها رمية وإن لم يستحقوا منفعة المنزل كما استوجهه في الفتح ويضيق الواسع كباب مفتوح وكوة واسعة وشباك واسع لتقصير صاحبه إلا أن ينذره فيرميه ولو فتح الناظر الباب ولم يتمكن ربه من إغلاقه جاز الرمي إذ لا تقصير (و) منها (مشاهدة المنكر إذا) كان قادرا على إنكاره (لم ينكره أو) لم يقدر عليه ولكنه لم (يعذر) في مشاهدته له بأن كان قادرا على فراق المحل الذي هو فيه (ولم يفارق) ذلك المحل قال في النصائح وأول واجب عند مشاهدة المنكر التعريف والنهي باللفظ والرفق والشفقة فإن حصل المقصود وإلا وعظ وخوف وغلظ القول وعنف فإن أجدى وإلا منع وقهر باليد وغيرها والغالب في الأوليين الاستطاعة ومدعى ال تعجز عنهما متعل ومتعذر وأما الأخيرة فلا يستطيعها غالبا إلا من بذل نفسه لله وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله وصار لا يخاف في الله لومة لائم أو كان مأذونا له في تغيير المنكر من جهة السلطان اهـ بمعناه

(فصل) في ذكر بعض معاصي اللسان إذ هي كثيرة جدا أفردنا الغزالي بكتاب من الإحياء وعد له عشرين آفة ولا يسلم منها إلا لزم الصمت قال ﷺ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وعن أبي أمامة قلت يا رسول الله ما النجاة قال احفظ لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك والله در من قال

احفظ لسـانك لا تقول ✖ إن البلاء مـوكل
فتبـتلى

وقال سيدنا القطب الحبيب أبو بكر بن عبد الله العيدروس

(70/2) كل جرح عـلاجـه ✖ ما خـلا يـا فتى جـراح
ممكـن اللسـان

قال سيدنا الحبيب عبد القادر ابن شيخ العيدروس لأن اللسان أغلب أعضاء الإنسان عليه وهو من أعظم أعوان الشيطان فإنه لا مؤنة في تحريكه وإرساله ولا كلفة ولذا عظم رسو الله ﷺ أمره فقال من تكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وهو ترجمان القلب فمن تكلم بشيء من سقط الكلام وهو غنى عنه اسود به وجه قلبه ويزيد سواده حتى ينتهى به إلى إماتة قلبه وكل متكلم يملئ حافظيه فيقل من ذلك أو يكثر فعلى العاقل أن يتحفظ من ذلك جهده وما أحسن قول من قال

يموت الفتى مـن عـثرة ✖ وليس يموت المرء من عثرة
بلسـانه الرجل

اهـ وفي حديث معاذ ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه ثم قال كفّ عليك هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به أي من الإثم فقال ثكلتك أي فقدتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ففيه دلالة على التعظيم لجرائم اللسان ومعنى ملاك الأمر بكسر الميم مقصورة قال ابن حجر بمعنى أنه إذا وجد كفه كانت الأعمال كلها على غاية الكمال ونهاية الأحوال لأن الأعمال غنيمة وكفه سلامة والسلامة عند العقلاء مقدمة على الغنيمة وحصائد جمع حصيدة بمعنى محصودة شبه ما يكتسبه اللسان من الكلام المحرم بحصائد الزرع واللسان بحد المنجل وهو آلة الحصد مبالغة في تعظيم جرمه وفي الحديث وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يعلم بها تقع حيث تقع فيكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة أو قال يهوى بها في النار سبعين خريفا الحكمة لسانك إن أطلقتك فرسك وإن أمسكتك حرسك وكان الصديق ﷺ يمسك لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد (و) من الذى ذكره العلماء (من معاصى اللسان الغيبة) والسكوت عليها رضا بها أو تقريرا (وهى) أى الغيبة بمعنى حدها كما يؤخذ من الحديث مع ما صرح به الأئمة (ذكرك أخاك) المسلم وكذا الذمى على ما يأتى المعين للسامع سواء الحى

والميت {بما يكرهه} أي بما يكره أن تذكره مما هو فيه بحضرته أو غيبته على المعتمد سواء كان في بدنه كأحول أو قصير أو أسود أو ضدها أو في نسبه كأبوه هند أو إسكاف أو نحوهما مما يكرهه كيف كان أو خلقه كسوء الخلق عاجز ضعيف أو في فعله الديني ككذاب أو متهاون بالصلاة مثلاً أو لا يحسنها أو عاق الوالدين أو لا يفرق الزكاة أو لا يؤديها لمستحقيها أو الدنياوى كقليل الأدب أو لا يرى لأحد حقاً على نفسه أو كثير الأكل أو النوم أو ثوبه كطويل الذيل قصيره وسخه أو داره كقليل المرافق أو دابته كجموح أو ولده كقليل التربية أو زوجته ككثيرة الخروج أو عجوز أو تحكم عليه أو قليلة النظافة أو خادمه كآبق أو غير ذلك من كل ما يعلم أنه يكرهه لو بلغه وقيل لا غيبة في الدين لأنه ذم من ذمه الله تعالى ولأنه ذكرته له مرة عبادة امرأة وأنها تؤذى جيرانها فقال هي في النار وذكرت له أخرى إنها بخيلة فقال فما خيرها إذن قال الغزالي في الإحياء وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم بالسؤال التفتيش ولا يحتاج لذلك في غير مجلسه . وفي الحديث ذكرك الغير بما فيه غيبة وبما ليس فيه بهتان كم يأتي {و} (71/2) حينئذ فعلم أن ما يذكر به مما يكرهه لا يسمى غيبة إلا {إن كان فيه} وقد قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أفرأيت إن كان في أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته قال في الزواجر وذكر الأخ في الحديث كالأية للعطف والتذكير بالسبب الباعث على أن الترك متأكد في حق المسلم أكثر لأنه أشرف وأعظم حرمة وكم ورد في ذمها كتاباً وسنة فمن ذلك قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضاً الآية والمعنى لا يتكلم أحد منكم في حق أحد في غيبته بما هو فيه بما يكرهه وألحق به التكلم في حضرته بل أبلغ في الأذية وحكمة تحريم الغيبة معن أنها صدق كما علم من حدها المبالغة في حفظ عرض المؤمن والإشارة إلى عظيم مالك حرمة وحقوقه ووجه تشبيه عرضه بلحمه إن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم بدنه في قطع لحمه بل أبلغ لأن عرض العاقل عنده أشرف من لحمه ودمه ووجه الأكدية في لحم الأخ أنه لا يمكنه مضغ لحم أخيه فضلاً عن أكله بخلاف العدو فإنه يأكل عدوه بلا توقف وقوله تعالى فكرهتموه أي فقد كرهتم ذلك الأكل فكذا أكرهوا ذكره بالسوء فتأمل ما أفادته هذه الآية وأمعن فكرك فيه تغنم وتسلم والله بحقائق تنزيهه أعلم وتأمل أيضاً كيف ختمها بالتوبة رحمة بعباده وتعطفاً عليهم وقد قال في خطبة حجة الوداع إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ومن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه وفي حديث وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم وعن عائشة قلت للنبي من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال كلمة لو مزجت بها البحر لمزجته أي لأنتنته وغيّرت ريحه وجاء رجل إلى النبي وأخبره أن فتاتين ظلتما صائمتين فأعرض عنه أربع مرات وهو يكرر عليه ذلك ثم قال إنهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين فلتستقيا فرجع إليهما وأبهروهما فقلعت كل واحدة علقه من دم فرجع إليه فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية فقال لأحدهما قىء فقأته قيحاً ودماً وصديداً ولحماً حتى ملأت نصف القدح ثم قال للأخرى قىء فقأته من قىء ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح ثم قال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست أحدهما إلى الأخرى فجعلتا تاكلان من لحوم الناس وروى أن صاحب الجنة يؤذى أهل النار على ما بهم من الأذى وأنه يأكل لحمه فيقولون له ما بال الأبعد فقد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول إنه كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشى بالنميمة ومن أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً فياكله ويكلج أي يعبس وجهه من الكراهة ويضج وفي رواية يصيح والأول أبلغ وروى أبو داود لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وروى أن الغيبة أشد من الزنا وعلة في الحديث بأن الرجل يزنى ثم يتوب بخلاف صاحب الغيبة فإنه لا يغفر له حتى يغفر صاحبه وفي حديث إن الدرهم يعطيه الرجل من الربا أعظم عند الله من الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها {72/2} الرجل وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم قال في شرح الخطبة وقد سئل سيدنا الحداد نفعا الله به أمين عن الغيبة والربا كيف كانا أشد وأغلظ من الزنا أنه فاحشة قبيحة فأجاب بما معناه الغيبة والربا يتعلقان بعرض المسلم وماله إذ هما يدلان على دخلية وخبث وغش وحقد في قلب المتصف بهما وعلى عدم اكترائه واحتفاله بأعراض المسلمين وأموالهم وعدم الرحمة والشفقة عليهم والزنا وإن كان فاحشة قبيحة ويؤدي إلى اختلاط الأنساب لكن الباعث عليه إنما هي الشهوة التي هي من أوصاف البهائم هذا بقطع النظر عما يترتب عليه من المفاسد اهـ

{تنبيه} عد في الزواجر الغيبة والسكوت عليها رضا أو تقريراً من الكبائر قال وعدّها هو ما جرى عليه كثيرون ويلزمه أن السكوت عليها رضا بها كبيرة ثم رأيت الأذرعى صرح به نعم لو لم يمكنه دفعها فيلزمه عند الأمكنة مفارقة المغتاب وما قيل أنها صغيرة ضعيف أو باطل وقد نقل القرطبي وغيره الإجماع على أنها كبيرة وهو الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة لكنها تختلف بحسب المفسدة خفة وثقل ثم أن الأصل فيها الحرمة وقد تجب أو تباح لغرض صحيح شرعى لا يتوصل إليه إلا بها وينحصر في ستة أسباب الأول المتظلم فلمن ظلم أن يشكو لمن يظن أن له قدرة على إزالة ظلمه أو تخفيفه الثاني الاستعانة على تغيير منكر يذكره لمن يظن

قدرته على إزالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره بقصد التوصل لإزالة المنكر وإلا كان غيبة محرمة ما لم يكن جاهلاً الثالث الاستفتاء بأن يقول لمفت ظلمي فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقى في خلاصى منه أو تحصيل حقى أو نحو ذلك والأفضل أن يبهمه فيقول ما تقول فى شخص أو زوج كان من أمره كذا وإنما جاز التصريح باسمه لأن المفتى قد يدرك من تعيينه معنى لا يدركه من إبهامه الرابع تحذير المسلمين من الشر ونصحهم كجرح الرواة والشهود والمصنفين والمتصدين لإفتاء أو علم أو قراءة مع عدم أهلية أو مع نحو فسق أو بدعة وهم دعاة إليها ولو سرا فتجوز إجماعاً بل تجب وكان يشير وإن لم يستشر على مريد تزوج أو مخالطة لغيره فى أمر دينى أو دنيوى وقد علم فى ذلك الغير قبيحا منفرا كفسق أو بدعة أو طمع أو غير ذلك كفقر فى الزوج بترك تزوجه ثم إن اكتفى بنحو لا يصلح لك لم يزد عليه وإن توقف على ذكر عيب ذكره بلا زيادة كإباحة ميتة لمضطر ولا بد أن يقصد بذلك بذل النصيحة لله دون حظ آخر وكثيرا ما يغفل عن ذلك ومن ذلك أن يعلم فى ذى ولاية قادحا فيجب عليه ذكر ذلك لمن يقدر على عزله وتولية غيره أو على نصحه وحبه على الاستقامة الخامس أن يتجاهر بفسقه أو بدعته كالمكاسين وشرية الخمر ظاهرا وذى الولايات الباطلة فيجوز ذكرهم بما تجاهاوا به دون غيره فيحرم ذكرهم بعيب آخر إلا أن يكون له سبب آخر مما مر السادس التعريف بنحو لقب كالأعمش والأصم والأقرع والأعور فيجوز وإن أمكن تعريفه بغيره وتعريفه به على جهة التعريف لا التنقيص والأولى بغيره إن سهل وأكثر هذه الأسباب الستة مجمع عليه ويدل لها من السنة أحاديث صحيحة مشهورة

(فروع) الأول سئل الغزالي عن غيبة الكافر فقال هى فى حق المسلم محذورة لثلاث علل الإيذاء وتنقيص ما خلقه تعالى وتضييع الوقت بما لا يعنى والأولى تقتضى التحريم والثانية الكراهة والثالثة خلاف الأولى وأما الذمى فكالمسلم فيما يرجع إلى المنع من الإيذاء لأن الشرع عصم دمه وعرضه وماله قال فى الخادم والأولى هى الصواب وقد قال (73/2) من سمع أى أسمع يهوديا أو نصرانيا ما يؤذيه فله النار ولا كلام بعد هذا لظهور دلالة على الحرمة وأما الحربى فليس بمحرم على الأولى ويكره على الثانية والثالثة وأما المبتدع فإن كفر فكالحربى وإلا فكالمسلم وأما ذكره ببذعته فليس مكروها الثانى قد يتوهم من حدها أنها تختص باللسان وليس كذلك إذ علة التحريم الإيذاء وهذا موجود حيث أفهمت الغير ما يكرهه المغتاب ولو بتعريض وفعل وإشارة وإيماء وغمز ورمز وكتابة بلا خلاف كما قاله النووى وكذا سائر ما يتوصل به إلى فهم المقصود كأن يمشى مشيته بل هو أعظم قاله الغزالي لأنه أبلغ من التصريح والتفهم وأنكى للقلب والغيبة بالقلب هى أن تظن به السوء وتصمم عليه بقلبك من غير أن تستند فى ذلك إلى مسوغ شرعى فهذا هو الذى يتعين أن يكون مرادهم بالغيبة بالقلب وأما مجرد الحكاية عن مبهم لمخاطبك لكنه معين عندك فليس فيه ذلك الاعتقاد والتصميم فافترقا ثم رأيت صرح به فى الإحياء ومن أخبت أنواع الغيبة ما يقع لبعض المرأين من أن يذكر عنده غيره فيقول الحمد لله الذى ما ابتلانا بقله الحياء أو بالدخول على السلاطين وليس قصده بدعائه إلا أن يفهم عيب ذلك الغير وقد يزيد خبئه فيقدم مدحه حتى يظهر تنصله من الغيبة فيقول كان فلان مجتهدا فى العبادة أو العلم لكنه فتر وابتلى بما ابتلينا به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ذم غيره والتمدح بالتشبه بالصالحين فى ذم نفوسهم فيجمع بين ثلاث فواحش الغيبة والرياء وتزكية النفس بل أربعة لأنه يظن بجهله أن مع ذلك من الصالحين المتعففين عن الغيبة ومنشأ ذلك الجهل فإن من تعبد على جهل لعب به الشيطان وضحك عليه وسخر به فأحبط عمله وضيع تعبته وأرداه إلى دركات البوار والضلال ومن ذلك أن يقول ساءنى ما وقع لصديقنا من كذا فنسال الله أن يعافيه وهو كاذب وما درى الجاهل أن الله مطلع على خبث ضميره وأنه قد تعرض بذلك لمقت الله أعظم مما يتعرض له الجاهل إذا جاهاوا به ومن ذلك الإصغاء للمغتاب على جهة التعجب ليزداد نشاطه واسترساله فى الغيبة وما درى الجاهل أن التصديق بالغيبة غيبة بل الساكت عليها شريك المغتاب كما فى خبر المستمع أحد المغتابين فلا يخرج عن الشركة إلا إن أنكر بلسانه ولو بأن يخوض فى كلام آخر فإن عجز فبقوله ويلزمه مفارقة المجلس إلا لضرورة ولا ينفعه أن يقول بلسانه أو يشير بنحو يده اسكت وقلبه مشته لاستمراره فيها وفى الحديث من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رءوس الخلائق الثالث البواعث على الغيبة كثيرة وهى عامة وخاصة فالعامة إما تشفى الغيظ بذكر مساوى من أغضبه وقد لا يشفيه ذلك فيحقن الغضب فى باطنه ويصير حقدا ثابتا فيكون سيئا دائما فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة وإما موافقة الإخوان ومجاملتهم بالاسترسال معهم بما هم فيه أو إبداء نظير ما أبدوه خشية أنه لو سكت وأنكر استنقلوه ونفروا عنه ويظن لجهله أن هذا من المجاملة فى الصحبة بل وقد يغضب لغضبه إظهارا للجاهلية فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر المساوى والعيوب فيهلك وإما أن يستشعر من غيره أنه يريد تنقيصه أو الشهادة عليه عند كبير فيسبقه بذكر مساويه عند ذلك الكبير ليسقطه من عينه وربما روج كذبه بأن يبدأ بذكر الصدق من عيوبه ثم يتدرج إلى غيره ليشهد بصدقه فى ذلك أنه صادق فى الكل وإما أن ينسب لقبيح فيبرأ منه بأن فاعله فلان وهو قبيح وإما التصنع كفلان جاهل فهمه ركيك تدريجا لإظهار (74/2) فضله وسلامته عن مثل ذلك وإما الحسد لثناء الناس عليه ومحبتهم له فيريد أن يبغضهم إليه بالقدح فيه وإما اللعب فيذكر من غيره ما يضحك به الناس وإما السخرية فى غيبته وكذا فى حضرته تحقيرا له والخاصة وهى أشد وأخبث إما

التعجب من فعل غيره منكرا كأن يقول ما أعجب ما رأيت من فلان أو عجيب من فلان كيف يحب أمته وهى قبيحة أو كيف يقرأ على فلان الجاهل فهو وإن صدق إلا أنه كان غنيا عن ذكره باسمه وإما الاغتنام مما ابتلى به كأن يقول مسكين فلان ساءتني بلواه بكذا فهو وإن صدق فى اغتنامه لكن من حقه أن لا يذكر اسمه وإما الغضب من أجل مفارقة غيره لمنكر فيظهر غضبه لله ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ولا يظهره على غيره أو يستتر اسمه ولا يذكره فهذه الثلاثة مما يغمض إدراكها على العلماء فضلا عن العوام لظنهم أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص فى الغيبة الأعدار السابقة فقط والفرض أنه لا شىء منها هنا

-(خاتمة)- يتعين عليك معرفة علاج الغيبة وهو إما إجمالى بأن تعلم أنك قد تعرضت بها لسخط الله تعالى وعقوبته كما دلت عليه الآية والأخبار المارة وأيضا فهى تحبط حسناتك فاحذر أن تكون سببا لفناء حسناتك وزيادة سيئاتك فتكون من أهل النار وقد ورد ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد ومن ثم قال رجل للحسن بلغنى أنك تغتابنى فقال ما بلغ قدرك عندي أنى أحكمك فى حسناتى ومما ينفعلك أيضا أنك تتدبر فى عيوبك وتجتهد فى الطهارة منها لتدخل تحت قوله ﷺ طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس وتستحى من أن تذم غيرك بما أنت متلبس به أو بنظيره فإن كان أمرا خلقيا فالذم له ذم للخالق إذ من ذم صنعة ذم صانعها وأن تعلم أن تأذى غيرك بالغيبة كتأذيك بها فكيف ترضى لغيرك ما تتأذى به وإما تفصيلي بأن تنظر فى باعنها فتقطعه من أصله إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها ويجب على المغتاب كما سيأتى إن شاء الله تعالى أن يبادر إلى التوبة بشروطها الآتية والأصح أنه لا بد من الاستحلال وزعم أن العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال مردود بأنه وجب فى العرض حق حد القذف وفى الحديث الصحيح الأمر بالاستحلال من المظالم قبل يوم لا درهم فيه ولا دينار وإنما هى حسنات الظالم تؤخذ للمظلوم وسيأتى المظلوم تطرح على الظالم فتعين الاستحلال نعم الغائب والميت ينبغى أن يكثر لهما من الاستغفار والدعاء ويندب لمن سئل من التحليل وسيأتى مزيد لذلك فى مبحث التوبة إن شاء الله والله أعلم -(و)- منها -(النميمة وهى نقل القول)- من بعض الناس إلى بعض -(للإفساد)- بينهم قال فى الزواجر وعرفوا النميمة بأنها نقل كلام الناس بعضهم فى بعض على وجه الإفساد بينهم قال فى الإحياء هذا هو الأكثر ولا تختص بذلك بل هى كشف ما يكره كشفه سواء أكرهه المنقول عنه أو إليه أو ثالث وسواء أكان كشفه بقول أو كتابة أو رمز أو إيماء وسواء كان المنقول فعلا أو قولاً عيباً أو نقصاً فى المنقول عنه أو غيره فحقيقته إفشاء السر وهتك السر عما يكره كشفه وحينئذ فينبغى السكوت عن حكاية (75/2) كل شىء شوهد من أحوال الناس إلا ما فى حكايته نفع لمسلم أو دفع ضرر عنه كما لو رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به لا من يخفى ملك نفسه فذكره فإن كان ما تم به نقصاً وعيباً فى المحكى عنه فهو غيبة أيضاً اهـ والذي يتجه أن النميمة الأقبح من الغيبة ينبغى أن لا توجد بوصف كونها كبيرة إلا إذا كان فيما ينم به مفسدة تقارب مفسدة الإفساد الذى صرحوا به وينبغى لمن أطلق أنها كبيرة أن لا يشترط فيها إلا كونها فيها مفسدة كفسدة الغيبة وإن لم تصل للإفساد بين الناس وقد اتفقوا على عدها كبيرة وبه صرح الحديث قال المنذرى أجمعت الأمة على تحريمها وأنها من أعظم الذنوب عند الله ﷻ هـ ما شاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زعيم أى دعى أو أخذ منه أن ولد الزنا لا يكتم شيئاً فعدم كتمه دليل على أنه ولد زنا وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل للزمة النمام وقيل إن حمالة الحطب كانت نمامة حمالة الحديث إفساداً بين الناس وسميت النميمة حطبا لأنها تنشر العداوة بين الناس كما أن الحطب ينشر النار وقال ﷻ لا يدخل الجنة نمام وفى رواية فتات وهو النمام أو الذى يستمع لكلامهم وهو لا يعلمون ثم ينم وورد إن ثلث عذاب القبر من الغيبة وثلثه من النميمة وثلثه من البول والنميمة والحق فى النار لا يجتمعان فى قلب مسلم وليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه وشر عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان وأيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذبيبه بها يوم القيامة فى النار واستسقى موسى ﷻ فما أجيب فأوحى إليه إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعهم فسقوا وزار بعض السلف أخوه فنم له عن صديقه فقال يا أخى أطلت الغيبة وجئتني بثلاث جنائيات بغضت إلى- أخى وشغلت قلبى بسببه واتهمت نفسك الأمانة وقيل من أخبرك بشتم غيرك لك فهو الشاتم لك وجاء رجل إلى على بن الحسين ﷻ فنم له عن شخص فقال اذهب بنا إليه فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه فلما وصل إليه قال يا أخى إن كان ما قلت فى- حقا فغفر الله لى أو باطلا فغفر الله لك ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمله بالمواجهة وعمل الشيطان بالوسوسة واشترى من استخف بالنميمة عبدا نودى عليه أنه غير معيب إلا أنه نمام فمكث أياما حتى فتن بينه وبين زوجته بأنه يريد التزوج أو التسرى وقال لها حدى موسى واحلقى بها شعرات من حلقة ليسحره لها فصدقته ثم قال له إنها تريد ذبحك الليلة فتناول لترى ذلك ففعل فجاءته لتحلق فقال صدق الغلام فلما أهوت إلى حلقة أخذ موسى وذبحها فجاء أهلها وقتلوه فوق القتال بين الفريقين بشؤم ذلك النمام ولقد أشار ﷻ إلى قبح النمام وعظيم الشر المترتب عليه بقوله يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق الآية عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه

{تنبيه}- الباعث على النميمة إرادة السوء بالمحكي عنه أو الحب للمحكي له أو الفرح بالخوض في الفضول وعلاجها بنحو ما مر في الغيبة وعلى من حملت إليه ستة أمور أن لا يصدق الحامل لأن النمام فاسق إجماعاً وقد قال تعالى إن جاءكم فاسق وأن ينهائكم عن العود لمثله {76/2} وأن يبغضه في الله إن لم تظهر له التوبة وأن لا يحمل ما حكي له على التجسس والبحث حتى يتحقق لقوله تعالى اجتنبوا كثيراً من الظن الآية وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميته فيقول حكي لي فلان كذا فإنه يكون به ناماً مغتاباً وآتياً بما عنه نهى وقال الحسن من نَمَ لك نَمَ عليك أشار به إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يؤتمن ولا يوثق بصداقته وكيف لا وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والنميمة والقذف والخيانة والغفل والحسد والإفساد بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض قال تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم والنام منهم ومن النميمة السعاية وسيأتي إن شاء الله بسط الكلام فيها في فصل معاصي الرجل {و}- منها {التحريش}- أي الافتتان بين خلق الله {ولو}- كان {من غير نقل}- شيء من نحو {قول}- أو فعل مما مر لقوله لا يدخل الجنة قاطع أي بين خلق الله وقيل بين الأرحام وقوله تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقوله لا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة وفي رواية لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وبالجمل ففاعل ذلك داخل تحت قوله إنما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية فعلم أن الافتتان بين الخلق شديد التحريم {ولو}- كان {بين البهائم}- كان يغري كبشا على نطاح آخر أو ديكاً على مهارشة آخر فإنه والتفرج عليه محرم قبيح لما فيه من السفه ولأنه من فعال قوم لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما ذكره في التحفة وغيرها {و}- منها {الكذب وهو}- عند أهل السنة {الإخبار}- بالشئ {بخلاف الواقع}- أي على خلاف ما هو عليه سواء علم ذلك وتعمده أم لا وأما العلم والتعمد فإنما هما شرطان للإثم وأما لمعتزلة فقيده به فممن أخبر بشئ على خلاف ما هو عليه وهو يظنه كذلك كذب على الأول ولا يَأثم ومنه البهت وهو كما مر في الحديث ذكر الشخص بما ليس فيه قال في الزواجر وهو أشد من الغيبة إذ هو كذب فيشق على كل أحد بخلافها فلا تشق إلا على بعض العقلاء وفي الحديث من ذكر أمراً بما ليس فيه يعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قاله فيه وكان وجه من أفرد بالذكر ورود هذا الوعيد فيه بخصوصه كما قاله في الزواجر وقد أدرجه المصنف في الغيبة كما مر وكما ورد في ذم الكذب كتاباً وسنة فمن ذلك قوله تعالى لعنة الله على الكاذبين وقوله إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وسئل عن عمل أهل الجنة فقال الصدق إذا صدق العبد بَرَّ وإذا بَرَّ آمن وإذا آمن دخل الجنة ومن عمل أهل النار قال الكذب إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر يعنى دخل النار وقال آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإن صام وصلى وقيل يا رسول الله أيكون المؤمن بخيلاً قال نعم قيل أيكون المؤمن كذاباً {77/2} قال لا وقال لا إن الكذب سود الوجه وينقص الرزق وإذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلاً من نتم ما جاء به ومن قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة وقد ورد ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له

{تنبيه}- قال في الزواجر الذي يتجه أنه حيث اشتد ضرره بأن كان لا يحتمل عادة كان كبيرة بل صرح الروياني في البحر بأنه كبيرة وإن لم يضر فقال من كذب قصدا ردت شهادته وإن لم يضر بغيره لأن الكذب حرام بكل حال واعلم أنه قد يباح وقد يجب والضابط كما في الإحياء أن كل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام أو بالكذب وحده فمباح إن أبيح تحصيل ذلك المقصود وواجب إن وجب كما لو رأى معصوما اختفى من ظالم يريد قتله أو إيذاؤه لوجوب عصمة دمه أو سأل ظالم عن ودیعة يريد أخذها فإنه يجب عليه إنكارها وإن كذب بل لو استحلف لزمه الحلف ويورى وإلا حنث ولزمته الكفارة وإذا لم يتم مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب مجنى عليه إلا بكذب أبيح ولو سأل سلطان عن فاحشة وقعت منه سرا كزنا وشرب خمر فله أن يكذب ويقول ما فعلت وله أن ينكر سر أخيه قال حجة الإسلام وينبغي أن يقابل مفسدة الكذب بالمفسدة المرتبة على الصدق فإن كانت أشد فله الكذب أو بالعكس أو شك حرم وإن تعلق بنفسه استحباب عدم الكذب أو بغيره لم تجز المسامحة بحق غيره والحزم تركه حيث أبيح وليس من المحرم ما اعتيد من المبالغة كجئت ألف مرة إذ المراد منه تفهيم المبالغة لا المرات فإن لم تجز غير مرة فهو كاذب وما ذكر في مسئلة الودیعة من وجوب الحلف ضعيف والأصح عدم الوجوب لكنه قال في التحفة كالتهاية وقال الغزالي يجب أي بالله دون الطلاق كما هو ظاهر واعتمده الأذرعى إن كانت أي الودیعة حيواناً يريد قتله أو قنا يريد الفجور به ومما يستثنى من الحرام الكذب على الزوجة لإرضائها وفي الشعر إذا لم يمكن حمله على المبالغة فلا يلحق بالكذب في رد الشهادة لأن الكاذب يظهر أن الكذب صدق والشعر صناعة وليس غرض الشاعر منه الصدق فيه فهو حرام بكل حال إلا أن يكون على طريق الشعراء والكتاب في المبالغة كقوله أنا أدعوك ليلاً ونهاراً ولا أخلى مجلساً عن شركك ولله دَر من قال وأحسن في المقال

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً	إن الكذوب يش-ين خ-لا
وزن الكلام إذا نطق-ت ولا تكن	يصحب
وت-وق-م-ن ع-ثرات-ه من زل-ة	ب-زيادة فى كل ن-اد
والسر-ر فاكتم-ه ولا تن-طق ب-ه	تخط-ب
ولذلك سر-ر المرء إن ل-م يطم-وه	فالم-رء يس-لم باللس-ان
	وبعط-ب
	إن الزج-اج-ة كس-رها لا
	يتع-ب
	نش-رت-ه ألس-نة ت-زيد
	وتك-ذب

قال فى النصائح وسواء أثبت به منفيًا كأن يقول وقع كذا لما لم يقع أو نفى به مثبتًا كأن يقول لم يقع لما وقع وهو مناقض للإيمان ومعرض صاحبه لللعنة الرحمن قال تعالى إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون {و}- منها {الييمين}- الغموس وهى التى يقتطع بها مال معصوم ظلما واليمين {الكاذبة}- وإن لم تكن غموسا وكثرة الأيمان وإن كان صادقا قال تعالى إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية نزلت فى رجلين اختصما إليه {78/2} فى أرض فهم المدعى عليه بالحلف فلما نزلت نكل وأقر وقال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان واختصم إليه حضرمى وكندى فقال الحضرمى يا رسول الله أرى اغتصبنيها أبو هذا وهى فى يده فقال هل لك بينة قال لا ولكن أحلفه والله يعلم أنها أرى اغتصبنيها أبوه فتهيا الكندى لليمين فقال لا يقتطع أحد مالا بيمين إلا لقى الله وهو أجذم فقال الكندى هى أرضه وقال الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس وفى رواية من أكبر الكبائر إلخ والذى نفسى بيده لا يحلف رجل على جناح بعوضة إلا كانت كية فى قلبه يوم القيامة وفى أخرى أكبر الكبائر وعن ابن مسعود كنا نعد من الذنب الذى ليس له كفارة اليمين الغموس وقال من اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم قال ذلك فى الحج بين الجمرتين مرتين أو ثلاثا وفى رواية فليتبوأ مقعده من النار وقال اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وقال من حلف على يمين مصبورة كاذبة فليتبوأ مقعده من النار وروى أن ديكا تحت العرش يقول سبحانك ما أعظمك والرب يقول له ما علم ذلك من حلف بى كاذبا وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم وقال إنما الحلف حنث أو ندم وعن جبير بن مطعم أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ومع ذلك قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وعن الأشعث بن قيس أنه اشترى يمينه مرة بسبعين ألفا

{تنبيه}- اليمين الغموس بفتح المعجمة هى التى يحلفها الإنسان عامدا عالما أن الأمر بخلاف ما حلف عليه ليحق بها باطلا أو يبطل بها حقا كأن يقتطع بها مال معصوم ولو غير مسلم كما هو ظاهر ومن عبر به فقد جرى على الغالب وسميت بذلك لأنها تغمس الحالف فى الإثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة واليمين المصبورة والصبر والصابرة هى الملازمة لصاحبها من جهة الحكم فيصبر من أجلها أى يحبس وأصل الصبر الحبس ومنه قتل فلان صبورا أى حبسا على القتل وقهرا عليه

{فوائد الأولى}- لا ينبغى الحلف بالله صادقا فكيف به كاذبا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أى لا تجعلوه كالعرض المنسوب للرماة فى كل ما أردتم الامتناع من شىء ولو خيرا أو لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا عن التقوى فيدعى أحدكم إلى بر أو صلة رحم فيقول قد حلفت بالله لا أفعله فال فى التحفة نعم لا يؤخذ الله باللغو فى الأيمان وهو كل كلام مطروح لا يعتد به وفى اليمين ما سبق اللسان إليه على عجلة لصلة كلام من غير عقد كلا والله وبلى والله كما فى الحديث قال ابن الصلاح والمراد على البذل لا الجمع فلا ينافيه قول الماوردى لو جمع انعقدت الثانية لأنها استدراك فكانت مقصودة وهو ظاهر إن قصدها أو شك فإن علم أنه لم يقصد فلغو كما هو واضح ولو قصد شيئا فسبق لسانه لغيره فلغو ولو دخل على صاحبه فأراد القيام فقال والله لا تقوم لى فليل منه وأنه مما تعلم به البلوى وليس بالواضح بل إن أراد بها غير اليمين قبل ظاهرا بالنسبة لحق الله دون نحو طلاق من حق آدمى أم الثانية لا تنعقد اليمين إلا بالله أو بصفة من صفاته أما الحلف بالآباء وبكل مخلوق فإنه من فعال الجاهلية وتوسع بعضهم فيه فقال ومن جملة ذلك أى اليمين الغموس الحلف بغير الله كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة {79/2} والأمانة وهى من أشدها نهيا والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان وساق لها أدلة فى النهى والوعيد على الحلف بذلك لكن كلام أئمتنا لا يساعده لأنهم أطلقوا أن الحلف بغير الله مكروه نعم إن اعتقد له من العظمة بالحلف به ما يعتقد لله كان الحلف حينئذ كفرا وعليه حمل ما ورد فى الأحاديث نحو من حلف بغير الله فقد كفر وأما الحلف بالأمانة فما أعظمه من ملامة وقد قال من حلف بالأمانة فليس منا الثالثة لو قال هو يهودى أو نصرانى أو نحوهما كبرئ من الإسلام أو من الله أو رسوله إن فعل كذا فليس يميننا نعم يحرم ذلك كما فى الأذكار ولا يكفر به إن قصد تبعيد نفسه عن المحلوف عليه أو أطلق ويسن له أن يستغفر وأن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يجب فإن أراد تعليق خروجه من الإسلام بما قال كفر حالا ولو مات ولم يعلم ما

قصد فقال الأسنوي يحكم بكفره حيث لا قرينة تحمله على غيره ومقتضى كلام الأذكار خلافه وصوبه في التحفة (و) منها أن تصدر من الشخص (الفاظ القذف) أي الرمي بباطل زنا كان أو غيره لرجل أو امرأة صغير أو كبير مملوك أو حر قال في الزواجر قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط والسكوت على ذلك من الكبائر ثم قال وعد السكوت عليه ذكره بعضهم وهو قياس السكوت على الغيبة بل أولى وتقييد في الترجمة بزنا أو لواط هو وإن ذكره أبو زرعة لكن الظاهر أنه ليس شرطاً للكبيرة بل لمزيد قبحها وفحشها ومن ثم قال شريح الروياني والقذف بالباطل ولم يخصه بزنا ولا لواط ثم أن القذف بمعناه لغة الرمي وشرعا الرمي بزنا في معرض التعبير لا الشهادة وأركانه ثلاثة قاذف وشرطه التكليف والعلم بالتحريم والاختيار والتزام الأحكام وعدم كونه أصلاً للمقذوف وعدم إذن منه له فلا يحد أضداد هؤلاء إلا السكران ومقذوف وشرطه ليحد قاذفه الإحصان بأن يكون مسلماً مكلفاً حراً عفيفاً عن وطء به حد وعن وطء أمة في ملكه محرم له وعن وطء في دبر مستفرشته بأن لم يطأ أصلاً أو وطأ لا حد فيه وصيغة (وهي) ألفاظ (كثيرة) و (حاصلها) أنها (كل كلمة تنسب إنساناً) نفسه إلى الزنا ذكراً كان أو امرأة (أو) تنسب (أحداً من قرابته) كأمه (إلى الزنا) كأن يقول لابن هند من زيد مثلاً لست ابن زيد أو لست منه أو لزوجها يا زوج القحبة كما في الزواجر فهو صريح في قذف هند وحينئذ فكل لفظة نسبت أحداً من قرابة المخاطب إلى الزنا (فهو) قذف لمن نسب الزنا (بها) (إليه) واعلم أن اللفظ يقصد به القذف (إما) أن لا يحتمل غيره أو يحتمل فإن لم يحتمل غيره فصريح وإلا فإن فهم منه القذف بوضعه فكناية وإلا فتعريض فإن كان (صريحاً) ومنه أن يخاطب رجلاً أو امرأة بزنية أو يا زاني نعم في زنية ببهيمة تعزير أو لطت أو لاط بك فلان أو يا لائط أو زنى فرجك أو قبلك أو دبرك كان الرمي به قذفاً (مطلقاً) نوى به ذلك (أو) لم ينو وإن كان (كنائية) كقوله لغيره يا خبيث يا فاجر يا فاسق أو زنات بالهمز وإن لم يقل في الجبل ولم يعرف اللغة لأن ظاهره أنه بمعنى الصعود لم يكن قذفاً إلا (بنية) من القاذف واستوجه في الزواجر أن من الكناية يا علق وقيل إنه صريح وإن كان تعريضاً كيا ابن الحلال ونحو أما أنا فغير زان أو لست ابن زانية لم يكن قذفاً مطلقاً نواه أم لا (ويحد القاذف الحر) حال القذف بشروطه المارة (ثمانين جلدة) لآية النور وإجماع الصحابة فدخل ما لو قذف وهو ذمي ثم حارب واسترق فيجلد ثمانين (و) يحد (الرقيق) حال القذف أيضاً ولو مبعوضاً أو أم ولد أو مكاتباً (نصفها) وهو أربعون لأنه على (80/2) النصف من الحر وإجماع الصحابة أيضاً

(تنبيه) قال العلماء لا يصدر القذف ونحوه إلا من خبيث الطوية وسىء الظن بالبرية وكم ورد فيه من الآيات والأخبار فمن ذلك قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية وقوله تعالى إن الذين يرمون المحصنات الآية فقد أجمع العلماء على أن الرمي في الآية المراد منه الرمي بالزنا وهو يشمل الرمي باللواط وفي حديث أنه كتب كتاباً إلى أهل اليمن فيه الفرائض والديات وفي أوله إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة إشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وجاء في غيره أيضاً أنه من الكبائر وصح من قذف مملوكه بزنا يقام عليه الحد يوم القيامة قال بعضهم ومما عمت به البلوى قول الإنسان لفته يا مخنث أو يا قحبة وللصغير يا ابن القحبة يا ولد الزنا وكل ذلك من الكبائر الموجبة للعقوبة في الدنيا والآخرة واعلم أن سبب الحد هنا إنما هو إظهار تكذيب القاذف واقترائه فمن ثبت صدقه بأن أقام أربعة شهداء عدول يشهدون بزنا المقذوف أو رجلين يقراره سقط عنه ولا بد من تعرض الشهود للزاني والمزني به والله أعلم (ومن المعاصي) التي تكون باللسان (سب) أحد من (الصحابة) رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقد صرح الشيخان وغيرهما بأن سب الصحابة كبيرة قال البلقيني وهو داخل تحت مفارقة الجماعة وهو الابتداع المدلول عليه بترك السنة فمن سب الصحابة أتى كبيرة بلا نزاع ويؤيده أحاديث كثيرة كحديث إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن شتمهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً وفي رواية وسيجيئ قوم بعدهم بعيوبهم وينقصونهم فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكوهم ولا تصلوا خلفهم ولا تصلوا معهم وكحديث إذا ذكر أصحابي فامسكوا ونقل بعضهم عن أكثر العلماء أن من سب أبا بكر وعمر كان كافراً لما روى أنه قال من سبك يا أبا بكر فقد كفر قال وقد نص تعالى على أنه رضى عنهم في غير آية كقوله تعالى والسابقون الأولون الآية فمن سبهم أو أحداً منهم فقد بارز الله بالمحاربة ومن بارزه بها أهلكه وخذله ولذا قال العلماء إذا ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمساك عن الخوض في ذلك بل ويجب الإنكار باليد ثم باللسان ثم القلب حسب الاستطاعة كسائر المنكرات بل هذا من أشرها وأقبحها ومن ثم أكد التحذير من ذلك بقوله الله الله في أصحابي الحديث قال في الزواجر ولقد شوهد على سائيههم قبائح تدل على خبث بواطنهم وشدة عقابهم منها ما حكى أنه لما مات ابن منير خرج جماعة من شبان حلب يتفرجون فقال بعضهم لبعض قد سمعنا أنه لا يموت أحد ممن سب أبا بكر وعمر إلا ويمسكه الله في قبره خنزيراً ولا شك أن ابن منير كان يسبهما فأجمعوا على المضي إلى قبره فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته صورة خنزير ووجهه منحرف عن القبلة إلى جهة الشمال فأخرجوه على شفير قبره ليشاهده الناس ثم أحرقوه في النار وأعادوه في قبره وردوا عليه التراب وحكى أيضاً أن يهودياً كان يخدم

نقيبا من نقيب الأشراف (81/2) العلويين ف قيل للنقيب مره أن يسلم فأمره فقال إلى أعتقد أن عزيزا وموسى نبيان كريمان ولو علمت أن أحدا من اليهود يتهم زوجة نبي ويسب أباه أو أصحابه لما اتبعت دينهم فإذا أسلمت فكيف أتبع هذا النقيب وهو يقول في عائشة ما يقول ويسب أباه وعمر فرأيت ديني خيرا فغضب النقيب ثم عرف صدق اليهودي فأطرق رأسه ثم رفعه وقال صدقت مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وقد ثبت إلى الله عما كنت أقوله وأعتقده فقال اليهودي وأنا أيضا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن كل دين غير دين الإسلام باطل فأسلم وحسن إسلامه وتاب النقيب عما كان عليه وحسنت توبته بتوفيق الله ﷻ وهدايته وفقنا الله لمرضاته وهدانا لاقتفاء آثار نبيه وسنته إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم وإنما أسلم النقيب لأن سب عائشة بالفاحشة كفر إجماعا لتكذيب القرآن النازل ببراءتها وكذا سب أبيها كفر إجماعا لذلك وقد أفتى غير واحد بقتل سب عائشة ﷻ وقد تميزت ﷻ بمناقب كثيرة كجئ جبريل بصورتها قبل أن يتزوجها ﷻ ونزول براءتها من السماء وموته ﷻ في بيتها ودفنه فيه وروايتها عنه ألفي حديث وغير ذلك مما لا يحصى وما أحسن قوله

ولـو كان النسـاء كمـا
لفضـلت النسـاء على
الرجـال
ولا التـذكير فـخـر
للـه لـال
فمـا التأنيث لاسـم الشمس
عيب
ذكرنا

(و) منها (شهادة الزور) أي الكذب وأصله تمويه الباطل بما يشبه الحق وهو أغلظ وأشد من الكذب وكل ما ورد في الكذب فهو وارد فيه وزيادة قال في النصائح وشهادة الزور من أكبر الكبائر كما في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور الإشراف بالله قالها ثلاث مرات فإن علم المشهود له أنها شهادة زور أثم أيضا والشاهد يكون ممن باع آخرته بدنياه غيره قال في الزواج وشهادة الزور وقبولها من الكبائر قال ﷻ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا الإشراف بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وقال ﷻ من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار وقال ﷻ لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار وقد أمر ﷻ باجتنابه فقال واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به (تنبيه) شهادة الزور هي أن يشهد بما لا يتحققه فقال ابن عبد السلام وعدها كبيرة ظاهر إن وقع في مال خطير وإلا كزيبية وتمرة فيجوز أن يكون منها فطما للناس عن هذه المفاصد ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة قال وإذا كان الشاهد بها كاذبا أثم ثلاثة آثام إثم المعصية وإثم إعانة الظالم وإثم خذلان المظلوم أو صادقا أثم إثم المعصية لتسببه إلى إبراء ذمة الظالم وإيصال المظلوم إلى حقه قال ومن شهد بحق فإن كان صادقا فله أجر على قصده وطاعته وعلى إيصال الحق لمستحقه وعلى تخليص الظالم من الظلم أو كاذبا بسبب سقوط الحق الذي تحمل الشهادة به وهو لا يشعر بسقوطه أثيب على قصده ولا يثاب على شهادته لأنها مضرة بالخصمين قال وفي تغريمه ورجوعه على الظالم بما أخذه من المظلوم نظر إذ الخطأ والجهل في (82/2) الأسباب والمباشرات سواء في الضمان (و) منها (الخلف في الوعد) لمسلم من المسلمين لكن لا مطلقا بل (إذا وعد وهو يضر) أي ينوي بقلبه (الخلف) في وعده أو ترك الوفاء به بلا عذر قال ﷻ الخلف أن يعد الرجل الرجل ونيته أن لا يفى وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ﷻ الوأى أي الوعد مثل الدين أو أفضل وقال ﷻ ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وفي رواية أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر فإن عزم على الوفاء فعن له عذر منعه منه لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق قال ﷻ إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفى فلم يجد فلا إثم عليه ولكن ينبغي أن يحترز من صورته أيضا ولا يجعل نفسه معذورة بلا ضرورة فقد ورد أنه ﷻ وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأتته فاطمة ﷻ تطلب خادما وتقول ألا ترى أثر الوحى بيدي فذكر موعده لأبى الهيثم فقال كيف بموعدي لأبى الهيثم فأثره به على فاطمة وقد وعد إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام شخصا في موضع فلم يجئه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت ابن عمر ﷻ الوفاة قال صدر منى شبه وعد لرجل من قریش خطب بنتى فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وواعد الخنساء رسول الله ﷻ بموضع فلم يجئ إلا ثالث يوم فوجده جالسا ينتظره وكان ابن مسعود لا يعد وعدا إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إن فهم مع ذلك الوفاء فلا بد منه إلا أن يتعذر (و) منها (مطل الغنى) غريمه بعد مطالبته له من غير عذر قال في الزواج وهو من الكبائر قال ﷻ مطل الغنى ظلم وإذا أتبع أى بضم فسكون أحيل أحدكم على ملء فليتبع وقال ﷻ لى الواجد أى مطل القادر على وفاء دينه يحل عرضه وعقوبته أى يبيح أن يذكر بين الناس بالمطل وسوء المعاملة لا غيرهما إذ المظلوم لا يجوز أن يذكر ظالمه إلا بالنوع الذى ظلمه به دون غيره ويبيح أيضا عقوبته بالحبس والضرب وغيرهما وقال ﷻ إن الله يبيغض الغنى الظلوم الحديث وقال ﷻ ما قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها الحق من قويعها غير متعتع أى متعب بكثرة تردده إليه ثم قال من انصرف غريمه وهو منه راض صلت عليه دواب الأرض ونون الماء أى حوته وليس من عبد يلوى غريمه وهو يجد إلا كتب عليه فى كل يوم

وليلة وجمعة وشهر ظلم وروى أن أعرابيا كان له على النبي ﷺ فتقاضاه إياه واشتد حتى قال أخرج عليك إلا قضيتني فأنتهره أصحابه فقالوا ويحك تدري من تكلم قال إني أطلب حقي فقال ﷺ هلا مع صاحب الحق كنتم ثم أرسل إلى خولة فقال لها إن كان عندكم تمر تقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك فقالت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه فقال أو فیت أوفى الله لك فقال أولئك خيار الناس إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع

(تنبيه) - صرح جماعة من أكابر أئمتنا وزعموا فيه الاتفاق بأن من امتنع من قضاء دينه مع (83/2) قدرته عليه بعد أمر الحاكم له به للحاكم أن يشدد عليه في العقوبة فينخسه بحديدة إلى أن يؤدي أو يموت كما قيل بنظيره في تارك الصلاة على وجه قال بعض الأئمة إنه مقيس على ما هنا فهو قياس ضعيف على ضعف وفي الإحياء إن من الإحسان توفية الدين وحسن القضاء بأن لا يكلف صاحب الحق المشي إليه وأن يبادر به ولو قبل محله من أجود ماله فإن عجز فليנו قضاءه ويجتهد فيه قال ﷺ من أدان ديناً وهو ينوى قضاءه ويرجو وفاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وقد كان بعض السلف يستدينون بلا حاجة لهذا الخبر (و) - منها (الشتم) - لمسلم من المسلمين أي الاستطالة في عرضه إذ الشتم معناه السب في الوجه وتمزيق العرض (و) - منها أيضا (السب) - ولو في غيبة (و) - كذا (اللعن) - ولو لدابة ومعناه الطرد والبعد من رحمة الله تعالى ولا مطرود منها إلا من اتصف بصفة تبعده عنه تعالى كالكفر والظلم ولا يجوز التعيين كزيد إلا لمن تحقق بالكفر والشقاء بأن مات عليه كإبليس قال في الزواجر سب المسلم والاستطالة في عرضه وتسبب الإنسان في لعن أو شتم والديه وإن لم يسبهما ولعنه مسلماً من الكبائر قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية قال ﷺ سباب المسلم فسوق والمستبان ما قالاً فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم وقيل له ﷺ الرجل يشتمني وهو دوني أعلى منه بأس أن انتصر منه قال المستبان شيطانان يتهاثران ويتكاذبان وقال ﷺ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل وكيف بلعنهما قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه وفي حديث لعن المؤمن كقتله وقال ﷺ إن العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإن لم تجد مساعاً رجعت على الذي لعن فإن كان أهلاً وإلا رجعت على قائلها وقال ﷺ ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذئ أي المتكلم بالفحش والكلام القبيح ومز ﷺ بأبي بكر ﷺ وهو يلعن بعض رقيقه وقال العائين وصديقين كلا ورب الكعبة فأعتقه أبو بكر ﷺ يومئذ ثم جاء لرسول الله ﷺ فقال لا أعود ولعنت ناقة قد تضجر منها فسمع ذلك ﷺ فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة قال عمران بن حصين فكاني الآن أراها تمشي في الناس ما يعرض لها أحد ولعن رجل بغيره فقال له ﷺ لا تتبعنا على بغير ملعون وقال ﷺ لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة صرخ ديك قريب من النبي ﷺ فقال رجل اللهم العنه فقال ﷺ مه كلا فإنه يدعو إلى الصلاة ولدغت برغوث رجلاً فلعنها فقال ﷺ لا تلعنها فإنها نهت نبياً من الأنبياء لصلاة الصبح وفي حديث لا تسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظكم لذكر الله ولعن رجل الريح فقال ﷺ لا تلعن الريح فإنها مأمورة من لعن شيئاً ليس بأهل رجعت اللعنة عليه قال في الزواجر واستفيد من هذه الأحاديث أن لعن الدواب حرام وبه صرح أئمتنا والظاهر أنه صغيرة ثم قال ثم رأيت بعضهم صرح بأن لعن الدابة والذمى المعين كبيرة فيد حرمة لعن المسلم بغير سبب شرعي وفيه نظر والذي يتجه ما مر من أن لعن الدواب صغيرة وأما لذمى فيحتمل أنه كبيرة لاستوائه مع المسلم في حرمة إيذائه وأما تقييده بغير صحيح إذ ليس لنا غرض شرعي (84/2) يجوز لعن المسلم أصلاً ثم أن محل حرمة اللعن إن كان لمعين فلا يجوز لعنه ولو فاسقاً كيزيد بن معاوية أو ذمياً حياً أو ميتاً ولم يعلم موته على الكفر لاحتمال أنه ختم له بالإسلام بخلاف من علم أنه ختم له على غير الإسلام كفرعون وأبى جهل وأبى لهب وما وقع لبعضهم من لعن يزيد فتهور بناء على القول بإسلامه وهو الظاهر ودعوى جمع أنه كافر لم يثبت ما يدل عليها بل أمره بقتل الحسين لم يثبت أيضاً ولذا أفتى الغزالي بحرمة لعنه وإن كان فاسقاً متهوراً في الكبائر بل وفواحشها ويجوز إجماعاً لعن غير المعين بالشخص بل بالوصف كلعنة الله على الكاذبين أو الظالمين قال في الإحياء وبالجملة فلعن الأشخاص فيه خطر ولا خطر في السكوت حتى عن لعن إبليس وقد كثر التهاون باللعن على أسنة الناس مع أنه ورد أن المؤمن ليس باللعان فلا ينبغي أن تطلق اللسان به فلاشتغال بذكر الله أولى فإن لم يكن ففي السكوت سلامة ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر ولو على ظالم كلا أصح الله جسمك أو لا سلمك

(فائدة) - ما ورد أنه ﷺ لعن أناساً بأعيانهم يحتمل أنه علم موتهم على الكفر قال بعض العلماء وللأمر بمعروف والنهي عن منكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك الأمر بقصد الزجر والتأديب ويلك أو يا ضعيف الحال يا قليل النظر لنفسه يا ظالم نفسه ونحو ذلك مما ليس فيه قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً فيه ولا كذب (و) - منها (الاستهزاء بالمسلم) - أي الاستهانة والتحقيق له فهو (كل كلام) - أو فعل أو إشارة أو إيماء (مؤد له) - أي المسلم من القبائح العظيمة التي فشت في هذه الأزمان قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية ومعنى الاستهزاء السخرية وهي النظر إلى المسخور منه بعين النقص أي لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيراً منك وأفضل وأقرب رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره وقد احتقر إبليس اللعين آدم ﷺ فباء بالخسار الأبدي وفاز آدم بالعز الأبدي وشتان ما بينهما ويحتمل

أن يكون المعنى لا تحقرن غيرك فإنه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا ينتقم منك
لا تهين الفقير علك
تركع يومًا والدمر قد
رفعـه
أن

وقد قام الإجماع على تحريم ذلك وأخرج البيهقي أن المستهزئين بالناس ليفتح لأحدهم باب الجنة فيقال لهم
هلم هلم فيجىء بكريه وغمه فإذا جاء أغلق دونه فلم يزل كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم
هلم فلا يأتية من اليأس وقال ابن عباس في قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك بحال الاستهزاء وفي الإحياء أنه لا يحرم نحو الاستهزاء إلا بمن يتأذى به
أما من جعل نفسه مسخرة حتى إنه ربما يفرح بذلك فتكون السخرية في حقه من جملة المزاح والله أعلم
(و) منها (الكذب على الله) (و) كذا الكذب (على رسوله) قال في الزواجر تعمد الكذب على الله تعالى
وعلى رسوله من الكبائر قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال الحسن هم
الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل وقال (إن كذبنا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على
متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال (إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم أقل (85/2) وعن قيس
بن عباد سمعت رسول الله يقول من كذب على كذبة متعمدا فليتبوأ مضطجعا من النار أو بيتا في جهنم
وعده كبيرة ظاهر كما صرحوا به بل قال الشيخ أبو محمد الجويني إن الكذب عليه كفر وقال بعض
المتأخرين وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ورسوله كفر يخرج عن الملة ولا ريب أن تعمده
على الله ورسوله في تحليل حرام أو عكسه كفر محض وإنما الكلام في الكذب عليه فيما سواه وقال الجلال
البلقيني جاء الوعيد في أحاديث كثيرة بأن من كذب عليه متعمدا فليتبوأ مقعده من النار قال العلماء وقد
بلغت حد التواتر قال البزار رواه مرفوعا نحو من أربعين صحابيا وقال ابن الصلاح رواه الجهم الكثير من
الصحابة قيل إنهم نحو ثمانين نفسا وجمع بعض الحفاظ طرقه في جزء ضخم فبلغ رواته نحو سبعين
صحابيا ومن جملتهم العشرة إلا ابن عوف بل قال الطبراني وابن منده أنهم سبعة وثمانون ومنهم العشرة
(تنبيه) قال في الإحياء وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في
المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض وفي الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من
الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الاستماع وسقط وقعه وما هو جديد
فوقعه أعظم هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم هذا شره أصلا إذ الكذب عليه من الكبائر التي لا
يقاومها شيء نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين آمين اهـ (و) منها (الدعوى الباطلة) كأن يدعى نحو
علم أو كرم وليس متصفا به بل لو كان متصفا به فلا يجوز له الافتخار به لقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو
أعلم بمن اتقى قال الأستاذ في النصائح إن تزكية النفس والثناء عليها والفخر بالأباء من أهل الدين والفضل
والتبجح بالنسب كل ذلك مذموم مستقبح جدا وقد ابتلى به بعض أولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة
بحقائق الدين ومن افتخر على الناس بنسبه وآبائه ذهبت بركتهم عنه قال من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه
وقال يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ولا أغنى عنك من الله شيء
اشتروا أنفسكم من النار وقال لا فضل لأسود على أحمر ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله أنتم من آدم
وآدم من تراب وقال لينتهين أقوام عن الفخر بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان فالفضل بالتقوى
والكرم بالتقوى لا بالنسب قال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ولو أن الإنسان كان من أتقى الناس وأعلمهم
وأعبدهم ثم تكبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته فكيف بالجاهل المخلط المتكبر
بصلاح غيره وتقواه فهل هذا إلا جهل عظيم وحمق فظيع والخير كله في التواضع والخشوع والخضوع لله
والخمول وكرامة الشهرة وهى من أخلاق صالحى المؤمنين فليحرص الإنسان عليه ويرض بالدون من
المجلس والملبس والمطعم ونحو ذلك من أمتعة الدنيا وكان بشر بن الحرث يتمثل بهذين البيتين

ذهب الرجـال المقتـدى
بفعـالهم
وبقـيت فى خـلف يـزكى
بعضـهم
والمنكـرون لـكل أمـر
منـكر
بعضـا ليـدفع معـور عن
معـور

ولما تنازلت أحوال الدين واتصف بالغرابة التى وعد بها سيد المرسلين تصرف فيها الحبيب على (86/2) ابن
حسن فقال

ذهب الرجـال المقتـدى
بفعـالهم
وبقـيت فى خـلف يـفخر
بعضـهم
بالـبر والتقـوى وزجـر
المجـترى
بعضـا ويزعـم أنـه العـلم
الـبرى

إذ المعنى على الأولين أنه لما كان عندهم الحظ الوافر من الحياء لا يقدر الإنسان أن يزكى نفسه صراحة وإنما
يزكى غيره ليزكيه ذلك الغير فيندفع العار عنه ولما ذهب الحياء صار كل يزكى نفسه بنفسه فلذا تصرف فيها
ذلك الحبيب ونفعنا به وما ينسب لسيدنا على بن أبى طالب

أيـهـا الفـاخـر جـهـلا	إنـمـا النـاس لـام
بالنـسـب	ولأب
هـل تـراهم خـلقـوا من	أو حـديـد أو نـحـاس أو
فـضـة	ذـهـب
وتـحـرى فـضـلهم فـى	هـل سـوى لـحـم وعـظم
خـلقـهم	وعـصب
إنـمـا الفـخـر بـعـلم	وبأخـلاق كـرام
زأخـر	وأدب

نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء

{تنبيه}- عذ ما ذكر من معاصي اللسان لعله لما يشتمل عليه من الكذب والكبر والحسد وغير ذلك مما يترتب عليه ويظهر لمن له أدنى بصيرة هذا ويحتمل أن مراده ﷺ بالدعاوى الباطلة الخصومات الباطل أو بغير العلم كوكلاء القاضى أو لمحض العناد لقصد قهر الخصم وكسره وذلك من الكبائر كما فى الزواجر لقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام الآيات وقوله ﷺ كفى بك إثما أن لا تزال مخاصما وأبغض الناس إلى الله الألد الخصم أى كثير الخصومة ومن جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع قال النووى عن بعضهم ما رأيت شيئا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فى الأذكار أى بباطل أو بغير علم كوكيل القاضى فإنه يتوكل قبل أن يعرف أن الحق فى أى جانب ويحتمل أن المراد كل منهما {و}- منها {الطلاف البدعى}- وهو أن يطلق حاملا من زنا لا تحيض أو من شبهة أو يعلق الطلاق بمضى بعض الحيض أو بآخر طهر أو يطلقها مغ آخره أو فى نحو حيض قبل آخره أو فى طهر وطئها فيه أو فى حيض أو نفاس قبله أو يعلقه بمضى بعضه كما فى الفتح فذلك محرم لإضرارها بطول العدة إذ بقية دمها لا يحسب منها وغير ذلك يقال له سنى وهو الجائز ويسن لمن طلق بدعيا الرجعة ما بقى نحو الحيض الذى طلق فيه ويكره تركها ثم إن شاء طلق بعد طهر أو أمسك كما ورد به الحديث {و}- منها {الظهار}- وهو أن يقول لزوجته ولو رجعية قنة غير مكلفة لا يمكن وطؤها أنت على أو منى أو إلى أو معى أو لى أو عندى كظهر أمى أو يدها أو بطنها ومثل الأم كل محرم على المذهب سمي بذلك لتشبيهه الزوجة بالظهر وإنما خص الظهر لأنه محل الركوب والمرأة مركوب الزوج ولذا يسمى المركوب ظهرا وهو محرم بل من الكبائر لقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم الآية وحكمة منكم توبيخ العرب وتهجين عاداتهم فى الظهار لأنه كان من أيمان الجاهلية خاصة دون سائر الأمم ومعنى منكرا وزورا أى تشبيه الزوج وزوجته بأمه لأننا نقول إن قصد به الإخبار فواضح أنه منكرو كذب {87/2} أو الإنشاء فكذلك لأنه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله كذلك وهذا غاية فى قبح المخالفة وفحشها وقد نقل عن ابن عباس ﷺ أنه من الكبائر ولذا سماه تعالى فى الآية منكرا وزورا {و}- يجب على المظاهر {فيه}- أى بسببه {كفارة إن}- عاد بأن {لم يطلقها بعده فورا}- إذ العود هو إمساكها بعد الظهار زمنا تمكنه فيه الفرقة ولم يفارق لأن تشبيهها بالمحرم يقتضى فراقها فبعد فعله يصير عائدا فيما قال {وهى}- إحدى ثلاث خصال لأنه إن كان قادرا على العتق فيجب عليه {عتق رقبة مؤمنة}- ولو تبعا لأصل أو دار أو ساب {سليمة}- عما يخل بالعمل والكسب إخلالا بينا لأن القصد تكميل حاله ليتفرغ لوظائف الأحرار وهو متوقف على استقلاله بكفاية نفسه فيجزئ صغير ولو عقب ولادته ويسن بالغ للخروج من الخلاف {فإن عجز}- عن عتق الرقبة وقت الأداء وعما يصرفه فيها فاضلا عن كفاية نفسه وممونه نفقة وكسوة وأثاثا لا بد منه وعن دينه ولو مؤجلا أو كان عبدا {صام شهرين}- هلالين {متتابعين}- وإن نقصا عن ستين يوما ويجب تبييت نية الصوم عن الكفارة فيها كل ليلة وإن لم يعين جهتها كان صام أربعة أشهر بنيتهما وعليه كفارتا قتل وظهار ولم يعين فإنه يجزئ فإن بدأ أثناء شهر حسب الثانى بالهلال وكمل الأول ثلاثين من الثالث ويزول التتابع بفوات يوم من الشهرين {فإن عجز}- عن الصوم أو تتابعه لنحو هرم أو مرض لا يرجى برؤه أو لحقه بالصوم مشقة لا تحتمل عادة وإن لم تبج التيمم أو خاف زيادة مرضه {أطعم ستين مسكينا أو فقيرا}- لأنه أسوأ حالا {ستين مدا}- مما يجزئ فى الفطرة لكل واحد مد فلا يجزئ دفعها لواحد كل يوم مدا ويجوز أن يجمعهم ويضعها بينهم إذا ملكهم إياها وقبلوا {ومنها اللحن فى القرآن}- فإنه من المنكرات القبيحة {وإن لم يخل بالمعنى}- ولم يغيره لكن إذا تعمده وكان يمكنه التعلم ولم يتعلم فيحرم عليه ويفسق به ويشاركه المستمع إن قدر على رده وإلا منعه من القراءة إن لم يفد فيه التلقين ويلزمه تعلم الفاتحة وصرف جميع الوقت إلا ما يضطر إليه فى تعلمها فإن قصر عصى ولزمه القضاء لصلاة المدة التى يمكنه فيها ولم يتعلم قال ابن علان فى شرح الأذكار القراءة بالألحان الموضوعية إن أخرجت لفظ القرآن عن صفته بإدخال حركات فيه أو بإخراجها عنه أو قصر ممدود أو عكسه أو بقطييط يخفى به اللفظ فيلتبس به المعنى حرمت وفسق بذلك القارئ وأثم المستمع قال فى التبيان وإن لم يخرججه عن لفظه وقرأه على ترتيله كانت مباحة لأنها تزيد فى تحسينه وأما القسم الأول فمصيبه ابتلى بها العوام الجهلة فهو بدعة محرمة يأثم بها كل مستمع قادر على إزالته ويجب على القارئ مراعاة أحكام التجويد مما أجمع عليه القراءة كالمد والقصر والإدغام بقسميه

والإظهار والإقلاب والإخفاء ويأثم بتركه ذلك على المعتمد الذي جرى عليه جمهور علمائنا وقال شيخ الإسلام لا يجب وحمل قول ابن الجزرى والأخذ بالتجويد البيت على الوجوب والإثم الصناعات قال الشيخ أحمد السنباطى ولنا فى رده رسالة من كلام الأصحاب والمعتمد هو الأول إن شاء الله اهـ (و) منها (السؤال لغنى بمال أو حرفة) أو كسب طمعا وتكبرا قال (من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر وقال (إن المسألة لا تحل لغنى ولا لذى مرة بكسر فتشديد أى قوة سوى أى تام الخلق سالم من الموانع إلا لذى فقر مدقع بضم فسكون فكسر أى ملصق صاحبه بالدقعاء (88/2) وهى الأرض التى لا نبات بها الحديث قال (من يتكفل لى أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة وقال (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة لحم بضم فسكون أى قطعته وصح مسألة الغنى شين فى وجهه إلى يوم القيامة ومسألة الغنى نار إن أعطى قليلا فقليل وإن أعطى كثيرا فكثير وأتى برجل ليصلى عليه (فقال كم ترك فقل دينارين أو ثلاثة فقال ترك كيتين أو ثلاث كيات قال بعض الصحابة لأنه كان يسأل الناس وسئل (عن الغنى الذى لا تنبغى معه المسألة فقال قدر ما يعديه ويعشيه وفى رواية أو يعيشه وفى أخرى شيع يوم وليلة قال الخطابى قال بعضهم من وجد غداء يوم وعشاءه لم تحل له المسألة وقيل إنما تحرم لو كان عنده ما يكفيه لقوته المدة الطويلة وقيل غير ذلك والراجح عندنا كما فى الزواجر الأول إن كان يسأل صدقة تطوع فإن سأل الزكاة لم تحرم إلا إن كان عنده كفاية بقية العمر الغالب أى فيمن يشترط فى إعطائه منها الفقر كما هو واضح قال الشافعى (وقد يكون الشخص غنيا بدرهم مع كسبه ولا يغنيه ألف مع ضعفه وكثرة عياله وسأل رجل رسول الله (فقال له أما فى بيتك شئ فقال بلى جلس وقعب نشرب فيه فقال انتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما (وقال من يشتري هذين فقال رجل بدرهم فقال (من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا فقال رجل بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الرجل وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فانتنى به فأتاه به فشده فيه رسول الله (عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل وجاء ومعه عشرة دراهم فاشتري بها ثوبا وطعاما فقال (هذا خير لك من أن تجيء بالمسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة الحديث فينبغى للعاقل أن يقنع بما أعطاه الله ولا يظن أن الغنى فى كثرة المال أو الفقر فى قلته إنما الغنى غنى القلب والنفوس كما صح عن رسول الله (القناعة كنز لا يفنى وعليك بالإيثار عما فى أيدي الناس وإيّاك والطمع فإنه فقر حاضر الحديث قال فى النصائح قال (استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك فلا تحل المسألة إلا عند الضرورة والحاجة الشديدة التى لا بد منها ولا غنى عنها

(تنبيه) عذ ما ذكر فى الزواجر من الكبائر لما مر من الأحاديث قال وهو ظاهر وإن لم أر من صرح به لهذه الأحاديث المشتملة على الوعيد الشديد وعذ منها أيضا الإلحاح فى السؤال المؤذى للمسئول إيذاء شديدا لما ورد أن الله يبغض السائل الملحف أى الملح وغير ذلك قال وهو ظاهر وكلامهم لا ياباه وإن لم يصرحوا به لأن بعض المرتب عليه يقرب من اللعن الذى هو من أمارات الكبيرة نعم لو كان السائل مضطرا والمسئول له مال مانع له ظلما فيظهر أنه لا يحرم عليه الإلحاح حينئذ والذى يظهر أيضا أن كون الإلحاح كبيرة لا يتقيد بتكرير السؤال ثلاث مرات بل ينبغى تقييده بما يؤذى ويضجر عرفا لأنه حينئذ يحمل المسئول على غاية الغضب ويخرجه عن حيز الاعتدال ويوقعه فى أشد السب والشتم وغيرهما وهذا أذى شديد وخلق قبيح ومعاص متعددة جر إليها الإلحاح وحمل عليها وكان سببا فظهر ما ذكرته من أنه حينئذ كبيرة (89/2) (خاتمة) صح عن ابن عمر (أنه قال كان (يعطينى العطاء فأقول أعطه من هو أفقر منى فقال (خذه إذا جاءك من هذا المال شئ وأنت غير مشرف ولا سائل فخذته فتموله فإن شئت فكله وإن شئت فتصدق به قال ولده سالم فإجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه وصح من آتاه الله شيئا من هذا المال من غير أن يسأله فليقبله فإنما هو رزق ساقه الله إليه قال الإمام أحمد والأشرف أن يقول فى نفسه سيبعث إلى فلان سيصلنى فلان والله أعلم (و) منها (النذر) والوصية لبعض الورثة أولغيرهم ولو من الثلث كما فى الزواجر إذا كان (بقصد إخراج الوارث) مما يستحقه ومنه ما لو أوصى لزيد مثلا بخمسمائة إن تبرع على فلان من ورثته بمثلها أو أقر لبعض الورثة فى مرض موته بعين أو دين يريد تمليكها له بالإقرار ولم يسبق له تمليك صحيح بهبة مع الإقباض أو نذر فى الصحة نذرا منجزا أو معلقا بما قبل مرض الموت لبعض الورثة وقد قال فى الزواجر إن الإقرار على غير حقيقته من الكبائر قال علماءنا والإقرار فى المرض كالصحة لأنه فى حالة يصدق فيها الكذب ويتوب فيها الفاجر واختلف فى النذر للوارث بقصد الحرمان فقال حج و م ر بالصحة وقال جمع من علماء اليمن بالبطلان قال السيد عمر البصرى والمفتى يعتمد أيهما شاء قال ابن عباس (والإضرار فى الوصية من الكبائر وقال (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وإذا وصى جار فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة قال ابن عادل والاضرار فى الوصية على وجوه كان يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن الورثة أو بأن الدين الذى له على فلان قد استوفاه منه أو يبيع شيا بثمان رخيص أو يشتريه بغال إذا كان كل من ذلك بقصد إخراج الوارث قال (من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة لأن مخالفة أمر الله خصوصا عند قرب الموت تدل على الخساسة الشديدة وذلك من أكبر الكبائر وعلم من ذلك أن الموصى له إنما يستولى على ذلك عدوانا وظلما ولا يبعد حينئذ أن نفس وصيته كبيرة لأنه أبلغ

الإضرار بالورثة سيما في حالة يصدق فيها الكذب فأقدامه على ذلك دليل ظاهر على قسوة قلبه وفساد لبه وغاية جرائه فلذا يختتم له بشر (و) منها (ترك الوصية) - يعني الإيصاء إذ هي بمعناه والفرق بينهما اصطلاح فقهي (بدين) - عليه أو بعين عنده إذا كان (لا يعلمه) - أو يعلمها (غيره) - فيجب على من عليه أو عنده ذلك أن يعلم به غير وارث يثبت بقوله ولو واحدا ظاهر العدالة أو بردها حالا خوفا من خيانة الوارث وعد ذلك في الزواجر من الكبائر فكذا التسبب فيه إذ للوسائل حكم المقاصد قال وسيأتي في عاصر الخمر ما يصرح بذلك أم فإن علم بها غيره سن الإيصاء بقضاء الدين سواء الذي لله كزكاة أو لأدمى كما يسن برد المظالم كالمغصوب وأداء الحقوق كالودائع وتنفيذ الوصايا

(تنمة) - ينبغي الاعتناء بالوصية مع العدل لحبر ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن (90/2) يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال إلا بوصية مكتوبة عنده قال ابن عمر ؓ ما مضت على من منذ سمعته من رسول الله ؓ إلا وعندي وصيتي مكتوبة وخبر من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له وخبر المحروم من حرم وصيته (و) منها تبرى الإنسان من نسبه أو ممن له الولاء عليه و (الانتماء) - أي الانتساب - (إلى غير أبيه أو إلى غير مواليه) - وكذا تبرى الوالد من ولده قال ؓ من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام وقال ؓ لما نزلت آية الملاعة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رءوس الخلائق من الأولين والآخرين وقال ؓ ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبعوا مقعده من النار وقال ؓ من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى لغير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا

(تنبيه) - الكفر فيما ذكر بمعنى أن ذلك يؤدي إليه أو أنه إن استحله كفر أو المراد كفر النعمة (و) منها (الخطبة) - بكسر الخاء - (على خطبة) - من جازت خطبته وإن كرهت أو كان كافرا محترما غير (أخيه) - في الإسلام والتقيد به في الحديث التابع له المصنف في التعبير للغالب كما قاله في التحفة فتحرم إذا علم بها وبالإجابة وبصراحتهم ممن تعتبر منه من مجبر وغيره وسكوت بكر غير مجبرة ملحق بالصراحة وعلم بالحرمة ولم يأن الأول ولا أعرض فإن لم يعلم بها أو علم بها ولم يعلم بالإجابة أو علم بها ولم يعلم كونها صريحة أو علم به ولم يعلم بالحرمة أو علم بها لكن وقع إعراض من أحد الجانبين أو لم تجز الأولى أو نكح الأول من يحرم جمع المخطوبة معها أو طال الزمن بعد الإجابة بحيث يعد معرضا أو أذن له الأول من غير خوف ولا حياء لم يحرم إذا لم يبطل بها شيء مقرر وإنما حرم ذلك لما فيه من الإيذاء والقطيعة ولذا عده في الزواجر من الكبائر قال وما في الروضة من أنه صغيرة غير موافق لتعريف الكبيرة بما فيها وعيد شديد والموافق ما ذكرته إذ لا شك أن الإضرار بالغير المحتمل عادة كبيرة ولا ينقص ما ذكر عن الخداع والمكر وقد عدوهما من الكبائر (و) منها (الفتوى بغير علم) - جازم فيما يفتي فيه قال ؓ أجراكم على الفتوى أجراكم على النار قال ابن قاضي في مختصر الفتاوى ليس لمن قرأ كتابا أو كتب ولم يتأهل للإفتاء أن يفتي إلا فيما علم به من مذهبه علما جازما كوجوب نية الوضوء ونقضه بمس الذكر نعم إن نقل له الحكم عن مفت آخر أو عن كتاب موثوق به جاز وهو ناقل لا مفت وليس لغير الأهل الإفتاء فيما لم يجده مسطورا وإن وجد له نظائر والمتبحر في الفقه هو من أحاط بأصول إمامه في كل باب بحيث يكتفه أن يقيس ما لم ينص عليه إمامه وهذه مرتبة أصحاب الوجوه وقد انقطعت من نحو أربعمائة سنة ومن طلب منه الإفتاء في المناسخات لم يجز له الإقدام إلا بعد الامتحان (وفي التحفة تنبيه) - ما أفهمه كلامه من جواز النقل من الكتب المعتمدة ونسبته لمؤلفيها مجمع عليه وإن لم يتصل سند الناقل بمؤلفيها نعم النقل من نسخة كتاب لا يجوز إلا إن وثق بصحتها أو تعددت تعددا يغلب على الظن معه صحتها أو رأى لفظها منتظما وهو خير فطن يدرك السقط والتحريف فإن (91/2) انتفى ذلك قال وجدت أو نحوه وجواز اعتماد المفتي ما يراه في كتاب معتمد فيه تفصيل هو أن الكتب المتقدمة على الشيخين لا يعتمد شيء منها إلا بعد مزيد الفحص والتحري حتى يغلب على الظن أنه المذهب ولا يفتي بتتابع كتب متعددة على حكم واحد فإن هذه الكثيرة قد تنتهي إلى واحد هذا كله فيما لم يتعرض له الشيخان ولا أحدهما وإلا فالمعتمد ما اتفقا عليه أي مالم يجمع عليه متعقبو كلاهما على أنه سهو فإن اختلفا فالنوى فإن وجد للرافعي ترجيح دونه فهو إم - بحذف وقد تحاشى عن الإفتاء بعلم كثير من الصحابة والسلف الصالح حتى قال ابن مسعود إن الذي يفتي بين الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وجنة العالم لا أدري وفي الحديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري قال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس وكان ابن عمر إذا سئل عن الفتوى قال لصاحبها اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه قيل إنما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكانما يقلع ضرسه ويخاف أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان الشعبي يبكي إذا سئل ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم لي وسئل ؓ عن مسائل منها ما شر الأرض وما خيرها فقال لا أدري فنزل عليه جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أعلمه الله أن خيرها المساجد وشرها الأسواق فتأمل ذلك مع كمال علم هؤلاء الإعلاك وأمكنية أقدامهم وقوة اجتهادهم وبعدهم عن الأهواء قال العلامة سم وقد انحطت مرتبة الإفتاء وتسوره كل من أراد بل تجرأ عوام الطلبة على التكلم فيما شاءوا وعلى

إساءة الأدب في حق العلماء بسبب التغافل من ولاة الأمر وتشاغلهم عن البحث عن أوصافهم فلا حول ولا قوة إلا بالله قال المجيب عبد الله بن الحسين بلفقيه هذا قاله في شأن أهل وقته مع أنهم من جبال العلم وحملته أم أي فكيف بأهل وقتنا وتأمل أيضا قوله ﷺ لا أدري تعلم به أن الفتوى خطيرة جدا وقد حكى أنه لما سئل العداواني وهو جاهلي عن إرث الخنثى توقف فيه أربعين يوما حتى قالت له جارية له ترعى غنمه أتبع الحكم البال أي فإن كان يبول من الذكر فذكر أو من الفرج فأنتى قال العلامة الأذرعي وفي هذه القصة مزدجر لجهلة قضاة زماننا ومفتيه فإن هذا مشرك توقف في حكم حادثة أربعين يوما فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فليحذر الإنسان من تقلد الفتيا وليكن محترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقا أفتى وإلا بأن شك قال لا أدري أو ظن احتياط وأحال على غيره إن كان فيه غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وروى لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف أحقق وكانت الصحابة يتدافعون الأمانة والوصية والوديعة والفتيا ومن كان أسرعهم إلى الفتيا فأقلهم علما وسئل بعضهم فقال لا أدري فقليل له ليس هذا مكان الجهال فقال المكان لمن يعلم ويجهل أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان وقال بعضهم لا أدري فقليل له ألا تستحي فقال كيف أستحي مما لم تستح منه الملائكة إذ قالوا لا علم لنا قال سيدنا المجيب عبد الله بن الحسين بلفقيه في مطلب الإيقاظ بعد كلام ذكره وإنما استطردهنا وخرجنا عما نحن فيه لأننا رأينا في بعض الطلبة من يميل إلى الانتقاد ويتجرا على الإفتاء من غير تثبت واستعداد مع أنه ليس معدودا من أصحاب هذه الرتبة فأردت النصيحة بذلك مع اعترافي يأنى لست من هذا الجيل الجليل ولا (92/2) من ذوى التحصيل اللهم علمنا ما ينفعنا واصرف عنا ما يضرنا إنك أنت السميع البصير (و) منها (تعليم) الشخص غيره كل علم مضر له في دينه ودنياه (و) كذا (تعلم) الشخص كل (علم مضر) له أو لغيره إذ العلم لا يذم إلا لأحد أسباب ثلاثة الأول المؤدى لضرر صاحبه أو غيره كالسحر والطلسمات وقد شهد القران بأنه يفرق بين المرء وزوجه الثاني المؤدى لضرر صاحبه في الغالب كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم إذ هو حسابي وقد نطق به القرآن في قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان الثالث ما يستدل به على ما يحدث من مرض ونازلة ونحوهما وقد حذر منه وذمه ﷺ بقوله إني أخاف على أمتي ثلاثا حيف الأئمة والايامن بالنجوم والتكذيب بالقدر وإنما ذمه لأنه يلقي في النفوس أن الآثار التي تحدث عقب سير الكواكب مؤثرة بنفسها وقد بسط الكلام في ذلك في الإحياء قال في الزواجر والحاصل أن التعليم وسيلة إلى العلم فيجب في الواجب عينا في العيني وكفاية في الكفائي ويندب في المندوب كالعروض ويحرم في الحرام كالسحر والشعبذة قال بعض المفسرين لا يجوز تعليم الكافر قرآنا ولا علما ولا المبتدع الجدال ليجادل به أهل الحق ولا الخصم حجة يقطع بها مال خصمه ولا السلطان تأويلا يتطرق به إلى إضرار الرعية ولا نشر الرخص في السفهاء فيتخذوها طريقا لارتكاب المحظورات وترك الواجبات قال ﷺ لا تعلقو الدر في أعناق الخنازير يريد تعليم الفقه من ليس من أهله (و) منها (الحكم بغير حكم الله) قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وفي آية الظالمون وفي أخرى الفاسقون وفي الحديث يد الله على الأمير فإذا جار رفع الله يده عنه ويجاء بالإمام الجائر فيخاصمه الرعية فيقال له سد ركننا من أركان جهنم قال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً وقال ﷺ ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء لولا البهائم لم يمطروا وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلاطين ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلب عليهم عدوهم فاستنقذ بعض ما في أيديهم وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إلا جعل الله بأسهم بينهم وفي حديث لا يقدر الله أمة لا يقضى فيها بالحق وفي آخر جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي سنين سنة وقال ﷺ ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشي لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة قال في الدعوة التامة واعلم أن الولاية لأبد منهم والولاية في غاية الخطر فإن قاموا بما يلزمهم من حق الخالق والمخلوق سعدوا وإن ضيعوا ذلك هلكوا فعلى من تولى أمرا من أمور المسلمين قضاء أو غيره أن يحكم بينهم بالحق الذي أنزله الله فإن التمس عليه الأمر فلا بد له أن يتحرى ويحتاط في ذلك جهده حتى يتبين الحال له وإلا فيعدل إلى الصلح أم بمعناه ولا يجوز التحاكم إلى الطاغوت وهو كل ما يضاد الحق قال تعالى فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول الآية فإنها نزلت في يهودى ومنافق تخاصما إليه ﷺ وحكم على المنافق فلما خرجا قال المنافق انطلق بنا إلى عمر فأتياه فأخبره اليهودى بحكمه ﷺ وأنه لم يرضه فسأله عمر فقال نعم (93/2) فقال مكانكما فأخرج سيفه وضرب عنقه ومن كلام سيدنا القطب المجيب عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه ومن تأمل أحوال هذا الزمان وولاتهم وحكامهم وما يجرون عليه في أحكامهم وجدها بعيدة عن التأسيس على التقوى قريبة من التجرد على الفتوى فالأولى أن يتحفظ منهم ومن الدخول في أمورهم صيانة لنفسه ودينه عن الملام والاثام فلا يصدقهم ولا يكذبهم وإذا خاطبوه قال سلاما (و) منها (الندب) على الميت وهو تعديد محاسنه كواجبلاه واكفاه (و) كذا (النياحة) عليه وهى رفع الصوت بالندب وإفراط الرفع بالبكاء وإن لم يقترن بندب أو نوح وقد برئ رسول الله ﷺ من الصالقة أى الرافعة صوتها بالندب والنياحة وفى الحديث صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة زممار عند نعمة ورنة عند مصيبة ولا تصلى الملائكة على نائحة والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران أى

نحاس مذاب أو ما تداوى به الإبل أو غير ذلك ودرع من جرب وورد أن النوائح يجعلن صفيين في جهنم صف عن اليمين وصف عن اليسار وينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب وقد لعنهن ﷺ قال في الزواجر فقد ظهر بذلك أنهما من الكبائر كخمش الخد ولطمه وشق نحو الجيب وحلق أو نتف الشعر والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة وأما تقرير الشيخين أن شق الجيب والنياحة والصياح من الصغائر فمردود وقد ابتلى بذلك كثير من الناس في هذه الأعصار ومثل ذلك تغيير الزي عند المصيبة كأن يلبس ما لا يعتاد لبسه أصلاً أو على تلك الصفة وكترك شيء من لباسه والخروج بدونه على خلاف عادته بل هو أفحش وأقبح لإشعاره ظاهراً بالسخط وعدم الرضا بالقضاء أما البكاء السالم من ذلك كله فجائز قبل الموت وبعده ولكن الأولى بعده الترك إن أمكن وكرهه جمع (و) منها (كل قول يحث) أحداً من الخلق (على) نحو فعل أو قول شيء أو استماع إلى شيء (محرّم) في الشرع ولو غير مجمع على حرمة (أو) على ما (يفتر) هـ (عن) نحو فعل أو قول (واجب) عليه أو عن استماع إلى واجب في الشرع كأن ينشطه لضرب مسلم أو سبه أو لاستماع لنحو مزمارة أو يغبطه عن الصلاة أو عن رد السلام على من سلم عليه أو عن الاستماع لمن يعلمه ما وجب عليه تعلمه لأن ذلك من أوصاف المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف الآية وكفى بها زجراً لمن له أدنى تمييز وسيأتي أن ترك الأمر بالمعروف من الكبائر فكيف بالنهي عن المعروف والأمر بالمنكر فإنه أقبح وأشنع لما فيه من الإعانة على سخط الله وهو مذموم سواء كان فيه رضا الناس أم لا قال ﷺ من التمس رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخط الناس عليه ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه رضاه (و) منها (كل كلام يقدر) أي يؤدي إلى قدح أي ذم (في الدين أو في أحد من) المرسلين أو من (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام (أو في) أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم أو في أحد من (العلماء) إذ يجب علينا تعظيمهم والقيام بحقوقهم وقد تقدم أن بعض العلماء كفر من صغر عمامة العالم كأن قال عميمة فلان (أو) في شيء من (العلم) الشرعي أو آله (أو) في شيء من أحكام (الشرع) وذكره مع الدين تأكيد إذ هو بمعناه كما مر أول الكتاب والتفرقة في التسمية بالاعتبار (أو) في شيء من (القرآن) العظيم المنزل على سيدنا محمد ﷺ (94/2) (أو) في (شيء) آخر (من شعائر الله) كالْحج والصلاة والزكاة والكعبة والمساجد وقد مر الكلام على ذلك وأن بعضه ربما يجرّ إلى الكفر والعياذ بالله تعالى من ذلك كله (ومنها التزمير) بالمزمارة المعروف وهو من الكبائر كما في الزواجر وقد فسر مجاهد الصوت في قوله تعالى واستفز من استطعت منهم بصوتك بالمزمارة ويدخل فيه الصرنا وهي قسبة ضيقة الرأس متسعة الآخر يزمر بها في المواكب والحروب والكرجة وهي مثلها إلا أنه يجعل في أسفل القسبة قطعة نحاس معوجة يزمر بها في أعراس البوادي والرباب والكمنجة وإنما حرم ذلك لأن اللذة الحاصلة منه تدعو إلى الفساد كشرب خمر ولأنها من شعائر الفسقة والتشبه بهم حرام وليس في ذلك خلاف لأحد من الأئمة المعترين وأما خراف ابن حزم نجس العقيدة وأباطيل ابن طاهر الشنيعة فليسا بمعتبرين عند الأئمة ومن ثم بالغوا في تسفيهما وتضليلهما وأنها مذمومة السيرة والعقيدة وما نسبته ابن حزم لصاحب التنبيه من حله فباطل قطعاً إذ من علم بحال ذلك الإمام القانت قطع بأنه مفتر عليه وقد حكي الشيخان أنه لا خلاف في تحريم المزمارة العراقي وما يضرب به الأوتار وقال القرطبي ولم أسمع عن أحد ممن يعتبر قوله أنه يبيح ذلك كيف وهو شعار أهل الخمر والفسوق ومنتج الشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لا يشك أحد في تحريمه وتفسيقه (و) منها (السكوت عن الأمر و) عن (النهي عن المنكر) إن كان سكوته عن ذلك (بغير عذر) شرعي بأن كان قادراً أمناً على نفسه ونحو ماله قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض الآية قال القرطبي جعلهما الله فرقاً بين المؤمنين والمنافقين وقال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل الآية ففيها غاية التشديد ونهاية التهديد وقال ﷺ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلتقي الرجل فيقول ما هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعض ببعض وغير ذلك وقد مرّ بسط الكلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (و) منها (كتم العلم الواجب مع وجود الطالب) له قال تعالى إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات الآية قال ابن عباس وجماعة نزلت في اليهودي والنصاري وقيل في اليهودي لكتُمهم مفة سيدنا محمد ﷺ التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكتمان الدين يناسب استحقاق اللعن وقال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية قال في الزواجر وفي ذلك دلالة على أن من أمكنه بيان أصول الدين بالدلائل العقلية لمن كان محتاجاً إليها ثم تركها وترك شيئا من أحكام الشريعة مع الحاجة إليه فقد لحقه هذا الوعيد الشديد واللاعنون دواب الأرض وهوامها وقال ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار وفي رواية ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار وورد مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز ثم لا ينفق منه وورد ناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشدّ خيانة في ماله وإن الله سائلكم

(تنبيه) قد يجب الكتم وقد يجب الإظهار ففي ما لا يحتمله عقل الطالب ويخشى عليه منه (95/2) فتنة يجب الكتم وفي غيره إن وقع وهو فرض عين أو في حكمه وجب الإظهار وإلا ندب ما لم يكن وسيلة

لمحذور (و) منها (الضحك لخروج ريح) من شخص (أو على مسلم) من المسلمين أو ذمي إذا كان (استحقاقاً) به لما فيه من الإيذاء الغير المحتمل وإيذاء المسلم وكذا الذمي حرام بل كبيرة على أن مجرد الضحك مذموم مميت للقلب فكيف به إذا اشتمل على ما يؤذي المسلم أو الذمي من السخرية والاستحقار (و) منها (كتم الشهادة) بلا عذر قال تعالى ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم وقال ﷻ من كتم شهادة إذا دعى إليها كان كمن شهد الزور قال في الزواجر وهو من الكبائر كما صرحوا به وقيده الجلال البلقيني بما إذا دعى إليها لقوله تعالى ولا يأتي الشهداء إذا ما دعوا أما من كانت عنده شهادة لرجل وهو لا يعلم بها أو كان شاهداً في أمر لا يحتاج إلى الدعوة فلم يشهد بذلك ولم يعلم صاحب الحق حتى يدعى به فهل يسمى بذلك كتماناً فيه نظر وكلام الشيخين في الأداء دليل على أنه ليس قادحاً وفيه نظر كما قاله بعضهم والآية لا تدل لما قيد به فالأوجه أنه لا فرق (و) منها (نسيان) شيء من (القرآن) ولو حرفاً واحداً بعد أن حفظه قال ﷻ عرضت على أجور أمي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تيها رجل ثم نسيها وقال ﷻ ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله أحذم أي مقطوع اليد وقيل معنا أنه لا خير فيه ولا حجة له وقد عذبه الرافعي من الكبائر فلا يجوز لمن نسيه أن يشتغل بغيره قال في الزواجر ويؤخذ من قولهم نسيان آية منه كبيرة أنه يجب على من حفظه بصفة من إتقان أو توسط أو نحوهما أن كان يتوقف فيه أو يكثر غلظه فيه أن يستمر على تلك الصفة التي حفظه عليها فلا يحرم إلا نقصها من حافظته أما زيادتها وإن كانت مؤكدة ينبغي الاعتناء بها إلا أن تركها لا يوجب إثماً وحمل أبو شامة وابن الصلاح النسيان الوارد في الحديث على ترك العمل به قال ولا يبعد أن يكون من تهاون به حتى نسي تلاوته كذلك اهـ وهذا هو المتبادر من الأحاديث قال القرطبي لا يقال حفظ القرآن غير واجب عينا فكيف ذم من نسيه لأننا نقول من جمعه فقد علت رتبته وشرف في قومه وكيف لا وقد أدرجت النبوة بين جنبيه وصار ممن يقال فيه إنه من أهل الله وخاصته فحينئذ من المناسب أن تغلظ العقوبة على من أخل بمرتبته الدينية ومؤاخذته بما لا يؤاخذ به غيره وترك معاهدة الرآن يؤدي إلى الجهالة (و) منها (ترك رد السلام الواجب عليك) رده عينا بأن صدر ابتداءً من مسلم عاقل على مكلف وحده أو كفاية بأن صدر منه على جماعة مكلفين نعم لو كان المسلم أو المسلم عليه أنثى مشتهاة والآخر رجلاً ولا محرمية فلا يجب الرد حينئذ فإن سلم هو حرم عليها الرد أو هي كره له الرد ولا يجب الرد على فاسق ونحوه إن كان في تركه زجر له أو لغيره ويشترط اتصال الرد بالسلام كاتصال القبول بالإيجاب قال في الزواجر والمتجه ما صرح به بعضهم من أن ترك الرد صغيرة نعم إن احتف به قرائن تخيف المسلم إخافة شديدة وتؤذيه أذى شديداً لم يبعد حينئذ من كونه كبيرة لما فيه من الإيذاء العظيم الغير المحتمل (و) منها (القبلة المحركة) للشهوة لحيلته أو غيرها بالنسبة (للمحرم بنسك) سواء كان بحج أو عمرة أو مطلقاً فرضاً أو نفلاً (و) كذا (لصائم فرض) سواء كان رمضان أو غيره فتحرم إذا كانت بشهوة (96/2) ولا يبطل بها الفرض إن لم ينزل أما النفل فلا تحرم فيه لأنه يجوز إبطاله (و) تحرم أيضاً القبلة على الشخص (لأن لا تحل له قبلته) كامراً أجنبية وأمره (تتمة) من معاصي اللسان أيضاً التشبيب بغلام معين أو امرأة معينة والشعر المشتمل على هجو مسلم ولو بصدق وكذا إن اشتمل على فحش أو كذب فاحش والإطراء في الشعر بما لم تجر العادة به كأن يحمل الجاهل أو الفاسق عالماً أو عدلاً ليكسب منه به مع صرف أكثر وقته فيه ومبالغته في لزم والفحش إذا منع مطلوبه والله أعلم

(فصل ومن معاصي الأذن الاستماع) من المكلف (على كلام قوم) يكرهون اطلاعه عليه بأن علم أنهم (أخفوه عنه) قال تعالى ولا تجسسوا وقال ﷻ من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنه الأثك بالمد وضم النون الرصاص المذاب يوم القيامة وقال ﷻ ولا تنافسوا ولا تحاسدوا والتجسس بالحا والجيم معناه طلب معرفة الأخبار وقيل بالمهملة أن تتسمعها بنفسك وبالجيم أن تفحص عنها بغيرك وقيل الأول استماع حديث القوم والثاني البحث عن العورات وعلى كل ففي الآية والحديث النهي الأكيد عن البحث عن أمور الناس المستورة وتتبع عوراتهم وعن استراق ما يجري في دار جاره نعم إن أخبره عدل بأنهم مجتمعون على معصية كان له الهجوم عليهم بلا استئذان قاله الغزالي أما سماعه بلا قصد فلا يحرم كما يأتي (و) منها الاستماع (إلى) التزمير بنحو (المزمار) بكسر الميم (و) إلى الضرب بنحو (الطنبور) بضم الطاء كصنج بفتح أوله وهو صفر يجعل عليه أوتار يضرب بها أو قطعتان من صفر تضرب إحداها بالأخرى (و) كذا في شيء من (سائر) أي باقي (الأصوات المحرمات) المطربة وغيرها من الأوتار وغيرها لأن اللذة الحاصلة منها تدعو إلى فساد كشرب خمر ولأنها شعار أهل الفسق كما مر (و) من ذلك ما تقدم مما هو (كالغيبه والنميمة وسائر الأقوال المحرمة) إذ المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين ولله در من قال وأحسن في المقال

وعـد عـن الجـانب

المشتبه

كصـون اللـسان عـن

النـطق بـه

شـريك لـقـائلـه

تحـز مـن الطـرق

أوسـاطهـا

وسمـعك صـن عـن سمـاع

القبيح

فإنـك عـن د استمـاع

الرفي

14

إسعـ

فعلهم أنه إنما يحرم الاستماع إلى ذلك بالقصد {بخلاف ما إذا دخل عليه السماع قهرا له} عليه فإنه لا يحرم {و} لكن بشرط أن يكون قد {كرهه} بقلبه {و} إذا زال القهر عنه {لزمه الإنكار} لما يحرم منها بيده أو لسانه {إن قدر} عليه بذلك وإلا فيجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة المجلس الذي هو فيه إن كان جالسا فيه وأن يغضب لله تعالى على فاعليه

{فصل ومن معاصي اليد التطفيف في الكيل والوزن} قال تعالى ويل للمطففين أي شدة عذاب أو واد في جهنم لهم وفسرهم بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس أي منهم يستوفون حقوقهم منهم وإذا كالوهم أو زونوهم أي لهم من أموال أنفسهم يخسرون ينقصون ألا يظن أولئك أي الفاعلون ذلك أنهم مبعوثون ليوم عظيم أي هوله وعذابه {97/2} يوم يقوم الناس أي من قبورهم حفاة عراة غرلا لرب العالمين قال السدي نزلت في رجل له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتار بالآخر وقال لا أصحاب الكيل والوزن إنكم وليتم أمرا فيه هلكت الأمم السابقة قبلكم وعن ابن عمر أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا بليتتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط فيعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافكم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا نقص الله عنهم القحط وشدة المؤنة وجور السلطان الحديث وفي حديث ما نقص قوم المكيال والميزان إلا نقص الله عنهم الرزق قال العلماء وهو من الكبائر قال في الزواجر وهو ظاهر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ولذا اشتد الوعيد عليه وسمى فاعله مطففا لأنه لا يكاد يأخذ إلا الطفيف وهو نوع من السرقة والخيانة وينبئ فعله عن عدم المروءة بالكلية ولذا عوقب فاعله بالويل الذي هو واد في جهنم لو جعلت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره نعوذ بالله منه وقد شدد الله عقوبة قوم شعيب ﷺ بسبب بخسهم الكيل والوزن {و} مثل التطفيف في الكيل والوزن التطفيف في {الذرع} بأن يشد يده وقت البيع ويرخيها وقت الشراء وهو من تطفيف فسقة البزازين والتجار {و} منها {السرقة} بفتح السين وكسر الراء ويجوز إسكانها وهي أخذ المال خفية وهي من الكبائر اتفاقا قال في الزواجر وهو صريح الأحاديث كحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن وفي رواية إذا فعل ذلك فقد خلع ربة الإسلام من عنقه فإن تاب تاب الله عليه وحديث لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الأعمش كانوا يرون ثمن بيضة الحديد والحبل ثلاثة دراهم وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة قال والظاهر أنه لا فرق في كونها كبيرة بين الموجبة للقطع وغيرها إذا كانت لا تحل كأن سرق حصر مسجد فإنه يحرم لكن لا قطع بها لأن له فيها حقا ثم رأيت الهروي صرح به {و} يجب حد السارق الملتزم للأحكام لكن لا {يحد} إلا {إن سرق} وهو عالم بالتحريم مختار {ما} أي الذي {يساوي} إذا قوم {ربع دينار} من الذهب الخالص المضروب {و} كان قد سرقه {من حرزه} أي حرز مثله عرفا ويختلف باختلاف الأموال والأحوال والأوقات ولم تكن له شبهة فيه فلا يحد بسرقة حصر مسجد وقناديله ومال بيت المال وصدقة وموقوف وهو من المستحقين ومال بعضه أو سيده وكيفية حد تكون {بقطع يده اليمنى} من الكوع ولو سرق مرارا قبل القطع {ثم إن عاد} بعد قطع اليمنى إلى السرقة ثانيا {ف} بقطع {رجله اليسرى} من الكعب {ثم} إن عاد ثالثا فبقطع {يده اليسرى} من الكوع {ثم} إن عاد رابعا فبقطع {رجله اليمنى} من الكعب للحديث بذلك ثم إن عاد خامسا عزر كما لو سقطت أطرافه أولا ولا يقتل وما روى من قتله منسوخ أو مؤول بقتله إذا استحلها ويسن غمس القطع في دهن مغلى لتسند أفواه العروق {ومنها النهب} وهو أخذ المال جهارا {والغصب} وهو الاستيلاء على حق الغير ظلما وقد غلظ الشرع في حكم رده في الدنيا قال في الزواجر وهو من الكبائر لقوله ﷺ من ظلم قيد شبر من أرض أي قدره طوقه من سبع أرضين والأصح أن المراد أن الأرض تخسف به فتكون البقعة في عنقه كالطوق كما صرح به في حديث آخر ولقوله ﷺ {98/2} لا يحل لأحد أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه وقد تقدم بسط الكلام فيه {و} منها {المكس} وهو ما يؤخذ من التجار كالعشور وقد مر الكلام عليه وأنه من الكبائر {و} منها {الغلول} من الغنيمة وهو من الكبائر قال في الزواجر وهو اختصاص أحد الغزاة سواء الأمير وغيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلى الأمير ليخمسه وإن قل المأخوذ نعم يجوز التبسط بأخذ بعض مأكول له أو لدابته من مال الغنيمة قبل القسمة بشروط مذكورة في كتب الفقه ومثل ذلك الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين ومن بيت مال المسلمين ومن الزكاة ولا فرق في الغال منها بين كونه مستحقا أو لا لأن الظفر فيها ممنوع إذ لا بد فيها من النية فلو أفرز المالك قدرها ونوى لم يجز الظفر لتوقف ذلك على إعطاء المالك فكان باقيا على ملك ماله وذلك لقوله تعالى وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة الآية وقوله ﷺ لما توفي رجل من الصحابة صلوا على صاحبكم إن صاحبكم عل في سبيل الله ففتش متاعه فوجد فيه حرز ليهود لا يساوي درهمين وقوله ﷺ إن لم تغل أمتي لم يبق لها عدو أبدا وذكر ﷺ الغلول فعظمه ثم قال لا ألفين أحدكم أي أجده يوم القيامة على رقبتة بغير له رغاء فيقول يا رسول الله أغنني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم ثم ذكر الفرس والشاة والرقيق جمع رقعة ما يكتب فيها وأنها تخفق أي تتحرك والضائن وهو يقول ذلك ورسول الله ﷺ يقول له لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتكم وأتى ﷺ بنطح من الغنيمة ليستظل به فقال تحبون أن يستظل نبيكم بنطح من نار وورد من يكرم غالا أي يستر عليه فإنه مثله {و}

منها {القتل}- لمسلم أو ذمى معصوم عمداً أو شبه عمد قال تعالى ومن يفعل ذلك أى قتل النفس يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً وغير ذلك من الآيات الكثيرة وقال {الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وقال {لو أن أهل سماواته وأرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار وقال {قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا وقال {من قتل معاهداً وفى رواية قتيلاً من أهل الذمة لم يرح بفتح الراء أى لم يجد رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً وفى حديث سبعين عاماً وفى آخر خمسمائة وفى آخر ألف ويجمع بينها باختلاف وجدان ريحها باختلاف الناس ومراتبهم فإذا كان هذا فى قتل كافر مؤمن فى دار الإسلام فما ظنك بالمسلم ويكفى زاجراً عن ذلك واتعاضاً لمن له أدنى لبّ وعقل ما روى أن محلم بن جثامة لما قتل عامر بن الأضيظ الأشجعى وقد سلم عليه عاتبه {فى ذلك ولما مات ودفنوه لفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته ثم دفنوه فلفظته فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فقال {إن الأرض تقبل من هو شر منه ولكن أراد الله أن يعظكم فى حرمة ما بينكم بما أراكم {و}- حكم القتل فى الدنيا أنه {فى الكفارة مطلقاً}- سواء عمده وغيره {وهى عتق رقبة}- عبد أو أمة {مؤمنة}- لا كافرة قال تعالى فتحريّر رقبة مؤمنة {سليمة}- عن كل ما يخلّ بالعمل إخلالاً بيننا ولا يشترط لها سنّ معروف بل يكفى ولو ابن يوم {فإن عجز}- عن عتقها بأن لم يملكها ولا ثمنها فاضلاً عن كفايته وكفاية ممونه نفقة وغيرها باقى العمر الغالب كما نقله الجمهور {صام شهرين متتابعين}- كما مرّ فى كفارة {99/2} الظهار وليس هنا إ طعام {و}- يجب {فى عمده}- بأن قصد عين من وقعت عليه الجنائية بما يتلف غالباً جارحاً كان أو لا {القصاص}- إن كان القتل معصوماً بإيمان أو أمان فيهدر نحو حربى قتله مسلم معصوم والقاتل ملتزماً للأحكام فلا قود على نحو صبي ومجنون وحربى مكافئاً للقتيل حال الجنائية بأن لم يفضل يأسلام أو أمان أو حرية أو سيادة فلا يقتل مسلم بذى وحر بغيره ولو مبعوضاً {إلا إن عفى}- أى عفا ورثة القتل {عنه}- أى القاتل سواء كان عفوه عن {على الدية}- أو مال غيرها {أو مجاناً}- ولا يستوفى غير واحد منهم ياذن أو قرعة {و}- أما {فى الخطأ}- وهو أن لا يقصد عينه بالفعل كان زلق فوقه عليه {وشبهه}- أى الخطأ ويسمى شبه عمد أيضاً وعمد خطأ وعمد خطأ شبه عمد وهو أن يقصده بما لا يتلف فى الغالب كغرز يابرة فى غير مقتل أو بما يتلف لا غالباً ولا نادراً كضرب غير متوال فى غير مقتل وشدة نحو حرّ أو برد بنحو عصا أو سوط لمن يحتمل الضرب به فلا يجب فيها إلا {الدية وهى مائة من الإبل فى الذكر الحر}- المعصوم {المسلم ونصفها فى الأنثى الحرة المسلمة}- المعصومة ومثلها الخنثى إما الكافر فديته إن كان كتابياً معصوماً ثلث دية المسلم الذكر ثلث دية ذكر وغيره ثلث دية أنثى فإن كان مجوسياً أو نحو وثنى فثلث خمس دية المسلم كذلك {و}- اعلم أنها {تختلف صفاتها بحسب}- اختلاف كيفية {القتل}- فإن كان عمداً بأن عفى عليها أو شبهه مطلقاً أو خطأ وقع فى الأشهر الحرم أو فى ذى رحم محرم فمئلة ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون حوامل بقول عدلين أو خطأ لم يقع كذلك فمخمسة من كل من بنت لبون ومخاض وحقة وجذعة وابن لبون عشرون وتكون فى العمد من مال القاتل وفى غيره على العاقلة بتفصيل فى ذلك مؤجلة ثلاث سنين ويجب أيضاً القصاص فى الأطراف والجراحات على تفصيل فيه فى كتب الفقه

{تتمة}- من الكبائر قتل الإنسان نفسه لقوله {من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً وقوله {الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار وقوله {كان فيمن كان قبلكم رجل به جراح فجزع فأخذ سكيناً فجزّ بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله بادرني عبدى بنفسه وفى حديث قال ربكم قد حرمت عليه الجنة وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الصريحة فى أنه كبيرة قال وهو ظاهر وإن لم أر من تعرّض له والظاهر أنه يدخل فيه وفيما يترتب عليه من الوعيد قتل المهدر نفسه وقاطع الطريق المتحتم قتله لأن الإنسان وإن أهدر دمه لا يباح له إراقته بل لو أراقه لا يكون كفارة له لأنه {إنما حكم بالكفارة على من عوقب بذنبه وأما من عاقب نفسه فليس فى معنى من عوقب {و}- منها {الضرب}- لمسلم أو ذمى {بغير حق}- أى مسوّغ شرعى قال {من جرد ظهر مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان وقال {ظهر المسلم حمى إلا بحقه وقال {إن الله يغدر الذين يعذبون الناس فى الدنيا وفى رواية يعذبون وهى أعم من تعذيب الناس وغيرهم وقال {لا يقف أحدكم موقفاً يضرب فيه رجلاً ظلماً فإن لعنة الله تنزل على من حضره حيث لم يدفعوا عنه قال فى الزواج وكونه من الكبائر هو ما جرى عليه الشيخان وغيرهما وهو ظاهر لهذا الوعيد الشديد لكنهما قيدها بالمسلم واعترضه جمع بأن الوجه عدم التقيد {100/2} به ثم قال فالوجه أن ضرب المعصوم ونحوه المؤذى إيذاء له وقع كبيرة ثم رأيت الأذرعى ذكر ما يؤيده ومثل ضرب المسلم ترويعه والإشارة إليه بنحو سلاح قال {لما أخذ بعض الصحابة نعل بعض أصحابه فغيبها وهو يمزح ترويع المسلم ظلم عظيم وقال {من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة وقال {لما روع بعض أصحابه بأخذ شيء معه وهو نائم فانتبه ففزع لا يحل لرجل أن يروّع مسلماً وقال {لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لا مازحاً ولا جاداً وقال {من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه {و}- منها {أخذ الرشوة}- ولو بحق {وإعطاؤها}- بباطل ومثلها السعى فيهما بين الراشئ والمرتشئ قال تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام الآية قال المفسرون ليس المراد الأكل خاصة ولكن لما كان هو المقصود الأعظم من الأموال خصه والمراد من الإدلاء فى الآية الإسراع بالخصومة فى

الأموال وقد لعن رسول الله ﷺ الراشئ والمرتشئ والرائش وهو الساعى بينهما وورد أنهما فى النار وما من قوم تظهر فيهم الرشأ إلا أخذوا بالرعب قال فى الزواجر وإنما قيدت الثانية بباطل لقولهم قد يجوز الإعطاء ويحرم الأخذ كالذى يعطاه الشاعر خوفاً من هجوه فإن إعطاءه جائز للضرورة وأخذه حرام لأنه بغير حق وإن المعطى كالمكره فمن أعطى قاضياً أو حاكماً رشوة أو أهدي إليه هدية فإن كان ليحكم له بباطل أو ليتوصل بها لنيل ما لا يستحقه أو لأذية مسلم فسق الراشئ والمهدى بالإعطاء والمرتشئ والمهدى إليه بالأخذ والرائش بالسعى وإن لم يقع حكم منه بعد ذلك أو ليحكم له بحق أو لدفع ظلم أو لينال ما يستحقه فسق الأخذ فقط ولم يأت المعطى لاضطراره للتوصل لحقه بأى طريق كان وأما الرائش هنا فيظهر أنه إن كان من جهة المعطى فإن حكمنا بفسقه فسق وإلا فلا ولا فرق فى الرشوة المفسقة بين كثيرة المال وقليلته ولا تختص بالقضاة قال ﷺ من شفع لرجل شفاعاً فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا قال الشافعى إذا أخذ القاضى الرشوة على قضائه فقساؤه مردود وإن كان بحق والرشوة مردودة وإذا أعطى القاضى على القضاء رشوة فولايته باطلة وقضاؤه مردود وليس من الرشوة بذل المال لمن يتكلم له مع السلطان مثلاً فى أمر جائز فإنه جعالة جائزة (و) منها (إحراق الحيوان) بالنار سواء كان مأكولاً أو غيره صغيراً أو غيره للحديث الصحيح إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار وأن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما قال ابن مسعود ﷺ رأى رسول الله ﷺ قرية نمل أى مكانها قد حرقناها فقال من حرق هذه ؟ قلنا نحن فقال رسول الله ﷺ إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا ربيها فهو حرام مطلقاً (إلا إذا تعين) الإحراق بها (طريقاً فى الدفع) عنه قال فى الزواجر وهو من الكبائر على الإطلاق سواء كان مأكولاً أو غيره صغيراً أو كبيراً كما فى الروضة وأصلها عن صاحب العدة وتوقف الأذرعى تبعاً للرافعى فى إطلاقه قال بعضهم والوجه الأول قال البلقينى ولم يتعرض النووى لتوقف الأذرعى فكانه ارتضاه ويظهر أن يقال الفواسق الخمس لا يمنع فيهن الإحراق إذا تعين طريقاً لإزالة ضرره وأما غيرها من آدمى وحيوان آخر ولو غير مأكول فقد يحرم بكونه كبيرة لخبر مسلم إن ابن عمر ﷺ (101/2) مَرَّ بنفر نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوه تفرقوا عنها فقال من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا فالتعذيب بالنار كالتعذيب باتخاذها غرضاً أو أشدّاه

(تنبيه) ظاهر قول الزواجر وأما غيرها إلخ أنه يكون كبيرة وإن تعين طريقاً فى الدفع وظاهر كلام المصنف خلافه فليحرق (و) منها (المثلة بالحيوان) أى تقطيع أجزائه وتغيير خلقته وهى من الكبائر قال ﷺ من مثل بنى روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيامة ومَرَّ بحمار وسم فى وجهه فقال لعن الله الذى وسمه ونهى ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه وأعلم أن جمعا أطلقوا أن تعذيب الحيوان كبيرة ولما قتل العربيون راعى إبل الصدقة واستاقوها بعث ﷺ إليهم وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكحل عيونهم بمسامير محمأة بالنار أنزل الله نسخ المثلة والكحل بقوله إنما جزاء الذين يحاربون الآية وقال أبو الزناد ولما فعل ﷺ ذلك أنزل الله الحد ونهاه عن المثلة وعن قتادة بلغنا أنه ﷺ كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة (و) منها (اللعب بالنرد) ويسمى النردشير بالشين المعجمة والراء نسبة لأول ملوك الفرس لأنه أول من وضع له وهو حرام كما فى الأم وجرى عليه الأصحاب والشيخان وغيرهما وقيل مكروه وزيف بأن الأخبار صريحة فى التحريم بل فى كونه كبيرة فلا يعوّل عليه كيف وقد نقل القرطبى اتفاق العلماء على تحريم اللعب به قال ﷺ من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه وقال ﷺ من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وقال ﷺ مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقليح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى أى فلا تقبل صلاته كما صرح به رواية أخرى وحكمة تحريمه أن فيه حزراً وتخميناً فيؤدى إلى التخاصم والفتن التى لا غاية لها ففطم الناس عنه حذراً من الشرور المترتبة عليه وكل ما كان كذلك فهو حرام وأما اللعب بالشطرنج فالمعتمد عندنا أنه مكروه وحرام عند الأكثر وكذا عندنا إن لعبه مع من يعتقد تحريمه أو اقترن به قمار أو إخراج صلاة عن وقتها أو سباب أو نحو ذلك من الفواخش الغالبة على أهله وما ورد من الأحاديث الدالة على التحريم فليس فيها حديث صحيح ولا حسن بل أقلها الضعيف وأكثرها المنكر كما قاله الحفاظ ولذا قال الحافظ ابن حجر العسقلانى وغيره لم يثبت فى الشطرنج عن النبى ﷺ شئ وما ورد عن بعض الصحابة من ذمه فغير صحيح كما بينه ابن حجر فى كفاى الرعاى قال فيه وقياسه على النرد ممنوع للفرق بينهما إذ هو موضوع لصحة الفكر وصواب التدبير ونظام السياية فهو معين على تدبير الحروب والحساب والنرد موضوع لما يشبه الأزام (و) منها اللعب بنحو (الطاب) من كل ما فيه حزر وتخمين وهو أن يأخذ أربع قصبات أو جريدات لكل واحدة بطن وظهر فيرمى بها ثم ينظر كم فيها بطناً وكم فيها ظهراً ثم يترتب عليه ما اتفقا عليه أو اقتضته قاعدة هذا اللعب فليس فيه اعتماد على حساب ولا فكر البتة وإنما هو على ما تخرجه تلك من ظهر وثلاثة بطون أو عكسه أو بطنين وظهرين أو محض بطون أو عكسه وجزم الأذرعى بحرمة كالنرد وهو واضح جلى لا غبار عليه واعتمده الزركشى وغيره ومثله اللعب بالكنجفة كما صرح به فى الخادم لأنه ليس العمدة فيه إلا على الخزر والتخمين كالطاب قال الأذرعى عن بعض متقدمى أصحابنا (102/2) ومما أظهره المردة من الترك فى هذه الأعصار أوراق بنقوش يسمونها كنجفة يلعبون بها فإن كان بعوض فقمار وإلا فهى كالنرد ونحوه لما سبق من التوجيه (و) منها اللعب بنحو ذلك من (كل ما فيه قمار) وصورته المجمع عليها أن يخرج العوض من الجانبين مع تكافئهما وهو المراد من الميسر فى الآية ووجه حرمة أن كل واحد متردد بين

أن يغلب صاحبه فيغتم أو يغلبه صاحبه فيغرم فإن عدلا عن ذلك إلى حكم السبق والرمى بأن ينفرد أحد اللاعبين بإخراج العوض ليأخذ منه إن كان مغلوبا وعكسه إن كان غالبا فالأصح حرمة أيضا والفرق بينه هنا وبين جوازه في المسابقة أن الغرض فيها الحذق في الفروسية والرمية بخلافه في نحو الشطرنج إذ ليس فيه كبير غرض وإذا قام لم يلزم المال المشروط فإن أمسكه ولم يردّه فسق وردت شهادته لأنه غاصب سواء الصورة الأولى والثانية فإن لم يأخذه لم يفسق بالثانية للخلاف فيها وكذا بالأولى إن قطع فيها بأن أحدهما غالب لزوال صورة القمار حينئذ فكل ما فيه قمار حرام -حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب- ونحوهما بمعنى أنه يحرم على آبائهم تقريرهم على ذلك ويجب عليهم منعهم منه أما بالجوز فإن كان فيه قمار فبالإجماع وإلا فجزم بعض أصحابنا بالتحريم وقال شريح الروياني إنه أخف من اللعب بالحمام والشطرنج قال في كفّ الرعاع وحقيقة اللعب بالخاتم والجوز والمداحاة لا أعرفها ولكن قد علمت أن الضابط الذي عليه المعوّل أن ما كان معتمده الحساب والفكر حلال وما كان معتمده الحزر والتخمين حرام فإن وجد في شيء من ذلك حزر وتخمين فحرام على المعتمد وأما بالكعاب فلقوله ﷺ من لعب بالكعاب فقد عصى الله ورسوله وقال إياكم وهاتان الكعبتان المرسومتان اللتان تزجران زجرا فإنها من الميسر

-تنبيه- ما المراد بالكعاب وفي لسان العرب الكعاب فصوص النرد وفي الحديث أنه كان يكره الضرب بالكعاب واحدا كعب وكعبة واللعب بها حرام وكرهها عامة الصحابة -اه- وفي شرح الموطأ للزرقاني حاشية السيوطي على أبي داود أن المراد بها في الأحاديث النرد فليراجع وليحرر -و- منها -آلات الله والمحرمات كالطنبور والرياب والمزمار- بل -و- جميع -الأوتار- قال في كفّ الرعاع عن الدنوقي قد علم من غير شك أن الشافعي حرم سائر أنواع المزامير والشبابة من جملة ما حرمت هذه الأشياء لما فيها من الصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ومفارقة التقوى والميل إلى الهوى والانغماس في المعاصي وأطال في تقرير التحريم وأنه الذي درج عليه الأصحاب من لدن الشافعي إلى آخر وقته من البصريين والبغداديين والخراسانيين والشاميين ومن سكن الجبال وما وراء النهر واليمن كلهم يستدل بقصة ابن عمر ﷺ يعني حديث زمارة الراعي وقد بسطها ﷺ بما تنبغى مراجعته -و- منها -لمس- جزء من بدن المرأة -الأجنبية- إذا كان ذلك -عمدا- و -بغير حائل- مطلقا بشهوة -أو- بغير شهوة وإذا كان -به بشهوة- حرم -ولو مع- اتحاد -جنس- كرجل مع مثله وامرأة كذلك -و- كذا مع -محرمية- كآخته وأمه لورود الحديث بأن زنا اليد البطش بها ومثل الأجنبية في ذلك الأمر وقد عدّ لمسهما في الزواجر من الكبائر -و- منها -تصوير الحيوان- على أي شيء كان من معظم أو ممتن بارض وغيرها ولو بصورة لا نظير لها كفرس له أجنحة قال عكرمة **(103/2)** المراد من الذين يؤذون الله ورسوله في قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذابا مهينا المصوّنون وقال ﷺ إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم وقال ﷺ يا عائشة أشدّ الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله وقال ﷺ إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة وقال ﷺ كل مصور في النار يجعل الله له بكل صورة صورها نفسا تعذبه في جهنم وقال ﷺ قال تعالى ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى فيخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة وورد إن المصور يعذب حتى تنفخ فيما صوره الروح أي وليس يحصل ذلك فهو معذب أبدا وإنه يخرج عنق من النار له عينان يبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بمن جعل مع الله إلها آخر وبكل جبار وبالمصورين والمراد بالملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ملائكة الرحمة والبركة لا الحفظة وبالصورة كل مصور من ذوات الروح سواء كان شخصا منتصب أو منقوشة في سقف أو جدار أو منسوجة في ثوب أو غير ذلك وهو من الكبائر كما تصرح به هذه الأحاديث وغيرها قال في الزواجر ومن ثم جزم به جماعة وهو ظاهر وجرى عليه في شرح مسلم وتعميمي في الترجمة الحرمة بل والكبيرة للأقسام كلها التي أشرت إليها ظاهر أيضا فإن الملحظ في الكل واحد ولا ينافيه قول الفقهاء ويجوز على أرض وبساط ونحوهما من كل ممتن لأن المراد بذلك أنه يجوز إبقاؤه ولا يجب إتلافه وإذا كان في محل وليمة لا يمنع وجوب الحضور وأما فعله لدى الروج فحرام مطلقا وإن أغفل من الصورة أعضائها الباطنة أو الظاهرة مما توجد الحياة مع فقدته ثم رأيت في شرح مسلم ما يصرح بما ذكرته فإنه قال ما حاصله تصوير الحيوان حرام من الكبائر للوعيد الشديد سواء صنعه لما يمتن أو لغيره إذ فيه مضاهاة لخلق الله وسواء كان ببساط أو ثوب أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو مخدة أو نحوها وأما تصوير صور الشجر ونحوها مما ليس بحيوان فليس بحرام وأما المصور صورة حيوان فإن كان معلقا على حائط أو ملبوس كثوب أو عمامة أو نحوها مما لا يعد ممتنا فحرام أو ممتنا كبساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها فلا يحرم لكن الأظهر أنه يمنع دخول ملائكة الرحمة البيت لإطلاق الخبر ولا فرق بين ما له ظل وما لا ظل له هذا تلخيص مذهب جمهور علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم كالشافعي وأبي حنيفة ومالك والثوري وغيرهم وأجمعوا على وجوب تغيير ما له ظل قال القاضي إلا ما ورد في لعب البنات الصغار من الرخصة ولكن كره مالك شراء ذلك لبنته وادعى بعضهم أن إباحة اللعب لهن بها منسوخ بما مر -اه- -و- منها -منع الزكاة- أي ما يجب إخراجها من الأموال الزكوية بجميع أنواعها السابقة سواء كان المنع لكلها -أو بعضها- وكذا تأخير إخراجها إلى ما -بعد- وقت -الوجوب- والتمكن- من إخراجها إذا كان لغير عذر شرعي -أو- لم يمنعها بالكلية بأن أخرجها ناقصة الشروط كأن وقع منه -ما لا يجزئ- فيه إخراجها ولو كان

أكثر قيمة مما يجزئ - (وإعطاؤها من لا يستحقها) - من الأصناف الثمانية المارة لأنه كأنه لم يخرجها وكم ورود في ذم مانعها من الآيات والأخبار قال تعالى ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فسامهم مشركين وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية (104/2) وقال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقال ﷺ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره أى ويوسع جسمه لها وإن كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار الحديث وذكر فيه أن صاحب الإبل تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أولها ردّ عليه آخرها وأن صاحب الغنم والبقر تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كذلك وقال ﷺ ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جاءت يوم القيامة شجاعا أى حية من نار فتكوى بها جبهته وجبينه وظهره وفى حديث إن صاحب الكنز يأتيه كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أناه فرّ منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فانا غنى عنه فإذا رأى أنه لا بدّ له منه سلك أى أدخل يده فى فيه فيقضمها فضم الفحل قال فى الزواجر وقد أجمعوا على أن منع الزكاة من الكبائر لما ورد فيه من أنواع الوعيد الشديد وظاهر كلامهم أنه لا فرق بين منع قليلها وكثيرها لكن ذكروا فى الغصب ونحوه التقييد بنصاب السرقة قيل فيحتمل أن يقال هنا بمثله لكن لا مستند له ولو سلمنا ما ذكره فى الغصب فلا نقول به هنا لأن الزكاة مفوضة إلى المالك فلو سُمح فى منع البعض بأنه غير كبيرة آداه المنع الكلّ كما قالوه فى أن شرب قطرة من خمر كبيرة مع تحقق عدم الإسكار بها وعللوه بأنه يؤدي لشرب الكثير فاتضح عدم الفرق بين منع القليل والكثير فى كونه كبيرة وأما عدّ تأهيرها بعد الوجوب والتمكن فصريح من قوله ﷺ لاوى الصدقة أى مؤخر الزكاة من جملة الملعونين على لسان محمد ﷺ (و) منها (منع) - نحو المستاجر نحو (الأجير أجرته) - وهو من الكبائر لقوله ﷺ قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى أى أعطى العهد باسمى واليمين بى ثم غدر أى نقض العهد الذى عليه ولم يف به ورجل باع حرّاً أى عالماً متعمداً فأكل ثمنه وخص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود ورجل استاجر أجيراً فاستوفى منه أى العمل ولم يعطه أجره وهذا كاستخدام الحرّ لأنه استخدمه بغير عوض فهو عين الظلم قاله القسطلانى وقوله ﷺ أعطوا الأجير أجره قبل أن يفترقه عرقه قال فى الزواجر وعدّه من الكبائر ظاهر معلوم مما مرّ فى الغصب ومطل الغنى ولورود هذا الوعيد الشديد فيه بخصوصه أفردته بالذكر ثم رأيت بعضهم عدّه وأفردته (و) منها (منع المضطر) - سواء القريب والمولى وغيرهما ولو ذمياً ومستأثماً - (ما يسدّ) - (ه) - من كسوة عار بما يستر عورته أويبقى بدنه من مضرّ - له وإطعام جائع بما يسدّ حاجته ولا يجب ما يكفيه وذلك لأنه يجب دفع ضرر المعصوم ولو ذمياً فيجب على غير مضطرّ إطعام المضطرّ حالاً وإن كان يحتاجه بعد كما فى الروضة فى باب الأطعمة لكن ببدل ويجب على من عنده زيادة على كفايته وكفاية ممونه سنة إطعام محتاج غير مضطرّ وإذا سأل قادراً على دفع ضرره لم يجز له الامتناع وإن وجد قادراً آخر لئلا يؤدّى -ى إلى التواكل قاله فى التحفة وفى الزواجر إنه من الكبائر مطلقاً لكنه للمولى والقريب الذى تلزمه نفقته أشدّ - وأقبح من مطلق قريب ولسائر القريب أقبح وأشدّ - من غيره لأمر ذكرها وذلك لقوله ﷺ ما من ذى رحم يأتى ذو رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله (105/2) - إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله من جهنم حية يقال له شجاع يتلمظ فيطوق به والتلمظ تطعم ما يبقى فى الفم من أثر الطعام ولقوله ﷺ والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة يحتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة وقال ﷺ لا يسأل رجل مولاه من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دعى يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعاً أقرع والأقرع الذى لا شعر برأسه من شدة سمه كما قاله أبو داود (و) منها (عدم إنقاذ) - نحو (غريق) - معصوم لأنه من باب دفع الضرر عن المعصوم وهو واجب على كل من قدر عليه فيحرم كل من منع المضطرّ وعدم إنقاذ نحو الغريق على من كان قادراً على دفع ضررها وتركه (من غير عذر) - له (فيهما) - أى فى ترك دفع ضررها أما إذا كان غير قادر عليه أو له عذر منعه من ذلك فلا يحرم عليه

(تنبيه) - قال فى التحفة محمل قولهم لا يلزم المالك بذل طعامه لمضطرّ إلا ببذله إذا لم يكن غنياً تلزمه المواساة فلا ينافيه أنه يجب على من عنده زيادة عن كفاية سنة دفع ضرر محتاج غير مضطرّ مجاناً أو يقال إن غرض إحياء النفوس فى الدفع للضرر أوجب حمل الناس عليه عدم تكليفهم به مجاناً وإلا لامتنعوا منه وإن عصوا فيؤدّى إلى أعظم المفسدتين بخلاف الدفع لمحتاج غير مضطرّ فإنه لا فوات للنفس فلا موجب لمسامحتهم فى ترك المواساة وهذا هو الوجه فالحاصل أنه يجب البذل للمحتاج بلا بدل مما زاد على كفايته سنة وللمضطرّ مما لم يحتاجه حالاً ولو فقيراً لكن ببدل (و) منها (كتابة ما يحرم النطق به) - قال فى البداية لأن القلم أحد اللسانين فاحفظه عما يجب حفظ اللسان منه أى من غيبة وغيرها فلا يكتب به ما يحرم النطق به من جميع ما مرّ - وغيره وفى الخطبة وكاللسان فى ذلك كله أى ما ذكر من آفات اللسان والقلم إذ هو أحد اللسانين بلا جرم أى شك بل ضرره أعظم وأدوم فليصن الإنسان قلمه عن كتابة الحيل والمخدعات ومنكرات حادثات المعاملات وفى فتاوى العلامة ابن قاضى أن رجلاً صنف كتاباً سماه النكت الظراف فيمن ابتلى بالعايات من الأشراف وذكر فيه جمعا من أهل مصر كفلان أقرع أصلع وهو غيبة محرمة وزعمه أنه موعظة زعم باطل بل هو تسويل من الشيطان فعلى والى الأمر زجره ومحو القبايح التى اشتمل عليه مؤلفه وتقطيعه

وبعد ذلك فإن رجوع عن ذلك وإلا عزز تعزيرا بليغا وإن كان من ذوى الهيئات لاشتغال مؤلفه على كبيرة بل كبائر وإقالة ذوى الهيئات عثراتهم محله فى الصغيرة وقد قال بعض مشايخ شيوخوا إنه لا يجوز للمؤرخ ذكر ما لا تعلق له بالجرح إذ لا يترتب عليه أمر دينى فذكره غيبة شديدة التحريم وفسق وإن كان فى غير أهل العلم والقرآن لغير مسوغ شرعى وتأمل أدب الشافعى مع فاطمة ؓ حيث قال فى حديث لو سُرقت فاطمة إلخ لو سُرقت فلانة مرة شريفة لقطعت يدها فكفى عن اسمها وإن كان أبوها سماها باسمها (و)- منها (الخيانة)- فى كل ما ائتمن فيه كوديعة ومرهون ومستأجر وغير ذلك وهى من الكبائر (وهى ضد - النصيحة فتشمل الأفعال والأقوال والأحوال)- قال تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فهى وإن نزلت فى مفتاح لكعبة عامة فى جميع الأمانات كما قاله ابن عازب وابن مسعود وأبى بن كعب قالوا والأمانة فى كل شىء فى الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والكيل والوزن والودائع قال ابن عباس ؓ لم يرخص لمعسر ولا لموسر أن (2/106) يمسك الأمانة قال بعضهم معاملة الإنسان إما مع ربه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات ولله فى كل عضو من أعضاء الإنسان أمانة فأمانة اللسان أن لا يستعمله فى كذب أو غيبة أو نميمة أو بدعة أو فحش أو نحوها والعين أن لا ينظر بها إلى محرّم والأذن أن لا يصغى بها إلى سماع محرّم وهكذا سائر الأعضاء وإما مع الناس فبنحو ردّ الودائع وتركه التطفيف فى كيل أو وزن أو ذرع وعدل الإمام فى الرعية والعلماء فى العامة بأن يحملهم على الطاعات والأخلاق الحسنة والاعتقادات الصحيحة وينهاهم عن المعاصى وسائر القبائح كالتعصبات الباطلة والمرأة فى حق زوجها بأن لا تخونه فى فراشه أو ماله والقنّ فى حق سيده بأن لا يقصر فى خدمته أو يخونه فى ماله وقد أشار ؓ لذلك كله بقوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وإما مع النفس فبأن لا يختار لها إلا الأنفع والأصلح فى الدين والدنيا وأن يجتهد فى مخالفة شهواتها وإرادتها فإنها السم الناقع أى المهلك لمن أطاعها فى الدنيا والآخرة قال أنس ما خاطبنا ؓ إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية نزلت فى أبى لبابة حين بعثه ؓ لبنى قريظة وأهله وماله فيهم فقالوا له ما ترى أن ننزل على حكم محمد فأشار بيده لحلقه أى إنه الذبح فكانت منه خيانة لله ورسوله قيل وخيانة الله ورسوله معصيتهما وليتأمل قوله تعالى إن الله لا يهدي كيد الخائنين فإن معناه لا يرشد كيد من خان أمانته بل يحرمه هدايته فى الدنيا ويفضحه على رؤوس الأشهاد فى العقابى فالخيانة قبيحة فى كل شىء إلا أن بعضها أقبح من بعض إذ من خان فى فلس ليس كم خان لأهل وقد عظم الله أمر الأمانة فقال إنا عرضنا الأمانة الآية وورد أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل فى سبيل الله فيقال آذ أمانتك فيقول رب كيف وقد ذهب الدنيا فيقال انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له الأمانات كهياتها يوم دفعت إليه فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهوى فى أثرها أبد الأبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وعدد أشياء وأشدّ ذلك الودائع

(فصل ومن معاصى الفرج الزنا)- أعادنا الله منه بكمه وهو من الكبائر كما فى الزواجر لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا وقوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة الآية وقوله ؓ لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وقوله ؓ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا فى إحدى ثلاث زنا بعد إحصان فإنه يرجم الحديث وقوله ؓ تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى من يدعو بدعوة إلا استجاب الله ؓ له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا وقوله ؓ الزناة تشعل وجوههم نارا وقوله ؓ إذا زنى الرجل أخرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الإيمان وفى حديث من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه وروى أن راهبا عبد الله ستين سنة فنزل من صومعة ليزداد خيرا ومعه رغيفان فلقى امرأة فتكلم معها ثم غشيها فنزل غديرا ليستحم فجاء سائل فأعطاه الرغيفين ثم (2/107) مات فوزنت عبادته بالزنية فرجحت بها الزنية ثم وضع الرغيفان مع عبادته فرجحت بالزنية فغفر له وفى حديث إن السموات والأرض السبع تلعن الشيخ الزانى وإن فروج الزناة ليؤذى أهل النار نتن ريحها وقال ؓ لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهن ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب وقال ؓ إذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة وقال ؓ ما ظهر فى قوم الزنا والربا إلا أحوالوا بأنفسهم عذاب الله وورد إن فى جهنم واديا فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة سم تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسده يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم تهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصدید ثم اعلم أنه على ثلاث مراتب الأولى بأجنبية خلية عن نحو الزوج وهو عظيم أمره كما علمت والثانية بنحو متزوجة وهو أعظم فاحشة وقبحا والثالثة بمحرم وهو أقبح وأقبح وهو من الشيب أقبح منه من البكر بدليل اختلاف حديثهما كما يأتى ومن الشيخ أقبح منه من الشاب لكمال عقله ومن الحرّ أقبح منه من القنّ ومن العالم أقبح منه الجاهل قال ؓ وقد سئل أى الذنب أعظم أن تجعل لله نداً وهو خلقك ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ثم أن تزانى حيلة جارك وقال ؓ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل أى فقير مستكبر وفى حديث أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزانى والإمام الجائر وفى آخر ثلاثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزانى والإمام الكذاب والعائل المزهو

{و}- منها {اللواط}- وهو أعظم من الزنا بدليل قول مالك وأحمد ﷺ يرمج اللوطى ولو غير محصن بخلاف الزانى غير المحصن وقول جماعة يشدد فى حده ما لم يشدد فى حد الزانى وفى الإحياء إن الزنا أشد لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم ضرره أى لأنه يترتب عليه اختلاف الأنساب وأجيب عن الأول قد يوجد فى المفضل ما لا يوجد فى الفاضل وفيه ما فيه وكم ورد فى ذمه والتشديد فيه قال ﷺ إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط وقال ﷺ إذا كثر اللوطية رفع الله ﷻ يده عن الخلق فلا يبالى فى أى واد هلكوا وقال ﷻ لعن الله من عمل قوم لوط ثلاثا وهو من عملهم كما قصه الله علينا فى غير ما آية تحذيرا لنا أن نفعل فعلهم فيصيبنا ما أصابهم قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها الآية أى أمرنا جبريل فاقتلعها وصعد بها على طائفة من جناحه إلى أن سمع أهل السماء أصوات حيواناتهم ثم قلبها وأمطر الله عليهم حجارة من طين محرق متتابعة مكتوب على كل واحد اسم من يصيبه قيل والمراد بقوله وما هى من الظالمين ظالمو هذه الأمة أنهم إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك ولم يجمع الله على أمة من العذاب ما جمع على قوم لوط فإنه طمس على أبصارهم وسود وجوههم وأمر جبريل بقلع قراهم من أصلها ثم قلبها ليصير عاليها سافلها ثم خسف بهم ثم أمطر عليهم حجارة من السماء واجتمعت الصحابة ﷺ على قتل فاعل ذلك وإنما اختلفوا فى كيفية قتله كما يأتى وقال مجاهد من أتى صبيا فقد كفر وقال ابن عباس ﷺ إن اللوطى إذا مات من غير توبة مسخ فى قبره خنزيرا وقيل فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون {108/2} وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث وقال بعضهم النظر بشهوة إلى المرأة والأمرد نهى عنه ﷺ بقوله زنا العين النظر وقد بالغ الصالحون فى الإعراض عن المرد والنظر إليهم ومخالطتهم ومجالستهم قال أن ذكوان لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء بل منهم من يفوق النساء لحسنه فالتنة به أعظم وأقاويل السلف فى التنفير عنهم والتحذير منهم ومن رؤيتهم أكثر من أن تحصى وقد مرّ بعض ذلك وأنهم مسوهم الأثنان إن الزنا لما كبر مقنا وساء سبيلا جعل الله عقابه وببلا أى شديدا {و}- هو أن فاعله محصنا أو غير محصن {يحد}- وجوبا فيحد {المحصن}- بالوطء فى نكاح صحيح المكلف ومثله سكران متعدّ {ذكرنا}- كان {أو أنى بالرجم بالحجارة}- ونحوها من طين وغيره {المعتدلة}- ندبا بأن تكون كل واحدة ملء الكف نعم يحرم بمذفف لفوات المقصود من التنكيل وبصغير ليس فيه كبير تأثير لطول التعذيب به وليس لرجمه حد بل يرمج {حتى يموت}- إجماعا لأنه ﷺ رجم ماعز والغامدية ولا يجلد مع الرجم عند جماهير العلماء {و}- يحد {غيره}- أى المحصن بأن كان مكلفا بكرا لم يطأ فى نكاح صحيح ومثله السكران المتعدى ذكرا كان أو أنى {بمائة جلدة}- للآية سمي بذلك لوصوله للجلد {وتغريب سنة}- هلالية لخبر مسلم به إلى مسافة القصر من محل الزنا فما فوقها مما يراه الإمام بشرط أمن الطريق والمقصد على الأوجه وأن لا يكون بالبلد طاعون لحرمة دخوله وإذا عين الإمام جهة امتنع عليه طلب غيرها وعطف بالواو لإفادته أنه لا ترتيب بينهما وإن كان تقديم الجلد أولى فيعتدّ بالعكس وإن نازع فيه الأذرعى وغيره وعبر بالتغريب ليفيد أنه لا بد من تغريب الحاكم فلو غرب نفسه لم يكف إذ لا تنكيل فيه وابتداء السنة من ابتداء السفر ويصدق أنه مضت له سنة حيث لا بينة ويحلف ندبا إن اتهم ويغرب غريب من بلد الزنا لغير بلده فإن عاد لبلده منع فى الأصح ولا تغرب امرأة إلا مع نحو محرم فى الأصح ولو بأجرة ولا يجبر أن امتنع هذا كله بالنسبة {للحر}- المكلف الكامل وما ألحق به كما مرّ {و}- أما غيره ولا يكون إلا غير محصن فيكون حده ب- {نصف ذلك}- الحد والتغريب فيكون بالنسبة {للرقيق}- خمسين وتغريب نصف عام والمراد به من فيه رق وإن قلّ سواء الكافر وغيره ولا يمتب الزنا إلا ببينة تفصل المزنى بها وكيفية الإدخال ومكانه ووقته كأن شهدت أنه أدخل حشفة أو قدرها فى فرج فلانة بمحل كذا على سبيل الزنا أو يقرر حقيقى مفصل كما مرّ {ومنها إتيان البهائم ولو}- كانت {ملكه}- قال ﷺ ملعون من أتى شيئا من البهائم وقال ﷺ أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال وقال ﷺ من أتى البهيمة فاقتلوه واقتلوها معه لكن قال الخطابى قد عارض هذا الحديث نهيه ﷺ عن قتل الحيوان إلا لمأكله وما قاله صحيح فلا تقتل غير المأكولة ولا تذبح المأكولة خلافا لمن زعمه ولا حد بوطء بهيمة فى الأصح لأنها غير مشتهاة

{تنبيه}- اختلف فى حد اللائط والملوط فقيل إن حد الفاعل حد الزنا وهو الأظهر عندنا ويحكى عن أبى يوسف ومحمد وعلى المفعول عندنا على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أو غيره وقيل يرمج اللوطى ولو غير محصن وهو قول مالك وأحمد وغيرهم ومقابل {109/2} الأظهر عندنا أنه يقتل الفاعل والمفعول وحكى عن أبى بكر وعلى وابن الزبير وهشام بن عبد الملك أنه يحرق وأمر أبو بكر ﷺ بعد أن جمع الصحابة واجتمع أمرهم على إحراقه خالدا فأحرقه ويروى أن عيسى ﷺ مرّ فى سياحته على نار تنقد على رجل فأخذ ماء ليطفئها فانقلبت النار صبيا والرجل نارا فتعجب من ذلك وسأل ربه أن يردهما لحالهما فى الدنيا فإذا هما رجل وصبى وسألها فقال الرجل إنه كان مبتلى بحب الصبى فحملته الشهوة أن يفعل به فلما ماتا صيرهما الله هكذا يحرقه تارة ويحرقه الصبى تارة فهذا عذابهما إلى يوم القيامة وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فعل قوم لوط كان من اللوطية المجرمين الفاسقين الملعونين فعليه لعنة الله ثم عليه لعنة الله ثم عليه لعنة الله والناس أجمعين وقد فشا ذلك فى التجار والمترفهين فاتخذوا حسان الممالك

سودا وبيضا لذلك فعليهم أشد اللعنة الدائمة الظاهرة وأعظم الخزي والبوار والعذاب فى الدنيا والآخرة ما داموا باقين على هذه القبائح الفظيعة الموجبة للفقر وهلاك الأموال وانمحاق البركات ولذا تجد أكثرهم قد افتقر من سوء فعله ومعاملته فإن ذلك الفعل تعففت منه الحمير فلا تجد حمارا أو غيره من البهائم يطلب ذكرا مثله

(تثمة) من معاصى الفرج أيضا إتيان الحليلة فى دبرها فقد ورد أنه اللوطية الصغرى وأنه لا ينظر الله إلى فاعله وأنه ملعون وجماعها بحضرة أجنبى أو أجنبية فإنه يدل على قلة اكترائه بالدين ويؤدى قطعا إلى إفساده بالأجنبية أو الأجنبى بحليلته والمساخقة وهى فعل المرأة بالمرأة ما يفعل بها الرجل قال § السحاق زنا النساء بينهن (و) منها (الاستمناء بيد غير الحليلة) سواء يد نفسه وغيره قال فى النصائح فهو قبيح مذموم وفيه آفات وبليات كثيرة وقد يبتلى به بعض الناس فليترك الله يحذره وفى بعض الأحاديث لعن الله من نكح يده وإن الله أهلك أمة كانوا يعبتون بفروجهم اللهم يا عليم يا خبير طهر قلوبنا من النفاق وحصن فروجنا من الفواحش والطف بنا والمسلمين وعن عطاء بن أبى رباح أن المستمنى بيده يأتى يوم القيامة وهى حبلى ثم إن تحريمه بيد نفسه هو ما عليه الجمهور وأجازه الإمام أحمد بشرط خوف الزنا وفقد مهر حرة وثمن أمة وفعله بيده لأنه فضلة فى البدن كالفصد والحجامة يجوز إخراجها للحاجة كما فى تفسير الرازى قال فى روح البيان ونقل عن أبى حنيفة حينئذ أيضا (و) منها (الوطء) للحليلة (فى) زمن (الحيض و) كذا فى زمن (النفاس) ولو بحائل (أو) لمن يكن فى زمن أحدهما بأن كان (بعد الانقطاع و) لكن (قبل الغسل) منهما (أو بعد غسل) لجميع الجسد لكن لا منهما بأن كان (بلا نية) لهما (أو) بلا (شرط من شروطه) أى الغسل بأن يبقى موضع شعرة من الجسد لمائع أو غيره قال § تحت كل شعرة جنابة قلبوا الشعر وأنقوا البشرة فيستمر المنع إلى الغسل المعتد به أو التيمم بشرطه وذلك لقوله § من أتى حائضا فى فرجها أو امرأة فى دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد قال فى الزواج وهو من الكبائر كما جرى عليه جماعة ونقله فى الروضة والمجموع عن الشافعى § أى إذا كان عامدا عالما بالحرمة وبالحيض أو النفاس مختارا كما فى الفتح قال فيه ويكفر مستحله ومثله فى الحرمة الاستمتاع بما بين السرة والركبة فى زمنهما بلا حائل لقوله تعالى فاعتزلوا النساء فى المحيض الآية ولقوله § لما سئل (110/2) عما يحل من الحائض ما فوق الإزار والمتجه أن التحريم منوط بالتمتع كالنظر والمس بشهوة لا بغيرها ويحرم عليها تمكينها من ذلك مع القدرة على منعه وأنه يحل لها التمتع بما بين سرته وركبته لأن ذلك منها أقوى فى الدعاية إلى الوطء ولو زعمت حيضا ممكنا فظن كذبها حل له الوطء أو زعم انقطاعه لم يحل عملا بالأصل وإذا شك فى الحيض ندب الاحتياط وخرج بما بينهما ما عداهما فلا يحرم التمتع به مطلقا لأنه غالبا لا يدعو إلى الجماع وبدن الحائض طاهر فلا تكره مخالطتها (و) منها (التكشف) أى كشف شيء من السوءتين إذا كان (عند) أى بحضرة (من يحرم نظره إليها أو) كان (فى الخلوة) ولكن (لغير غرض) ومنه دخول حمام بلا مئزر ساتر لها قال § لا تدخل الماء إلا بمئزر فإن للماء عيينين وقال § من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن دخله بلا مئزر لعنه الملكان قال فى الزواج وكشف العورة الصغرى أو الكبرى بحضرة غير حليلة كبيرة وبه صرح بعض الأصحاب وكلام الشافعى يقتضيه لكن المعتمد فى المذهب أنه صغيرة مطلقا لكنه بحضرة الناس موجب لخرم المروءة وقلة المبالاة فتبطل به الشهادة فيكون كالفسق فى منعه الشهادة (و) منها (استقبال القبلة) أى الكعبة (أو استدبارها ببول أو غائط) فى غير المعتد لذلك بأن يكون ذلك (من غير حائل) بينه وبينها (أو كان) بينهما حائل (و) لكنه غير مستكمل الشروط بأن كان قد (بعد عنه أكثر من ثلاثة أذرع أو) لم يبعد عنه أكثر من ذلك ولكن (كان) ارتفاعه (أقل من ثلثى ذراع) بذراع الأدمى فعلم أنه لا بد أن يكون مرتفعا قدر ثلثى ذراع فأكثر وأن يقرب منه ثلاثة أذرع فأقل وإن لم يكن له عرض أما محاذاة بيت المقدس بفرجه قبل أو دبرا فمكروه مطلقا وكذا الكعبة إذا استتر بذلك على ما جزم به الرافعى والمعتمد أنه خلاف الأولى والحاصل كما علم مما تقرر أن محاذاة الكعبة بالفرج ولا عبرة بالصدر حرام (إلا فى) المحل (المعد) لذلك (أى البول والغائط) فهى فيه خلاف الأفضل إن أمكن الميل عنها بلا مشقة ولو غلب عليه الخارج وأضره كتمه فلا حرج ولو تعارض الاستقبال والاستدبار وجب الثانى لأن الأول أفحش ولا يكره جماع واستنجاء وأخراج دم وريح لقبلة لعدم ورود نهى فيها كما فى الفتح (و) منها (التغو ط) وكذا البول (على القبر) المحترم إذ يجب احترام المسلم ميتا كاحترامه حيا قال § لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر وقال § لأن أمشى إلى جمرة أو سيف أو أخصف نعلى برجلى أحب إلى من أن أمشى على قبر وقال § لجالس على قبر يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك والمراد الجلوس كما قاله فى الفتح والجلوس للبول والغائط كما بينته رواية أخرى فجزم شرح مسلم بحرمة الجلوس مردود بذلك وقال فى الزواج أما الجلوس فجماعة من أصحابنا على حرمة وتبعهم النووى فى بعض كتبه أخذا من الحديث السابق فيه فكذلك أخذا كونه كبيرة منه لصدق حدتها عليه إذ هو ما فيه وعيد شديد وجرى فى الفتح على أن مثل الجلوس الاتكاء عليه والاستناد إليه وكذا وطؤه إلا لحاجة كتعسر وصوله لميته بدونه وفى الغرر أن المشى بالنعلين ونحوهما فى المقابر غير مكروه كما فى المجموع وأمره § من (111/2) رآه لابسا لهما بخلعهما إنما هو لما فيهما من لخيلاء فأحب أنه يدخل المقابر متواضعا أو لكونهما فيها نجاسة (و) منها (البول فى المسجد ولو

فى إناء و) كذا (على) جميع (المعظم) فى الشرع قال فى الإيعاب ويكره الفصد والحجامة فى المسجد بإناء بخلاف البول فإنه يحرم ولو فى إناء لأنه أفحش إذ لا يعفى عن شىء منه قال فى المجموع عن صاحب التتمة وغيره ووحرم إدخال المسجد نجاسة وأما من على بدنه نجاسة أو به جرح فإن خاف تلويثه حرم عليه دخوله وإلا فلا لخبر مسلم إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر إنما هى لذكر الله وقراءة القرآن وينبغى إلحاق المسجد النجاسة على ثوبه أو نعله بالتى على بدنه ولو عصر دملا أو بثرة فيه فى نحو ثوبه أو قتل قملة فى ثوبه فكالفصد فى إناء أى فيكره لأنه مما يعفى عنه والظاهر أنه لو عصره أو قتل نحو قملة فى أرض المسجد حرم وإن قل وفى عنه ويحرم الاستصباح فيه بدهن نجس وتطيينه بطين نجس ومن رأى فيه نجسا وجب عليه عينا إزالته فورا ولا يحرم إدخال النعل فيه إن لم تلوثه قال ابن العماد فإن كانت النجاسة أى التى عليه جافة وأرض المسجد جافة فيحتمل الجواز كما لو لبس ثوبا متنجسا ودخل المسجد ولا يكره المشى فيه ولو فى المطاف بالنعل الطاهرة لما جاء أنه ﷻ فيهما وكأنه مستند قول ابن العماد لا يكره الطواف فيها إلا جاهل قال الغزالي وفى معنى النعل المداس (و) منها (ترك الختان بعد البلوغ) إذ هو واجب حينئذ على المكلف سواء الذكر والأنثى ويكون بقطع قلفة الذكر وقطع الاسم من الأنثى قال تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وكان ملته الختان وقال ﷻ لرجل أسلم ألق عنك شعار الكفر واختن أما ختان صبي ومجنون فغير واجب قال فى الزواجر وتركه بعد البلوغ من الرجل والمرأة من الكبائر كذا ذكره بعضهم وله نوع اتجاه فى ترك ختان الذكر لما يترتب عليه من المفاصد التى من جعلتها ترك الصلاة غالبا لأن غير المختون لا يصح استنجاؤه حتى يغسل الحشفة التى داخل قلفته لأنها لما كانت مستحقة الإزالة كان ما تحتها فى حكم الظاهر فوجب غسله والظاهر من أحوال غير المختونين التساهل فى ذلك وعدم الاعتناء به فلا تصح صلاته وكان هذا ملحظ من عده كبيرة وأما فى حق الأنثى فلا وجه لكونه كبيرة ثم رأيت فى كلام الأصحاب ما يصرح بما ذكرته وذلك أنهم حكوا وجهين فى قبول شهادة الأقلف قال بعض شراح المنهاج كالكمال الدميرى والصحيح أنا إذا أو جبنا الختان فتركه بلا عذر فسق فأفهم أن الكلام إنما هو فى الذكر دون الأنثى وأن الذكر يفسق بتركه الختان بلا عذر ويلزم من فسقه به كونه كبيرة ووجهه ما قدمته

(تنبيه) عذ هذا من معاصى الفرج باعتبار أنه متعلق به وإلا فهو من المعصية بكل البدن فليتأمل (خاتمة) فيما جاء فى حفظ الفرج روى أن كفلا من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب فأنته امرأة فأعطاها ستين دينارا ليطنها فلما راودها عن نفسها ارتعدت وبكت فسألها فقالت هذا عمل ما عملته وحملتني عليه الحاجة فقال أنا أخرى بذلك اذهبي فلك ما أعطيتك ووالله لا أعصيه بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه إن الله قد غفر للكفل ومثله أحد الثلاثة الذين انطبقت عليهم (112/2) الصخرة وفى حديث إلا من حفظ فرجه فله الحنة وفى آخر من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة وعشق بعض العرب امرأة فمكنته من نفسها فلما أراد الفعل وقف ففكروا أراد القيام فقالت له ما لك فقالت إن من يبيع جنة عرضها السموات والأرض بقدر فتر لقليل الخبرة بالمساحة ثم تركها ووقع لبعض الصالحين أنه حدثته نفسه بفاحشة فأدخل أصبعه فى فتيلة وقال يا نفس إن صبرت على حرها مكتنك مما تريدن فحست نفسه أن روحه كادت تخرج من شدة حرها وهو يتجلد على ذلك ويقول هل تصبرين وإذا لم تصبرى على هذه النار اليسيرة التى طفئت بالماء سبعين مرة حتى قدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطر ولم يخطر لها بعد والله ال موفق

(فصل ومن معاصى الرجل المشى) بها (فى) كل محرم (ومعصية) من المعاصى وذلك (كالمشى) بها (فى) سعاية بمسلم أو قتله أو فيما يضره) إذا كان ذلك (بغير حق) قال ﷻ الساعى متلف أى مهلك بسعايته نفسه والمسعى به وإليه وعدا فى الزواجر من الكبائر ثم قال وكونها كبيرة إذا كان ما ينشأ عنها صغيرة إلا أن يقال تصير كبيرة بما ينضم لذلك من الرعب بالمسعى به وإرجاف أهله وترويعهم بطلب السلطان كذا قيل والصواب أنها كبيرة لأنها نائمة بل هى أقبح أنواعها وقد ثبت الحديث الصحيح بتسمية النائمة كبيرة والمراد السعى إلى سلطان أو غيره من الولاة بالبرىء وأما ما جارت فيه شهادة الحسبة فليس منها بل يجب الرفع فيه إلا لعذر وقد قال فى الجواهرى قال النووى فلو دعت إلى النائمة حاجة فلا منع منها كما إذا أخبره شخص أن إنسانا يريد الفتك به أو بأهله أو ماله أو أخبره أن فلانا يسعى بما فيه مفسدة ويجب على الوالى الكشف عن ذلك وما أشبهه فكل ذلك لا حرمة فيه بل قد يجب تارة ويندب أخرى بحسب المواطن وقوله ﷻ بغير حق هو ما صرحوا به كما فى الزواجر قال فيها وقال بعض المتأخرين السعاية بما يضر المسلم كبيرة وإن كان صادقا وهو محتمل بل يجب الجزم به إذا اشتد الضرر (و) ومنها (إباق العبد) يعنى هرب الرقيق ذكرا كان أو أنثى من سيده (و) كذا هرب (الزوجة) من زوجها قال ﷻ أيما عبد أبق فقد ترئت من الذمة وقال ﷻ إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة وفى رواية فقد كفر حتى يرجع وقال ﷻ ثلاث لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما عبد أبق من مواليه حتى يرجع وامرأة أغضبت زوجها حتى ترجع وقال ﷻ ثلاث لا تجاوز صلاتهم أذانهم العبد الأبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام أم قوما وهم له كارهون وقال ﷻ أيما عبد مات فى إباقه دخل النار وإن قتل فى سبيل الله وقال ﷻ ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء السكران حتى يصحو والمرأة الساخط عليها زوجها والعبد الأبق على مولاه حتى يرجع فيضع يده فى يد مواليه قال فى الزواجر

وهو من الكبائر لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك (و-) منها هرب كل (من عليه حق-) لأحد (عما يلزمه-) وفاؤه (من-) نحو (قصاص أو دين أو نفقة أو بر والدين-) أو أحدهما (أو تربية أطفال-) تجب عليه مؤونتهم قال (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول وفي رواية من يقوت وقال (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أو ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته وقال (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ولخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

(فائدة-) ورد في الإحسان إلى الزوجة والعيال لاسيما البنات أحاديث كثيرة فمن ذلك دينار تنفقه في سبيل الله ودينار تنفقه في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار تنفقه على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقت على أهلك وأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال ومز رجل على الصحابة فرأوا من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على والدين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان وأول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله ودخلت على عائشة امرأة معها بنتان فلم تجد عائشة (إلا ثمرة أعطتها إياها فقسمتها بينهما ولم تأكل منها فذكرت ذلك لرسول الله (فقال من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا وحيابا من النار ومن عال جاريتين دخلت أنا وهو كهاتين وأشار بأصبعيه (و-) منها (التبخر في المشى-) وهو من الكبائر إن قصد به التكبر المنضم إليه نحو استحقاق الخلق وتقرير الشيخين صاحب العدة على أنه صغيرة محمول على ما إذا لم ينته به الحال إلى قصد ذلك قال تعالى ولا تمش في الأرض مرحا الآية قال النووي والمرح التبخر وقال (إذا مشت أمتى المطيطياء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض والمطيطياء بضم ففتح مصغر ولم يكبر التبخر ومد اليدين في المشى وقال (من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال (بئس العبد عبد بخل واختال ونسى الكبير المتعال الحديث (و-) منها (تخطى الرقاب-) أي رقاب المصلين (إلا-) إذا صدر من إمام وكذا من غيره (لفرجة-) أمامهم أي لأجلها لتقصيرهم في سدها وذلك لقوله (من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم وفي حديث الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين بعد خروج الإمام كجاء قصبه أي أمعاه في النار قال القسطلاني قال العراقي والمشهور اتخذ مبنيا للمفعول أي يجعل جسرا على طريق جهنم ليوطأ ويتخطى كما يتخطى رقاب الناس فإن الجزء من جنس العمل ويحتمل البناء للفاعل أي اتخذ لنفسه جسرا يمشى عليه إلى جهنم بسبب ذلك قيل والتقيد بالجمعة للغالب وجرى بعض المتأخرين على أنه كبيرة وكأنه أخذه من هذه الأحاديث وهو وإن كان قريبا إلا أن الأصح من مذهبنا أنه مكروه إلا في مسائل ويجمع بينه وبين تلك الأحاديث بحملها على من أدى به الناس أذى شديدا عرفا وحمل الكراهة على إذا خف ذلك الأذى ومثل ذلك يأتي في الجلوس وسط الحلقة فيجمع بين قول من قال بأنه كبيرة وقول الأصحاب بأنه مكروه أما إذا كان التخطى من إمام لا يبلغ المحراب أو المنبر إلا به فلا يكره لاضطراره إليه فإن أمكنه التحرز عنه كره وكذا لو كان غير إمام وبينه وبينها رجل أو رجلان (114/2) لا أكثر فإن زاد عليهما ورجا تقدم أحد إليها عن الإقامة كره لكثرة الأذى وإلا فلا

(تنبيه-) علم مما تقرر أن المصنف جار في عده ذلك من المعاصي على مقابل الأصح من حرمة وهو ما في الروضة وعليه كثير كابن المنذر والأسنوي والمزجد ونقله أبو حامد وغيره عن النص والأصح ما في المجموع من كراهته كما مر (و-) منها (المرور بين يدي المصلي-) صلاة صحيحة في اعتقاد المصلي ولو نفلا أي بينه وبين سترته وإن لم يجد طريقا آخر حيث لم يقصر المصلي كما في الفتح وفي النهاية أنه يجوز إذا اضطر إليه لإنقاذ نحو غريق قال الكردي وهو المعتمد بل نقل الإمام عن الأئمة جوازه إن لم يجد طريقا واعتمده الأسنوي وغيره لكنه ضعيف ومحل الحرمة (إذا كملت شروط سترته-) بأن قرب منها ثلاثة أذرع فأقل بذراع اليد المعتدلة وتحسب من العقب عن حج ومن الأصابع عند م ر وكانت مرتفعة ثلثي ذراع إن وجدها وإلا فمصلي يفترشه فإن لم يجده فخطا يخطه من قدميه إلى نحو القبلة وشرطهما كالمرتفع فإن فقد شرط من ذلك كان قصر بصلاته في محل يغلب فيه المرور ذلك الوقت كالمطاف أو ترك فرجة في صف أمامه فاحتيج للمرور بين يديه لسدها لم يحرم وإن تعددت الصفوف في الأخيرة ووهمن ظن أنها مسئلة التخطى فقيدها بصفين نعم إن لم يقصر بترك الفرجة كأن جز من الصف حرم الخرق إليها كما استوجهه في الفتح وذلك لقوله (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خريفا أي سنة خيرا له من أن يمر بين يديه وفي حديث لأن يقف أحدكم مائة عام خير له من أن يمر بين يدي أخيه وهو يصلي وفي آخر لو يعلم أحدكم ما له في أن يمشى بين يدي أخيه معترضا وهو يناجي ربه لكان أن يقف في ذلك المكان مائة عام أحب إليه من الخطوة التي خطاه (و-) منها (مد - الرجل إلى المصحف-) قال في التحفة فيحرم كما قاله الزركشي لكن (إذا كان-) المصحف (غير مرتفع-) على شيء لما فيه من إهائته كإلقائه بقاذورة وكتبه بنجس ومسه بعضو منجس برطب مطلقا أو بجاف غير معفو عنه وجعل نحو دراهم في ورقة وتوسده إلا لنحو خوف عليه من كافر أو

تلف أو نجس فيجب حينئذ توسده إن تعين طريقا لحفظه (و) منها (المشي) بها (إلى) كل أمر (محرم) في الشرع فعله أو قوله أو سماعه (و) كذا إلى ما هو في الأصل مباح كبيع وشراء لكن يحصل بالمشي إليه نحو (تخلف عن واجب) من واجبات الشرع كأن يحصل به تأخير نحو صلاة عن وقتها قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (فصل ومن معاصي) كل (البدن) أي المعاصي التي تحصل بكل البدن (عقوق) كل من (الوالدين) أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه (و) ضابطه كما استوجهه في الزواجر (هو) أن يصدر من الولد (ما يتأذيان به) أو أحدهما إيذاء ليس بالهين في العرف وإن لم يكن محرما لو فعله مع الغير كأن يلقاه فيقطن في وجهه أو يقدم عليه في ملا فلا يقوم له ولا يعبا به ونحو ذلك مما يقضى أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذ تأذيا عظيما وسيأتي في قطيعة الرحم ما يؤيد ذلك قال فيها ويحتمل أن العبرة بالتأذي لكن لو كان في غاية الحمق أو سفاهة الفعل فأمر أو نهى ولده مما لا يعد مخالفته فيه في العرف عقوقا لم يفسق بها الولد لعذره (115/2) حينئذ وعليه لو أمره بطلاق من يحبها فلم يمتثل أمره لم يأتهم والأفضل الامتناع وعليه يحمل ما روى أن عمر أمر ابنه بذلك فأبى فذكر له فأمره بطلاقها وكذا سائر أوامره التي لا حامل عليها إلا ضعف عقله وسفاهة رأيه ولو عرضت على ذي عقل لعذرها من المتساهل فيه هذا هو الوجه في تقرير الحد وأما قول شيخ الإسلام البلقيني هو أن يؤذى الولد أحدهما بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جملة الصغائر فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الكبائر ففيه وقفة ومن العقوق أن يخالف أمر أحدهما أو نهيه فيما يدخل فيه الخوف عليه نفسه كسفر لنحو جهاد من الأسفار الخطرة لشدة تفجع الوالدين أو أحدهما من ذلك ومنه السفر لحج التطوع إذا كان فيه مشقة بخلاف الفرض وإن كان فيه ركوب بحر حيث يجب ركوبه بأن غلبت السلامة قال البلقيني فلا يجب الاستئذان كما هو ظاهر الفقه ولو قيل بوجوبه ولو غلبت السلامة لم يكن بعيدا وأما سفره للعلم المتعين أو الكفائي فلا منع منه وإن أمكنه ببلده خلافا لمن شرط ذلك لأنه قد يتوقع في السفر نحو فراغ قلب أو إرشاد أستاذ فإن لم يتوقع ذلك احتاج للاستئذان فإن وجبت نفقه أحدهما عليه وكان سفره تضييع له فله المنع وكذا لو كان تحصل بسفره وقية في العرض لها وقع بأن كان أمرد يخاف من سفره تهمة فإن يمنع من ذلك وذلك في الأنثى أولى وقد عده في الزواجر من الكبائر قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا قال ابن عباس يريد البرّ بهما مع اللطف ولين الجانب فلا يغلظ لهما الجواب ولا يحدّ النظر إليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي سيده متذللا لهما وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه الآية فهي عن أن يقال لهما أفّ وهو كناية عن الإيذاء بأي نوع كان ولذا قال لو علم الله شيئا أدنى من الأفّ لنهى عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ثم أمر سبحانه أن يقال لهما القول الكريم أي اللين لاسيما عن الكبر فإن الكبير يصير كالطفل لما يغلب عليه من الحزن وفساد التصور فيرى القبيح حسنا وبأن يخفض لهما الجناح بأن لا يكلمهما إلا مع استكانة وذل وخضوع ولا يزال على ذلك إلى أن يبرد غلها عليه فيعطفان عليه بالدعاء والرضا ولو فعل مهما فعل معهما لم يكافهما إذ قد تحملا أذاه وعظيم مشقة تبيته راجيين حياته ومؤمنين سعادته وهو إن حمل شيئا من أذاهما تحملا موتهما ولكون الأم أحمل لذلك وأصبر وعناؤها أكثر وأعظم بما فاسته من نحو حمل وطلق وسهر وتلطخ بقذر حض على برها ثلاثا وعلى بر الأب مرة ورأى ابن عمر رجلا يطوف بالكعبة حاملا أمه على رقبته فقال يا ابن عمر أتراني جزيتها قال ولا بطلقة واحدة ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا وانظر وفقني الله وإياك كيف قرن الله شكره بشكرهما فقال أن اشكر لى ولوالديك قال ابن عباس فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه ولذا قال رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين وصح أن رجلا استأذنه في الجهاد فقال له أحى والداك فقال نعم قال ففيهما فجاهد وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وانظر كيف أكد حقهما بمصاحبتهم بالمعروف وإن جاهداه (116/2) على الشرك فأمر بمصاحبتهم مع هذه الحالة القبيحة فما ظنك بحالة الإسلام تالله إن حقهما لمن أشدّ الحقوق وأكدها وإن القيام به على وجهه لمن أصعب الأمور وأعظمها فالمؤمن من هدى إليها والمحروم من صرف عنها وقد جاء في الأحاديث بتأكيد ذلك ما لا تحصى كثرته ولا تحدّ غايته فمن ذلك إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والديوث والرجلة من النساء أي المتشبهة بالرجال وإن العاق لا يجد ربح الجنة ولا يقبل منه صرف ولا عدل ولا يدخل الجنة ولا يذوق نعيمها وجاء رجل إليه فقال إن أبى أخذ مالي فقال اتنى بأبيك فأوحى الله إليه أن أسأله عن شيء قاله في نفسه فلما جاء سأله فقال ما أنفقته إلا على عماته وخالاته ونفسي فقال له دعنا من هذا وأخبرني عن شيء قلته في نفسك فقال والله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي

غذوتك مولودا ومذ كنت	تعل بمأحني عليـك
يافعـا	وتنهـل
إذا ليـلة ضاقتـك بالسقم لم	لسقمـك إلا سامرا
أبـت	أتملمـل
كأنى أنـا المطـروق دونـك	طرقـت بـه دونى فـعـيـنـك

تَهْمَل	بالذي
لتعلم أن الموت وقت	تخاف الردى نفسى عليك
مؤجـل	وأنهـا
إليها مدى ما كنت فيها	فلمـا بلغـت السن والغـاية
أؤمل	التى
كانك أنت المنعم	جعلـت جـزائى غـلظة
المتفـضل	وفظاظة
فعلت كما الجار المجاور	فليتـك إذ لـم ترع حـق
يفعل	أبـوتى
يرد على أهل الصواب	تـراه معـدا للخـلاف
الموكل	كانـه

فأخذ بتلابيبه وقال أنت ومالك لأبيك وقال من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وانشق قبر فخرح منه رجل رأسه رس حمار فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فسئلت أم ذلك الرجل عنه فقالت كان يشرب الخمر فأقول له اتق الله إلى متى فيقول إنما أنت تهقين كما ينهق الحمار فمات بعد العصر فهو ينهق كل يوم بعد العصر ثلاث نهقات ورأى ليلة الإسراء قوما معلقين فى حذوع من نار فقال له جبريل هؤلاء الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا وروى من شتم والديه نزل عليه فى قبره جمر من النار بعدد كل قطرة تنزل من السماء إلى الأرض وإذا مات العاق عصره القبر حتى تختلف أضلاعه وعن كعب الأخبار إن الله يعجل هلاك العاق ويزيد فى عمر البار ولله در من قال وأحسن فى المقال

كثيرك يا هذا لـديـه

لأمك حـق لو علمـت

يسـير

كثـير

لها من جـواها أنـة

فـكم لـيـلة باتـت بعثـلك

وزفـير

تشتكى

فمن غصـص منـها الفؤاد

وفى الـوضـع لو تدرى عليها

يطير

مشقة

وما حـجرها إلا لـديك

وكم غسـلت عنك الأذى

سـرير

بـيمينـها

ومن ثـديهـا شـرب لـديـك

وتفـديـك ممـا تشـتـكيه

تمير

بنفسـها

حنـوا وإشـفاقا وأنـت

وكـم لـيـلة جاعـت وأعطـتـك

صغـير

قوتها

وأما لأعمى القلب ومو

فأما لـذى عـقـل ومـتبـع

بصـير

الـهوى

فأنت لـما تدعـو إليـه

{117/2} فدونك فارغب عميم

فقـير

دعائها

وكم ورد فى الحث على برهما من الأحاديث وغيرها كقوله رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يبرهما لم يدخل الجنة وفقنا الله لبرهما فى حياتهما وبعد موتهما وبرهما بعد موتهما بالدعاء والاستغفار لهما وصلة أصدقائهما كما ورد ذلك فى الحديث {و} منها {الفرار من الزحف} أى من كافر أو كفار لم يزيدوا على الضعف إلا لتحرف لقتال أو تحيز إلى فئة يستنجد بها وهو من الكبائر كما صرحوا به وقد قال الشافعى إذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أو يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم لهم أن يولوا ولا يستوجبون السخط عندى من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى الفئة وهذا مذهب ابن عباس المشهور عنه وقد ورد فى ذلك التشديد من الآيات والأحاديث فمن ذلك قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقوله اتقوا السبع الموبقات الإشراف بالله ثم قال والتولى يوم الزحف وثلاثة لا ينفع معهن عمل الإشراف بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وسئل عن الكبائر فقال فعده هذه الثلاثة وفى كتاب اليمين الذى فيه الفرائض والسنن والديات إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة إشراف بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وفى حديث وخمس ليس لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقطع بها مالا بغير حق {و} منها {قطيعة الرحم} واختلف فى المراد بها فقيل ينبغى أن تخصص بالإساءة وقيل لا بل ينبغى أن تتعدى إلى ترك الإحسان إذ الأحاديث أمرة بالصلة ناهية عن القطيعة ولا واسطة بينهما والصلة إيصال نوع من أنواع الإحسان والقطيعة ضدها فهى ترك الإحسان واستوجه فى

الزواج أن المراد بها قطع ما ألفه القريب من سابق لغير عذر شرعي لأن قطعه يؤدى إلى إيحاش القلوب وتنفيرها فيصدق حينئذ أنه قطع وصلة الرحم وما لها من عظيم الرعاية فلو فرض أن قريبه لم يصل إليه منه إحسان ولا إساءة فط لم يفسق بذلك لأن الأبوين لو فرض فى حقهما ذلك من غير فعل ما يؤذيها لغناهما مثلا لم يكن كبيرة فبالأولى القريب ولا فرق بين كون الإحسان الذى ألفه مالا أو مراسلة أو مكاتبة أو زيارة أو غير ذلك فإن قطع ذلك كله بعد فعله لغير عذر كبيرة والمراد بالعذر فى المال أن يفقد ما كان يصله به أو يجده لكنه يحتاجه أو يندبه الشارع لتقديم غيره لكونه أحوج منه أو أصلح وواضح أنه لو ألف منه قدرا معيناً من المال كل سنة مثلا فنقص لا يفسق بذلك بخلاف ما لو قطعه وفى الزيارة عذر الجمعة وفى المكاتبة والمراسلة أن يجد من يثق به فى أذاه ما يرسله معه واستظهر فى الزواج أنه إذا ترك الزيارة التى ألفت منه فى وقت مخصوص لغذر لا يلزمه قضاؤها فى غيره قال فيها فتأمل جميع ما قررته واستفده فإنى لم أر من نبه على شيء منه مع عموم البلوى به وكثرة الاحتياج إلى ضبطه وظاهر أن الأولاد والأعمام من الأرحام وكذا الخالة فيأتى فيهم وفيها ما تقرر من الفرق بين العقوق والقطيعة ثم هى من الكبائر كما تصرح به الأحاديث الصحيحة خلافا لصاحب الشامل فى توفقه (118/2) فى ذلك وكيف يتوقف فيه مع قوله تعالى فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وقوله ﴿إن القاطع لا يدخل الجنة وإنه ما من ذنب أجدر أن تعجل عقوبته من ذنبه وإنه لا يقبل عمله وغير ذلك قال البلقيني لا ينبغي التوقف فى ذلك مع نص القرآن على لعنة فاعله وعن زين العابدين أنه قال لولده الباقر لا تصاحب قاطع رحمه فإنى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع فى الآية السابقة واللعن فيها صريح وفى قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار واللعن فيها بطريق العموم لأن ما أمر الله به أن يوصل يشمل الأرحام وغيرها وفى قوله تعالى وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون الآية واللعن فيها بطريق الاستلزام إذ هو لوازم الخسران وقد نقل القرطبي فى تفسيره اتفاق الأمة على وجوب صلة الرحم وحرمة قطعها وكما ورد فى ذلك الأحاديث والآثار فمن ذلك قوله ﴿قامت الرحم فقالت أى الله هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك وقوله ﴿يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قرده وخنازير وليصيبهم خسف وقذف حتى يصيح الناس فيقولون خسف الليلة بينى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص وليرسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور بشرهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطعتهم الرحم وقوله ﴿الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله﴾

(خاتمة) قال ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه وقال ﴿مكتوب فى التوراة من أحب أن يزداد فى عمره وأن يزداد فى رزقه فليصل رحمه وعن أبى هريرة أوصانى خليلي ﴿بخصال من الخير ثم قال أوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت وعنه ﴿ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعتة رحمه وصلها وأفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح أى المضرر العداوة فى كشحه أى خصره كناية عن باطنه وهو معنى وتصل من قطعك وأفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك وبالجمل فبالقطيعة مذمومة يخشى على فاعلها سوء الخاتمة والعياذ بالله وقد حكى أن رجلا موسوما بالأمانة والصلاح كان بمكة فأودعه رجل غنى من الحجاج ألف دينار حتى يعود من عرفة فلما عاد وجده قد مات فسأل ورثته فلم يعلموا بها فسأل علماء مكة فقالوا له إذا كان نصف الليل فائت زمزم وناده باسمه فإن هو من أهل الخير فيجيبك من أول مرة ففعل فلم يجبه فرجع لهم فقالوا إن لله و إنا إليه راجعون اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر برهوت فناده منها فأجابه فقال له أين مالى فقال فى محل كذا من دارى فستجده فقال له ما الذى أنزلك هنا وقد كنت يظن بك الصلاح فقال كانت لى أخت هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله بسببها ومصدق (119/2) ذلك حديث لا يدخل الجنة قاطع أى قاطع رحمه وأقاربه (و) منها (إيذاء الجار) جاره (ولو) كان (كافرا) لكن إذا كان (له أمان إيذاء ظاهرا) كان يشرف على حرمه أو يبنى ما يؤذيه مما لا يسوغ شرعا لقوله ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره وقوله ﴿والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه أى شره كما فى رواية وفى حديث ولا يدخل الجنة أى عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقوله ﴿من أذى جاره فقد أذانى ومن أذانى فقد أذى الله ومن حارب جاره فقد حاربنى ومن حاربى فقد حارب الله وقوله ﴿كم من جار متعلق بحاره يوم القيامة يقول يا رب سل هذا لم أغلق عنى بابه ومنعنى فضله (تنبيه) المراد بالأذى الظاهر ما يعد فى العرف إيذاء ففى الزواج أن إيذاء المسلم مطلقا كبيرة ووجه التخصيص بالجار أن إيذاء غيره لا يكون كبيرة إلا إن كان له وقع بحيث لا يحتمل عادة بخلاف الجار فإنه لا يشترط فى كونه كبيرة إلا أن يصدق عليه عرفا أنه إيذاء ووجه ظاهر لما فى الأحاديث الصحيحة من تأكيد حرمة ورعاية حقه كحديث ما حق الجار على جاره يا رسول الله قال إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن أعوز سترته وإن استعانك أعتته وإن احتاج أعطيته هل تفقهون ما أقول لكم لن يؤذى حق الجار إلا قليل من رحم الله وعن ابن عمر أنه

ذبحت شاة في أهله فسأل هل أهديتم لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه واعلم أن الجيران ثلاثة قريب مسلم فله ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة ومسلم فقط فله الأولان ودمي لفه الأول فيتعين صونه عن الأدنى وينبغي الاحسان إليه والصبر على أذاه فإنه ينتج خيرا كثيرا كما فعله سهل التستري بجاره المجوسى فإنه انفتح خلاؤه إلى دار سهل فأقام سهلا مدة ينحى في الليل ما يجتمع من القذر في بيته حتى مرض فدعا المجوسى واعتذر منه بأنه يخشى أن رثته لا يتحملون ذلك الأدنى كما كان يتحمله هو فيخاصمون المجوسى فتعجب المجوسى من صبره على هذا الأدنى العظيم ثم قال له تعاملنى بذلك هذه المدة الطويلة وأنا على كفى مد يدك لأسلم فمد يده وأسلم ثم مات سهل ﷺ فتأمل كيف أنتج صبره عليه وفقنا الله لما يحب ويرضى بمنه وكرمه (و)- منها (التخضيب)- للشعر (بالسواد)- ولو لامرأة كما قاله ابن حجر في المنهج القويم قال الكردي وكأنه أشار بلو إلى أن المرأة يطلب منها التزين فربما أبيح لها الخضاب بالسواد لأنه من الزينة لكنهم لم يقولوا بذلك هنا قال في الأسنى نقلا عن المجموع ولم يفرقوا فيه بين الرجل والمرأة لكن قال الشهاب الرملى فى شرح نظم الزيد نعم يجوز للمرأة ذلك بإذن زوجها أو سيدها لأن له غرضا فى تزيينها به وقد أذن لها فيه قال والظاهر كما قاله بعض المتأخرين أنه يحرم على الولي خضب شعر الصبي أو الصبية إذا كان أصهب بالسواد أى لما فيه من تغيير الخلفة وإن عزى للناظم فى شرحه لنظمه أنه قال إن الظاهر أنه لا يحرم اه- وفى شرح مسلم للنووى مذهبا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة ويحرم ضابه بالسواد على الأصح وقيل يكره كراهة تنزيه والمختار التحريم لقوله ﷺ واجتنبوا السواد اه- قال فى الزواجر وهو من الكبائر كما هو ظاهر خبر يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة (120/2)- الجنة إذ فيه وعيد شديد وإن لم أر من نبه عليه (و)- منها (تشبه الرجال بالنساء)- فيما يختص بهن فى العرف غالبا من لباس وكلام وحركة ونحوها (و)- كذا (عكسه)- وهو تشبه النساء بالرجال قال فى الزواجر- وهو من الكبائر كما هو ظاهر الأحاديث كحديث لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وحديث لعن رسول الله ﷺ المختئين من الرجال والمترجلات من النساء والمختن من فيه تخنث أى تكسر وتخن كما يفعل النساء والمترجلة المتشبهة بالرجال وحديث ثلاثة لا يدخلون الجنة الديوث ورجلة النساء ومدمن الخمر والديوث الذى لا يبالي بمن دخل على أهله كما قاله ﷺ وعده من الكبائر ظاهر كما صرح به بعض المتكلمين ويجب على الزوج منع زوجته مما تقع فيه من التشبه بالرجال فى المشى والملبس وغيرها خوفا عليها من اللعنة بل وعليه أيضا فإنه إذا أقرها أصابه ما أصابها وامتنالا لقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا أى بتعليمهم وتأديبهم وأمرهم بطاعة ربهم ونهيهم عن معصيته وقوله ﷺ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الرجل فى أهله راع وهو مسئول عنهم يوم القيامة قال الكردي وفى شرح مسلم للنووى فى شرح حديث ما نصه يحتج به على أن من عنده امرأة مرتكبة معصية كالوصل أو ترك الصلاة أو غيرها ينبغى له أن يطلقها (و)- منها (إسبال الثوب)- أى تطويله والمراد ما يشمل الإزار والكم والعذبة لكن لا مطلقا بل إذا كان الإسبال (للخيلاء)- بضم أو كسر ففتح ومدّ الكبر والعجب كما فى الزواجر وهو من الكبائر إذ هو من الكبر وإنما أفرد بالذكر لأنه ورد فيه بخصوصه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ ما استفل من الكعبيين من الإزار ففى النار وفى رواية أزرة المؤمن إلى عضلة ساقه ثم إلى نصف ساقه ثم إلى كعبه وما تحت الكعبيين من الإزار ففى النار وقوله ﷺ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء ولا لمن جرّ إزاره بطرا قال ابن عمر ما قاله فى الإزار فهو فى القميص ودخل ابن عمر على رسول الله ﷺ وعليه إزار ينقطع فقال من هذا فقال عبد الله بن عمر فقال إن كنت عبد الله فأرفع إزارك فرفعه إلى نصف الساقين ولم يزل كذلك حتى مات وورد هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور بنى كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل إزاره ولا إلى عاقّ لوالديه ولا إلى مدمن خمر (و)- منها (الحناء)- بكسر الحاء المهملة وشد النون وبالمدة أى الخضاب به (فى)- بعض كل من (اليدين والرجلين)- إذا كان (للرجل بلا حاجة)- له إليه لما فيه من التشبه بالنساء وقد مرّ ما فيه وقد أتى ﷺ بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ﷺ ما بال هذا قالوا يشبهه بالنساء فأمر به فنفى إلى البقيع قال فى الزواجر بالنون وهو بعيد من المدينة قال المنذرى فى سننه نكارة وليس فيه مجهول خلافا لمن زعمه فعلم من الحديث أن خضب الرجل يديه أو رجليه بالحناء حرام بل كبيرة لما فيه من التشبه بالنساء والحديث صريح فى ذلك وقد وقعت هذه المسئلة قريبا فى اليمن فاختلف فيه علماؤه وصنفوا فى الحلّ والحرمة ثم أرسلوا إلى مكة سنة اثنتين وخمسين أى وتسعمائة ثلاثة مصنفات اثنتين فى حله مطلقا وواحد فى حرمة وطلبوا إبانة الحق فألفت كتابا حافلا سميته شنّ الغارة على من أظهر تقوله فى الحناء وعواره وإنما سميته (121/2)- بذلك ليطابق اسمه مسماه فإن بعض من قال بحله تعدى طوره إلى أن ادعى فيه الاجتهاد وزعم أن القائلين بالحرمة أى وهم الأصحاب قاطبة بل الشافعى كما بينته ثم استروحوا ولم يتأملوا فغلطوا فى ذلك وكثر فى الكلام من نحو هذه الخرافات وسوّلت له نفسه أنه أبرز أدلة خفيت عليهم وأن تقليده أو تقليد من تبعه فى الحل أولى من تقليدهم فلعظيم ضرر هذه الحادثة وسوء صنيع هذا المجازف جردت صارم العزم وباتر الفحص والفهم حمية لأمتنا غيوت الهدى ومصابيح الدجى وانتصارا لإيضاح الحق وإدحاض الباطل فلذلك اتسع مجال ذلك الكتاب وتعين فيه إيثار جادة الإطناب وظهرت به سبل

الحق والصواب بحمد ربنا لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب قال العلامة الكردى وخرج بالرجل المرأة فيها تفصيل فإن كان لإحرام استحباب لها الخضاب سواء كانت مزوجة أو غير مزوجة شابة أو عجوزا وإذا خضبت عمت اليدين بالخضاب قال فى التحفة ما حاصله وأما المحدث فيحرم عليها وكذلك الرجل إلا لضرورة والخنثى كالرجل ويسن لغير المحرمة أيضا إن كانت حليمة وإلا كره ولا يسن لها نقش وتسويد وتطريف وتحمير وجنة بل يحرم كل واحد من هذه على خلية ومن لم يأذن لها حليلها وفى النفقات منها نقل الماوردى أنه لعن المرأة السلتاء أى التى لا تخضب والمرهأة أى التى لا تكتحل من المهره بفتحتين أى البياض ثم حمله على من فعلت ذلك حتى بكرها ويفارقها إذ الكلام فى المزوجة لكرهاة الخضاب أو حرمة لغيرها على ما مر فيه فى باب الإحرام وذكر فيها قبل هذا أن الزوج إذا هيا لها ذلك لزمها استعماله (و)- منها (قطع الفرض)- أداء كان أو قضاء ولو موسعا وصلاة كان أو غيرها كحج وصوم واعتكاف بأن يفعل ما ينافيه لأنه يجب إتمامه بالشروع فيه لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ومن المنافى أن ينوى قطع الصلاة التى هو فيها ولو إلى صلاة مثلها وإنما يكون قطع الفرض محرما إن كان (بلا عذر)- وإلا كان أحرم بالصلاة منفردا ثم رأى جماعة مشروعة فلا يحرم القطع لما هو فيه بل يسن فى هذه المسألة له أن يقلب فرضه نفلا مطلقا ويسلم من ركعتين أو ركعة كما بحته البلقينى فإن لم تكن مشروعة كأن كان فى ظهر فرأى جماعة فى عصر أثم كما فى الفتح أما النفل فلا يحرم قطعه ولو كان صلاة أو صوما لأنه لا يجب إلا بالنذر لقوله الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر ويقاس بالصوم غيره نعم يكره الخروج منه لغير عذر كضيف عز عليه امتناع مضيفه من الأكل معه أو عكسه ويسن له القضاء إن خرج منه بعذر رعاية لمن أوجبه (و)- محل ما ذكر فى نفل غير نسك أما (قطع نفل)- نسك سواء نفل (الحج والعمرة)- فيحرم لأنه بالشروع فيه يصير واجبا فيجب إتمامه لأنه كفره نية وكفارة وغيرهما قال فى الفتح ويتصور التطوع بالحج فى الأرقاء والصبيان إذ فرض الكفاية لا يتوجه إليهم وعد فى الزواج إفساد الصوم بالجماع أو غيره من الكبائر قال وقياسه إن إفساد النسك بالجماع كبيرة بالأولى لأن الصائم إذا أفسد بغير الجماع لاشىء عليه سوى الإثم والقضاء وهنا عليه مع الإثم والقضاء المضى فى فاسده والكفارة

(تنبيه)- قال فى الفتح لا يجب وفاقا للغزالي وغيره إتمام فرض الكفاية كما لا يتعين ابتداءه ولئلا يغير حكم المشروع فيه ولأن القصد به حصوله فى الجملة وذلك كالعالم الشرعى غير العيني فإن طالبه إذا شرع فيه لا يجب عليه أن يدوم فيه وإن أنس من نفسه الرشد لأن كل مسألة منه (122/2) مطلوبة برأسها مقطوعة عن غيرها فليس هو خصلة واحدة بل لو شرع فى مسألة منه لم يتعين عليه إتمامها لأنها لم تجب لخصوصها بل لاندراجها فيما يجوز قطعه وهو العلم الواجب على الكفاية نعم النسك منه يجب إتمامه كما علم مما مر بالأولى وكذا صلاة الجنازة والجهاد. قال فى مواهب الديان ودفن الميت وتكفينه وحمله وغسله فيجبان بالشروع فيهما لئلا تهتك حرمة الميت وتكسر قلوب المسلمين وقيل يحرم قطع فرض الكفاية مطلقا كالعيني وإنما لم يحرم قطع العلم لما مر وصلاة الجماعة لأن القطع فيها إنما وقع فى الصفة لا لأصل وهى يغتفر فيها ما لا يغتفر فيه وصححه التاج السبكي كابن الرفعة وهو بعيد جد ٢ إذ يلزم عليه أن أكثر فرائض الكفاية كالحرف والصنائع والعقود تتعين بالشروع فيها ولا وجه له (و)- منها (محاكاة المؤمن)- بقول أو فعل أو إشارة أو إيماء إذا كان فعل ذلك (استهزاء به)- وقد مر - أنه من الغيبة وإنما أفرد بالذكر للتنبيه على المبالغة فى الزجر عنه واقتداء بالقرآن فإنه بعد أن ذكر الغيبة ذكره قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية قال القرطبي فى تفسير قوله تعالى بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان من لقب أخاه وسخر به فهو فاسق والسخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه وقد تكون بالضحك على كلامه إذا تخبط فيه وغلط أو على صنعته أو قبح صورته

(تنبيه)- إنما لم يذكر هذا مع الغيبة لأنه ليس خاصا باللسان فتأمل (و)- منها (التجسس)- أى التطلع (على عورات الناس)- والتتبع لها لقوله تعالى ولا تجسسوا وقوله يا معشر من أسلم ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تدموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره وأبدى عورته ولو كان فى ستر بيته قال الزواجر فى مبحث الغيبة والتجسس بالمعجمة والمهملة وقرئ شاذا بالمهملة من الإحساس بمعنى الإدراك ومنه الحواس الظاهرة والباطنة قيل وهما متحدان ومعناها طلب معرفة الأخبار وقيل مختلفان فالأول تتبع الظواهر والثانى البواطن أو الأول الشر والثانى الخير وفيه نظر وبفرض صحته هو غير مراد هنا أو الأول أن تفحص الخير بغيرك والثانى بنفسك وعلى كل ففى الآية النهى الأكيد عن البحث عن أمور الناس المستورة وتتبع عوراتهم قال لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا وقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان على قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله وقيل لابن مسعود لا هل لك فى الوليد بن عتبة ولحيته تقطر خمرا فقال إنما نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيئا أخذناه به (و)- منها (الوشم)- وطلب عمله قال الكردى وهو أى الوشم غرز الجلد بالإبرة حتى يخرج الدم ثم يذر عليه ما يحشى به المحل من نيلة أو نحوها ليزرق أو يسود لأنه لعن فاعل ذلك والمفعول به فى خبر الصحيحين لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والنامصة والمتنمصة قال فى

الأسنى أى فاعلة ذلك وسائلته قال فى الزواج الوصل وطلب عمله والوشم وطلب عمله ووشر الأسنان أى تحديدها وطلب عمله والتنميص وطلب عمله وهو جرد الوجه من الشعر من الكبائر {123/2} ثم قال بعد أن أورد أحاديث الزجر عن ذلك ما نصه والواصلة التى تصل الشعر بشعر آخر والنامصة التى تنقش الحاجب حتى ترقه كذا قال أبو داود والأشهر ما قاله الخطابى وغيره أنه من النمص وهو نتف شعر الوجه والمتفلجة هى التى تفلج أسنانها بنحو مبرد للحسن أما لو احتاجت إليه لنحو عيب فى السن أو علاج فلا بأس به كما قاله الكردى

{تنبيه}- عدّ هذه هو ما جرى عليه شيخ الإسلام البلقينى فى الأوليين وهو ظاهر لما مرّ من أن من أماراة الكبيرة اللعن وقد علمت صحة الأحاديث بلعن الكل لكن لم يجر كثير من أئمتنا على إطلاق ذلك بل قالوا إنما يحرم غير الوشم والتنميص بغير إذن الزوج أو السيد وهو مشكل لما ورد أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط الشعر رأسها فجاءت إليه فذكرت له ذلك وقالت إن زوجها أمرنى أن أصل فى شعرها فقال لا إنه قد لعن الموصولات وعجيب قولهم بكراهة النمص بمعنييه السابقين مع اللعن فيه ومع قولهم بالحرمة فى غيره مطلقا أو بغير إذن الزوج على الخلاف فيه وأى فرق مع وقوع اللعن على الكل فى حديث واحد والجواب عن ذلك أشاروا له فى محله اهـ قال العلامة الكردى بعد أن نقل نحو ذلك عن الزواج وقد علمت مما قدمته لك أنفا عن شرح الروض أن النمص كغيره والراجح فى المذكورات كلها الحل بإذن الحليل والحرمة بغير إذن إلا الوصل بشعر نجس أو شعر آدمى وإلا الوشم فإن ذلك حرام مطلقا والله أعلم {و}- منها {هجر المسلم}- أخاه المسلم {فوق ثلاث}- من اليالى أو الأيام وحذف التاء لحذف المعدود على حدّ وأتبعه بست من شوال لكن لا يكون ذلك من المعاصى إلا إذا كان {لغير عذر شرعى}- ومنه التدابر وهو الإعراض عنه بأن يلقاه فيعرض عنه بوجه وعدّ فى الزواج ذلك من الكبائر قال لما صح لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال وقال فى آخره فإن ماتا على صرامهما لم يدخل الجنة جميعا أبدا وفى حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فهو فى النار إلا أن يتداركه الله برحمته وفى آخر لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء أن السلام يرفع إثم الهجر ثم قال وعدّ ذلك صريح من الأحاديث الصحيحة ألا ترى إلى ما فيها من الوعيد الشديد وأما قول صاحب العدة أن هجر المسلم فوق ثلاث صغيرة فهو بعيد جد ٢ وإن سكت عليه الشيخان ثم رأيت بعضهم جزم بأنه كبيرة ونظر فى قول من قال أنه من الصغائر لما فيه من التقاطع والأذى والفساد ويستثنى من تحريم الهجر كما أشار له المصنف مسائل ذكرها الأئمة قال فى الزواج وحاصلها أنه متى عاد إلى صلاح دين الهاجر أو المهجور جاز وإلا فلا {و}- منها {مجالسة المبتدع والفاسق}- بشرب خمر أو غيره من الملاهى المحرمة إذا كانت مجالسته لهم للإيناس لهم قال فى الزواج والوجه أن جلوسه مع شربة الخمر ونحوهم من أهل الفسوق والملاهى المحرمة مع القدرة على النهى أو المفارقة عند العجز عن إزالة المنكر من الكبائر ولا سيما إذا قصد اتباعهم بجلوسه معهم على ذلك قال وذكر بعضهم أن مجالسة الفقهاء والقراء الفسقة من الكبائر وظاهره أنه لا فرق عنده بين جلوسه معهم حال مباشرتهم لما قسفوا به ومجانبتهم له وقد يوجه بأن أولئك بصوة أهل الخير والطاعة فإذا كانوا مع تلك الصور الطاهرة منطوين على فسق باطن مثلا كان فى الجلوس معهم خطر كبير لأنه بتكرار جلوسه معهم يألفهم ويميل {124/2} إلى أفعالهم ضرورة أنها مجبولة على حب الشر وكل ما يضرها فحينئذ يبحث عن خصالهم ويتأسى بها ومن جملتها ذلك المفسق فترتكبه لما جبلت عليه من محبته وألفته من التأسى بأولئك القسقة وكان فى مجالستهم ذلك الضرر العظيم ثم قال وأما مجرد الجلوس مع فاسق قارئ أو فقيه أو غيرهما مع عدم مباشرته لمفسق فيبعد عدّ ذلك كبيرة بل الكلام فى حرمة من أصله حيث لم يقصد بالجلوس معه إيناسه لأجل فسقه أو مع وصف فسقه وإنما قصد إيناسه لنحو قرابة وحاجة مباحة له عنده أو نحو ذلك فحينئذ لا وجه للحرمة من أصلها فإن قصد إيئاسه من حيث كونه فاسقا فلا شك فى حرمة ذلك ثم رأيت الغزالى عدّ من الذنوب مصادفة الفجار ومجالسة الشر ١٠ ب وقت الشراب والأول صريح فى أن مجرد المجالسة من غير مصادفة ولا قصد إيناس لا إثم فيها وهو مؤيد لما ذكرته {و}- منها {لبس الذهب}- مطلقا {و}- كذا لبس {الفضة}- غير الخاتم {و}- لبس {الحريز}- الخالص {أو ما أكثره وزنا منه}- أى من الحرير إذا كان لبس كل من ذلك {للرجل}- يعنى الذكر {البالغ}- العاقل {إلا}- إذا كان لبس الحرير لعذر كدفع قمل أو حكة قال فى الزواج وكل ذلك من الكبائر للأحاديث الصحيحة المشتملة على الوعيد الشديد كقوله ١١ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهباً وقوله ١٢ من مات من أمتى وهو يتحلّى الذهب حرم الله تعالى عليه لبسه فى الجنة ورأى ١٣ خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده وقوله ١٤ لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وفى رواية لم يدخل الجنة وقوله ١٥ إنما يلبس الحرير من لا خلاق له وأخذ ١٦ حريرا فجعله فى يمينه وذهبا فجعله فى يساره ثم قال إن هذين حرام على ذكور أمتى وقوله ١٧ إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا يرجو أن يلبسه فى الآخرة قال الحسن فما بال أقوام يبيلغهم هذا عن نبيهم فيجعلون حريرا فى ثيابهم وبيوتهم وفى حديث من لبس ثوب حرير فى الدنيا ألبسه الله تعالى ثوب مذلة من النار أو ثوبا من النار أو ثوبا يوما من نار ليس من أيامكم ولكن من أيام الله تعالى الطوال ثم قال وعدّ لبس الحرير هو الظاهر من أحاديثه الصحيحة لكن الجمهور على أنه

صغيرة والمعتمد الأول وأما عدّ لبس الذهب الذي ذكرته بحثا فهو أولى من الحرير مع ما فيه من الوعيد الشديد في الأحاديث وإلحاق حلية الفضة به الذي ذكرته محتمل وإن أمكن الفرق بأن الذهب أغلظ ولذا قال بعض أئمتنا بحل لبس بعض حلية الفضة غير الخاتم للرجل واتفقوا على أنه يحل بل يندب له أن يلبس (خاتم الفضة) وعلى أنه يحرم عليه لبس خاتم الذهب

(فوائد) يحل نحو الجلوس على الحرير بحائل ولو رقيقا ومهلها ومن استعماله المحرم التدثر به واتخاذها سترا ويحل التسجيف به بقدر العادة وجعل الطراز منه على الكم إذا كان بقدر أربع أصابع وخيط السبحة وعلم الرمح وكيس المصحف وإلباسه كحلى النقيدين للمجنون والصبى إلى البلوغ وأفتى ابن عبد السلام بتأثير متخذ الحرير لكنه دون إثم اللبس والنوى بتحريم كتابة الصداق فيه للرجل وهو المعتمد خلافا لمن نازع فيه وتزيين المساجد والبيوت والمشاهد بحرير أو مصور حرام ولو لامرأة وبغيرهما مكروه وكالحرير ما صيغ بزعفران أو (25/2) عصفر أو ورس على كلام بينه مع فوائد عزيزة في الإيعاب (و) منها (الخلوة ب) للمرأة (الأجنبية) بأن لم يكن معها محرم لأحدهما يحتشمه ولا امرأة كذلك ولا زوج لتلك الأجنبية قال في الزواجر وهو من الكبائر لقوله ﷺ إياكم والخلوة بالنساء والذي نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين أو حماة أى طين أسود منتن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له وقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم ثم قال وعدّ ذلك هو ما جرى عليه غير واحد وكانهم أخذوه مما ذكر في الأحاديث لكن الذي جرى عليه الشيخان وغيرهما أن مقدمة الزنا ليست من الكبائر ويمكن الجمع بحمل هذا على ما إذا انتفت الشهوة وخوف الفتنة والأول على ما إذا وجدت ومثل المرأة في ذلك الأمر الجميل لأن الفتنة بالمرد أقرب وأقبح ويؤيده عدّ الزنا واللواط كبيرتين فكذا مقدماتهما وبالجملة فلا فتنة أضر على الرجال من النساء كما قاله ﷺ لأنهن حبايل الشيطان وكثيرا عن ما يخدعن الرجال ويوردنهم موارد الهلكة فيجب على المؤمن أن يتقى ذلك بالبعد عن مظان الأسباب الداعية إلى ذلك فإن الخلوة داعية إلى الفحشاء والمحتاط لدينه من حسم المادة التي توقعه في التهم والإثم فإن بعضها يجر إلى بعض وقد قال ﷺ من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (و) منها (سفر المرأة بغير نحو محرم) كزوج معها لقوله ﷺ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ذو محرم وفي رواية يومين وفي أخرى مسيرة يوم وليلة وفي أخرى مسيرة ليلة وفي أخرى أن تسافر بريدا قال الكردى والبريد نصف مرحلة وعدّ في الزواجر سفرها وحدها بطريق يخاف فيه على بضعها من الكبائر ثم قال وعدّ هذا بالقيّد الذي ذكرته ظاهر لعظم المفسدة التي ترتبت على ذلك غالبا وهى استيلاء الفجرة وفسوقهم بها فهو وسيلة إلى الزنا وللوسائل حكم المقاصد وأما الحرمة فلا تنقيد بذلك بل يحرم عليها السفر مع غير نحو محرم وإن قصر وكان أمنا ولو لطاعة كتفل الحج أو العمرة ولو مع النساء من التنعيم وعلى هذا يحمل عدّهم ذلك من الصغائر (و) منها (استخدام الحر) وجعله رقيقا إذا كان (كرها) عنه قال ﷺ ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا أى بعد أن تفوته ورجل اعتبد محرره قال الخطابى اعتبار المحرر إما أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره وهو أشدّ مما بعده وإما أن يعتقله بعد العتق فيستخدمه كرها له وبقي عليه أن يستخدم عتيق غيره أو يسترقه كرها قال ابن الجوزى الحر عبد الله فمن جنى عليه فخصمه سيده كما فى القسطلانى قال فى الزواجر وعده من الكبائر صريح من هذا الحديث وهو ظاهر (و) منها (الاستخفاف بالعلماء و) كذا (بالإمام العادل وبالشائب المسلم) قال ﷺ وليس منا من لم يوقر (26/2) الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر وقال ﷺ لا يدركنى زمان أو لا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العلم ولا يستحيا فيه من الحليم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم السنة العرب وعدّ فى الزواجر ذلك من الكبائر قال وعده منها هو ظاهر ما فى الحديث والأول وما بعده وليس ببعيد قياسا وإن لم يذكروه لأنهم إذا فرقوا بين نحو العلماء وغيرهم فى الغيبة فكذا يفرق بينهما فى نحو الاستخفاف وسيأتى قريبا فى أذية الأولياء ما هو صريح فى هذا إذ لا أولياء فى الحقيقة إلا العلماء العاملون قال الحافظ ابن عساكر اعلم يا أخى وفقك الله وإيانا وهداك سبيل الخير وهدانا إيانا أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله فى هتك منتقصهم معلومة ومن أطلق لسانه فى العلماء **بالثلب** بلاء الله قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وفى فتاوى البديعى من الحنفية من استخف بالعالم طلقت امرأته وكأنه جعله ردة (و) منها (معادة الولي) يعنى أذية ولي من أولياء الله تعالى ومعاداته قال القشيري والولي له معنيان أحدهما فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله ﷺ أمره قال تعالى وهو يتولى الصالحين فلا بكاء إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق رعايته والثانى أنه فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذى يتولى عبادة الله قال فى الزواجر ومعادة الولي وأذيته من الكبائر لقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً وقوله ﷺ يقول الله تعالى من أذى لى ولما فقد استحق محاربتى وفى رواية فقد أذنته أى أعلمته بالحرب وروى من أهان لى ولما فقد بارزنى بالمحاربة فهذا صريح فى كونه كبيرة لما فيه من الوعيد الذى لا أشد منه إذ محاربة الله للعبد لم تذكر إلا فى أكل الربا ومعادة أولياء الله ومن عاداه الله لا يفلح أبد الآباد والعياذ بالله تعالى من أيموت على الكفر عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه قال فى لطائف المنن وهذا

الحديث أخرجه البخاري في صحيحه وقد روى من طريق آخر فإذا أحببته كنت سمعا وبصرا ولسانا وقلبا وعفلا ويدا ومؤيدا فأصخ رحمك الله تعالى إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولي وفخامة رتبته حتى ينزله الحق ﷻ هذه المنزلة وأحله هذه المرتبة وإنما قال تعالى من عادى لي وليا فقد أذنى بالحرب لأن الولي قد خرج عن تديره إلى تدير الله وعن انتصاره لنفسه لانتصار الله وعن حوله وقوته يصدق التوكل على الله تعالى وقد قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وإن كان لهم لأنهم جعلوا الله مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار وكيف يدع الله أوليائه من نصرته وهم قد ألقوا أنفسهم بين يديه سلما واستسلموا لما يرد منه حكما فهم في معاهد عزة تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شيء إلا من ذكره ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حبه ويختارهم من كل شيء إلا من وجود قربه ألسنتهم يذكره لهجة وقلوبهم بأنواره بهجة ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷻ يقول ولي الله مع الله كولد اللبوة في حجرها أترها تاركه لمن يغتاله وقد جاء في الحديث الله أرحم بعبد المؤمن من هذه بولدها ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربتهم من عاداهم إذ هم حامل أسرارهم ومعادن أنوارهم وقد قال الله ﷻ الله ولي الذين آمنوا وقال الله تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا غير أن مقابلة الحق سبحانه لمن أذى أوليائه لا يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا (127/2) عند الله ولأن الله لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلا لإثابة أحبائه وإن كانت معجلة فقد تكون قساوة في القلب أو جمودا في العين أو تعويقا عن طاعة أو وقوعا في ذنب أو فترة في الهمة وفائدة هذا البيان أن لا تحكم لإنسان أدى وليا من أولياء الله بالسلامة إذا لم تر عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من أن يطلع العباد عليها ثم اعلم أن الولاية تتضمن النفع والدفع أما النفع فمن قوله تعالى فنفعها إيمانها وقوله فلم يك ينفعهم إيمانهم الآية إذ هذا في وصف الكفار فمفهومه أن الإيمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية البأس وأما الدفع فمن قوله تعالى إن الله يدافع عن الذين آمنوا ويتضمن النصر لقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والنجاة لقوله كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قال شيخ الإسلام والولاية عامة وخاصة فالعامة ولاية الإيمان ثم ولاية القيام بالمأمورات والخاصة محبة الله للعبد وحفظه له وهي بكل حال ممدوحة ومطلوبة ولكن المراد الخاصة أمـ وانظر هل المراد هنا الخاصة أو العامة وظاهر كلام الزواجر أن المراد العامة فليحذر فيجب على كل مسلم أن يحترم كل مؤمن لاسيما إذا كان من الفقراء وقد قال ﷻ للصديق حين قال لما سمع سلمان وصهيبا وبلايا ﷻ يقولون في أبي سفيان ما أخذت سيوف الله من عدو الله لهلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأباهم الصديق وقال يا إخوانه أغضبتهم فقالوا لا يغفر الله لك وكان ﷻ يعظم الفقراء ويكرمهم سيما أهل الصفة والمراد بالفقر الفقر الخاص الذي هو شعار أولياء الله وأحبابه وهو خلق القلب عن التعلق بغير أو سوى والتمكن بشهوده تعالى في سائر الحركات والسكنات حشرنا الله في زمريتهم ومن علينا بحقيقة محبتهم آمين وقد قال في لطائف المنن قال الشيخ أبو الحسن ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷻ يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته فلو كشف الحق سبحانه عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانتطوى نور الشمس والقمر فيها وأين نورهما من أنوارهم إذ هما يحصل لهما الكسوف والغروب وأنوار قلوبهم لا كسوف لها ولا غروب كما قال

إن شمس الله - تغرب
باللي -

ل شمس القلوب ليست
تغيب

وقال بعض العارفين إن عباد الله كلما اشتدت ظلمة الوقت اشتد نور قلوبهم فهم كالكواكب كلما اشتدت ظلمة الليل اشتد إشراقها وأين نو الكواكب من نور قلوب أولياء الله إذ نور الكواكب يتكرر وأنوار قلوبهم لا تتكرر وأنوار الكواكب تهدي في الدنيا للدنيا وأنوارهم تهدي إلى الله تعالى (و) منها (الإعانة على المعصية) أي على معصية من معاصي الله تعالى بقول أو فعل أو غيره ثم إن كانت المعصية كبيرة كانت الإعانة عليها كذلك كما في الزواجر قال فيها وذكرى لهذين أي الرضا بها والإعانة عليها بأي نوع كان ظاهر معلوم مما سيأتي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (و) منها (ترويج) نحو الدرهم (الزائف) إذ هو من الغش وأكل أموال الناس بالباطل وقد عد في الزواجر ضرب نحو الدراهم على كيفية فيها غش بحيث لو اطلع عليها الناس لما قبلوها من الكبائر قال وهو ظاهر وإن لم أر من صرح به ووجهه أن دلائل الغش تشملها وأيضا ففيه أكل أموال الناس بالباطل إذ غالب المئهمكين على ضرب الكيمياء لا يحسنونها (128/2) وإنما يصبغون أو يلبسون أو نحو ذلك من الغش المستلزم لتغيير الناس وأكل أموالهم بالباطل ولذا تجدهم قد محقهم الله وسحقهم فلا تستتر لهم عورة ولا تقال لهم عثرة ولا تحمد لهم آثار ولا يقر لهم قرار بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بأقبح وصف وحرّموا أحسنه لأنهم أخلصوا القصد في محبة الدنيا وتحصيلها بالباطل ورضوا بغش المسلمين وأكل أموالهم وضياعها فيما ليس تحته طائل إذ لا يزدادون إلا فقرا ولا يذوقون فيها إلا ذلا وقهرا وفقنا الله وإياهم لطاعته آمين (و) منها (استعمال أواني الذهب و) أواني (الفضة واتخاذها) أي اقتناؤها بأي وجه كان لأنه يجرّ إلى الاستعمال كافتناء آلة الله وهو من الكبائر لقوله ﷻ إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرّج أي يصوت في بطنه نار من جهنم إلا أن يتوب وقوله ﷻ من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرّج في بطنه نارا من جهنم قال في الزواجر وعد هذا كبيرة وهو ما جرى عليه بعض أئمتنا وكأنه أخذه من

هذه الأحاديث فإن تصويت النار في جوفه المتوعد به عذاب شديد ثم رأيت العلاني صرح به وتبعه البلقيني ونقله الدميري عن جماعة في منظومته فقال

وعد منه نـ ذوو
أيـة النـقـدين في
الأعمـال



لكن الذي جرى عليه الأذرعى وغيره ونقلوه عن الجمهور أنه صغيرة وذكر الأكل والشرب في الحديث مثال ولذا ألحقوا به سائر وجوه الاستعمال وألحقوا بالاستعمال الاقتناء والمراد بالإناء كل ما يستعمل في أمر وضع له عرفا فيدخل فيه المروءة والمكحلة والخلال وما يخرج به وسخ الأذن ونحو ذلك نعم إن كان يعينه أذى وأخبره طبيب عدل أن الكحل بمرود ذهب أو فضة ينفعه حل للضرورة ولا يشترط تمحض الإناء من أحدهما بل لو غشى إناء نحو نحاس بأحدهما بحيث ستر عينه وحصل به شيء بالعرض على النار حرم لأنه حينئذ بمنزلة إناء النقد والعلة في تحريره العين والخيلاء ولذا لو غشى النقد بنحو نحاس حتى عمه كله حل وإن حصل منه بالعرض على النار شيء كما لو عمه الصدع لفوات أحد جزئي علة التحريم وهو الخيلاء على أنه لا يعرفها إلا الخواص فلا تنكسر باستعمالها قلوب الفقراء بخلاف الذهب والفضة ولا فرق في تحريمهما بين الذكر وغيره ولو غير مكلف فإنه يحرم على المرأة سقى ولدها بمسعط الفضة نعم يستثنى من حرمة ما ذكر ضبة فضة صغيرة عرفا ولو لزينة وإن كرهت حينئذ ككبيرة لحاجة لإن قدحه ❶ كان فيه ضبة وأصل الضبة ما يصلح به خلل الإناء كشريط يشد به كسره أو خدشه ثم أطلقت على ما هو للزينة توسعا وليس من الاستعمال عرفا ما يتلقى بنحو الفم واليدين من ماء ميزاب الكعبة ولا يحرم جلوس تحت سقف مموه بما لا يحصل منه شيء (و) منها (ترك الفرض) من صلاة أو غيرها (أو فعله) صورة كأن يفعله (مع ترك ركن له أو شرط) من شروطه (أو مع فعل مبطل له) من مبطلاته فإن ذلك كعدم فعله من أصله قال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة الآية وقد عد في الزواجر ترك الصلاة من الكبائر وكذا عد ترك واجب من واجباتها المجمع عليها أو المختلف فيها عند من يراه كترك طمأنينة نحو الركوع قال فيها وهو ظاهر وإن لم أر من ذكره لما علمته من الوعيد الشديد أي كالغى في الآية إذ هو واد في جهنم (129/2) بعيد قعره شديد عقابه وغيره مما هو مذكور في الأحاديث وترك واجب لها مجمع عليه يستلزم تركها وهو كبيرة وكذا المختلف فيه عند من يرى وجوبه وعد فيها أيضا من الكبائر ترك واجب من واجبات الوضوء أو الغسل لما ورد فيه من الوعيد الشديد المنطبق عليه حد الكبيرة ولأنه يستلزم ترك الصلاة (و) منها (ترك) صلاة (الجمعة) بلا عذر (مع وجوبها عليه وإن) كان قد (صلى الظهر) بدلها وهو من الكبائر لقوله ❷ لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وقوله ❸ من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع على قلبه وفي رواية فهو منافق وفي أخرى فقد برئ من الله وفي أخرى فقد نبذ الإسلام وراء ظهره وقوله ❹ في خطبة خطبها وأعلموا أن الله فرض عليكم الجمعة في مقامى هذا في يومى هذا في شهرى هذا من عامى هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتى أو بعدى وله إمام عادل أو جائر استخفافا بها وجحودا لها فلا جمع الله له شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا زكاة له ألا ولا حج له ولا صوم له ولا بزل له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه قال في الزواجر وهو ظاهر وبه صرح غير واحد ويؤيده أن فعلها على غير المعذور فرض عين إجماعا بل ومعلوم من الدين بالضرورة فمن استحل تركها وهو مخالف لنا كفر فيما يظهر ولذا لو قال أصلى ظهرا لا جمعة قتل في الأصح عندنا لأنه بمنزلة تركها من أصلها وقول الحليمي إن تركها مع صلاة الظهر صغيرة ضعيف مبنى على ضعيف وهو مقابل الأصح من أنه لا يقتل إذا قال ذلك بناء على أنها ظهر مقصورة

(فائدة) يندب لمن تركها بلا عذر أن يتصدق بدينار فإن لم يجده فبنصفه وفي رواية بدرهم أو نصفه أو صاع أو مد وفي أخرى أو صاع حنطة أو نصف صاع (و) منها (ترك نحو أهل) بلد أو (قرية الجماعة في) فرض من الصلوات الخمس (المكتوبات) في اليوم واللييلة إذا وجدت فيهم شروط الجماعة لقوله ❶ لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم انطلق معي رجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم وقوله ❷ ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ أي غلب عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية وإن ذئب الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله وقوله ❸ ثلاثة لعنهم الله وعد منهم من سمع حى على الصلاة حى على الفلاح فلم يجب وقال كعب الأحبار ما نزل قوله تعالى يوم يكشف عن ساق الآية إلا في المتخلفين عن الجماعات فأى وعيد أبلغ وأشد من هذا وسئل ابن عباس عن يصوم ويقوم ولا يصلى جماعة ولا جمعة فقال إن مات هذا فهو في النار وقال أبو هريرة لأن تمتلى أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب وقال على كرم الله وجهه لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد وجاره من يسمع النداء وكلاهما جاء في الحديث قال في الزواجر وفي هذه الأحاديث دليل لمذهب الإمام أحمد أنها فرض عين ولعدها بالقيود المذكورة كبيرة وإن قلنا بأنها فرض كفاية ولم أر من صرح به ويؤيده أن الإمام يقاتلهم على تركها وأما القول بأنها سنة فلا يقتضى أنه على المعتمد لا تكون كبيرة لأنه يؤول الأحاديث بحملها على المنافقين وهم كفار فلا حجة فيها وهو وإن سلم فيمن عزم على إحراقهم لا يسلم في الملعونين ونحوهم أن اللعن من أماره (130/2) الكبيرة فظهر أن تركها كبيرة يفسق به أهل بلد مثلا إذا تواطؤا عليه ولو في صلاة واحدة من الخمس لأنه دليل ظاهر على تهاونهم بالدين

فهو جريمة تؤذن بقلّة اكترائهم بالدين ورقة الديانة ثم رأيت الذهبي ذكر أنه كبيرة لكن على غير الوجه الذي ذكرته فإنه عدّ الإمرار على تركها بلا عذر (و) منها (تأخير) أو تقديم (الفرض عن وقته) المشروع فيه إذا كان كل منهما عمداً و (بغير عذر) كسفر أو مرض بشرطه قال تعالى ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون إذ المراد بهم المؤخرون الصلاة عن وقتها كما قاله اللؤلؤ العذاب أو واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لذابت من شدة حرّه فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط وقال من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر وقال من الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهداً أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن لوقتهن فلا عهد له عندي وقد عدّ في الزواجر تقديمها أو تأخيرها عن وقتها من الكبائر قال فيها وهو ما نقله الشيخان وأقرّاه وقال ابن مسعود في قوله تعالى أضاعوا الصلاة أي أخروها عن وقتها وليس معناه تركوها وقال ابن المسيب هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر إلى المغرب ولا المغرب إلى العشاء ولا العشاء إلى الفجر ولا الفجر إلى الطلوع فمن مات على هذا ولم يتب أوعده الله بالغى وفقنا الله للمحافظة على فرائضه بمنه وكرمه (و) منها (مى الصيد بالمثل) بفتح وتشديد (المذف) أي المسرع لإزهاق الروح قال في الزواجر ويحرم ميت بمثل محدد أصابه كعرض سهم وإن أنهر الدم اهـ وقد أفتى ابن عبد السلام بحرمة الرمي بالبندق وبه صرح في الذخائر ولكن أفتى النووي بجوازه وقيده بعضهم بما إذا كان الصيد لا يموت منه غالباً كالأوز فإن مات كالعصافير حرم كما لو أصابته البندق فذبحته بقوتها أو قطعت رقبتها فإنه يحرم قال الزيادى وهذا التفصيل هو المعتمد قال الشيخ سلطان فى حواشى شرح المنهج فإن احتمل واحتمل فينبغى التحريم والكلام فى البندق المصنوع من الطين ومثله الرصاص بلا نار أما ما يصنع من الحديد ويرمى بالنار فحرام مطلقاً ما لم يكن الرامى حاذقاً وقصد جناحه لإزمانه وأصابته كما قاله البجيرمى (و) منها (اتخاذ الحيوان غرضاً) بالمعجمة ما ينصبه الرماة ويقصدون إصابته من نحو قرطاس لقوله لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً وقول ابن عمر وقد مرّ بفتيان نصبوا طيراً أو دجاجة يترامونها فلما رأوه تفرقوا من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً وقوله من لا يرحم الناس لا يرحمه الله لن تؤمنوا حتى تراحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحكم صاحبه ولكنها رحمة العامة ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعد فى الزواجر اتخاذ الحيوان غرضاً من الكبائر قال وهو صريح الحديث المار على أنه يؤدّى إلى تعذيبه وتعذيبه الشديد لا شك فى كونه كبيرة ثم رأيت جمعا أطلقوا أن تعذيبه كبيرة واعلم أنه لا يحل الحيوان المقدور عليه ولو وحشياً إلا بالقطع المحض من مسلم أو ذمى تحل ذكاته لجميع الحلقوم والمرء مع استقرار الحياة فى الابتداء بمحدد وجارح غير العظم ولو ظنا كما تشتد حركته بعد الذبح وينفجر دمه ويتدفق ولو سنا والظفر فلو ذبحه من قفاه (131/2) أو من صفحة عنقه أو بإدخال السكين أذنه حل وإن انتهى بعد قطع المرء وبعض الحلقوم إلى حركة مذبوح لما ناله بقطع القفا لكنه يعصى ويأثم بذلك بل ربما يفسق إن علم وتعمد لما فيه من إيذاء الحيوان الإيذاء الشديد قاله فى الزواجر (و) منها (عدم الإحداد) من الزوجة المتوفى عنها زوجها (على الزوج) لقوله المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة أى المصبوغ بالمشق بكسر الميم أى المغرة بفتحها ولا الحل ولا تختضب ولا تتكحل وخبر أم عطية كنا نهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً وأن نكحل وأن نطيب وأن نلبس ثوباً مصبوغاً ولاحداد لغة المنع واصطلاحاً ترك معتدة الوفاة التزين بما هو مبسوط فى كتب الفقه والمشهور أنه بالحاء المهملة ويروى بالجيم من جدت الشئ قطعت لأنها قطعت نفسها عن الزينة وما كانت عليه قبل قال فى الزواجر وعده المتوفى عنها زوجها من الكبائر لما يترتب عليه من المفاسد الكثيرة (و) منها تنجيس المسجد وتقديره (ولو) كان التقدير (بطاهر) كبزاق ومخاط ومثل المسجد معظم فى الشرع وقد مرّ عن الإيعاب كلام مبسوط فى ذلك ثم أن ذلك من المعاصى العظيمة التى قد تجزّ إلى الكفر والعياذ بالله قال فى الزواجر فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم عليه من زمن بعيد أو قريب أو يعلقه وذكر جملة من المكفرات ثم قال: وفى معنى ذلك كل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان فاعله مصرحاً بالإسلام كالمشى إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزناير وغيرها وإلقا ورقة فيها شئ من القرآن أو العلم الشرعى أو اسم من أسمائه تعالى أو اسم نبي أو ملك فى نجاسة قال بعضهم أو قدر طاهر كمنى ومخاط أو بزاق أو تلطيخ ذلك أو مسجد بنجس ولو معفواً عنه فيجب صون نحو المساجد واحترامها عن كل ما فيه قذرة وقد عدّ فى الزواجر الجماع فى المسجد من الكبائر قال لما فيه من القبح الشديد المنبئ عن قلة اكترائ مرتكبه بالدين ورقة ديانتته لأن المساجد منزهة عن مثل ذلك وقد مرّ أن تلطيخ القدر كفر فالجماع فيها ينبغى أن يكون كبيرة لأن فيه من هتك حرمتها ما يقرب من تلطيخا بالقدر اهـ وظاهر كلام الزواجر أن تلطيخه بالقدر كفر مطلقاً قصد الاستهزاء أو لا فليراجع (و) منها (التهاون بالحج بعد الاستطاعة) عليه بنفسه أو بغيره وتأخير (إلى أن يموت) قبل أن يحج وقد عدّ فى الزواجر تركه مع القدرة عليه إلى الموت كبيرة لقوله من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ومن ثم قال عمر لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين وقد روى عنه من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر

ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا وأن الله ﷻ يقول إن عبدا صحت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد على لمحروم وقال ابن عباس ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقليل له إنما يسألها الكفار قال إن ذلك في قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أي أذك وأكن من الصالحين أي الحج وعن سعيد بن جبير أنه مات له جار موسر ولم يحج فلم يصل عليه فإن قيل لا يحكم عليه (132/2) بالفسق إلا بعد الموت فما فائدته حينئذ قلت أما بالنسبة للأخرة فواضح وأما بالنسبة في الدنيا فله فوائد منها تبين موته فاسقا من آخر سنى الإمكان فيتبين بطلان ما شهد به أو قضى فيه وتزويج موليته وكل ما العدالة شرط فيه إذا فعله في السنة الآخرة من سنى الإمكان وهى فوائد جلية فليتنبه لها (و-) منها (الاستدانة لمن-) لم يضطر إليها و (لا يرجو وفاء لدينه-) يعنى لما يستدينه (من جهة ظاهرة و-) لكن لا مطلقا بل إذا (لم يعلم دأبه بذلك-) أي بأنه لا يرجو له وفاء من جهة ظاهرة وكذا الاستدانة مع نية عدم الوفاء قال فى الزواج وهما من الكبائر لقوله ﷻ من أدان ديناً وهو ينوى أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة ومن استدان ديناً وهو لا ينوى أن يؤديه فمات قال الله ﷻ له يوم القيامة ظننت أنى لا أخذ لعبدى بحقه فيؤخذ من حسناته فيجعل فى حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فيجعل عليه وقوله ﷻ إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبده بعد الكبائر التى نهى الله عنها أن يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء وقوله ﷻ نفس المؤمن معلقة بدينه أي محبوسة عن مقامها الكريم حتى يقضى دينه وقوله ﷻ أقل من الدين يهن عليك الموت وأقل من الدين تعش حراً وعد ذلك كم الكبائر صريح من الأحاديث الصحيحة ولا شك أن من أخذ ديناً لا يرجو وفاءه من جهة ظاهرة والدائن جاهل بحاله فقد خدعه إذ لولا الخديعة له لما أعطاه ماله وجميع ما ورد من التغليب فى الدين ينبغى حمله على أحدها تين الصورتين أو على ما إذا استدانه ليصرفه فى معصية وما جاء من التخفيف كالإعانة عليه والقضاء عنه وغيرهما ينبغى حمله على ما إذا استدانه فى طاعة ناوياً أدائه وله جهة ظاهرة فيؤديه منها أو الدائن عالم بحاله وبهذا تجتمع الأحاديث ويزول ما يوهمه ظاهرها من التعارض عند من لم يتأمل فيها فتأمل فإنه مهم وسيأتى فى مبحث التوبة عن الروضة أنه لو استدان حاجة مباحة من غير سرف وهو يرجو الوفاء من جهة أو سبب ظاهر واستمر به العجز إلى الموت أو أتلف شيئاً خطأ وعجز عن غرامته حتى مات فالظاهر أنه لا يطالب فى الآخرة والمرجوع من فضل الله تعالى أن يعوض صاحب الحق وقد أشار إليه الإمام اهـ قال فى الزواج هناك وذكر السبكى ما يوافقه ونقله الزركشى عن الإحياء وأفهم قوله من غير سرف أن السرف حرام واعتمده الأسنوى وقد تفتن له غيره وهو واضح ويدل على تحريمه قوله تعالى إنه لا يحب المفسرين ولا تبذر تبذيراً الآية والتبذير هو السرف اهـ ولا ينافيه قولهم إن صرف المال فى الأطعمة والثياب والمراكب النفيسة غير سرف لأن هذا فيما يصرفه من ماله وذاك فيما إذا كان يصرفه من اقتراض وليس له جهة ظاهرة يوفى منها (و-) منها (عدم إنظار-) المدين (المعسر-) بقضاء ما عليه مع علم دأبه بإعساره بأن يلازمه أو يحبسه قال فى الزواج وهو حينئذ من الكبائر لقوله ﷻ من أنظر معسراً أو وضع له أى حطّ عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه وقاه الله من قيح جهنم وفى حديث من نقس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة وقوله ﷻ من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضىء بضوءهما عالم لا يحصيهم إلا ربّ العزة وقوله ﷻ من أراد أن تكشف كربته وتستجاب دعوته فليفرج عن معسر وقوله (133/2) من أنظر معسراً فله كل يوم صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حلّ فأنظره بعد ذلك فله كل يوم مثليه صدقة وعده من الكبائر ظاهر جداً وإن لم يصرحوا به إلا أنه داخل فى إيذاء المسلم الإيذاء الشديد الذى لا يطاق عادة الصبر عليه (و-) منها (بذل المال-) ولو فلساً (فى معصية-) من معاصى الله تعالى كبيرة كانت أو صغيرة قال فى الزواج وهو من الكبائر وإن لم أره ويدل عليه كلامهم فإنهم عدوا ذلك سفهاً وتبذيراً موجبا للحجر وصرحوا بأن السفه المحجور عليه لا تصح شهادته ولا يلى نحو نكاح ابنته ومنع الشهادة مع نحو الولاية ينبى عن الفسق ومن لازم كون ذلك مفسدة أن يكون كبيرة ويوجه من حيث المعنى بأنه لا أعز عند النفس من المال فإذا هان عليها صرفه فى معصية دل على الانهماك التام فى محبة المعاصى ولا شك أن الانهماك تنشأ عنه مفاصد عظيمة جداً فاتجه كون ذلك كبيرة من حيث المعنى أيضاً (و-) منها (الاستهانة بالمصحف-) يعنى بكل ما فيه شيء من القرآن (وبكل-) ما فيه شيء من كل (علم شرعى-) أو آله كما مرّ ذلك أول الكتاب ومرّ قريباً أن تقذير ورقة فيها شيء من القرآن أو العلم الشرعى يكون كفراً (و-) منها (تمكين الصبى-) أو الصبية غير (المميز منه-) أى المصحف الشرعى وكذا المجنون مطلقاً والمميز المحدث لغير نحو الدراسة والحمل للتعليم فيه ونقله إلى المكتب ويسن منعه منه حينئذ ويحرم تمكينه منه لغير ذلك سواء التبرك وغيره كما مرّ (و-) منها (تغيير منار الأرض-) بفتح الميم أى علامات حدودها وهو من الكبائر لقوله ﷻ لعن الله من غير منار الأرض والمراد به علامات حدودها كما صرح به فى حديث آخر وصرح بعد هـ من الكبائر جماعة ووجهه أن فيه اكل أموال الناس بالباطل أو إيذاء المسلمين إيذاء شديداً أو التسبب فى أحدهما وللوسائل حكم المقاصد فشمّل ذلك من غيرها من أحد الشركاء أو الأجانب ومن تسبب فى ذلك كأن اتخذ فى أرض الغير ممشى يصير بسلوكه طريقاً فإن لم يصر بذلك طريقاً جاز وقد مر القفال راكباً بجانب ملك وبالجانب الآخر إمام حنفى فضاقت الطريق فسلك القفال غيرها فقال الحنفى للملك سل

الشيخ أيجوز سلوك أرض الغير فسأله الملك فقال نعم إذا لم تصر به طريقا أى ولم يكن فيها نحو زرع يضره السلوك كما هو ظاهر (و-) منها (التصرف فى الشارع بما لا يجوز-) له فعله فيه شرعا مما يضر بالمارة إضرار بليغا غير سائغ فى الشرع والشارع: اسم لكل طريق نافذ ومثله فى ذلك غير النافذ إن لم يأذن فى ذلك أهله والجدار المشترك فلا يجوز التصرف فيه بغير إذن الشريك بما لا يحتمل عادة وعد - هذه الثلاثة فى الزواجر من الكبائر قال وهو ظاهر معلوم من كلامهم وإن لم يصرحوا به لأن ذلك يرجع إلى أذية الناس الأذية البالغة والاستيلاء على حقوقهم تعديا وظلما وأدلة الغضب شاملة لها فلا يغيب عنك استحضارها هنا وقد مرّ فيه خبر من أخذ من طريق الناس شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين (و-) منها (استعمال المعار فى غير المأذون له فيه-) أى فى المنفعة التى استعاره لأجلها (أو-) استعماله فيما (زاد على المدة المأذون له-) بالانتفاع به (فيها-) كان قدر له سنة فاستعمله بعد انقضائها ولو بمدة يسيرة (أو-) التصرف فيه بغير إذن مالكة كان (أعاره لغيره-) بلا إذن مالكة قال الزواجر وهذه الثلاثة من الكبائر عند من يرى منع الثلاثة قال فيها وهو ظاهر من كلامهم لأنه يرجع إلى الغضب والظلم وكلاهما كبيرة إجماعا إذ فيه ظلم للمالك واستيلاء على حقه وماله (2/134) بغير حق فكل ما ورد فيهما من الوعيد الشديد فى الأحاديث تشمله هذه الثلاثة ونحوها (و-) منها (تحجير-) الشيء (المباح-) أى منع الناس من الأشياء المباحة لهم على العموم والخصوص (كالمرعى والاحتطاب من-) الأرض (الموات-) التى يجوز لكل أحد إحياؤها وكالشوارع والمساجد والربط (و-) كالمعادن الباطنة والظاهرة كان يمنعهم من أخذ نحو (الملح من معدنه-) قال فى الزواجر فممنع أحدا من أخذ هذه ينبغى أن يكون كبيرة لأنه شبيه بالغضب فهو كما لو منع الإنسان عن ملكه إذ استحقاقه للانتفاع بشيء من ذلك كاستحقاقه الانتفاع بملكه فكما أن منع الملك كبيرة فكذا هذا (و-) منها منع (الماء للشرب من المستخلف-) قال فى الزواجر ومن الكبائر منع فضل الماء بشرط الحاجة والاضطرار إليه لقوله ﷺ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنع منه ابن السبيل زاد فى رواية يقول الله له اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل ما لم تعمل يداك وسئل ﷺ ما الشيء الذى لا يحل منعه قال الماء والملح وأن تفعل الخير خير لك وعن عائشة ما الشيء الذى لا يحل منعه قال الماء والملح والنار قلت يا رسول الله هذا الملح قد عرفناه فما بال الملح والنار قال يا حميراء من أعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ما طببت ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيّاها وقال ﷺ الناس شركاء فى ثلاث فى الماء والكلاء والنار وثمنه حرام قال أبو سعيد يعنى الماء الجارى (و-) منها (استعمال اللقطة بضم اللام وفتح القاف على المشهور أى الشيء الملتقط وهو ما ضاع من مالكة بسقوط أو غفلة أو نحوهما فى نحو الشوارع مما هو مبسوط فى كتب الفقه إذا كان ذلك الاستعمال (قبل التملك-) لها (بشروطه-) المبسوط فى كتب الفقه قال الزواجر وهو من الكبائر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل (و-) منها (الجلوس-) فى محل فيه منكر من المنكرات المحرمة (مع مشاهدة-) ذلك (المنكر-) فى ذلك المحل أو رضاه به وإن لم يشاهده (إذا لم يعذر-) فى جلوسه فيه بأن أمكنه أن يغيره بمراتبه المارة أو يفارقه ولم يفعل لقوله ﷺ إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها وفى رواية فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها-) قال فى الزواجر قال بعض المتأخرين ينبغى أن يفصل فى النهى عن المنكر فيقال إن كان كبيرة فالسكوت عليه مع إمكان دفعه كبيرة وإن كان صغيرة فالسكوت عليه مع ذلك صغيرة (والتطفل فى الولائم-) جمع وليمة قال الحلبى والوليمة اسم لكل دعوة لطعام يتخذ لحادث سرور أو غيره أم واستعمالها مطلقة فى العرس أشهر (وهو الدخول-) على طعام الغير ليأكل منه (بغير إذن-) من صاحبه ولا رضا منه بذلك (أو-) هو الاتيان إلى باب أهل الوليمة فلما رآوه (أدخلوه-) ليأكل (حياء-) منه قال فى الزواجر وهو من الكبائر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ومثله أكل الضيف زائدا على الشيع من غير أن يعلم رضا المضيف بذلك وإكثار الإنسان الأكل من مال نفسه بحيث يعلم أنه يضره ضررا بينا والتوسع فى المأكول والمشرب شرها وبطرا لقوله ﷺ لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه وإنما قال ذلك لشدة ما حرم الله من المسلم وقوله (2/135) من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج معيرا وقوله ﷺ المسلم يأكل فى معنى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء وقوله ﷺ ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وقوله ﷺ سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشددون فى الكلام فأولئك شرار أمتى وعد الأولين من الكبائر ظاهر لأنهما من أكل أموال الناس بالباطل وأما الثالث فلما فيه من إضرار النفس وهو كإضرار الغير كبيرة وأما الرابع فقياسا على تطويل الإزار للخيلاء بجامع أن كلا ينبئ عن عجب وزهو وكبر وعلى هذا أو على الشيع المضّر أو من مال الغير يحمل ما ورد من الوعيد الشديد فى الأكل ونحوه وفى الأم من يغشى الدعوة بغير دعاء من غير ضرورة ولا يستحل صاحب الطعام فتتابع ذلك منه ردت شهادته لأنه يأكل محرما إذا كانت الدعوة دعوة لرجل بعينه فأما إذا كان طعام سلطان أو رجل يتشبه بالسلطان فيدعو الناس عامة فلا بأس به وقال الجبلى ولا تقبل شهادة الطفيلى وبه قال الشافعى ولا نعلم له مخالفا لما روى مرفوعا من أتى طعاما لم يدع إليه دخل سارقا وخرج معيرا ولأنه يأكل محرما ويفعل ما فيه دناءة وذهاب مروءة فإن لم يتكرر منه لم ترد شهادته لأنه من الصغائر أم قال الأذرى وهذا فى الأكل المحمود أما لو انضم إليه انتهاب الطعام النفيس والحلواء وحمله

كما يفعله السفلة من المتطفلين إذا حضر الدعوة الخاصة وشق ذلك مشقة شديدة على صاحب الدعوة وإنما يسكت حياء من الناس ومروءة فهو خرق للمروءة ونزع لجلباب الحياء فيكفى في رد الشهادة المرة الواحدة {خاتمة}. قال ﷺ شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء وتترك المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله وهي عندنا واجبة لوليمة العرس بشروطها المقررة في الفقه مستحبة في غيرها ويندب لعق الأصابع عند الفراغ من الأكل لأمره ﷺ بلعق الأصابع والصحفة وقال إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة وإمالة الأذى عن اللقمة إذا سقطت وأكلها والتسمية أول أكله فإن نسيها أوله فأثناءه أو آخره وقول الحمد لله الذي أطعمنى وأشبعنى وسقانى وأروانى بعد أن يشبع لخبر من قال ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وغسل اليد قبله وبعده لخبر من قام وفي يده غمر بفتح أوله أي ريح لحم وزهو منته فلم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه وصح البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حفتيه ولا تأكلوا من وسطه وإذا أكل أحدكم طعاما فلا يأكل من أعلى الصحفة ولكن يأكل من أسفلها ونعم الأدم الخل ثلاثا كلوا الزيت وادهنو به فإنه من شجرة مباركة انهشوا اللحم نهشا فإنه أهنأ وأمرأ وصح أنه ﷺ احتز من كتف شاة فأكل وأحب الطعام ما كثرت عليه الأيدي وليأكل أحدكم بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويعطى بشماله ونهى ﷺ عن الشرب من ثلمة القدح والنفخ في الشراب والتنفس في الإناء وشرب الرجل من فم السقاء وصح أنه ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثا ومعناه أنه كان يبين القدح عن (2/136) فيه ثم يتنفس وروى أن رجلا شرب من في السقاء فخرجت عليه حية (و). منها (أن يكرم المرء اتقاء شره). أي لأجل أن يتقى ويحذر من شره بأن يخشى منه من لا يكرمه أن يصيبه بشر لكونه ملازما للشر والفحش وملازمتها بحيص يخشاه الناس قال في الزواجر وهو من الكبائر لقوله ﷺ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من ودعه الناس أي تركه اتقاء شره وقد ورد إن الفحش ولا تفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس أحسنهم خلقا ولا شك أن إكرام الشخص خوفا منه من أكل أموال الناس بالباطل فيكون كبيرة مثله (و). منها (عدم التسوية). من الزوج (بين). الزوجتين أو (الزوجات). بأن يرجح إحداها أو إحداهن على غيرها ظلما وعدوانا قال في الزواجر وهو من الكبائر لقوله ﷺ من كانت عنده امرأتان فلا يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط وفي رواية فمال إلى إحداها جاء يوم القيامة وشقه ساقط والمراد بالميل إلى إحداها ترجيحها في الأمور الظاهرة التي حرم الله الترجيح فيها لا القلبية لخبر كان ﷺ يقسم ويعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعنى القلب وعدة من الكبائر لما في الأحاديث من الوعيد الشديد ولما فيه من الإيذاء العظيم الذي لا يحتمل ومن الكبائر منع الزوج حقا من حقوق زوجته الواجبة لها عليه كالمهر والنفقة ومنعها حقا له عليها كذلك كالتمتع بلا عذر شرعى (و). منها (خروج المرأة). من بيتها (متعطرة أو متزينة ولو). كانت (مستورة و). كان خروجها (بإذن زوجها إذا كانت تمر). في طريقها (على رجال أجانب). عنها لقوله ﷺ أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية ومرت امرأة على أبي هريرة ﷺ وريحها يعصف فقال لها أين تريد يا أمة الجبار فقالت إلى المسجد قال وتطيبت له قالت نعم قال فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها يعصف حتى ترجع فتغتسل والمراد بتغتسل تذهب ريحها وليس المراد الغسل الحقيقي وقوله ﷺ انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المساجد قال في الزواجر وهو من الكبائر لصريح هذه الأحاديث وينبغى حمله ليوافق قواعدا على ما إذا تحققت الفتنة أما مجرد خشيتها فإنما هو مكروه ومع ظنها حرام غير كبيرة كما هو ظاهر وعد من الكبائر أيضا خروجها بغير إذن زوجها ورضاه لغير ضرورة شرعية كاستفتاء لم يكفها إياه أو خشية نحو فجرة أو انهدام المنزل لخبر إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرّت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع (و). منها (السحر). الذي لا يكفر وتعليمه وتعلمه وطلب تعلمه قال في الزواجر كل منها من الكبائر لقوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وقد بسط المفسرون تفسيرها وقد لخصه فيها بما ينبغى الاطلاع عليه وقوله ﷺ ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن له أو سحر أو سحر له وقوله من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وفي رواية فقد برئ مما أنزل على محمد ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين يوما وفي رواية من أتى كاهنا فسأله عن شيء (2/137) حجت عنه التوبة أربعين ليلة والكاهن هو من يخبر عن بعض المضمرات فيصيب البعض ويخطئ الأكثر وبزعم أن الجن تخبره بذلك ومنهم من يسمى المنجم كاهنا وقال ابن فارس الضرب بالحصى نوع من التكهن والمنهى عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث المستقبلية كمجىء المطر والثلج وهبوب الرياح وتغير الأسفار ويزعمون أنهم بدركون تمييز الكواكب لاقترائها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان مع أنه علم استأثر به الله تعالى لا يعلمه غيره فمن ادعاه فسق بل ربما يؤذيه إلى الكفر والعياذ بالله ومن قال إن ذلك علامة عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يتخلف لم يأت وكذا الإخبار بما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به نحو الزوال وجهة القبلة فإنه فرض كفاية قال في الأعلام وحاص مذهبنا في السحر أنه إن اشتمل على عبادة مخلوق كشمس أو السجود له أو تعظيمه كما يعظم الله سبحانه أو اعتقاد أن له تأثيرا بذاته أو تنقيص نبي أو ملك بشطه السابق أو اعتقاد إباحة السحر بجميع أنواعه كان كفرا وردة فيستتاب الساحر فإن تاب وإلا قتل وقد يأتى الساحر

بفعل أو قول بغير حال المسحور فيمرض ويموت منه **إما بواصل** لبدنه من دخان أو غيره أو دونه ويحرم فعله إجماعاً ويكفر مستبيحه وتعلمه إن لم يحتج لاعتقاده هو كفر قليل حلال وقليل مكروه والأكثرون على الحرمة مطلقاً لخوف الافتتان والإضرار ثم قال الفخر الرازي استحداث الخوارق إن كان بمجرد النفس فهو السحر أو على سبيل الاستعانة بالفلكيات فدعوة الفلك أو على سبيل تمزيح القوى السماوية بالقوى الأرضية فالطلسمات أو على سبيل اعتبار النسب الرياضية فالحيل الهندسية أو على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة فالعزيمة وقد بسطها وبين كل واحد منها وأوفى بالكلام في السحر بما يتعين الاطلاع عليه فطيب الله ثراه ونفعنا به آمين **(و)** منها **(الخروج عن طاعة الإمام)** أي البغى على الإمام وإن كان جائراً بلا تأويل أو مع تأويل يقطع بطلانه **(إلى أن قال)** وإنما كان كبيرة بذلك القيد لما يترتب عليه من المفساد التي لا يحصى ضررها ولا ينطفئ شررها مع عدم عذر الخارجين حينئذ بخلاف الخارجين بتأويل ظن البطلان فإن لهم نوع عذر ومن ثم لم يضمنوا ما أتلّفوه **(و)** منها **(التولى)** للإمامة العظمى أو الإمارة أو سائر الولايات كالتولى **(على)** مال **(يتيم)** أو على وقف **(أو مسجد أو)** على **(القضاء أو)** على **(نحو ذلك)** من كل ما فيه ولاية ولا يحرم ذلك فضلاً عن كونه كبيرة إلا إذا صدر من شخص **(مع علمه)** من نفسه **(بالعجز عن القيام بتلك الوظيفة)** على ما هو عليه شرعاً كأن علم من نفسه الخيانة فيه أو عزم عليها فيحرم عليه حينئذ سؤال ذلك وبذل مال عليه لقوله **(و)** أولها أي الإمارة ملازمة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل وقوله **(و)** ما من رجل يلى أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله به مغلولاً يوم القيامة يده إلى عنقه فكه بزه أو أوثقه إثم الحديث وعن أبي ذر قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة **(2/138)** وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه وقوله **(و)** من ولي شيئاً انخرق به الجسر فهو به سبعين خريفاً وهي سوداء مظلمة وقوله **(و)** يا أبا ذر أنى لأراك ضعيفاً وأنا أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمن على اثنين ولا تلين مال يتيم وقد مر في فصل معاصي البطن مزيد لذلك وفي الدعوة التامة وفي الحديث قاضيان في النار وقاض في الجنة قاضى بالحق وهو يعلم في الجنة وقاض قاضى بالباطل وهو لا يعلم أو هو يعلم فهما في النار فليتحفظ القاضى غاية التحفظ من المحاباة والمداينة وليراقب الله وحده ويقض بالحق الذي أراده الله تعالى فإن التمس عليه الأمر فليستبن حتى يتبين له الحق فإن استبان وإلا عدل إلى الصلح ثم أن أمر القضاء خطر مخوف إلى الغاية وقد حذر منه الأئمة من السلف وعرضوا أنفسهم بسبب الامتناع منه للضرب والحبس والفرار في البلدان كما هو مشهور من سيرهم وقد ولي القضاء الإمام المحقق إسماعيل الحضرمي وولى بعض أصحابه قضاء زييد فلما دخل عليه الشيخ رآه بثياب وزى غير ما يعهده عليه فسأله من لك ذلك فقال ببركتك يا أبا الذبيح فقال ذبحني الله إن لم أعزلك فعزله وقد مر كلام في ذلك **(و)** منها **(إيواء الظالم ومنعه ممن يريد أخذ الحق منه)** والمراد به كما في الزواجر كل من يتعاطى مفسدة يلزمه بسببها أمر شرعى قال فيها وهو من الكبائر كما صرح به البلقيني وخبر مسلم وغيره عن علي **(كرم الله وجهه)** أنه قال خشى رسول الله **(و)** أربع كلمات قيل ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من لعن والديه لعن الله من أوى محدثاً أي منعه ممن يريد استيفاء الحق منه والمراد ما مر لعن الله من غير منار الأرض قال لقسطلاني وأوى بمد الهمة أفصح في المتعدي وعكسه اللازم وكسر دال محدثاً أي من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه ويجوز فتح الدال ومعناه الأمر المبتدع نفسه وإذا رضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه وعد فيها من الكبائر الشفاعة في الحدود لقوله **(و)** من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد **(و)** الله **(و)** من خاض في الباطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مسلم ما ليس فيه أسكنه رغبة الخبال أي الوحل والخبال عصاة أهل النار وعرقهم قال وهو ظاهر وإن لم أر من ذكره لأن في ترك إقامة الحدود مفسدة عظيمة ولذا ورد أن إقامة حد أنفع للأرض من مطر أربعين صباحاً **(و)** منها **(ترويع)** أحد من **(المسلمين)** والإشارة إليه بنحو سلاح لقوله **(و)** لما غيب بغلة رجل أو نعله مزاحاً لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم وقوله **(و)** من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة وقوله **(و)** من نظر إلى مسلم نظرة مخيفة فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة وقوله **(و)** لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاد **(و)** وقوله **(و)** من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه وقوله لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار قال في الزواجر ويتعين حمل حرمة الترويع على ما إذا علم أنه يحرم به خوف يشق تحمله عادة وكونه كبيرة على ما إذا علم أن ذلك الخوف **(2/139)** يؤدّى إلى ضرر في بدنه أو عقله ومثله في ذلك الإشارة إليه بالسلاح ولم أر من تعرض لذلك **(و)** منها **(قطع الطريق)** أي إخافتها وإن لم يحصل به قتل ولا أخذ مال قال في الزواجر ومجرد القطع من الكبائر فكيف إذا كان معه مال أو جرح أو قتل مع ما عليه غالب القطاع من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في نحو الخمر والزنا قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية ومحاربة المسلمين في حكم محاربة الرسول أي وذكر لفظ الجلالة للتعظيم كقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ولك أن تقول معنى يحاربون يخالفون أحكام الله ورسوله والذي عليه الأكثر أن الآية نزلت قطاع الطريق من المسلمين ثم المحاربون هم من اجتمع وله منعة لأخذ مال ونحوه

فإن كان فى صحراء فقطاع أو فى بلد فكذلك إن لم يلحقه غوث واحتجوا بأنهم فى المدن أعظم ذنبا وأو فى الآتية لبيان اختلاف الأحكام وترتيبها باختلاف الجنائية (و)- بيانها أنه (يحد بحسب جنايته إما بتعزير)- من الإمام بحبس أو تغريب أو غيرهما والحبس فى غير موضعهم أولى وهذا إذا كانت جنايته بإخافة السبيل فقط (أو بقطع يد ورجل من خلاف)- بأن يقطع يده اليمنى ورجله اليسرى فإن عاد فيده اليسرى ورجله اليمنى وهذا إذا كانت بأخذ المال فقط وكان المأخوذ نصاب السرقة (أو بقتل وصلب)- إذا كانت بأخذ المال والقتل أو بقتل بلا صلب إذا كانت بالقتل بلا أخذ مال ويتحتم القتل فى هذين فلا يسقط بعفو الولي واختلف فى كيفية القتل والصلب فعندنا يقتل ويغسل ويكفن ويصلى عليه ثم يصلب على خشبة معترضة ثلاثا زجرا وتنكيلا عن مثل فعله ثم يدفن وقيل يصلب حيا ثم يطعن حتى يموت وقيل تقطع يده ثم رجله واختلف فى النفى فقيل هو أن يطلبه الإمام فأى محل وجده فيه نفاه منه وقيل الحبس إذ المحبوس يسمى منفا من الأرض لأنه لا ينتفع بشيء من الطيبات ولا يجتمع بالأقربان والأحباب وقيل غير ذلك ويعزر من أعانهم ككل من فعل معصية ليس فيها حد بحبس أو تغريب أو غيرهما (و)- منها (عدم الوفاء بالنذر)- سواء نذر القرية واللجاج قال فى الزواجر وهو من الكبائر لأنه امتناع من أداء حق لزمه على الفور فهو كالامتناع من أداء الزكاة إذ الصحيح عندنا أن النذر يسلك به مسلك واجب الشرع فى أحكامه فكذا يكون مثله فى عظيم الإثم بتركه وما يترتب عليه من كونه كبيرة وفسقا اهـ ونذر اللجاج أى الغضب أن يقول مثلا إن كلمت فلانا فله على عتق أو صوم أو صلاة مثلا فيلزمه ما التزمه أو كفارة يمين فى الأظهر ونذر القرية ويسمى نذر التبرر أن يلتزم قرية إن حدثت له نعمة أو ذهبت عنه نقمة كأن شفى الله مريضى أو ذهب عنى كذا فله على أو فعلى كذا فيلزمه إذا حصل المعلق ما التزمه وكذا لو لم يعلق بشيء كله على صوم فيلزمه الصوم فى الأظهر ولا يصح نذر معصية كشرب خمر ولا واجب كصلاة الظهر ولو نذر فعل مباح كقيام أو قعود لم يلزمه الفعل لكن لو خالف لزمه كفارة يمين (و)- منها (الوصال فى الصوم)- ولو نفلا للنهى عنه وفسره فى المجموع نقلا عن الجمهور بأن يصوم يومين فأكثر من غير تناول مطعوم عمدا بلا عذر وتعبيره بمطعوم للغالب فالجماع يمنعه وليست العلة الضعف فقط وإلا لم تزل الحرمة بتناول قطرة ماء ليلا بل مع مراعاة أن ذلك من خصوصياته ففطم الناس عنه ولذا لو ترك غير الصائم الأكل يومين فأكثر عمدا لم يحرم والتعبير بصوم يومين (140/2) للغالب إذ الأمور بالإمساك كتارك النية مع عدم تعاطيه المفطر ليلا وصال محرم لإجراء أحكام الصائم عليه ألا ترى أن الصائم لو أكل ولو كثيرا ناسيا حرم عليه الوصال قال الرويانى: ولو فعل الوصال لا على قصد التقرب به لم يائمه كما فى الفتح وأصله (و)- منها (أخذ)- الشخص نحو (مجلس غيره)- ولو ذميا إذا سبق إليه سواء كان من شارع أو مسجد وقد ذكر الفقهاء أنه يجوز ولو لذى الوقوف فى الشارع ولو وسطه والجلوس به لاستراحة أو معاملة مثلا إن اتسع ولم يضيق بذلك على المارة وإن لم يأذن فيه الإمام لاتفاق الناس عليه فى سائر الأعصار نعم من ينشأ من نحو وقوفه ضرر ولو احتمالا يؤمر بقضاء حاجته والانصراف وللجالس أن يظل بما لا يضره ويختص بمحل أمتعته ومعامله فليس لغيره إزعاجه منه (أو زحمته المؤذية)- له فيه ولو بغير الجلوس فله منع واقف منع رؤيته أو وصول معاملته إليه لا من قعد لبيع مثل متاعه إذا لم يزدحمه فيما يختص به وللإمام أو نائبه أن يقطع بقعة من الشارع لمن يرتفق فيها بالمعاملة قال فى التحفة بما لا يضر بوجه اهـ ولا يجوز إقطاعه للتملك وإن اتسع ولا أخذ عوض ممن يرتفق به بنحو المعاملة وما يفعله بعضهم من بيع بعضه فسق وضلال قال ابن الرفعة ولا أدري بأى وجه يلقى الله تعالى من يفعل ذلك ومن سبق ولو ذميا لمحل من شارع أو مسجد أو مدرسة لتعليم أو إقراء أو إفتاء أو سماع درس بين يدي مدرس أحق به فلا يزعم منه وإن طال جلوسه ما لم يتركه بأن يعرض عنه لتركه نحو الحرفة أو لانتقاله لغيره أو لغيبة طويلة بحيث ينقطع عنه من يألفه لذلك عرفا أما لو قصد العود إليه أو لم يقصد شئنا كما استوجهه فى الفتح ولم تطل غيبته كذلك فهو باق على أحقيته وإن فارقه بغير عذر لخبر مسلم من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به نعم لغيره الجلوس فيه ما دام غائبا ولو لمعاملة ويأتى هذا التفصيل فى مقاعد الأسواق المعتاد الاجتماع فيها ولو فى السنة مرة والسابق لمحل من من المسجد وغيره لصلاة أحق به حتى يفارقه وإن كان خلف الإمام وليس فيه أهلية الاستخلاف فإن فارقه لعذر كتجديد وضوء وإجابة داع وقضاء حاجة ونوى العود لم يبطل حقه وإن اتسع الوقت ولم يترك نحو إزاره فيه نعم إذا أقيمت الصلاة فالوجه سد الصف ولا عبرة بوضع سجاداته قبل حضوره فلغيره تنحيته بما لم يدخل فى ضمانه ويحرم فرشها خلف المقام بمكة وفى الروضة المكرمة لأن فيه تحجير المحل الفاضل وكذا يحرم الجلوس خلف المقام لغير دعاء مطلوب وصلاة سنة الطواف إن احتاج غيره للصلاة فيه والسابق إلى موضع من رباط مسبل **أسكنه** وفيه شرط ساكنيه أحق به إن أذن له الناظر على المعتمد ما لم يعرض عنه أو تطل غيبته وإلا فمن بعده أحق به والسابق إلى معدن ظاهر أو باطن مباح لم يتسع أحق به فإن جاء اثنان معا أقرع بينهما ولا يقدم الأحق إلا بقدر حاجته عرفا بالنسبة لأمثاله لأنه مشترك بين الناس كالماء فإن زاد عليها أو طال مقامه وضيق على غيره أزعج لشدة الحاجة وعموم النيل بخلاف مقاعد السوق ثم اعلم أن الناس فى المياه المباحة كالأنهار سواء وتقدم حاجة بهيمة باستعمال على حاجة زرع وإذا أراد قوم سقى أراضيهم من ماء مباح فإما أن يتسع فيسقى كل منهم متى شاء (أو)- لم يتسع فإن لم يف بهم سقى المحيى أولا فأولا ويحرم على من وقع إحياءه بعده (أخذ نوبته)- فإن أحيوا معا وجهل السابق أقرع بينهم وإذا لم

يكن فيهم من أحيا كما إذا جاء اثنان إلى ماء مباح مرتبين وضاق عنهما قدم السابق بقدر كفايته نعم يقدم على دوابه عطشان أو معا قدم (141/2) العطشان فإن استويا عطشا أو غيره أقرع بينهما ولا يقدم القارع دابته على آدمى ومثل المياه غيرها من المعادن فلا يجوز لأحد الاستيلاء على نوبة ذى النوبة لأنه من الظلم وأكل حق الغير بالباطل والله أعلم

(فصل) فى التوبة وشروطها وأحكامها وأركانها (تجب التوبة) وجوبا عينيا (من) جميع (الذنوب) الكبائر بالاتفاق والصغائر على خلاف فيها والذنب شرعا ما عصى الله به أو ما ذم مرتكبه فى الشرع ولحقه بسببه عقاب فخرج المكروه وترادفه المعصية والسيئة والخطيئة والجريمة والمنهى عنه تحريما والمذموم شرعا تحريما ووجوبها يكون (فورا على كل مكلف) لئلا يأتية الموت وهو عاص ولذا قيل العجلة من الشيطان إلا فى ست التوبة والصلاة إذا دخل وقتها ودفن الميت إذا تحقق موته وتزيوج البكر إذا بلغت وتقديم الطعام للضيف إذا قدم وقضاء الدين إذا حل قال السحيمى ومقتضى كلام النووى أن كون وجوبها فورا متفق عليه بل مجمع عليه وقد يغلط بعض المذنبين فبدوم على الإصرار خوف أن يتوب وينقض وهم جهل إذ لا يترك واجب فوريّ خوف أن يقع بعده ما يقطعه فإن لم يتب فورا كان تأخيرته معصية واحدة فإن صمم على فعل ذنب كان ثانية خلافا للمعتزلة فى قولهم إنها تعد بتعدد الساعات اهـ وفى الزواجر وكون هذه أى ترك التوبة من الكبيرة كبيرة ظاهرة وإن لم أر من عده ويصرح به ما سأذكره من الأحاديث ويشير إليه قوله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أشارت الآية إلى أن عدم التوبة خسار أى خسار ولذلك كانت التوبة من الكبيرة واجبة عينا فورا بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال القاضى الباقلانى وتجب التوبة من تأخير التوبة أما التوبة الصغيرة فواجبة عينا فورا أيضا كما فى الكبيرة قاله الشيخ أبو الحسن الأشعري بل حكى إمام الحرمين الإجماع عليه وكأنه لم يعتد بخلاف الجبائى على أنه حكى عنه فى الجواهر أنه يقول بوجوبها من الصغائر إذا داوم وأطال فى ذلك فيراجع (وهى) أى التوبة لغة الرجوع عن الشيء وإذا أسندت إلى الله كقوله تعالى ثم تاب عليهم أريد بها رجوع لطفه ورحمته بعده أو إلى العبد أريد بها رجوعه عن الذنب وشرعا الرجوع فما لا يرضى الله إلى ما يرضيه مما هو محمود فى الشرع فيشمل التوبة الواجبة وهى الواقعة من الذنب والمندوبة وهى الواقعة من الشبهات والمكروهات وهى توبة الزهاد واعلم أن التوبة التى تمحو الإثم تنقسم إلى توبة عن ذنب لا يتعلق به حق آدمى وإلى توبة عن ذنب يتعلق به حق آدمى فأما الضرب الأول كشرب الخمر فشروطه شروط التوبة فيه أو أركانها على الخلاف فى ذلك قال فى الزواجر ويتجه أنه لا خلاف فى الحقيقة إذ من أراد بها مدلولها لغة وهو الرجوع جعلها شروطا ومن أراد بها مدلولها الشرعى جعلها إركانا ثلاثة قال فى الزواجر بل خمسة بل أكثر على ما يأتى الأول (الندم) على ما مضى أى التحسر والتحزن عليه وإنما يعتد به إن كان على ما فاتته من رعاية حق الله تعالى ووقوعه فى الذنب حياء من الله وأسفا على عدم رعاية حقه فلو ندم لحظ دنيوى كعار أو ضياع مال أو تعب بدن أو لكون مقتوله ولده لم يعتد به قال السحيمى وأما الندم للخوف من النار أو الطمع فى الجنة فالصحيح أنه توبة بناء على أن العمل لأجل الثواب وخوف العقاب من مراتب الإخلاص فإن رجع عن الذنب خوف العقاب سمى تائبا وهذا هو الركن الأعظم لأنه متعلق بالقلب والجوارح تبع له فإذا ندم القلب (142/2) انقطعت عن المعاصى فرجعت برجوعه وهذا هو الإقلاع ولذا قيل أى وعليه الأصوليون التوبة الندم فقط لخبر الندم التوبة وأما العزم على عدم العود والإقلاع فى الحال فثمرة الندم وليس بشرطين له لاستحالاته بدونهما وأجاب الأول بأنه إنما خص الذكر لأنه معظم أركانها كخبر الحج عرفة وذكر أبو نصر القشيري عن والده الإمام أى القاسم أن من شرط التوبة أن يذكر ما مضى من الذلة ويندم عليه فلو أسلف ذنبا ونسيه فتوبته من ذنوبه على الجملة وعزمه على أن لا يعود إلى ذنب ما يكون توبة مما نسيه وما دام ناسيا لا يكون مطالبا بالتوبة عما فيه وكنه يلقي الله وهو مطالب بتلك الزلة وهذا كما لو كان للغير عليه دين فنسى أو لم يقدر الأداء فهو حالا غير مطالب مع النسيان أو الإعسار ولكن يلقي الله وهو مطالب وهى من ذنب دون آخر صحيحة ومن جملة الذنوب من غير ذكر تفصيلها غير صحيحة قال الزركشى وهو ظاهر لأنها الندم وهو لا يتحقق إلا إذا ذكر ما فعله حتى يتصور ندمه عليه (و) الثانى (الإقلاع) عن الذنب فى الحال بأن يتركه إن كان متلبسا به أو مصرا على المعاودة إليه قال فى الزواجر وعد هذا شرطا هو ما نقله الرافعى عن الأصحاب لكنه لم يقيده بما ذكرناه واعترضوه بأن الجمهور لم يتعرضوا له والجواب أن من أهمله نظر لغير المتلبس والمصر إذ لا يتصور منه إقلاع ومن ذكره نظر إليهما فلا بد من إقلاعهما قطعا إذ يستحيل حصول الندم الحقيقى على شيء هو ملازم له فى الحال أو مع العزم على معاودته إذ من لازم الندم الحزن على فرط من الزلة ولا يوجد إلا بتركها مع العزم على عدم المعاودة ما بقى (و) الثالث (العزم على أن لا يعود) فى المستقبل (إليها) أى الذنوب أو إلى مثلها وهذا لا يتصور اشتراطه إلا بمن يتمكن من مثل ما قدمه أما من جب بعد الزنا أو قطع لسانه بعد نحو القذف فالشرط فى حقه عزمه على الترك لو عادت إليه قدرته على الذنب وبهذا علم أن توبة العاجز عن العود صحيحة ولم يخالف إلا ابن الجبائى وهو مردود قال حجة الإسلام ومن ترك وفى نفسه أنه ربما يعود إليه فليس بتائب فإن قلت لا يمتنع من التوبة إلا أنى أعلم من نفسى العود إلى الذنب فاعلم أن هذا من غرور الشيطان ومن أين لك هذا العلم فعسى أن تموت تائبا قبل أن تعود فعليك العزم والصدق فإن أتمه الله فذلك من فضله وإن لم يتمه فقد غفرت ذنوبك السابقة وليس

عليك إلا الذنب الجديد فتب منه قال القاضي لا خلاف بين سلف الأمة في صحة التوبة من بعض القبائح مع المقام على قبائح آخر وقال الإمام والعارف الذاكر لله بما توعده به تعالى على الذنب من العقاب لا يهجم على الذنب إلا بتأويل ولا يصح منه القصد إلى الذنب مع العلم بإطلاع الله تعالى عليه فإن تداخله فقد تغلب شهوته ويقع على بصيرته شبه سد وظلمة وغشاوة ويرتكب الذنب فإن زالت غفلته وفترت شهوته فإنه يتوب إلى الله تعالى من جميع الذنوب ولا يتصور منه والحالة هذه التبعض في الندم قال تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون قال وإذا كان إيمانه اعتقاديا فيتصور منه التبعض عند غلبة الشهوة قال الأزرعي والمشهور من مذهب أهل السنة صحتها من بعض الذنوب مع الإصرار على بعضها وما ذكره الإمام فمن تصرفه وتوسطه (و)- الرابع (الاستغفار)- قال في الزواج على قال به جمع ففي المطلب أن كلام البسيط قد يفهم أنه لا بد من قول الفاسق تبت قال ولم أره لغيره نعم قال القاضي حسين وغيره إنه يستغفر الله بلسانه ظاهرا أو باطنا عن ظهور (143/2) الذنب أم وفي تصحيح المنهاج للبلييني فضية كلام المنهاج أنه لا يعتبر في معصية غير قولية كالقذف قول وليس كذلك بل يعتبر فيها الاستغفار وجزم به قاضي القضاة أبو الطيب والحسيني والماوردي وغيرهم والذي يظهر والله أعلم أن الذنب المذكور وإن كان باطنا لا بد أن يظهر التائب قولاً يظهر منه ندمه على ذنبه بأن يقول أستغفر الله من ذنبي أو رب اغفر لي خطيئتي أو تبت إلى الله من ذنبي ثم بسط الكلام في ذلك وفيه نظر فقد ذكر ابن الرفعة ما يدل على أن الذين عبروا بالاستغفار إنما أرادوا به الندم لا التلطف ومن تأمل ما ذكره علم أنه لا قائل من هؤلاء الأئمة باشتراط التلطف بالاستغفار والخامس وقوع التوبة في وقتها وهو قبل الغرغرة والمعاناة كما ذكره السادس أن لا يكون عن اضطرار بظهور الآيات كطلوع الشمس من مغربها وذكر بعضهم أن الشمس إذا طلعت من مغربها وهو مجنون ثم أفاق وتاب صحت توبته لعذره السابق وهو غريب السابغ أن يفارق مكان المعصية على ما ذكره الزمخشري وهو شاذ وجعل صاحب التنبيه ذلك مستحبا لأنه قد يتذكر لوجوب قضائه عليه المعصية فيقع فيه في ذلك المكان كما وقع لبعض من حج بحليلته وجامعها بمزدلفة ثم حج بها في العام الثاني والثالث والرابع وهو يجامع في المحل كل عام فطلقها في الرابع الثامن تجديد التوبة من المعصية كلما ذكرها بعد التوبة على ما قاله الباقلاني وقال الإمام يستحب وأطال فيه في الزواج بما تنبغى مراجعته التاسع أن لا يعود للذنب على ما قاله الباقلاني أيضا قال الأزرعي فإن عاد إليه كان تقضا للأولى وتظهر فائدته في فاسق تاب وعقد به نكاح ثم عاد إلى ما فسق به فعلى هذا يتبين عدم صحة النكاح بتبين الفسق العاشر أن يمكن من حد يثبت عليه عند الحاكم فتتوقف التوبة على التمكين من استيفائه لا على استيفائه فلو مكن فلم يحده الحاكم ولا نائبه أثما دونه وأطال في الزواج فيه الحادي عشر التدارك (و)- لا يشترط هذا إلا (إن كان الذنب ترك فرض)- من فروض العبادات فإذا ترك نحو صلاة فلا تصح توبته إلا إن كان فوراً وفسقه بتركه فإن لم يعرف مقدار ما عليه من الصلوات مثلاً فقال الغزالي تحرى وقضى ما تحقق أنه تركه من حين بلوغه وفي ترك نحو زكاة وكفارة ونذر مع الإمكان تتوقف صحة توبته على إيصاله لمستحقه الضرب الثاني التوبة مما يتعلق به حق آدمي سواء كان مظلمة في نحو مال (أو تبعة لأدمي)- من غير ذلك فيشترط في صحتها منه مع ما مر إسقاط ذلك الحق فإن كان مالا (قضاه)- أى رده إن بقى وإلا فبدله لمالكه أو نائبه أو لوارثه بعد موته فإن لم يكن له وارث أو انقطع خبره دفعه للإمام ليضعه في بيت المال أو إلى الحاكم المأذون له في التصرف في مال المصالح فإن تعذر قال العبادي والغزالي تصدق به عنه بنية الغرم وألحق الرافعي بالصدقة سائر وجوه المصالح فإن لم يوجد قاض بشرطه صرفه الأمين بنفسه في مال المصالح قال في الزواج ولو أعسر من عليها الحق نوى الغرم إذا قدر وقال القاضي ويستغفر الله أيضا فإن مات قبل القدرة فالمرجو من فضل الله تعالى المغفرة ففي شرح إرشاد الإمام أنه لو حال بينه وبين تسليم النفس أو المال مانع كحبس ظالم له وحدث أمر يصد عنه التمكين سقط ذلك عنه وإنما يلزمه العزم على التسليم إن أمكنه قال النووي ومحل سقوطه إن لم يعص بالتزامه بأن استدان من غير سرف وهو يرجو الوفاء من جهة أو سبب ظاهر واستمر به العجز إلى الموت أو أتلّف شيئا خطأ وعجز عن غرامته حتى مات والظاهر أنه يطالب به في الآخرة والمرجو من فضل (144/2) الله تعالى أن يعوض صاحب الحق وفي السحيمي أنه يجب عليه رد الحق لصاحبه أو ورثته إذا كان موجودا بعينه فإن هلك تعلق بالذمة ورد عوضه ليس بشرط لصحة التوبة عند الجمهور وإن وجب عليه الكسب خروجاً من المعصية وإن لم يلق به ولا يلزمه قبول صدقة أو هدية وإن وفيها بدينه ولا يلزمه الكسب من حيث وفاء الدين (أو استرضاء)- فيه أى طلب منه البراءة منه قال السحيمي ولو براءة مجهولة عند أبي حنيفة ومالك وأما عندنا فلا تصح من المجهول بناء على أن الإبراء تمليك اليمينين الدين فيشترط علمهما به إلا في إبل الدية ومن ذلك الغيبة فلا بد من ذكر اللفظ الواقع منه ومن وقع عنده لاختلاف الغرض بذلك ولا أثر لإبراء الوارث فإن تعذر بموته أو تعسر لنحو غيبة طويلة استغفر له ليصل إليه من جهته حسنات عسى تعدل سيئاته وتكون سببا للعفو عنه وكذا من لم تبلغه الغيبة يكفي فيها الاستغفار والتوبة ولا يجوز إعلام المغتاب إذا خشى ضررا به على نفسه أو غيره قال السيوطي ولو لم يرض صاحب الحق في نحو الغيبة إلا ببذل مال كان للتائب بذله سعيا في خلاص ذمته والقبطة في ذلك له ومحل التوقف على الاسترضاء والاستبراء ما لم يخش زيادة غيظ أو تحريك فتنة وإلا بأن خاف ضررا على نفسه أو غيره فليرغب إلى الله تعالى أن يرضيه عنه ويكثر الاستغفار له فمن زنى أو لاط

ولم يبلغ فعله الإمام فلا ينبغي أن يطلب الاستحلال لما فيه من هتك العرض فيكفيه الندم والعزم على عدم العود والرغبة إليه تعالى في إرضاء خصمه ومن أبرأ إنساناً من حق في الدنيا والآخرة أو في الدنيا فقط برئ منه في الآخرة لأن البراءة فيها تابعة للبراءة في الدنيا خلافاً لمن قال إنه في الثانية لا يبرأ فيهما وليس لخصمه المطالبة في الدنيا ولو أعطاه ما عليه بعد البراءة فله أن يأخذه وفي الزواج عن الرافعي ولا خلاف أن الوارث لو أبرأ أي من المال أو مما فيه حد من غيره أو استوفى سقط الحق ثم إن كان عصي بالمماطلة تاب عنها والأصل في توقف التوبة على الخروج من حق الأدمى عند الإمكان قوله ﷺ من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحله اليوم قبل أن لا يكون لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل يؤخذ منه بقدر مظلمته وإلا أخذ من سيأت صاحبه فحمل عليه قوله ﷺ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وقوله ﷺ رحم الله عبداً كان عليه لأخيه مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله ويشترط فيما إذا كان الحق قوداً أو حد قذف مع الاتيان بجميع ما مر أن يمكن المستحق من استيفائه بأن يعلمه إن جهل أنه القاتل ويقول إن شئت فاقتصص وإن شئت فاعف فإن امتنع من كل منهما صحت التوبة ولو تعذر وصوله للمستحق نوى التمكين إذا قدر ويستغفر الله قال في منهاج العابدين إن الذنوب التي بين العباد إما في المال فيجب رده عند المكنة فإن عجز لفقر استحله فإن عجز عن استحلاله لغيبته أو موته وأمكن التصديق عنه فعله وإلا فليكثر من الحسنات ويرجع إلى الله تعالى ويتضرع إليه في أنه يرضيه عنه يوم القيامة وإما في النفس فيمكنه أو وليه من القود فإن عجز رجع إلى الله تعالى في إرضائه عنه يوم القيامة وإما في العرض فإن اغتبه أو شتمته أو بهته فحقت أن تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك معه إن أمكنك بأن لم تخش زيادة غيظ (145/2) وهيد فتنة في إظهار ذلك فإن خشيت ذلك فالرجوع إلى الله ليرضيه عنك وإما في حرمه فإن خنته في أهله أو ولده أو نحو ذلك فلا وجه للاستحلال والإظهار لأنه يولد فتنة وغيظاً بل يتضرع إلى الله ﷻ ليرضيه عنك ويجعل له خيراً كثيراً في مقابلته فإن أمنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه وإما في الدين فإن كفرته أو بدعته أو ضلته فهو أصعب للأمر فتحتاج إلى تكذيب نفسك بين يدي من قلت له ذلك بحضرته وأن تستحل منه إن أمكنك وإلا فالابتغال إلى الله جداً والندم على ذلك ليرضيه عنك قال الأذرعى وهو أي كلام الغزالي في غاية الحسن والتحقيق فإن كان الحق نحو ضرب لا قود فيه تحلل من المضروب وطيب نفسه فإن أحله وإلا أمكنه من نفسه ليفعل به مثل فعله لأنه الذي في وسعه فإن امتنع من تحليله والاستيفاء صحت توبته ولو مات صاحب الحق لم يستحل موارثه إلا أن يكون جرحاً فيه حكومة فهو باعتبار تضمنه للمال ينتقل للوارث فلا بد حينئذ من استحلاله قال الحليمي ومن أضرّ بمسلم وهو لا يشعر أزاله عنه ثم سأل العفو عنه وأن يستغفر له لأن أولاد يعقوب ﷺ لما جاءوا تائبين سألوه الاستغفار لهم وفي الخادم أن ترك التحليل من الظلمات والتبعات أولى عندنا لأن صاحبها يستوفيها يوم القيامة بحسنات من هي عنده وتوضع سيئاته على من هي عنده كما شهد به الحديث وهل يكون أجره على التحليل موازناً ما له من الحسنات في الظلمات أو يزيد عليها أو ينقص عنها وهو محتاج إلى زيادة حسناته ونقصان سيئاته والأظهر أن التحليل أفضل لأنه إحسان عظيم تبنى عليه المكافأة من الله ﷻ وهو أكرم من أن يكافى بأقل مما وهب له منه مع قوله تعالى إن تقرضوا الله الآية وقال مالك يحل من التبعات لا الظلمات عقوبة لفاعلها أخذاً بقوله تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية والعفو عن الظالم أولى من الاقتصاص منه قال في الزواج وفيما نقله عن الشافعي ومالك نظر والذي يدل عليه الحديث أن العفو أفضل مطلقاً وقد قال ﷺ أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال إني تصدقت بعرضي على الناس

(خاتمة)- نسأل الله حسن الخاتمة اعلم وفقني الله وإياك أن التوبة أصل كل مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا حال قال تعالى وتوبوا إلى الله جميعاً الآية وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً قال الواسطي والنصوح هي أن لا يبقى على صاحبها أثر المعصية لا سراً ولا جهراً ومن كانت توبته نصوحاً أي خالصة لا يبالى كيف أمسى وأصبح وقال ﷺ التائب من الذنب كم لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب أي لأنه إذا أحبه ألهمه التوبة منه أو غفر له وقال ﷺ ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب فهي أول منزله من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين ولها أسباب وترتيب وأقسام وأول ذلك انتباه القلب عن الغفلة ورؤيته ما هو عليه ومتلبس به من سوء الحالة ويصل لذلك بالإصغاء لما يخطر بقلبه من زواج الحق بأن يتفكر في سوء ما يصنعه ويهجر أقدان السوء ويختلط بالصالحين ويستمتع لأقوالهم وأفعالهم المرسومة في الكتب ثم إن عندهم توبة وإنابة وأوبة (146/2) وكلها ترجع لمعنى الرجوع والأولى صفة المؤمنين لقوله تعالى وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون والثانية صفة المقربين لقوله تعالى وجاء بقلب منيب أي مقبل على طاعته والثالثة صفة الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى نعم العبد إنه أواب أي رجع في في التسبيح والذكر في جميع الأوقات فمن تاب خوفاً من العقاب ورجاء للثواب فإنما هو طالب حفظ نفسه غير مخلص لله أو حياء منه تعالى لقدرته عليه وعلمه به لا خوفاً من ناره ولا رجاء لثوابه فهو المخلص في توبته ومن تاب عن كل ما سواه تعالى فهو المقرب وهو أرفع درجة ولذا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وإخلاص المريرين رياء

العارفين لأن المرید إذا تقرب بطاعة ونظر إليها لا ينافى إخلاصه فيها بخلاف العارف فإنه متى اشتغل سره بغيره تعالى نافي ذلك عرفانه وقد ورد في فضائل التوبة والحث عليها من الآيات والأحاديث والآثار ما لا يحصى كثرة فمن ذلك قوله ﷻ إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله ﷻ إن من قبل المغرب لبابا مسيرة أرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله ﷻ للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وفوله ﷻ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتنم لتاب الله عليكم وقوله ﷻ إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله تعالى حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقي الله يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب وقوله ﷻ النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتي بغتة ولا يفترن أحدكم بحلم الله ﷻ فإن النار أقرب إلى أحدكم من شرك نعله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد أوحى الله لأدم ﷻ يا أدم ورثت ذراريك التعب والنصب أي بخروجك من الجنة وورثتهم التوبة من دعاني منهم بدعوتك أي بسؤالك التوبة لبئيتك أي أجبتك إليها كما أجبتك يا أدم أنا أحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب فعلى العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة داوم الانكسار وملازمة التفرغ منه والاستغفار كما قالوا استشعار الوجع أي الخوف إلى الأجل أي ينبغي للعبد أن يكون خائفا من عدم صلاح أعماله مستمرا عليه إلى حين موته قال تعالى يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة وكان من سنته دوام الاستغفار وقد قال ﷻ إنه ليغان أي يغطي على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة في رواية مائة وفائدة الاستغفار مع أنه مغفور له طلب ما عسى يكون فاتته شيء حال الغين وطلب زيادة الدرجات والاستدعاء لمحبة الله له الخاصة وينبغي لمن تاب أن لا يعاود الذنب فقد قال يحيى بن معاذ زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها لأن الفعل القبيح من العالم بكمال قبحه أقبح من غيره وذكر السبعين هنا كالخبر للمبالغة وكذا المائة في الرواية المارة كما قاله شيخ الإسلام ثم قال ﷻ خاتما الكتاب {انتهى} أي تم وبلغ نهايته {ما قدر الله} ﷻ في أذله {جمعه} في هذا التأليف الشريف ويسره الآن ثم طلب منه تعالى أن يكرر الانتفاع به فقال {وأرجو} أي أمل من الرجاء بمعنى {147/2} الأمل ويكون في غير هذا الموضع بمعنى الخوف مع النفي كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا كما في الخفاجي على الشفاء {منه سبحانه} وتعالى لا من غيره {أن يعم} ﷻ {نفعه و} أن {يكثر في القلوب وقعه} أي قلوب كل من رآه أو قرأه وقد أعطاه الله تعالى ما أمله ثم قال ﷻ شهودا للتقصير واعترافا به حيث لم يبرئ كتابه من الخطأ {وأطلب ممن أطلع عليه من أولى المعرفة} أي أصحاب العلم بما فيه إذ المعرفة عند غير الصوفية صفة توجب تمييزا لا يحتمل متعلق النقيض وأما عند الصوفية فهي معرفة الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق المعاملة مع الله ثم التنقي من الأخلاق الرديئة ثم إطالة الوقوف بالباب ودوام العكوف بالقلب إلى آخر ما قاله القشيري ﷻ إذا طالعه وتامله {ورأى فيه خطأ} وهو ضد الصواب كما في القاموس {أو} رأى فيه {زللا} أي نقصا كما في القاموس أيضا وفي الخفاجي على الشفاء إنه في الأصل السقوط من الأكم {أن ينبه على} ما رآه فيه من {ذلك} ويردّه {بالرد الصريح} والقول الفصيح بالهامش أو في شرح عليه مع التبجيل والتعظيم لا بعبارة فيها إساءة أدب ولا بمجرد البديهة من غير تأمل وإمعان لأنه ربما ظهر له بالبديهة بطلان ما هو صحيح ومستقيم كما قيل

وكم من ع-ائب ق-ولا وأفت-ه من الفه-م
صحي-حا السقي-م

وعلى ما طلبه ممن أطلع عليه بقوله {ليحذر الناس} يحتمل كون ذال الفعل مشددة ففاعله ضمير يعود على المنبه ويحتمل كونها مخففة ففاعله الناس {من اتباعي على غير الصواب} ويرشدهم إلى ما هو الصواب والحق {فالحق أحق} يعني حقيق وحرى {أن يتبع} فأفعل ليس على بابه كما في أصحابنا في باب التيمم صاحب الماء أحق به إذ المعنى لا حق فيه لغيره كما نقله ابن حجر في حاشية الفتح عن المجموع {والإنسان محل الخطأ والنسيان}

وم-ا س-مى الإنس-ان إلا ولا القلب-ب إلا أن-ه
لنس-يه ينقل-ب

وقل أن يخلو مؤلف عن هفوة أو ينجو مصنف من عثرة {تنبيه} قال سيدنا الحبيب عبد الله بن الحسين بن عبد الله بالفقيه ﷻ في رسالته المسماة بمطلب الاعتزاء بعد أن ذكر حقيقة المطالعة بشرطها وآدابها إذا علمت ذلك فحذارك من الانتقاد قبل التحقيق والإنكار قبل التدقيق وإياك والاعتراض والجمود مع الألفاظ إذ ليس ذلك من شأن أولى العقل فإذا رأيت من يسارع لذلك فاشهد على عقله بالخبال إذ لا يصدر ذلك غالبا إلا من حمق جلي أو داء خفي من طلب شهرة أو مال أو حقد أو حسد أو نحو ذلك فمن حق المستبرئ لدينه في ورعه ويقينه أن يثبت في قوله وفعله ويسلم كل مقام لأهله سالكا سبيل الإنصاف مجانباً مهاوى التشديق والاعتساف ا-د بمعناه ثم ابتهل ﷻ إلى الله طالبا المغفرة العظيمة بهذه الآية الكريمة الدالة على أن الترحم والاستغفار من المتأخرين للسابقين المؤمنين مما أوجبه رب العالمين

لاسيما الوالد منهم والمعلم لأمر الدين وعلى البداءة بالنفس المأمور بها في قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ﴿ وابدأ بنفسك فقال ﴾ (ربنا اغفر لنا) أي ما فرط منا ﴿ (ولإخواننا) ﴾ أي في الدين الذين هم أعز وأشرف من إخوان النسب علينا ووصفهم بقوله ﴿ (الذين سبقونا بالإيمان) ﴾ اعترافا بفضلهم عليهم ثم طلبوا منه تعالى أن ينزه قلوبهم عن الأوصاف الذميمة فقالوا ﴿ (ولا تجعل في قلوبنا غلا) ﴾ أي حقدا وقد مر ﴿ (2/148) ﴾ أنه فاحشة ذميمة لقوله ﴿ المؤمن ليس بحقود ﴾ (للذين آمنوا) يا ﴿ (ربنا إنك رؤف رحيم) ﴾ مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق أن تجيب دعاءنا قال في روح البيان ولعل وجه تقديم النفس أن الاستغفار إقرار بالذنب فالأحسن للعبد أن يرى أولا ذنب نفسه وكل جلب نفع أو دفع ضرر ينبغي أن يطلبه أولا لنفسه إذ هي أقرب إليه من غيره وأيضا ذنب نفسه متيقن بخلاف ذنب غيره فإنه ربما غفر الله له وهو لا يدري أم وقد ورد في الدعاء للمؤمنين خصوصا وعموما أحياء وأمواتا أحاديث كثيرة كقوله ﴿ لولا الأحياء لهلك الأموات أي لما يصل إليهم من دعائهم واستغفارهم والترحم عليهم وقوله ﴾ أمتى أمة مرحومة تدخل قبورهم بذنوب كالجبال وتخرج من القبور وقد غفر لها باستغفار الأحياء للأموات ثم أتى بما هو كالتعليل لما مر فقال ﴿ (اللهم) ﴾ أي يا الله ﴿ (مغفرتك أوسع من ذنوبنا) ﴾ أي اغفر لنا فإن مغفرتك أوسع من ذنوبنا قال ﴿ والذي نفسى بيده لو لم تذنبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله ﴾ فيغفر لهم ﴿ (ورحمتك أرجى عندنا) ﴾ لنا ﴿ (من أعمالنا) ﴾ فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله كما قاله ﴿ قال تعالى ورحمتى وسعت كل شيء أى لكل شيء نصيب منها قال في تنبيه الغافلين عنه ﴾ الرحمة مائة جزء فأمسك الله عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فيها يتراحم الخلق وفي رواية إن لله مائة رحمة أهبط بمنها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وإن الله تعالى قابض تلك الرحمة يوم القيامة فيضعها إلى التسعة والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه وأهل طاعته قال الفقيه فبين ﴿ ما أعد للمؤمنين من الرحمة ليحمدوا الله على ما أكرمهم به من رحمته ويشكروه ويعملوا عملا صالحا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا إن رحمة الله قريب من المحسنين وعن يحيى بن معاذ أنه كان يقول إلهي قد أنزلت علينا رحمة واحدة وأكرمتنا بها وهى الإسلام فكيف إذا أنزلت علينا مائة رحمة ألا نرجو مغفرتك إلهي إن كان ثوابك للمطيعين ورحمتك للمذنبين فأنى وإن كنت لا أرجو ثوابك فأنى من المذنبين أرجو رحمتك

﴿ تنبيه ﴾ قال في روح البيان وإنما يؤتى باللهم في الدعاء لأنها تكون غالبا في ابتداء دعائه ﴿ لأنها مظهر الاسم الجامع وقد يجمع بينها وبين ربنا كما فعل عيسى حيث قال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء والدعاء الوارد في القرآن غالبا بلفظ ربنا فعلى العبد أن يذكر أولا الإيجاد ثم الإخراج من العدم إلى الوجود الذى هو أصل المواهب ويتفكر في تبية الله له ساعة فساعة ثم ختم ﴿ بقوله تعالى ﴾ (سبحان ربك رب العزة) أي مالك الغلبة والقهر على الإطلاق ﴿ (عما يصفون) ﴾ أي عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من نحو ولد وزوج وشريك ﴿ (وسلام) ﴾ أي نجاة وسلامة من كل مكروه ﴿ (على المرسلين) ﴾ الذين أولهم آدم وآخرهم محمد وعنه ﴿ إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فإنما أنا أحدهم ﴾ (والحمد لله رب العالمين) لقول سيدنا على ﴿ وكرم وجهه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة الآية قال في روح البيان في قراءة هذه الآية آخر المجلس جلب الأجر الجزيل وهو أحد شئين ينبغي للمؤمن أن يتدارك حاله بهما والثاني الكفارة وهو بما أشار له عليه بقوله من جلس مجلسا ﴿ (2/149) ﴾ فكرر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليه فقد غفر له يعنى الصغائر ما لم تتعلق بحق آدمي فعلى العاقل أن لا يغفل في مجلسه بل يذكر ربه ويختتمه بما هو من باب التخلية والتحلية والتصفية والتجلية وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين قال ابن عبد السلام وسبحان الله كلمة اشتملت على سلب النقص والعيب عن ذاته تعالى وصفاته فما كان من أسمائه سلبا كالقدوس أى الطاهر من كل عيب والسلام أى المسلم من كل آفة فهو مندرج تحتها فنفيها بها عن كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه والحمد لله رب العالمين كلمة اشتملت على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته ﴿ فما كان من أسمائه متضمنا للإثبات كالعليم والقدير فهو مندرج تحتها فأثبتنا بها كل كمال عرفناه وكل حال أدركناه ولعل توسط التسليم بين تسبيحه وتحميده للختم بحمده مع ما فيه من الإشعار بأن التوفيق لذلك من جملة النعم الموجبة للحمد أم وليعلم أن هذا المختصر لما جمع مما تمس إليه حاجة كل مكلف ولا يستغنى عنه أحد من المكلفين الطالبين لما يجب عليهم فعله أو تركه كان مما ينبغي أن لا يخلو عن شيء نزر من فضائل الذكر والذكرى لما في ذلك من نور الظاهر والباطن فلا بأس أن نورد شيئا مما ذكره سيدنا السيد الشريف ذو النسب والقدر المنيف العالم الربانى والقطب الصمدانى الحبيب شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشيخ الحبيب عبد الله العيدروس فى خاتمة شرحه لأبيات سيدى الحبيب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن السقاف المسمى بالفوز والبشرى فى الدنيا والأخرى قال نفعا الله به ويعلومه وسلفه فى الدارين آمين القول فى فضل الذكر والذكرى اعلم أن فضائل الذكر لا تحصى ولا تستقصى من الكتاب والسنة قال تعالى فاذكرونى أذكركم قال ابن عباس اذكرونى بطاعتى أذكركم بمغفرتى وقال سعيد بن جبير فالذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر له وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال ﴿ يقول الله ﴾

أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني يمشي أتيته أهول وقال ﷺ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وسئل ﷺ أي العبادة أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قيل يا رسول الله ومن الغازی في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاکر لله أفضل منه وأرفع درجة وقال ﷺ ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قال العلماء إنما قيد ﷺ بالكثرة في قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين فأی لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله كانت عليه حسرة وقال أبو الدرداء لكل شيء جلاء وجلاء القلوب ذكر الله تعالى وروی مرفوعا بكل شيء صقالة وصقالة القلوب ذكر الله ولا (150/2) شك أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس وغيره وجلأؤه بالذكر والاستغفار فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرأة البيضاء فإذا تركه صدئ وصدؤه من الغفلة والذنب وجلأؤه بالذكر والاستغفار لمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدا متراكبا على قلبه وإذا صدئ لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق وعكسه فإن تراكم عليه الصدا أظلم واسود وركبه الرين الذي قال فيه تعالى كلا بل ران على قلوبهم وحينئذ يفسد تصويره ولا يقبل حقا ولا ينكر باطلا وذلك أعظم عقوبات القلوب فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وأصل كل ذلك الغفلة عن ذكر الله واتباع الهوى في سخط الله فإنهما يطمسان البصيرة قال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتباع هواه وكان أمره فرطا فإذا أردت أن تقتدي برجل فانظر هل غلب عليه الذكر أو الغفلة وهل الحاكم عليه اتباع الهوى أو السنة فإن كان من أهل الهوى والغفلة فلا تقتد به فإن أمره فرط أي مضيع أمره الذي يجب عليه القيام به وملازمته وبه رشده وفلاحه وفي الذكر فوائد لا تحصى وعوائد لا تستقصى فمنها أنه أقرب الطرق إلى الله وعلامة على وجود الولاية إذ هو منشورها فمن وفق له فقد أعطى المنشور ومن سلبه فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت لله فاجعل لـه الأنفاس
داخـله حرامـا

وهو غر مؤقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطالب به إما وجوبا أو ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس ﷺ لم يفرض الله فريضة على عباده إلا جعل لهما حدا معلوما ثم عذر أهلها حال العذر إلا الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وقال ﷺ أكثروا ذكر الله حتى يقول مجنون فينبغي أن يستكثر منه في كل الحالات ويستغرق فيه جميع الأوقات ولا يتركه الإنسان لوجود غفلته فيه فإن تركه والغفلة عنه أشد من الغفلة فيه فعليه أن يذكر الله بلسانه وإن كان غافلا فيه ففعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه إلى ذكر مع وجود اليقظة كما هي صفة المؤمنين من أهل اليمين ولعل هذه الصفة ترفعه إلى ذكر مع وجود الحضور كما هي صفة العلماء ولعل هذه ترفعه إلى ذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور كما هي صفة ذاكر له وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد ممحوا في وجود العيان ومنها أنه يطرد الشيطان ويقمعه فيحرز العبد منه ويرضى الرحمن ويزيل الهم والغم والأحزان ويجلب الفرح والسرور ويقوى القلب والبدن ويجلو الوجه وينور القلب ويجلب الرزق ويعمر الديار ويكسو الهيبة والوقار ويوصل العبد للمقامات الرفيعة والسيادة كمقام المحبة الذي هو قطب رحي الدين ومدار السعادة فقد جعل الله لكل شيء سببا وسبب المحبة دوام الذكر وكما أن الدرس والمذاكرة باب العلم فالذكر باب المحبة ومقام المراقبة والإحسان فيعبد الله كأنه يراه ومقام الإنابة إليه تعالى فمتى لازم العبد ذكر الله أوره رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيكون الله مفزعه عند النوازل ومقام المعرفة كلما ذكر الله فتح له بابا عظيما إلى المعرفة ومقام القرب فإنه على قدر ذكر الله يقرب (151/2) منه وفي الخبر أنا جليس من ذكرني ومقام الخشية فإنه على قدر ذكره تعالى وحضور قلبه فيه تكون خشيته منه بخلاف الغافل فإن حجاب الخشية في قلبه رقيق ومنها أنه يورث ذكر الله له قال تعالى فاذكروني أذكركم ولذكر الله أكبر ومنها أنه يعدل عتق الرقاب وإنفاق الأموال والجهد والصيام والقيام والحج والاعتماد وينوب عن الطاعات كلها النفلية بدنية كانت أو مالية أو منهما كحج التطوع كما ورد كل ذلك في الحديث الصحيح ومنها أنه يؤمن من نسيان الله له الذي هو سبب الشقاوة في الدارين قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم الآية وهو من أيسر العبادات إذ يمكن فعله وأنت على فرشك أو سوقك ولم يترتب ما أعد فيه من الأجر في غيره من العبادات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي الحديث الصحيح من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وهو أصل مودة الله فمن أكثر منه أحب الله ومن أحب الله أحبه الله ومن أحب الله كان سمعه وبصره ولسانه فيسمع ويبصر وينطق بالله ومن غفل عنه آل به الأمر إلى أن يكرهه وتنفر نفسه عن ذكر الله وهذه علامة عداوته لله من حيث لا يشعر والعياذ بالله وقد ورد أن مجالس الذكر رياض الجنة فمن شاء أن يرتع في رياض الجنة فليذكر الله وأنها مجالس الملائكة وكل الأعمال ما شرعت إلا لإقامة ذكره قال تعالى وأقم الصلاة

لذكرى أى لأجله وقال تعالى ولذكر الله أكبر أى مما سواه وأفضل من كل شىء قال الغزالي اعلم أن ما ورد فى فضله من الآيات والأخبار والآثار لا يحصى بل قد انكشف لأرباب البصائر أن ذكر الله بشروطه وآدابه أفضل الأعمال وذلك لأن المؤثر النافع للقلب هو الذكر على الدوام مع حضور القلب أما مع غفلته فإنه قليل الجدوى وفى الأخبار ما يشهد لذلك فحضور القلب على الدوام هو المقدم على سائر العبادات بل إنما تشرف العبادات به وله أول وآخر فأوله يوجب الأئس بالله وآخره يوجب الحب لله والمطلوب أن لا يذكر إلا مع الأئس والذاكر يكون فى البداية متكلفا لصرف قلبه عن الوسواس ولسانه عن اللغو إلى ذكر الله ثم يأنس بذكره وينغرس فى قلبه حب المذكور ثم يكون مضطرا لذكره فإن من أحب شيئا ولع بذكره ولم يصبر عنه وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به ولا يحصل الأئس إلا بالمداومة والتكلف مدة حتى يصير التكلف طبعاً وعادة ثم إذا حصل الأئس بذكره انقطع عن غيره وهو كل ما يفارقه عند الموت وبقي معه الأئس به عند الموت وبعده فتعظم سعادته ولأجل ذكره عظمت مرتبة الشهادة لأن المقصود حسن الخاتمة ومعنى حسنها أن يودع الدنيا وقلبه مستغرق بالله والشهيد فى وصف القتال قد قطع الطمع عن نفسه وماله وأهله وولده وعن الدنيا كلها لأنه إنما يريد الدنيا لحياته وهو قد هون على قلبه الحياة فى حب الله وطلب رضاه فلا أعلى من مرتبته إن قتل فيها ولو لم يقتل إلا بعد مدة فربما عادت شهوات الدنيا إلى قلبه وكذا القلب وإن لازم ذكر الله بلا استيلاء فهو متقلب لا يخلو عن فترة ولذا عظم خوف أهل المعرفة من سوء الخاتمة لأن من مات وحب الدنيا متمثل فى قلبه فذلك دليل على قلة حظه فى الآخرة إذ المرء يحشر على ما مات عليه فأسلم الأحوال خاتمة الشهادة إذا كان قصد الشهيد حب الله وإعلاء كلمته وقد عبر عنها تعالى بقوله إن الله اشترى من المؤمنين الآية وحالته موافقة للتحقق بمعنى قول لا إله إلا الله فالشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصد له سواه ومن قال ذلك بلسان المقال من غير (152/2) مساعدة لسان الحال فهو تحت المشيئة ولسان الحال أغلب ثم أفضل الذكر لا إله إلا الله وقد ورد ذكرها فى الأخبار مقيدا بمن قالها صادقا أو مخلصا من قلبه ونحو ذلك ومعنى الصدق أو الإخلاص مساعدة لسان الحال للمقال وغير مقيد وهو الأغلب للترغيب جعلنا الله وإياكم من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا قال الشيخ العارف بالله الحبيب عبد الله بن أبى بكر العيدروس فى كتابه الكبريت الأحمر اعلم أن الذكر عدة السائرين بالمقامات القلبية إلى الله تعالى وعمدة الطائرين بالمقامات الروحانية المعبر عنها بلطائف الأحوال والأنفاس إلى الوصول إليه تعالى فلا يصل أحد إليه تعالى إلا بذكره لأنه منه بدا وإليه يعود قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذكر على ثلاثة أقسام ذكر بالأقوال وذكر بالأعمال وذكر بالأحوال فاذكرونى بلفظ الاستغفار عن العصيان أذكركم بالرحمة والغفران شاهده قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله فاذكرونى بأعمال الأركان مع خلوص الإيمان أذكركم بحياة الجنان شاهده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنى وهو مؤمن فلنجنيبه حياة طيبة فاذكرونى كثيرا بالأشباح والأرواح أذكركم بالفلاح والنجاح شاهده قوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذكرونى بالأحوال وهى الشوق والمحبة أذكركم بالقبول والقربة شاهده قوله تعالى من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا فاذكرونى بالتضرع والابتهاال أذكركم بالفضل والاستقبال شاهده قوله تعالى ومن أتانى يمشى أتيته هرولة فاذكرونى بالتعظيم أذكركم بالتكريم فاذكرونى ذكرا فانيا أذكركم ذكرا باقيا فاذكرونى بصفاء السر أذكركم بخالص السير فاذكرونى بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء فاذكرونى بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطاء فاذكرونى من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا فاذكرونى ببذل الوجود والفناء أذكركم بنيل الشهود والبقاء وهذا هو الذكر الخفى الذى يجعل الذكر المذكور والمذكور ذاكرا بل يكون الذكر والذكر والمذكور واحدا كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار انتهى

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء انكشفت لهم الأمور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة بل بالزهد فى الدنيا والتبرى عن علائقها بكنه الهمة على الله فمن كان لله كان الله له وهو أن ينقطع عن كل ما سواه من علائق الدنيا ويصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود المال والأهل والعمل والولاية ونحوها وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسيره ويكتب حديثه ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله غير ذكر الله فيجلس فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى لحالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم ينتهى إلى أن يصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم إلى أن ينمحي من القلب صورة اللفظ ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه ملازما له لا يفارقه ثم مقامات السائرين إليه تعالى على ثلاث مراتب الأولى للمؤمنين وكمال هذه المرتبة بمراعاة آدابها وهو العمل بمقتضى ما أمر به الشارع أو نهى عنه فيما ظهر وبطن حتى يحصل مقام الاستقامة فيسمى مؤمنا حقا الثانية للعلماء وهى تحصيل الدليل والبرهان على ما وجب به الإيمان من أصل أو فرع إذ العلم صفة ينكشف بها حقائق الأشياء انكشافا تاما لا يحتمل (153/2) النقيض ولا التشكيك عند اعتراض الشبه وذلك فرض كفاية على الخواص وكمال هذه المرتبة بمراعاة آدابها وهى التخلق بالعلم فى جميع الحركات والسكنات والتجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فهناك يسمى عالما حقا الثالثة للعارفين أهل الكشف والعيان وذلك غير واجب على أحد ولا داخل تحت الكسب

والاختيار وإنما هو بحسب المواهب وسبق الأقدار نعم هو رزق مقسوم يحصل بسبب وغير سبب وبطلب وغير طلب لكن الحكمة اقتضت التوصل إليه بالأسباب فالمجاهدة وإن لم تكن شرطا في تحصيل هذه المرتبة فهي سبب موصل إليها غالبا كالسبب لتحصيل الرزق فبالحركات تنزل البركات وبالهز يسقط العمر وأمّ العجز أبدا عقيم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم فهذه المرتبة وإن كانت مقدمة على ما قبلها لكنهما سلم يرتقى منهما إليها ومن ضيع الأصول حرم الوصول وطلب الشيء من غير بابه محال كما أن السطح بغير سلم لا ينال قال تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وأن أصل الهداية إنما هو نور سماوى ونظر إلهى يقع فى قلب العبد فينظر به نظرة يفرق بها بين الحق والباطل وذلك هو شرح الصدر المشار إليه بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وأن الله إذا أراد أن يجتبى عبدا عامله بالفضل وأوصله إلى منزلة الأبرار فى ساعة من ليل أو نهار كسحرة فرعون وأصحاب الكهف فإن أهل الكهف آمنوا بربهم وزادهم هدى فحازوا مقام الإيمان والعلم بالله وهو الهدى ثم اعتزلوا قومهم لله فحازوا مقام المهاجرة إلى الله والانقطاع إليه والحب له والبغض لأعدائه ثم قالوا فأووا إلى الكهف الآية فحازوا مقام التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله والتسليم لحكم الله والرضا بقضائه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وإن من ترك لله شيئا أبدله الله خيرا منه ومن انقطع إليه آواه ومن فوض أمره إليه كفاه ومن توكل عليه تولاه وذلك مما قص الله علينا من حسن صنيعه بهم ولطفه وحمايته لهم وحفظه لأبدانهم وأكرامه لهم فحاشا أن تنقطع إليه ويضيعك أو تواصله فيقطعك متى تقربت إليه شبرا تقرب إليك ذراعا وإن تقربت إليه ذراعا تقرب إليك باعا ومن يتوكل على الله فهو حسبه وإن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا وأن المرء مع من أحب وأن الرجل على دين خليله ومن كثر سواد قوم كان منهم وأن أهل الله هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وذلك أن الله أكرم كلما صحب أهل الانقطاع إليه فجعله شريكا لهم فى نومهم وانتباههم وموتهم وحياتهم وجعل ذلك يتلى فى الذكر الحكيم وجاء أنه يدخل الجنة مخلدا فى دار النعيم فاختر لنفسك حينئذ أن تصحب من شئت من الفريقين وأن تلازم من أحببت من الحزبين وما ربك بظلام للعبيد إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والله خلقكم وما تعملون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين انتهى كلام الفوز والبشرى باختصار

(2/154) وقال الشيخ عبد الله بن سعيد العمودى فى شرح حزب الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن ؓ آمين قال النووى الذكر باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلة ولكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر ولبعضهم

إذا مرضنا تدأوى-نا ون-ترك الذكر أح-يانا
بذكر-م فننتك-س

وقال ابن مسعود الذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال أبو القاسم القشيري الذك ركن قوى فى طريق الحق تعالى بل هو العمدة فى هذه الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر وقال سهل ما من يوم إلا والجليل ينادى عبدي ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك فتذهب إلى غيرى وأذهب عنك البلايا وأنت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غدا إذا جئتنى وقال أيضا لا أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب وقال بعضهم من ذكر الله فى الخلوات أسكنه الفرديس ومن غفل عنه حشره مع المفاليس وقيل إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الذكر وقيل إذا ذكرته فكن كلك قلبا وإذا نطقت فكن كلك لسانا وإذا سمعت فكن كلك سمعا أذكره وأنت من لباس الكون عريان ووحدته وأنت بأنوار العظيم ملآن وكن كما قال بعضهم

إذا ذكرتك كاد الش-وق وغف-لتنى عن-ك أح-زان
يقت-لنى وأوج-اع
فص-ار كلى قل-وبا في-ك للس-قم في-ها وللآلام
دائم-ة إس-راع

وشكا رجل إلى الحسن قسوة القلب فأمره بالذكر ولأئمة الطريق كلام فى الذكر وسره وأدبه وكيفيته ومحلّه كتب رسائلهم وقد قال شيخنا ونعنى به الحبيب القطب الحداد ؓ الأولى لمن يجد التفرقة لا إله إلا الله وإذا اجتمع الله الله أى لأن لا إله إلا الله توحيد والمفرق يجد مع الله غيره فالأولى به نفى الغير ليثبت ويرسخ قدمه والله الله تفريد والمجتمع لا يجد غير الله فذكر التفريد له أولى فقد بالغ شيخنا ؓ فى الفائدة بالغاية القصوى وقد قيل الذكر طاعة قولاً وفعلاً وعنه ؓ من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكنا ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قارئاً وورد ما دمت فى ذكر الله فانت تقرر باب الله ومن يستديم قرع الباب يوشك أن يفتح له انتهى باختصار

(خاتمة الخاتمة فى الدعاء وآدابه)- وهو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات أو إظهار العجز والمسكنة بلسان

التضرع أو غير ذلك كما قاله شيخ الإسلام في شرح الرسالة قال تعالى ادعوني أستجب لكم ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال ﷺ الدعاء مخ العبادة أي خالصها قال أبو القاسم القشيري واختلف فقيل الدعاء أفضل لأنه في نفسه عبادة وقيل السكوت أفضل وأتم لقوله ﷺ من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ولأنه فيه استسلام ورضا وقيل يجب أن يكون العبد ذا دعاء بلسانه وذا رضا بقلبه والأولى أن يقال يختلف ذلك باختلاف الأوقات والأحوال فرب شخص في حالة يغلب عليه الدعاء وكمال التضرع (155/2) فلما لزمته لحالته أقرب لنيل مقصوده أو توالى النعم عليه وعجزه عن شكرها فيستحي لعجزه عن شكرها أن يطلب زيادة على ما هو عليه فالسكوت له أولى وقد يدعو العبد فيعلم الحق سبحانه أن مصلحته في ضد ما دعا به فلا يعجله رحمة به فيظن بجهله أن تأخره مضرة وربما جرى على لسانه دعوت فلم يستجب لي فيكون سببا لمنعه الإجابة قال ﷺ إنه يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد عذ حجة الإسلام آداب الدعاء عشرة قال شيخ الإسلام وهي في الحقيقة أكثر والعشرة هي أن يترصد الأزمان الشريفة كيوم الجمعة وشهر رمضان ووقت السحر وأن يغتنم الأحوال الشريفة كحال السجود وإقامة الصلاة وبعدها ورقة القلب وأن يستقبل القبلة ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه في آخره وأن يخفض صوته بين المخافتة والجهر وأن لا يتكلف السجع فقد فسر به الاعتداء في الدعاء وأن يتضرع ويخشع ويرهب وأن يجزم الطلب ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه وأن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا ولا يستبطئ الإجابة وأن يفتتح الدعاء بذكر الله أي والصلاة على رسول الله بعد الحمد والعناء عليه ويختمه بذلك كله وأن يتوب إلى الله تعالى وأن يخضر قلبه عنده قال ﷺ إن الله لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه ومن شروطه بل هو أعظمها استعمال الحلال في المطعم قال ﷺ أطب مطعمك تستجب دعوتك وقيل الدعاء مفتاح العبادة وأسنانه لقم الحلال ومز موسى برجل يتضرع في الدعاء فقال إلهي لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فأوحى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وله غنم وقلبه عند غنمه وإنى لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري فذكر ذلك موسى للرجل فانقطع إليه تعالى فقضيت حاجته قيل وفائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه تعالى وإلا يفعل ما يشاء قال الغزالي ومن فوائده ردّ البلاء ووجود الرحمة فهو سبب لذلك كما أن الماء سبب لخروج النبات والترس سبب لدفع السهم وليس من شرط الاعتراف بالقضاء عدم حمل السلاح فقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وخير الدعاء ما هيجته الأخران أي على التقصير في حقه تعالى مع فراغ الجهد في طاعته وإذا سأل الإنسان حاجة فسهلت له فإن كانت أخروية فقد بلغ المني أو دنيوية فليسأل الجنة فلعلة وقت إجابته فيجمع بين خيرى الدارين قيل والدعاء سلم المذنبين أي وسيلتهم فلا يصلون لعفو الله إلا بتضرعهم ودعائهم وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب أي مع طلب غفرانها لأن طلب غفرانها مع استمرارها يسد باب الإجابة قال تعالى وإنى لغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل لم يفتح الله لسان عبد بالمعذرة إلا فتح له باب المغفرة وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه إنه رءوف رحيم قدير وبالإجابة حدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم والله الهادي إلى الحق والصواب ونسأله حسن الختام والمآب وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ربنا بالحق

قال جامعهم كان الله فى عونته وكان الفراغ من تسويد هذا التتميم الذى هو فى معنى الشرح المبارك إن شاء الله تعالى يوم السبت المبارك لثمان بقين من شهر شعبان المكرم أحد شهور سنة (156/2) ألف ومائتين وثمانين ومن تبييضه يوم الثلاثاء المبارك لخمس مضي من شهر ربيع الأول أحد شهور سنة ألف ومائتين جعله الله خالصا لوجهه الكريم وموجبا للفوز لديه بجنات النعيم ومتقبلا عند من أمر به وطلبه من أولى المعرفة والإتقان إنه الكريم المنان الرحيم الرحمن وصلى الله على سيدنا محمد ولد عدنان وعلى آله وصحبه وذريته ذوى العلوم والمناقب والعرفان آمين

يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد سعد على أحد علماء الأزهر ورئيس لجنة التصحيح بشركة مطبعة الشيخ الجليل مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر المحروسة).

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء فقههم هنا فى الدين وفى تلك أعلى مكانتهم كما يشاء والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهج منهج اليقين القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعلى آله الذين حرروا الشريعة تحريرا ولم يألوا جهدا فى خدمة الدين فنالوا جنة وحريرا وعلى أصحابه الذين تمسكوا بشرعه القويم ففازوا برضى الله تعالى وبالخلد فى جنات النعيم (وبعد) فإلى محيى العلم عموما والشافعية خصوصا نرف هذا الكتاب الذى هو كاسمه

إسعاد الرفيق وبغية الصديق

شرح علامة زمانه ومفتى أوانه الشيخ محمد بن سالم بن سعيد بابصيل على

متن سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق

تأليف الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوى أسكنهما الله فسيح الجنان قد اشتمل

هذا المؤلف على أصول العلوم من توحيد وفقه وتصوف مع سهولة عبارته
وعذوبة ألفاظه يحتنى ثمار معانيه المبتدى والمنتهى وكان
طبعه الباهر بالمطبعة المذكورة أعلاه الثابت محل
إدارتها بسرأى رقم 12 بشارع التبليطة بجوار
الرياض الأزهرية بمصر المحروسة المحمية
وقد وافق التمام أواخر شهر ربيع الثانى
سنة 1351 من هجرة الرسول
عليه أفضل الصلاة
وأزكى التحية
أمين

{157/2}

فهرس الجزء الأول من كتاب

إسعاد الرفيق وبغية الصديق على سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق

صحيفة

خطبة الكتاب	2
الكلام على البسمة	5
الكلام على الحمدلة	7
فصل فيما يجب على المكلف	15
نسب النبى صلى الله عليه وسلم	23
اختلف فى مقرّ الأرواح مدة البرزخ	30
شفاعته صلى الله عليه وسلم	37
الكلام على الجنة	39
رؤية الله سبحانه وتعالى فى الجنة	41
خاتمة فى ذكر شىء من أخلاقه صلى الله عليه وسلم	47
فصل يجب على كل مسلم حفظ إسلامه	49
فصل يجب على من وقعت منه ردة العود فوراً إلى الإسلام	62
فصل يجب على كل مكلف أداء جميع ما أوجبه الله عليه	64
فصل فمن الواجب عليه خمس صلوات فى اليوم والليلة إلخ	69
فصل يجب على ولى الصبى والصبية المميزين أن يأمرهما بالصلاة إلخ	72
فصل من شروط الصلاة الوضوء	74

77	فصل فى بيان ما ينقض الوضوء
	فصل فى الاستنجاء وشروطه
78	فصل فى الغسل وموجباته وفروضة
80	فصل فى شروط الوضوء والغسل
82	فصل فى بيان ما يحرم بالحدث الأصغر والأكبر
83	فصل فى بيان النجاسة وأحكامها
84	فصل فى الاستقبال وغيره من شروط الصلاة
85	فصل فى مبطلات الصلاة

{158/2}

صحيفة

86	فصل وشرط مع ما مرّ أن يقصد بها وجه الله تعالى وحده
89	فصل فى أركان الصلاة
98	فصل فيما يتعلق بالجماعة والجمعة
101	فصل فى شروط صحة الاقتداء
104	فصل فى أحكام الجنائز
107	فصل فى الزكاة وأنواعها ومن تجب عليه ومن تعطى له
114	فصل فى الصوم وما يتعلق به
117	فصل فى الحج وما يتعلق به
125	خاتمة تتأكد ريارته صلى الله عليه وسلم
126	فصل فيما يجب على كل من يتعاطى شيئاً من المعاملات
132	فصل فى الربا وما يذكر معه من البيوع المنهى عنها
145	فصل فى النفقات

{تمت}

{159/2}

فهرس الجزء الثانى

صحيفة

2	فصل فى طاعات القلب وما يجب استعمله فيه
	من الواجبات القلبية الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
3	ومنها اليقين
4	ومنها الإخلاص
5	خاتمة تشتمل على أحاديث دالة على مدح الإخلاص وثواب المخلصين
6	ومنها الندم على المعاصى - ومنها التوكل على الله
7	ومنها المراقبة لله
9	ومنها الرضى عن الله
10	ومنها حسن الظن بـ الله
11	ومنها تعظيم شعائر الله
12	ومنها الشكر على نعم الله
14	ومنها الصبر على أداء ما أوجب الله إلخ
16	ومنها الثقة بالرزق من الله عز وجل
18	ومنها اتهام النفس وعدم الرضا عنها
19	ومنها بغض الشيطان وعداوته
21	ومنها بغض الدنيا الدنيئة
22	ومنها بغض أهل المعاصى
23	ومنها محبة الله سبحانه وتعالى إلخ
	ومنها محبة الصحابة والآل والأنصار والصالحين
25	خاتمة فى بيان افتضاح الشيعة فى كذبهم وتقولهم على آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بما هم بريئون منه
25	ما قاله سيدنا عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه فى كتابه النصائح الدينية
32	فصل فى ذكر شىء من معاصى القلب ومن معاصى القلب الرياء بأعمال البر
37	ومنها الشك فى الله سبحانه وتعالى

ومنها الأمن من مكر الله تعالى	38
ومنها القنوط من رحمة الله جل وعلا	39
ومنها التكبر على عباد الله	40
ومنها الحقد	42
ومنها الحسد	43
{160/2}	
ومنها المنّ بالصدقة	46
ومنها الإصرار على الذنب	48
ومنها سوء الظن بالله	49
ومنها التكذيب بالقدر - ومنها الفرح بالمعصية	50
ومنها الغدر - ومنها بغض الصحابة والأهل والصالحين	51
ومنها البخل بما أوجب الله	52
ومنها الشح والحرص	53
ومنها الاستهانة بما عظم الله إلخ	56
فصل في بعض معاصي الجوارح السبعة	56
معاصي البطن	57
خاتمة في النهي عن مجالسة شراب الخمر	60
خاتمة وكل ما ذكر في الحشيشة من الخبائث والعلل يظهر على من يستعمل التنباك	63
فصل في معاصي العين	65
خاتمة من أقبح المحرمات وأشد المحظورات اختلاط الرجال بالنساء في المجموعات	67
فصل في ذكر بعض معاصي اللسان	69
خاتمة في بيان علاج الغيبة	74
فصل في بيان معاصي الأذن	96
فصل في بيان معاصي الفرج	106
خاتمة فيما جاء في حفظ الفرج	111
فصل في بيان معاصي الرجل	112
فصل في بيان معاصي كل البدن	114
خاتمة في صلة الرحم	118
من الكبائر قطع الفرض بلا عذر وقطع نفل الحج والعمرة	121
ومنها محاكاة المؤمن استهزاء به والتجسس على عورات الناس والوشم	122
ومنها هجر المسلم فوق ثلاث ومجالسة المبتدع والفاسق للإيناس	123
خاتمة في حكم طعام الوليمة	135
فصل في التوبة وشروطها وأحكامها وأركانها	141
خاتمة في بيان أن التوبة أصل كل مقام ومفتاح كل حال	145
فضائل الذكر التي لا تحصى ولا تستقصى	149
خاتمة الخاتمة في الدعاء وآدابه	154

{تمت}